



الهجرة والتحضر والتحولت الأسرية

كلية الآداب والعلوم الإنسانية - الرباط



جامعة محمد الخامس بالرباط
Université Mohammed V de Rabat

مركز دراسة الدكتوراه: الإنسان والمجال في العالم المتوسطي

وحدة التكوين: التغير الاجتماعي والتنمية المحلية

بمبادرة نيل الدكتوراه في علم الاجتماع

"الهجرة، التحضر والتحولت الأسرية بمدينة سلا وضواحيها"

تحت إشراف الأستاذ :

الدكتور: المختار الهراس

من إعداد الطالبة :

حنان بوكطاية

السنة الجامعية

2016-2015

الإهداء

أهدي ثمرة هذا العمل إلى:

مروح والدي المرحوم محمد بوكطاية.

أمي، التي لن أنسى تضحيتها وصبرها.

نروجي محمد شاين على دعمه المعنوي ومساعدته لي في إكمال دراستي حيث

كان خير عون لي طيلة حياتي الدراسية من تشجيع ودعاء وصبر وعطاء.

فجزاه الله عني خير الجزاء.

أبنائي، خديجة ومحمد أمين.

أختي الحبيبة سعاد لوقوفها بجاني ودعواتها الصادقة وحبها الكبير.

إخواني ونروجاتهم، الذين لم يخلوا علي بنصائحهم وتشجيعهم.

كلمة شكر وتقدير

لقد تمكنت من إكمال عملي بمساعدة الكثير من الأشخاص

الذين أود أن أوجه لهم شكري وامتناني:

أتقدم بخالص شكري وامتناني لأستاذي الفاضل

الدكتور المختار الهراس، على قبوله

الإشراف على هذا العمل وتوجيه عنايته، فلولا ما كان ممكناً أن يجد هذا العمل طريقه إلى الوجود .

فلم يبخل علي بتوجيهاته ومتابعته الدائمة وإرشاداته، ولم تمنعه انشغالاته العلمية ومسؤولياته المتعددة من

تتبع هذا العمل بكل رحابة صدر وعطاء كبيرين .

أشكره مع جميع الأساتذة الذين قبلوا انضمامي إلى وحدة الدكتوراه

وسمحوا لي بتطوير معارفي في واغنائها .

أعبر عن شكري العميق للأستاذ ادريس بن سعيد لدعمه ونصائحه الموجهة والنيرة، ولن أنسى المساعدات

والتوجيهات المعرفية والمنهجية التي قدمها لي وأنا طالبة في وحدة التغيير الاجتماعي والتنمية المحلية حيث

كان مشرفاً علي بحثي آنذاك .

أتوجه بالشكر الخالص إلى الأستاذ عبد الغني منديب الذي طالما استفدنا من توجيهاته ومحاضراته.

أشكر الأستاذ الجليل محمد شقرون على عطائه الفكري واستماعه وتوجيهه.

أشكرهم جميعاً على جهودهم في قراءة وقبول مناقشة هذه الرسالة، وسأعمل على أن تكون توصياتها خير معين لي في المستقبل إن شاء الله.

وفي الاحتام، أوجه شكري للطلبة والطالبات الذين ساعدوني في ملئ الاستمارات وتفرغ المقابلات،

فلولا جهوداتهم ما كان ممكناً أن أتغلب على الصعاب المرتبطة ب

كبر حجم العينة واتساع مجال البحث.

أشكر أرباب الأسر المهاجرة على تعاونهم، وتفهم رفض بعض الباحثين التجاوب

مع أسئلتنا، بل كانوا حافزاً لمواصلة مسيرة البحث.

إلى كل أفراد عائلتي الكيرة وأسرتي الصغيرة، الذين تحملوا معي عناء الدراسة

وانجأنا هذا العمل بتضحيات مادية ومعنوية.

أشكر موظفي وأطر كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، والمكتبة الصبيحية بمدينة سلا،

ومكتبة آل سعود، والمكتبة الوطنية على مساعداتهم ومساندتهم وخدماتهم.

كما أشكر مهندس بلدية مدينة سلا، وموظفي قسم التعمير، والتقنيين بعمالة مدينة سلا على تجاوبهم

وإمدادنا بالمعطيات اللازمة لانجاءنا هذا البحث.

كل من ساعدني أو ساهم من قريب أو بعيد في انجاءنا هذا البحث.

مقدمة

الإطار العام للبحث:

إن فهم ظاهرة الهجرة وتحليل التأثيرات التي تتركها عملية الانتقال المكاني للسكان من مجال إلى آخر، يفرض النظر إلى الظاهرة في أبعادها الاجتماعية والديمغرافية والمجالية وما يصاحبها من تغيرات بنيوية ووظيفية ترتبط مباشرة بالأنشطة الخارجية والعلاقات الداخلية للوحدة الأسرية، والتي تشكل الأساس الذي يتحكم في صيرورة التحول الأسري.

إن معظم الدراسات التي اهتمت بتحليل ظاهرة الهجرة تناولتها بشكل تجزيئي بالانكباب على دراسة تأثيرات الهجرة على مناطق الوصول أحيانا أو الموطن الأصلي أحيانا أخرى، ونادرا ما يتم التوقف عند الدور الذي تلعبه مؤسسة الأسرة في هذه الحركية الجغرافية. وتبقى العديد من الأسئلة المطروحة من ضمنها: قرار الهجرة، ونوع الهجرة ومساراتها، واستراتيجيات الاندماج في المجتمع الجديد، والعلاقة بالموطن الأم، وتحول القيم والممارسات الداخلية للأسرة.

تشكل الهجرة موضوعا خصباً في البحث السوسولوجي إلى جانب مجموعة من العلوم الأخرى كالجغرافية والديمغرافية وغيرها. فالهجرة إلى جانب كونها ظاهرة عالمية تعرفها بلدان الشمال والجنوب على حد سواء، فإن الأولى استطاعت أن تحسن ظروف الساكنة المهاجرة، لكن الزحف القروي في دول الجنوب خلق اختلالات مجالية واقتصادية مهمة تحولت إلى هاجس أمام التزايد المستمر لأعداد المهاجرين.

تشكل إذن، الهجرة إحدى القضايا الأكثر إثارة للجدل للباحثين في مجالات مختلفة، أكاديمية وسياسية واجتماعية، بل تمثل تحدياً رئيسياً في القرن الواحد والعشرين. إن التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي عرفها المغرب خلال القرن العشرين قد أفرزت التطور الهائل وغير المسبوق لظاهرة الهجرة التي ترتب عنها النمو السريع للسكان الحضرية. تتحدد أهمية الهجرة بوزن الساكنة المهاجرة من مجموع الساكنة الحضرية،

وترتبط بالتغيرات الراهنة للمجتمع المغربي والتي تسير في اتجاه ترسيخ ثقافة حضرية واسعة.

كانت الأسرة ولا تزال ميدان بحث واهتمام الكثير من المتخصصين في مختلف مجالات العلوم الإنسانية نظرا لأهميتها، واعتبارها الخلية الأولى والرئيسة التي يتكون منها المجتمع. لقد اهتم علم الاجتماع بموضوع الأسرة لكونها إحدى المؤسسات الاجتماعية الأولى التي سايرت إلى حد كبير تطور المجتمعات الإنسانية.

يعترض البحوث حول الأسرة صعوبة أولى، تتمثل في كونها ترد مترابطة مع مفاهيم المدرسة والطفل والتنشئة الاجتماعية والتربية والمرأة. والصعوبة الثانية، تنتج عن تنوع وتداخل بين المفاهيم السوسيولوجية ومفاهيم الممارسة اليومية¹.

عرفت الأسرة المهاجرة بمدينة سلا وضواحيها تحولات جذرية مست ثقافتها وقيمها والعلاقات بين أعضائها. فتمدرس الفتاة، وخروج المرأة للعمل، وتقاسم الأدوار بين الزوجين داخل الأسرة، والتضامن، والتشاور في اتخاذ القرارات الأسرية، واستعمال الوسائل التكنولوجية في التواصل... وغيرها من المقتضيات التي فرضتها طبيعة الحياة الحضرية. هذه العوامل جعلت الأسرة المهاجرة تتبنى تصورات تمكنها من التعايش والاندماج في الوسط الحضري الجديد.

إن الحديث عن التغير الأسري مرتبط ببنية وثقافة المجتمع المصدر والمستقبل للهجرة. فالإنسان القروي الذي يترك مكان ولادته بحثا عن أفق جديد في العمل، والتعليم، والترفيه، يجد نفسه أمام تعارض ثقافة القرية والمدينة، وسيادة القيم الحضرية مقابل العادات والتقاليد القروية. كل هذا يؤثر في حياة المهاجر الأسرية وعلاقته بأبنائه وزوجته

¹ شقرون، محمد: العائلة كموضوع من السوسيولوجيا العفوية إلى السوسيولوجية العلمية. منشورات كلية الآداب والعلوم

الإنسانية، العدد 11، 1988 (بتصرف).

وأقاربه، ويؤثر في قيم القرابة والجوار والصدافة، وفي تصور المهاجر للمدينة والمرأة والمجال المنزلي والعمومي، والعمل والسياسة.

لقد فرضت الهجرة إلى المدينة أساليب جديدة في تعامل المهاجر مع محيطه الأسيي، وطرحت أمامه قيما وعلاقات جديدة تتلاءم مع مقتضيات الحياة الحضرية. إن الانتقال والاستقرار بالمدينة يتطلب من المهاجر تأمين السكن والدخل كعاملين لضمان استقراره. وغالبا ما يختار النازح القروي السكن بالأحياء الهامشية أو الضواحي للظروف التي توفرها من حيث السكن، وتجمع ساكنة مهاجرة يسهل عملية الاندماج والتواصل في الوسط الجديد.

إن دراسة الهجرة والتحضر، والتحويلات الأسيية بمدينة سلا وضواحيها، والإمساك بالإطار الناظم للعلاقة بين هذه المفاهيم، لا يمكن عزله عن الإطار التاريخي الذي ساهم في تبلور هذه الظاهرة ونموها داخل الزمان والمكان. إن فهم سيروية التحول الأسيي في حياة المهاجر بمدينة سلا لا تتم إلا بربطه بالمرحلة التاريخية التي مرت منها هذه الأسر والتحويلات التي واكبتها.

إن المدينة المغربية العتيقة هي عبارة عن إرث تاريخي ورصيد معماري وثقافي مهم، إلا أنها أصبحت اليوم تعيش كثيرا من الخلل على المستوى الديمغرافي والاقتصادي والمجالي نتيجة عوامل متعددة منها: التزايد السكاني للمدينة، والهجرة القروية، والتوسع العمراني.

لقد عرفت المدن التقليدية المغربية تحولات بنيوية وازدواجية عمرانية تتمثل في وجود نواة أصلية وأحياء حديثة ثم الضواحي. كانت النواة الأصلية هي مركز الإنتاج والقرار السياسي وتمتاز بتوازن وانسجام نسبي بين سكانها وأنشطتها. ومع التوسع العمراني الذي شهدته هذه المدن، وأمام الهجرة القروية المكثفة بعد إبان الاستعمار الفرنسي، اكتسحت هذه الحواضر المناطق الزراعية للاستجابة لمتطلبات السكن أمام التزايد السريع للسكان الحضرية.

تشهد مدينة سلا كباقي المدن المغربية العتيقة توسعا عمرانيا مثيرا جاء على حساب المناطق الفلاحية "السواني" التي كانت تحيط بأسوار المدينة من الداخل والخارج، كما استقبلت المدينة وفودا من المهاجرين ساهموا في توسع المدينة في اتجاه الضواحي.

تهتم هذه الدراسة بشكل خاص بالتغيرات التي تمس الأسرة المهاجرة، وتهدف إلى تحليل مختلف التحويلات ذات الصلة بالهجرة والتي أثرت مباشرة على الأسرة المهاجرة، من جهة، والبيئة الحضرية، من جهة أخرى. إن الاهتمام بالهجرة هو، أولا، لكونها ظاهرة تحدث في كل المجتمعات. وثانيا، لأنها مظهر من مظاهر التغير.

إشكالية البحث:

إن التنقل الطوعي أو القسري للأشخاص من بلد لآخر لم تبدأ مع القرن الواحد والعشرين، ومع ذلك، فإن عدد المهاجرين قد تضاعف ثلاث مرات في جميع أنحاء العالم منذ أربعين سنة. فقد تغيرت طبيعة الهجرة والنزوح، واستجابة لهذه التدفقات، واستنادا إلى المواقف من التغيرات التي حصلت على مستوى بلدان الوصول، ظهرت مفاهيم "التنقل" و"التسامح"، و"خطر الهجرة".¹

بما أن مسألة الهجرة هي موضوع العصر، فقد لفتت انتباه الدارسين والمختصين كالجغرافيين الذين اهتموا بأثر المناخ والعوامل الإيكولوجية في تحليل المشكلات السكانية في عملية الهجرة، كما ركز الاقتصاديون على دراسة العلاقة بين الهجرة والعمل، ودور هذا الأخير في سد حاجيات المهاجرين، وتأثير الهجرة في النمو الاقتصادي، مع اهتمامهم كذلك بالأوضاع المهنية والوظيفية للمهاجرين.²

لقد عرف المغرب حركات هجرة قوية، إبان الاستقلال وبعده، أحدثت تحولات جذرية في السكان، والمجال، والثروات، بتركز قوي في المراكز الحضرية الكبرى، وفي المناطق الساحلية بالذات.

¹Sylvie, Mazzella : Sociologie des migrations, Que sais-Je ? collection PUF, 2014.

²البشير، العربي: "الهجرة الداخلية والتنمية في المجتمع التونسي"، دراسة سوسيوولوجية، مكتبة علاء الدين، صفاقس، 2005، ص. 17.

تعاين أغلب مدن دول الجنوب من نمو حضري وديمغرافي سريع، وبدأ النمو الحضري السريع للمدن بالبلدان المغاربية غداة الحرب العالمية الثانية. إن البحث الذي أنجز بالمغرب ما بين 1961_1963 برهن بوضوح أن النمو السكاني جاء نتيجة نزوح القرويين الذين انتزعت أراضيهم نحو المدن ويأملون أن تتحسن وضعيتهم بمجيء الاستقلال. وساهم ظهور التصنيع في نمو وتوسع المدينة، وخلق بالتالي ظاهرة جديدة تسمى في الأدبيات السوسولوجية بالتمدين، الذي ارتبط بالثورة الصناعية وبتطور نظام الإنتاج الرأسمالي.¹

إن ما يهمنا في هذه الدراسة هو إبراز تأثير الهجرة من القرية إلى المدينة على الأسر في وضعية الهجرة بالمدينة، من جهة، والانعكاسات التي تتركها الهجرة على العلاقات الأسرية، والوسط الحضري، من جهة أخرى.

تبدأ الإشكالية التي يتناولها هذا البحث من حيث وقفت الدراسات السابقة، ذلك أنها في جلها ركزت على العوامل الديمغرافية والاقتصادية لموضوع النزوح القروي نحو المناطق الحضرية.

من هنا تتبلور إشكالية بحثنا المركزية كالتالي: تأثير الهجرة والتحضر على تحول الأسرة المهاجرة.

وتبعا لمحاور الدراسة تتفرع عن هذه الإشكالية التساؤلات التالية:

• المحور الأول: الهجرة والتحضر

- هل يساهم التحضر في تذويب الصراعات والاختلافات بين ثقافة المدينة وقيم القرية؟

- كيف تؤثر الهجرة من القرية إلى المدينة على بنية التحضر في المدينة؟

- هل يؤثر التحضر في تحول القيم والعلاقات الأسرية؟

¹ أحمد، الكوال: "التحضر، التحديث، الحداثة في المجتمع المغربي الحديث"، إفريقيا الشرق، 2012، ص. 125 و127.

- هل المدينة عنصر تحديث وتمدين لمحيطها القروي، أم أن المحيط القروي يصبح هو الفاعل بتمثلاته وقيمه وثقافته "تريف المدينة"؟ تشكل هذه الأسئلة منطلقا للبحث في الأسرة في علاقتها بالهجرة والتحضر.

• المحور الثاني: الهجرة والأسرة

- ما هي أهم التحويلات التي تعرفها الأسرة المهاجرة بمدينة سلا؟
- ما هي انعكاسات الهجرة على الأسرة ووظائفها، وقيمتها، وتفاعلات أعضائها وعلاقاتهم الاجتماعية؟
- هل حافظت الهجرة من القرية إلى المدينة على القيم التقليدية للأسرة، أم ولدت أساليب حياة جديدة؟ (الزواج العائلي، التضامن الأسري...)
- هل يمكن أن نتحدث عن غياب تام لبنية الأسرة التقليدية لدى المهاجرين؟ وإلى أي حد عوضت الأسرة النووية الأسرة الممتدة؟
- هل يشكل عمل المرأة تغييرا في أدوارها الأسرية؟
- ما مدى اندماج المهاجرين في الحياة الحضرية؟
- ما طبيعة القيم والممارسات السائدة في الأسرة المغربية المعاصرة؟ وكيف يتمثل المهاجر هذه القيم؟

فرضيات البحث:

- لفهم هذه الإشكالية نعتقد أن تغيير الموطن الأصلي يؤثر في حياة الأفراد المهاجرين، ويسهم في التحول الأسري:
- تخضع المدينة المغربية لتحويلات مجالية وسوسيو- ثقافية بفعل الهجرة والتحضر.
- إن الأسرة المهاجرة استطاعت الاندماج في المجتمع الحضري.
- إن التحضر ساهم في تغيير نظرة وموقف أرباب الأسر المهاجرة من القضايا التي تهم المرأة ودورها داخل الأسرة، والتعليم، والصحة، والشباب والطفولة. الخ.
- رغم تغيير المهاجر لموطنه الأصلي تظل الروابط الأسرية قوية ومتماسكة.

- هجرة فردية تتبعها هجرة جماعية، على الأقل الزوجة والأولاد.
- يذهب المهاجر إلى المدينة التي يستقر فيها أقاربه وأصدقاءه.
- إن الأسرة المهاجرة تنتقل من شكل الأسرة التقليدية إلى شكل الأسرة النووية.
- إن التحويلات التي مست الأسرة المهاجرة خلقت ممارسات وقيما أسرية جديدة (تمدرس الفتاة، عمل المرأة خارج البيت، توزيع الأدوار الأسرية).

أهداف البحث:

إن دراسة التحول الأسري للمهاجرين بمدينة سلا يندرج ضمن التكوين: التغيير الاجتماعي والتنمية المحلية.

يتحدد الهدف العام للبحث في:

- تحليل مختلف التأثيرات التي ساهمت في بروز تحولات في الأسرة المهاجرة سواء بسبب الهجرة أو ديناميات التمدين، كما تأخذ الدراسة مدينة سلا نموذجا لهذا التحول للمشهد الحالي الذي تعرفه مجاليا وديمغرافيا واقتصاديا.

تتمثل الأهداف الخصوصية في:

- معرفة عوامل الطرد لاتخاذ قرار الهجرة.
- تحديد الإستراتيجيات الفردية والجماعية للمهاجرين لتحقيق اندماج اجتماعي في الوسط الجديد.
- التعرف على أشكال الأسرة المهاجرة ووظائفها.
- معرفة تأثير التحضر على الأسرة المهاجرة.
- رصد المشكلات الحضرية وما يترتب عنها من مشكلات اجتماعية وتغير في القيم الأسرية.
- إدراك تفاعل الهجرة والتحضر في تحديد السلوكات الفردية والجماعية لأفراد المجتمع المهاجر.
- التوقف عند الأدوار الجديدة للمرأة المهاجرة ومشاركتها في القرارات الأسرية.

منهجية البحث:

المقاربة المنهجية التي اعتمدنا لإجراء هذا البحث ذات طابع مزدوج كمي وكيفي، مركزين على الأحياء التي توجد فيها ساكنة مهاجرة، سواء داخل المدينة أو بضواحيها. أجري البحث الميداني في الفترة الممتدة من شهر أبريل 2011 إلى شهر شنتبر من نفس السنة، مع العودة إلى الميدان كلما تطلب الأمر ذلك.

اعتمدت الدراسة الميدانية على أدوات متعددة لجمع البيانات أهمها: أداة المقابلة الجماعية والفردية لأرباب الأسر المبحوثة، والاستمارة، والملاحظة، ودراسة الحالة. بعد ذلك قمنا بمقابلات ميدانية مع أرباب الأسر المهاجرة وبعض الأشخاص المصادر الذين يعرفون المهاجرين وأماكن استقرارهم خصوصاً بالضواحي، حيث إن هذه الأخيرة هي الأكثر جذباً للمهاجرين القرويين لإمكانات السكن التي توفرها، أو لتجمع المهاجرين في نفس الحي، ولتوفر فرص التساكن. معظم المقابلات في المنازل أو بأماكن العمل لتعميق الدراسة، وليمكن أرباب الأسر من الحديث بحرية.

استعنا بفريق عمل من الطلبة من الجنسين لتغطية عينة البحث، والأحياء التي تقطن فيها ساكنة مهاجرة، وراعينا في ذلك ظروف ووقت عمل أرباب الأسر. هذا الاختيار أمّلته طبيعة البحث والتفاعل بين مفاهيم تشكل أساس هذه الدراسة، وهي الهجرة والتحضر والتحول الأسري.

1- المقاربة الكمية، الاستمارة:

تعتبر المناهج الكمية أكثر اعتماداً للقياس والحساب ومرتبطة بالتطور التكنولوجي، وأكثر قابلية للمعالجة الإعلامية وأيسر تخطيطاً وتصميماً. وقد تم تحويل المعطيات الرقمية باستعمال برنامج **spss** لتحليل المعطيات.

لتحليل الآثار التي تتركها الهجرة القروية على الأسر المهاجرة، من جهة، والنمو الديمغرافي والمجالي والحضري، من جهة أخرى، والتعرف على التغيرات والاستراتيجيات المتبعة من طرف المهاجرين لمواجهة مقتضيات الحياة الحضرية. كان لزاماً الاعتماد على تقنية الاستمارة وتضمينها بأسئلة تجيب عن انشغالاتنا في ما يخص سن المهاجر، والمستوى الدراسي، والأنشطة المهنية، ووضعية السكن، والاندماج،

وأَسباب الهجرة ومشاكلها، وتحويلات الأسرة المهاجرة، والجوار والصدافة والعمل والتضامن.

راعينا في اختيار أسئلة الاستمارة تنظيم العناوين الكبرى، وتوزيعها وفق محاور البحث ومفاهيمه، وفرضياته الرئيسية. لهذا كان لزاما التقيد بتصميم يربط بين أهداف البحث وتساؤلاته. استعنا بمجموعة من الطلبة والطالبات في ملأ الاستمارات وتفريغ المقابلات، للتغلب على الصعاب المرتبطة بـكبر حجم العينة واتساع مجال البحث.

توزعت عينة البحث على 486 أسرة تغطي مجموع التراب والأحياء بمدينة سلا، من المدينة العتيقة النواة إلى باقي الأحياء، بالتركيز على تلك التي تقيم فيها الأسر في وضعية الهجرة. هذه الأحياء التي كانت تعتبر إلى وقت قريب ضواحي لتشكل اليوم أحياء تحمل سمات حضرية، لكن واقعها الحقيقي مرتبط بأنماط الحياة القروية.

تساعدنا تقنية الاستمارة في فهم التغيرات التي مست الأسر المهاجرة اجتماعيا واقتصاديا وديمغرافيا. إن تعاملنا بتقنية الاستمارة لا يهدف إلى التوقف عند حدود تكميم المعطيات، بل إلى العمل على نقلها من مستوى التحليل الكمي إلى إعطاء تأويلات وشروحات.

إن التعامل بازدواجية المناهج الكمية والكيفية يعتبر مصدر إثراء ومسلك نحو شمولية المقاربة، وأداة لسد الثغرات وتحقيق التكامل بين زوايا النظر المتباينة، بحيث تكون النتائج المحصل عليها باعتماد طرق منهجية مختلفة في دراسة نفس الموضوع أكثر مصداقية وإقناعا.

لتحقيق هذا الهدف المنهجي من الضروري التوقف عند المنهج النقدي في قراءة النظريات التي تناولت الهجرة والتحضر والأسرة،¹ والمنهج الوصفي لوصف التحويلات الأسرية والقيم التي نتجت عن الهجرة والتحضر السريع متجاوزين لكل الأفكار المسبقة.

¹ Mokhtar, El Harras: Les méthodes qualitatives en sciences sociales. Publications de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines- Rabat, 2002, P. 9- 12.

2- المقاربة الكيفية: المقابلة

تستهدف المقاربة الكيفية للموضوع الحصول على معلومات ذات طبيعة كيفية حول الإشكالية المطروحة: "تأثير الهجرة والتحصن في تحول الأسرة المهاجرة بنائيا ووظيفيا وعلائقيا". فالمقابلة تتيح فضاء للتبادل والتفاعل المباشر، وتجعل المبحوث على استعداد للحوار بحرية وتلقائية، وتساعد أيضا على إعادة صياغة التساؤلات بشكل يتلاءم مع قدرات المبحوث لغويا ومعرفيا، من جهة، وتبعا لمتطلبات الحوار وأهداف البحث، من جهة أخرى.

اعتمدنا المقابلات لتحقيق عدة أغراض منها: إجراء البحث الاستطلاعي والتقرب من الميدان، ومراجعة الإشكالية والفرضيات وتطويرهما، وإعداد أداة الاستبيان، وتحضير ميدان البحث وتحسيس أفرادَه لتسهيل مهمة البحث الميداني.¹

أجرينا 120 مقابلة فردية بمساعدة دليل تنشيطي لتجنب التجاوزات المحتملة، ويسمح للمبحوثين بالتعبير عن آرائهم بحرية دون الخروج عن المحاور المسطرة في الدليل. وأجرينا هذه المقابلات في الأحياء التي تتركز فيها ساكنة مهاجرة.²

- المقابلات الشخصية مع أرباب الأسر المهاجرة:³

يقول المختار الهراس في معرض حديثه عن الكتابة الاجتماعية والبحث الميداني، أن الروايات الشفوية لما تدرج في سياق الكتابة تأخذ دلالات جديدة لا بالنظر إلى مضمونها فقط، وإنما أيضا بالنسبة لراويها وكتبتها وقارئها.⁴

¹ محمد، بومخلوف: واقع الأسرة الجزائرية والتحديات التربوية في الوسط الحضري. دار الملكية للطباعة والنشر، الطبعة الأولى 2008، ص. 40.

² Kamal, El Mellakh : les jeunes et la migration dans la région Tadmra_Azilal, Ed, Zagoura, Casablanca, 2010, P. 71_74.

³ Rachida, Nafae : "migration féminine et précarité de l'emploi, étude de cas dans la ville de Mohamadiah", in piste d'une recherche appliquée, Cahier de la Recherche Scientifique, n° 3, 2013, P. 99. بتصرف.

⁴ المختار، الهراس: "الكتابة الاجتماعية والبحث الميداني"، مجلة المناظرة، العدد 2، 1989، ص. 93.

إن الهدف من القيام بمقابلات شخصية مع أرباب الأسر كان لتحديد ومعرفة:

- البيانات الشخصية حول أرباب الأسر المهاجرة وأصولهم؛
- أسباب ومشاكل الهجرة؛
- الأثر الاجتماعي والاقتصادي للهجرة على وضعيتهم الأسرية؛
- العمل الحالي للمهاجر؛
- تمثل المهاجر لقضايا: عمل المرأة، المدينة، التدين، الأسرة، الزواج، التعليم وغيرها؛
- الظروف التي تعيشها النساء المهاجرات؛
- التحويلات التي عرفتها الأسرة بعد الاستقرار في المدينة.

ساعدتنا المقابلات مع رؤساء الأسر في وضعية الهجرة من تعميق واستكمال النتائج الكمية والمعطيات الإحصائية التي توصلنا إليها بتوظيف تقنية الاستمارة. لقد غطت الاستثمارات والمقابلات معظم أحياء مدينة سلا وضواحيها لنتمكن من تحليل وضبط التحويلات التي تعرفها الساكنة المهاجرة.

تركزت أسئلة المقابلة حول قضايا داخلية تهم الأسر في وضعية الهجرة، وتتعلق بعلاقة المهاجر بأسرته وعائلته وموطنه الأصلي، والإستراتيجيات التي يتبعها في سيرورة تكيفه مع نمط الحياة الحضرية الجديدة، والتعرف على الأسباب والمشاكل التي تواجهه أثناء الهجرة، والتخوفات التي تتولد لديه بعد استقراره بالمدينة، والانعكاسات التي تتركها الهجرة على حياته الأسرية، ومشاركته في الحياة العامة السياسية والجموعية، ونظرتة لدور المرأة ووضعيتها الجديدة، وتصوره للشباب وآماله ومشاكله. إن الهدف من هذه الأسئلة هو ضبط التحويلات التي تعرفها الأسر المهاجرة.

3- الملاحظة السوسولوجية:

اعتمدنا هذه التقنية لجمع المعطيات المتعلقة بالإنسان والمجال وأشكال علاقات التأثير والتأثر المتبادلة بينهما. وقد تطلبت منا هذه التقنية القيام بجولات في مختلف أحياء المدينة، وزيارة بعض منازل الأسر المهاجرة، كما استعنا بآلة تصوير قصد الاحتفاظ

بدلائل مادية حول الواقع الملاحظ، واستثمار جزء منه لإغناء البحث الميداني للمجال الذي نقيم فيه الأسر المهاجرة.

يعتبر الإحصاء أداة للملاحظة تكشف عن المتناقضات وتسمح بتحليل ومقارنة المعطيات التي تدل على التحويلات الاجتماعية. فالمنهج الإحصائي التحليلي هو طريقة من طرق البحث العلمي الدقيق تقوم مقام التجربة في علم الاجتماع، فهو منهج يطمئن له الباحث لموضوعيته في كونه وسيلة فعالة لتقرير طبيعة الظواهر الاجتماعية والحصول على نتائج لها دقتها وعموميتها.

كان من الضروري الوقوف عند متغيرات متعددة كالمهنة، والمستوى التعليمي للأسرة المبحوثة، وعدد الأطفال، والجنس، والأصول القروية والحضرية، لأنها ستمكننا من تفسير الخصائص المختلفة والعلاقات العامة مع الأسرة وأيضا مكان القوة أو الضعف في القيم الأسرية، والتضامن أم التفكك الذي تميز الروابط والعلاقات بين أعضاء الأسرة¹. ليس المنهج مجموعة من الإجراءات التقنية فقط، بل هو أساس اختيار لرؤية نظرية موجهة وضابطة لخطوات البحث.

4-دراسة الحالة:

إن سرد السيرة الذاتية هو أكثر من مجرد جمع تقني للمعطيات من حيث التحليل والتحقيق، لاعتبار الثراء الذي تمدنا به بيوغرافيا الأفراد وتجاربهم في الحياة بالنسبة إلى موضوع معين. إن القصص المأخوذة من الحياة تمكن من الإدلاء بشهادات غنية من حيث المعنى تسلط الضوء من خلال الحالات الفردية، على قضايا يمكن أن تهم جماعة من المهاجرين.

إن الأفراد الذين أجرينا معهم مقابلات باستعمال تقنية السيرة الذاتية، تم اختيارهم على أساس المعايير التالية:

¹ Op. Cit. P. 41.

- قدرة ربة البيت على التواصل والتعبير عن تجاربها بشكل واقعي وموضوعي ودون مبالغة.¹

- التوفر على تجربة حياتية مهمة ومتميزة كفيلة بإمداد البحث بطابع خاص ومفيد.

عينة البحث:

أجريت الدراسة على عينة في مناطق محددة وعشوائية الاختيار في مدينة سلا وضواحيها. وقد وجهت الأسئلة إلى رئيس الأسرة، وراعينا في اختيار العينة توفر شروط هي:

- وجود رئيس الأسرة واحتوائها على الأم - الأب - الأبناء. (وفي بعض الحالات أدرجنا الأقارب والخدم).

- أن يكون سن المبحوث يقع ما بين 18 - 65 سنة.

- أن يكون متزوجا، ويقيم بمدينة سلا وضواحيها لمدة تفوق ستة أشهر.

صادفنا الكثير من الصعوبات فيما يتعلق باختيار العينة بمدينة سلا، وتتحدد هذه الصعوبات في:

- عدم توفر المعطيات الرقمية حول الساكنة المهاجرة بمدينة سلا وضواحيها، كما لا توجد إحصاءات رسمية تحدد منطقة انطلاق المهاجرين الوافدين إلى المدينة.

- غياب أبحاث تهتم بمسألة الهجرة القروية بمدينة سلا والانعكاسات التي تتركها على الأسرة المهاجرة بمدينة سلا وضواحيها. إن الدراسات التي عالجت هذه الظاهرة ركزت بالأساس على نتائج الهجرة على مناطق الانطلاق ومناطق الوصول.

- عدم تماثل الساكنة إحصائيا في المقاطعات الحضرية والقروية للمدينة.

¹ El Mellakh. Ibid. P. 6 et 28.

صعوبات البحث:

تعددت الصعوبات التي عاقت إنجاز هذا البحث، منها ما هو شخصي وما هو مهني ومؤسسي وما هو موضوعي مرتبط بميدان البحث. ويمكن أن نذكر أهمها:

- يعتبر الوسط الحضري من أكثر المجالات التي تطرح صعوبة على مستوى إنجاز البحث الميداني. فرفض أرباب الأسر التجاوب مع البحث العلمي، يرجع بالأساس إلى قلة الدراسات الميدانية بالمجال الحضري الذي نحن بصدده الاشتغال عليه، وغالبا ما يتم النظر إلى استمارات البحث باعتبارها ذات طابع مخزني.
- لقد واجهتنا صعوبة إجراء مقابلات وتعبئة الاستمارات مع الساكنة المهاجرة، مما جعلنا نستعين بالمسهلين من الساكنة نفسها أو بعض الأشخاص الموثوق بهم.
- صعوبات عملية خلال إنجاز المقابلات وتعبئة الاستمارات تطلبت مجهودات ميدانية حاولنا خلالها الاستعانة بعدد من المساعدين والمساعدات من الطلبة والطالبات، الذين يتوفرون على دراية كافية ومسبقة بالميدان.
- صعوبة تتعلق بالمعطيات الإحصائية حول أعداد المهاجرين بمدينة سلا وضواحيها، رغم توجيهنا إلى المصادر الإدارية التي ترتبط مباشرة بالموضوع، ورغم الإقناع باستخدامها لأهداف علمية.
- إن تحليل العلاقة بين ثلاثة مفاهيم رئيسية هي، الهجرة والتحضر والتحويلات الأسرية، طرح أمامنا صعوبات في اختيار نظام وصياغة وترتيب العناوين التفصيلية داخل كل فصل من فصول البحث.

مجال البحث: مدينة سلا وضواحيها

تقديم:

الميدان كما يطلق عليه عادة في الإثنولوجيا لا يقتصر على مكان، بل هو انعكاس الهجرة في كثير من الأماكن.¹ هذا الميدان حولناه إلى حياة يومية بالزيارات المتكررة للتعرف عليه، فلم تكن لدينا دراية سابقة وكافية بالمجال، ذهبنا للقاء أرباب الأسر في الأحياء التي يتركز فيها المهاجرون، في المدينة القديمة، وحي الانبعاث، وقرية أولاد موسى، وحي مولاي إسماعيل، وحي الرحمة، وتابريكت، وحي كريمة، وحي الأمل، وحي السلام، وبطانة، وسيدي موسى وغيرها.

أسباب اختيار مدينة سلا وضواحيها كمجال للبحث الميداني:

تم اختيار مدينة سلا وضواحيها كمثال للتغير الأسري والحضري للأسباب التالية:

- تعتبر مدينة سلا من المدن التاريخية العتيقة التي عرفت انتقالا من مدينة مسورة ومحدودة الساكنة والحجم، لها سماتها الخاصة التي تتوافق مع خصائص المدينة التقليدية إلى مدينة تعرف امتدادا عمرانيا وتزايدا في حجم وكثافة الساكنة سواء بفعل الهجرة أو التزايد الطبيعي.
- الواقع الوظيفي والاجتماعي للمدينة، والقرب من العاصمة الإدارية والسياسية للمغرب.
- تعتبر المدينة إحدى أهم المدن الحضرية الكبرى التي تشكل مجال جذب للمهاجرين القرويين أو الوافدين من المدن الصغرى، لكونها تمثل مركزا اقتصاديا واستثماريا مهما.
- تمثل نموذجا في التغير الحضري لموقعها الإستراتيجي والجغرافي والتحويلات التي تشهدها اجتماعيا ومجاليا وديمغرافيا (شكل المدينة، والمعمار، والساكنة...).
- توفر المعلومات المونوغرافية والإحصائية للمدينة والكافية لدراسة التطور والتغير العمراني والاجتماعي للمدينة.

¹ Moussa, Yacoubou : Environnement urbain et changements familiaux au Bénin, cas des migrants Lokpas de Parako, Université de Dahamey_lalavi (Bénin), 2007.

▪ أصول المدينة:

إن تحديد الحقبة الزمنية التي شيدت فيها مدينة سلا ليس بالأمر المتيسر تاريخياً، لكون الآراء التي تناولت ذلك متضاربة... فهناك من يرجع تاريخها إلى سام بن نوح (ص)¹. ويذكر الدكالي أن سلا بنيت قبل المسيح عليه السلام بنحو 400.000 عام وبنيت شالة بعدها بعشرة أعوام. ويؤكد في نص آخر أن سلا القديمة من أبنية المملكة الرومانية.

▪ تسمية المدينة:

يقول صاحب الإتحاف² أن سلا سميت باسم بانيتها وهو ملك إسمه سلا، وفي "جنا الجنتين" معنى سلا في اللسان القديم هو الحجارة.

سميت سلا لاعتبارين:

- منسوبة لبانيتها.

- منسوبة للواقع الجغرافي الذي تتصل به، وهو الحجارة.

كلمة سلا مشتقة من الكلمة الفينيقية التي تفيد الحجارة، خصوصاً أن المدينة أنشئت على بقعة صخرية تتجاوز 30 متر مربع. وهناك من يرجع التسمية إلى اسم بانيتها وهو أحد الملوك الرومان.³ يعتبر عدد كبير من المؤرخين مدينة سلا من المدن القديمة بالمغرب، والغنية من حيث رصيدها الحضاري، منفتحة على العالم الخارجي، ولكن في نفس الوقت منغلقة على ذاتها.

▪ موقع المدينة ومناخها:⁴

شيدت مدينة سلا على هضبة منخفضة تتخذ شكل مثلث موجه نحو الشمال الغربي نجد أيضاً تلال وهضاب أبي رقرق. على المستوى الطبوغرافي نجد أن تضاريسها تتميز بالمنحدرات والسطح الأملس، في حين تحتل المعمورة المساحة الأكبر مع هضبة رملية تمتد على مساحة 22.632 هكتار من الفلين.

¹ المصطفى الشليح: "الحياة الأدبية في سلا 1912_1956"، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، الجزء الأول، السنة الجامعية 1986_1987، ص. 11_18.

² محمد بن علي، الدكالي: الإتحاف الوجيز، تاريخ العدوتين، منشورات الخزنة الصبيحية، الطبعة الثانية، 1996، ص. 163.

³ جان، كوستي. أبو القاسم، عشاش: بيوتات مدينة سلا، منشورات الخزنة الصبيحية، سلا، 1989، ص. 21.

⁴ حصلنا على هذه المعطيات من قسم التعمير والهندسة بعمالة مدينة سلا، 2014.

بحكم موقعها على المحيط الأطلسي تعرف مدينة سلا مناخا رطبا وترتفع الرطوبة في فصل الشتاء والبرودة وتصل أعلى درجة حرارة 25° وأدناها 10°، ويتميز مناخها بقلّة التشميس وتعرف نسبة رطوبة عالية خصوصا في المنازل التي تتواجد بالمدينة العتيقة التي لا تدخلها نسبة مهمة من أشعة الشمس، رغم وجود كثافة سكانية بالمدينة.

تمتد مدينة سلا على تسعين هكتار خمسا عبارة عن مقابر في الشمال الغربي. تقع مدينة سلا عند مصب نهر أبي رقراق على الضفة اليمنى. وقد وقع اختلاف بين المؤرخين فيما يخص تاريخها القديم.

▪ نظرة تاريخية حول تطور مدينة سلا وضواحيها:

تعتبر مدينة سلا من قبل العديد من المؤرخين واحدة من أقدم المدن بالمغرب، غنية بالحضارات التي تعاقبت عليها، وأكثر انفتاحا على العالم الخارجي، ولكنها أيضا الأكثر انغلاقا على نفسها.

تأسست أكثر من ألف سنة على يد بنو عشرة، شهدت المدينة نموا اقتصاديا وثقافيا في زمن الموحدين (القرن 12م) والمرينيين في القرن الرابع عشر. وبفضل موقعها الإستراتيجي على الطريق والميناء الساحلي أصبحت المدينة مقرا تجاريا على الساحل الأطلنطي. ساهمت العناصر المسلمة القادمة من إسبانيا في إعطاء دفعة جديدة للمدينة ووحدت بينها وبين عدوتها الرباط، كما عرفت المدينة بالجهاد البحري¹ وشهد ميناؤها الساحلي تراجعاً في القرن التاسع عشر بإنشاء ميناء الصويرة. غير أن دخول الاحتلال الفرنسي وتغييره للبنيات التقليدية للإنتاج والتبادل، وبروز التباينات الاجتماعية، وارتفاع أثمانه الأراضي الحضرية، والمنافسة النقدية، وقوة الزحف القروي هربا من بطش الاستعمار والمخزن، ساعد على تغيير اقتصاد المدينة ودورها.²

¹ تتحدث العديد من المراجع عن القرصنة البحرية عوض الجهاد البحري، خصوصا الدراسات الكولونيالية.

² Aicha, Belarbi: Patrimoine et esprit des lieux à Salé, publié par la Direction de l'Architecture, Ministère de l'Habitat et de l'Urbanisme et de l'Aménagement de l'Espace, Edition Okad, 2008, Rabat, Maroc.

وذكرت مدينة سلا في كتاب " أخبار " للبيدق¹، جدد الخليفة عبد المومن الخروج إلى سلا في ذلك العام بعد الاعتراف، وأمر بساقية من غبولة أن تحفر وتهبط إلى سلا والخليفة ساكن فيه، وأمر برباط الفتح أن يحفر أساسه وبنا فيه قصرا ومكث في خدمة الساقية والقصر خمسة أشهر.

وأمر الخليفة بالعساكر أن تجيء إلى سلا وبليعوه فيها، وأقلع منها إلى بجاية والساقية، وترك على اشتغالهما عبد الحق بن إبراهيم بن جامع، فمشينا، وجاز الخليفة من المعمورة هابطا إلى الهبط.

يصف ابن الخطيب في القرن الرابع عشر ميلادي مدينة سلا قائلا: "مدينة مزدهرة، هادئة ومتميزة، إنها زاوية، جنة حقيقية"، تشتهر بالمدرسة الكبيرة، والمسجد الأعظم، بمنتوجاتها الصوفية والقطنية، أسواقها المتعددة، بنهرها الذي يفصلها عن الرباط، مقبرتها، وحبوسها، والصناعات النسيجية، وميناءها". بعيدا عن الشاطئ، تمتد المدينة على ربوة رطبة، مدينة منحوتة في قطعة طويلة من العاج، تتدرج لتصل إلى المئذنة المذهلة التي تطل على المنظر العام.

تربط قنطرة مولاي الحسن المدينتين التوأمتين منذ 1960، والتي فعلا قربت ووفقت بينهما. علاوة على ذلك، ورغم تحولات الماضي، لا تزال المدينتين تحتفظان بتاريخ مشترك، لم تديران ظهرهما، بل العكس من ذلك، تحتفظان بعلاقات تكاملية توحدهما على المستوى السياسي والاقتصادي والثقافي.

يتحدث كينيث براون² عن الأسر السلاوية العريقة، التي تتأسس أصولها على لوائح جينالوجية مستلهمة من وثائق عائلية، أو من المعرفة المنتقلة من الأب إلى الإبن، بحيث ترجع بعض العائلات أصولها الحضرية إلى ماض بعيد. تمتلك عائلة المريني منزلا منذ القرن الثالث عشر، وعائلات أخرى كمعنيو وفنيش يرجعون أصولهم إلى أشهر قرصان

¹ عبد الأحد، السبتي. حليلة، فرحات: المدينة في العصر الوسيط، قضايا ووثائق من المغرب الإسلامي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1994، ص. 33.

² Kenneth, I. Brown: Les gens de Salé, traditions et changement dans une ville Marocaine de 1830 à 1930, Editions Eddif, 2001.

سلا، وقبله إلى أجداد جاءوا مهاجرين من البلاد الغربية، بالإضافة إلى عائلات قديمة وعريقة بدأت في الانقراض أو غادرت المدينة.

إن البقايا التي وجدت على مستوى المدينة ترجع إلى القرن السابع والثالث قبل الميلاد، كشاهدة على الوجود القرطاجي بالمدينة في تلك الفترة. كما وجد في نفس الوقت حطام وبقايا آلهة الوثنية في مجاري المدينة، كذلك صورة ورسم أحد الملوك المورسكيين التي وجدت تحت ميدان "سلا". هذه البقايا التاريخية تدعم الأطروحة القائلة بوجود ساكنة رومانية على الجهة اليمنى من نهر أبي رقرق.¹

بدأ التطور الحضري الفعلي لمدينة سلا مع المهاجرين البربر الذين سيشكلون ساكنة مهمة. وفي فترة المرابطين هاجر إلى مدينة سلا الكثير من العناصر الأندلسية. سيفضل مجموعة من الأدباء والعارفين الاستقرار بالمدينة بحكم الهدوء الذي توفره والاستقرار، وستبرز في هذه المرحلة الثقافة التقليدية للمدينة. وبإنشاء الجامع الكبير في نهاية القرن الثاني عشر ميلادي تم إقامة جسر يربط بين مدينتي الرباط وسلا.

ترك الموحدون بصمتهم الثقافية أيضا على المدينة. وساهم الميناء الذي أنشئ من طرف المرينيين في تطور الحركة الملاحية، فأصبحت مدارا للتجارة والأعمال. لكن البصمة التي تسجل للمرينيين هي إنشاء مدرسة الطالعة والتي تشهد على دقتهم وإبداعهم الهندسي والعمراني.

أخذت مدينة سلا تعرف توسعا تدريجيا في عهد الدولة المرابطية والموحدية وبعد ذلك المرينيين، وحصنت بأسوار في عهد هذه الدولة وتم بناء المرسى الذي أعاد للمدينة أوجها البحري، ولعبت أدوار اقتصادية مهمة في عهد مولاي إسماعيل بوجود مجموعة من القصبات المعروفة كقصبه "كناوة" و"دار البارود" وتمركز مرافق تجارية وصناعية بالقرب من الأبواب.

دمجت مدينة سلا بين الحياة الحضرية والقروية في نفس الوقت حيث كانت تحتوي على حزام أخضر داخل أسوارها، يتمثل في " السواني" التي تزود المدينة بالمنتجات الفلاحية وتحقق لساكنتها نوعا من الاكتفاء الذاتي.

¹ -Ar. Wikipedia.org/wiki /سلا، الموسوعة الحرة/

رغم كل هذه الإنجازات التي حققتها المدينة، إلا أنها كانت تعاني من الخلافات الداخلية التي هدمت ازدهار الساحل الأطلسي في العصر الوسيط. ولم تحقق المدينة انتعاشاً إلا بعد مجيء الأندلسيين الذين أجبروا على مغادرة إسبانيا بعد استعادتها من طرف المسيحيين. ومع تشييد ميناء الصويرة سنة 1765 تراجعت المبادلات البحرية لمدينة سلا، مما دفع الساكنة إلى توجيه نشاطها نحو الفلاحة والصناعة التقليدية.

لقد ورثت السلالة العلوية الانتعاش الاقتصادي والسوسيو-سياسي بعد فترة السعديين الذين حققوا الأمن والاستقرار. وتعتبر قسبة "كناوة" شاهدة على الحضارة العمرانية للعلويين. بعد الاستعمار الفرنسي قدم إلى سلا أهل درعة وسوس والصحراء.

إن تعميم مدينة سلا هو نتيجة لمساهمة مختلف الأسر التي تعاقبت على حكم المدينة باعتبار أن كل واحدة قد أدلت بدلها في التأثير على تصميم المدينة وامتدادها. وقد امتد عمران المدينة بشكل ملحوظ بعيداً عن النواة (الطالعة ودرب الخيار والبلدية) مع المرابطين والموحدين، وبصفة خاصة في العهد المريني حيث ظهرت أحياء جديدة في أطراف المدينة.¹

لقد شهدت سلا تدفق موجات من المهاجرين إليها وأن هؤلاء لم يكونوا في منطقة واحدة، بل مناطق متنوعة تجاوزت حدود المغرب شمالاً فامتدت إلى الأندلس، وتعدتها شرقاً فاستقبلت جزائريين وتونسيين. وهذا التنوع في الهجرات أفقضى تنوعاً في العادات والأعراف.²

إن وجود الأجانب داخل أسوار المدينة ليس بظاهرة جديدة، فهم يقيمون منذ فترة الحماية. إن مدينة سلا لم تكن مدينة جديدة، وتم بناء الأحياء الأوربية خارج أسوارها في وقت لاحق من ذلك بكثير على عكس مدن مغربية أخرى كمراكش، وفاس، ومكناس،

¹ محمد، السعديين: "المجتمع السلاوي 1668_1822"، أطروحة دكتوراه الدولة في الأدب، شعبة التاريخ، الرباط، 2004_2005، ص. 194_199.

² المصطفى، الشيلح: مرجع سبق ذكره، ص. 11_18.

والدار البيضاء، والجديدة. بدأت سلا تتمدد وتتسع داخل السور منذ القرن العاشر ميلادي، وجميع مكوناتها الحضرية (السكن، الأنشطة، الخدمات، الإدارة، إلخ) توجد داخل أسوارها. لقد كانت المدينة مركزا حضريا بامتياز، وكان الأجانب (ممثلي الإدارة الاستعمارية) يستقرون كذلك داخل أسوار المدينة. هذا المجال المغلق كان يوفر أراضي شاسعة وغير مجهزة تحتلها الحدائق والبساتين وغيرها¹.

إن المبعوث الرسمي للقوات الاستعمارية، والمستوطنين الفرنسيين، وصناع من أصول إسبانية وإيطالية وبرتغالية، كانوا يقيمون أيضا داخل أسوار المدينة. استضافت سلا ساكنة غير متجانسة، تمثل مختلف الطبقات الاجتماعية، من الأرستقراطيين إلى العمال والتجار والمتقنين.

بعد بضعة عقود، ظهرت أحياء خارج الأسوار (الرملة والمنابت) كمناطق مخصصة لساكنة المستعمرين، ومع ذلك، ظلت المدينة المركز الحضري. بعد الاستقلال، غادرت الساكنة الأوربية المدينة، لتستقبل سلا عددا من الفنانين الذين استقروا بها في نهاية السبعينات وبداية الثمانينات².

■ خصائص المدينة الراهنة:

تتنمي مدينة سلا إلى جهة الرباط- زمور- زعير التي توجد في الشمال الغربي للبلاد. تحد بجهة الغرب شراردة- بني حسن من الشمال الغربي، وجهة مكناس- تافيلالت من الشرق والجنوب الشرقي والمحيط الأطلسي غربا، وجهة الشاوية- ورديغة في الجنوب والجنوب الشرقي. تمتد المدينة على مساحة عامة تصل إلى 10.226 كلم²، وتحتل 1.4% من التراب الوطني، تضم الجهة ثلاثة عمالات وولايات، وتتركب من 13 جماعة حضرية و38 جماعة قروية.

¹ Nabil, Rahmouni: La médina de Salé, enjeux et paradoxes de la réhabilitation, In Médinas immuables? Centre Jacque Berque, 2013, P. 386 et 387.

² Ibid. P.387.

حسب المعطيات الأخيرة للإحصاء العام للسكان والسكن 2014 والتقسيم الجهوي الجديد (12 جهة) 2 مليون و676 ألف نسمة، من بينهم 8210 أجنبيًا، وبمعدل نمو سنوي وصل إلى 1,24%. يقيم 2.0 منهم في المدن، مسجلين نسبة تحضر تصل إلى 82.5% من الساكنة العامة للجهة. تقدم الجهة نسبة نشاط تقدر ب 46.4% ونسبة بطالة مرتفعة أيضًا تصل إلى 13.2%.¹

▪ التقسيم الإداري للمدينة:

تحد مدينة سلا شمالًا بعمالة القنيطرة، وجنوبًا الرباط، وشرقًا بمدينة الخميسات، وغربًا بالمحيط الأطلسي. تقع مدينة سلا على المصب الوحيد للمياه الموجه نحو الجنوب وتحتل مساحة 671 كلم² تقريبًا.

تم تشييد محافظة سلا في فبراير 1983 وتضم إحدى وعشرين منطقة إدارية: منها ثماني عشرة حضرية، ودائرة، وقيادتين، وثلاث جماعات:

- جماعة حضرية: تجمع خمسة دوائر حضرية: لمريسة، وتابريكت، وبطانة، وحي السلام، ولعيادة وحصين.
- جماعتان قرويتان: بوقنادل وسهول.²

إن التباينات في نسب النمو بين الأحياء له دلالة مهمة. فنمو الساكنة وحركيتها له انعكاسات قوية على دينامية وطبيعة الحياة في هذه الأحياء. لقد رتبنا في الجدول التالي مختلف الأحياء حسب كثافة ونمو الساكنة في الفترة الحالية:

¹ المندوبية السامية للتخطيط، 2015.

² عمالة مدينة سلا، قسم التعمير، 2014.

الهجرة والتحضر والتحويلات الأسرية

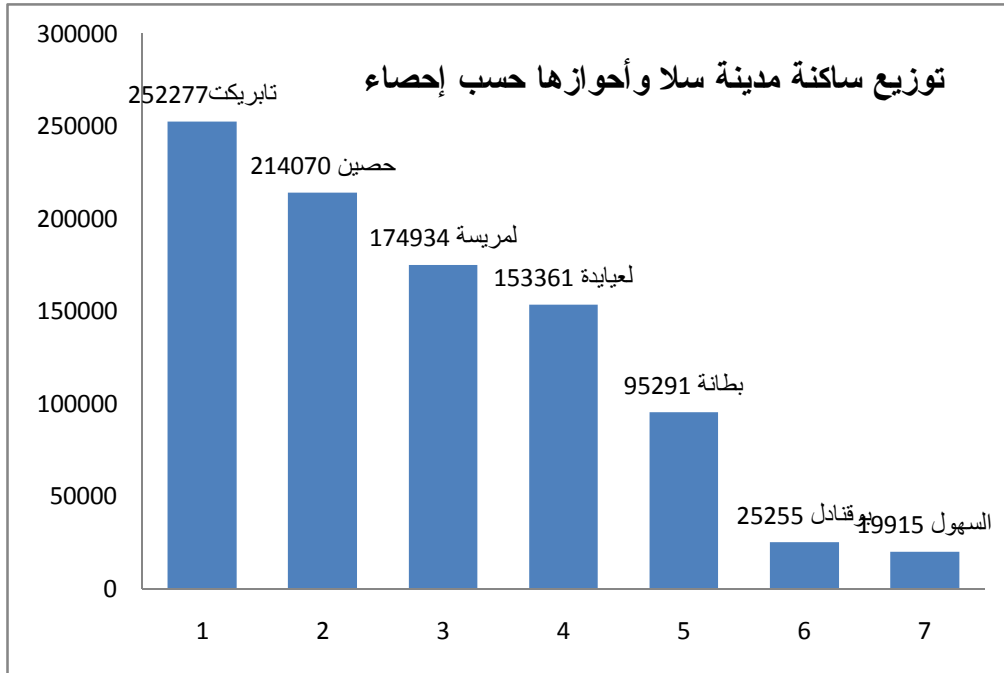
جدول رقم (1): توزيع ساكنة مدينة سلا حسب الجماعات الحضرية والقروية: حسب إحصاء

1994 - 2004 - 2014

إحصاء 2014			إحصاء 2004		إحصاء 1994	
الأسر	الأجانب	عدد الساكنة	نسبة النمو	عدد الساكنة	عدد الساكنة	الجماعات
44636	668	174934	2.1	140.383	114.120	لمريسة
22360	386	95291	0.1	103.165	102.142	بطانة
61101	629	252277	1.4	234.733	204.881	تابريكت
51858	470	214070	8.1	163.672	74.930	حصين
33522	163	153361	3.5	118.233	83.777	لعيابدة
4955	9	25255	3.1	43.593	31.994	بوقنادل
3925	6	19915	0.1	19.706	19.959	سهول
231340	2347	982163	-	823.485	631.803	المجموع

المصدر: المندوبية السامية للتخطيط، 07-05-2015.

مبيان رقم (1): توزيع ساكنة مدينة سلا حسب الجماعات الحضرية والقروية، إحصاء 2014.



مرورا من ساكنة تقدر ب 631.803 في سنة 1994 و 823.485 في سنة 2004 إلى 982.163 في شتبر 2014، تسجل مدينة سلا نموا عاما بلغ 158.678 شخص في ظرف عشر سنوات، ونسبة نمو سنويا في المتوسط 1,59 في المائة. من ناحية أخرى، عرفت الساكنة القروية انخفاضا يترجم بنسبة نمو سلبية والتي تفسر بإدماج حصين ضمن العمالة، كذلك توالي سنوات الجفاف جعل الأسر تتبنى التخطيط العائلي، والنزوح القروي لضواحي المدينة والقرى البعيدة. فيما عرفت الساكنة الحضرية زيادة في السنوات العشر الأخيرة بنسبة تحضر سريعة جدا.

تتضمن مدينة سلا خمس جماعات حضرية تتمثل في: بطانة، وباب المريسة، وتابريكت، ولعيادة، وحصين. وجماعتين قرويتين، هما: جماعة بوقنادل والسهول.

تمثل الساكنة القانونية لمدينة سلا حسب إحصاء 2014 (982.163)، يشكل السكان القرويون (66483)، والسكان الحضريون (914680)، مقارنة مع إحصاء 2004 حيث بلغ السكان القانونيون للمدينة (823485)، يشكل السكان القرويون (53985) والسكان الحضريون (769500) من مجموع الساكنة.

نقرأ من نتائج الإحصاء العام للسكان والسكن لسنة 2014 الخاص بجماعات مدينة سلا، أن ساكنة مهمة تتركز بمقاطعة تابريكت وتقدر 252.277 مقارنة مع إحصاء 2004 حيث شكلت ساكنة هذه المقاطعة 234.733 أي بزيادة 17444. تليها مقاطعة حصين ب 214.070، فالسهول تقدر ساكنتها حسب نفس الإحصاء ب 19.915 ومركز بوقنادل ب 25.255، وتقدر ساكنة باب المريسة ب 174934 عوض 140.383 خلال إحصاء 2004.

الملاحظ أن المقاطعات الحضرية تتركز بها ساكنة مرتفعة بالمقارنة مع الجماعات القروية.

جدول رقم (2): توزيع الأسر حسب الجماعات الحضرية والقروية بمدينة سلا وضواحيها

2014	2004	1994	الجماعات
عدد الأسر			
44636	31744	23001	باب المريسة
22360	21200	18915	بطانة
51858	34971	13610	حصين
33522	21238	14368	لعيادة
61101	49107	38299	تابريكت
3925	3304	2931	السهول
4955	6933	4559	سيدي بوقنادل

المصدر: المندوبية السامية للتخطيط، إحصاء 2014.

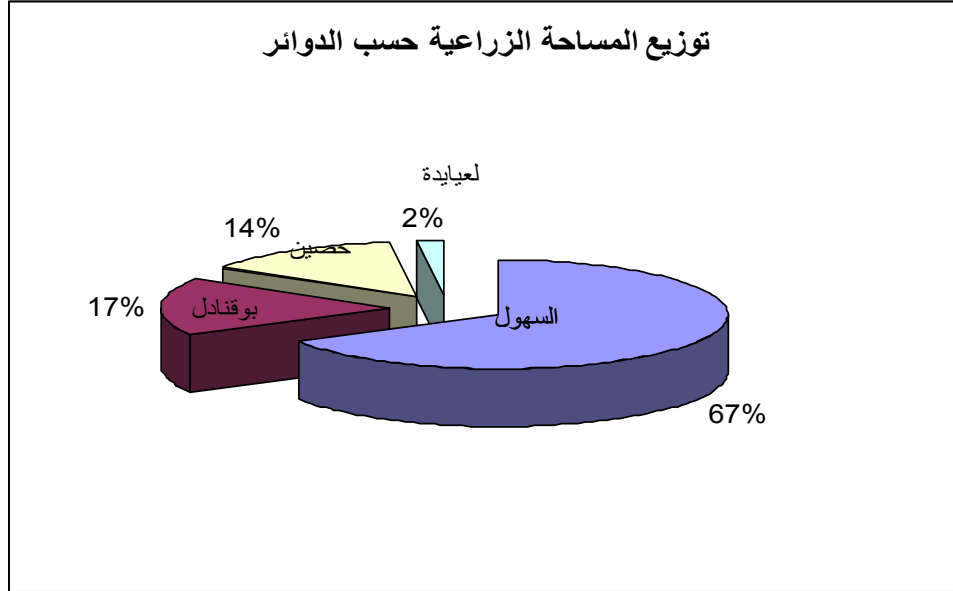
تضم مقاطعة تابريكت أكبر عدد من الأسر 61101 حسب المعطيات الأخيرة لإحصاء 2014، و 49.107 حسب إحصاء 2004، و 38.299 خلال إحصاء 1994 بزيادة 11.994 أسرة، تليها مقاطعة حصين ب 51858 أسرة، مقارنة ب 34971 أسرة، ومقاطعة باب المريسة ب 44636 أسرة. وتظل النسبة ضعيفة كلما اتجهنا صوب الجماعات القروية، حيث يمثل عدد الأسر 3925 بجماعة السهول القروية، و 4955 أسرة بيقنادل (المقاطعة).

تكشف المقارنة بين معطيات إحصاء (2004- 2014) أن عدد الأسر عرف زيادة نوعية في مختلف الجماعات حضرية وقروية، غير أنها تضاعفت بالمقاطعات الحضرية نتيجة الهجرة القروية والتزايد الطبيعي للسكان.

- الأنشطة الاقتصادية بالمدينة وأحوالها:

1- الفلاحة: تلعب الفلاحة دورا أساسيا في الأنشطة الاقتصادية للمدينة، بحيث تشغل ساكنة نشطة مهمة والتي استمرت في ممارسة الأنشطة الزراعية الرعوية.

مبيان رقم(2): توزيع المساحة الزراعية حسب الدوائر.



المصدر: المندوبية السامية للتخطيط، 2008

2- الصناعة: يتميز خط الصناعة بمحافظة سلا بوجود وحدات صناعة النسيج والجلد، وتشغل يد عاملة دائمة، مقارنة مع قطاعات نشيطة أخرى، بهيمنة نسائية وإنتاج موجه نحو التصدير. كذلك، تتوفر المدينة على وحدات أخرى تشغل أنشطة مثل: الزراعات الغذائية، الصناعات الكيماوية، الميكانيك، الصناعات المعدنية والكهربائية والالكترونية.

تتركز معظم المؤسسات الصناعية بالقرب الاقتصادي لتابريكت وحي الرحمة اللذان يحتلان المرتبة الأولى والكفاءة على مستوى الإنتاج والاستثمارات والشغل، الزهرة، الصبيحي، والباقي يتوزع على مختلف أحياء المدينة.

أ- المشاريع الصناعية الحديثة: ثلاثة مناطق صناعية في طور الدراسة والتحضير بمساحة تقدر بـ 42 هكتار، كما تتوفر المدينة على منبت مقاولة يقع في دائرة باب المريسة بمساحة تقدر بـ 1.366 هكتار.

ب- الصناعة التقليدية: على المستوى الوطني يحتل قطاع الصناعة التقليدية 19 في المائة من المجموع العام، ويضم يد عاملة مباشرة تصل إلى 1.5 مليون شخص وبطريقة غير مباشرة ثلاثة ملايين شخص. تمتلك مدينة سلا إمكانات مهمة في هذا القطاع: الزرابي، صناعة الفخار، الحنبل، الحصيرة، الشموع، الجبس، الحجر والخشب المنحوت... الخ.

تحضر بالمدينة العديد من المهن التي تشكل كرامة المدينة وافتخارها وتعتمد عليها الساكنة في عيشها، بل تصبح قطب جذب لساكنة القرى والضواحي. وتحتل سلا المرتبة الثالثة على المستوى الوطني في قطاع الصناعة التقليدية بعد فاس ومراكش.

تطورت المهن التقليدية في إطار تنظيمي عرفي، عفوي، بحيث كل وحدة مهنية تسير بطريقة تراتبية منطقية، تضم متدرب، صناعي، معلم ولامين الذي يمثل الصناع التقليديين ومن مهامه حل المشاكل المطروحة ومساعدة المحتسب في مجالات مراقبة الجودة والأثمنة والتحكيم في النزاعات.

يوفر قطاع الصناعة التقليدية حاليا فرص عمل ومداخل لـ 47.000 صانع تقليدي منهم المتدربون والصناع يتوزعون على الصناعات الفنية والإنتاج وصناعة الخدمات والتي يمكن تقسيمها كالتالي:

أ- 40 في المائة في تخصص النسيج وتضم 18.800 شخص.

ب- 25 في المائة فيمهن متعلقة بالعقار وتشغل 11.750 شخص.

ج- 35 في المائة مقسمة على باقي الأنشطة (الخدمات والنفعية).

وصلت قيمة صادرات القطاع على مستوى مدينة سلا سنة 2004 إلى 50.703.957 درهم تمثل 80.32 في المائة من القيمة العامة لصادرات الصناعة التقليدية على مستوى جهة الرباط- سلا زمور- زعير.

تقدم البنية التحتية لقطاع الصناعة التقليدية على مستوى محافظة سلا:

- 15 تعاونية تتكون من 232 صانع تقليدي.
- 13 جمعية مهنية تضم 618 صانع تقليدي.
- مركب الصناعات التقليدية بسلا يضم: (مركز للتكوين بالتعلم، مقر لمندوبية الصناعة التقليدية تأسست في سنة 1988، 8 محلات مهنية فردية، تعاونية نسائية للخياطة، الطرز والفصالة).
- وحدة لإنتاج الغزل والصباغة مستغلة من طرف جمعية نساجي الزرابي بالمدينة.
- مركب الصناعة التقليدية لبوقنادل تستغل من طرف COOPARP للسجادات، ومن طرف مركز التكوين المؤطر من طرف التعاون الوطني.
- قرية الصناعة التقليدية "الولجة" تتركب من مئات الوحدات الصناعية: الفخار، الحدادة، الحصير، والفنون المغربية " Villa Rmar.
- غرفة الصناعة التقليدية التي تتكون من 27 عضو منتخب، إحداهما تمثل الصناع التقليديين في غرفة المستشارين.

3- السياحة: إن قطاع السياحة مورد قوي لفرص العمل ويسمح بتنشيط مجموعة من المهن المرتبطة بتطوره، لهذا تقدم المدينة إمكانات سياحية متنوعة ك: - نهر أبي رقرق - الكورنيش - أسوار المدينة داخلها وخارجها - المآثر التاريخية - مرتفعات بطانة - غابة عين لا حولة.

بالنسبة للبنية التحتية السياحية الموجودة حاليا بالمدينة تتحدد في:

- مركب فندقي وترفيهي "دوليز" يوفر 80 سرير ويصنف أربعة نجوم.

المجرة والتحضر والتحويلات الأسرية

- مركب فندقى "فردوس" يوفر 34 سرير ويصنف أربعة نجوم.
 - مخيم طاقته الاستيعابية 120 مكان.
 - ثلاثة وكالات للأسفار.
 - مطعم مصنف "البارجة" يوفر 70 مائدة.
 - مركب سياحي في طور الإنجاز "مركب الزمن الأخضر"
 - مركز ترفيهي في طور الإنجاز بنهر أبي رقرق.
- هذه الإمكانيات تبقى غير مستغلة بسبب غياب بنية تحتية ترفيهية وسياحية. يعاني هذا القطاع من عدة مشاكل:
- انتشار اللأمن والتسول.
 - احتلال الشوارع والأزقة من طرف المارة المتجولين.
 - تلوث مياه أبي رقرق، وغياب تصفية بقايا السوائل والصلب، وانعدام تنقية سطح البحر.
 - تريفيف المدينة أمام زحف العربات والشاحنات في علاقة مع السوق المركزي.
 - غياب فنادق مجهزة بالأسرة، ودور الاستقبال.
 - غياب مندوبية سياحية خاصة بالمدينة، وغياب المبادرات النقابية.
- من هنا يصبح من الضروري تكثيف الجهود من أجل خلق بنية تحتية تناسب الإمكانيات التي توفرها المدينة طبيعيا وثقافيا والتي تشكل عمق صناعة سياحية:
- سياحة زرقاء على ضفاف البحر ووادي أبي رقرق.
 - سياحة خضراء تقوم على الحضور الغابوي الكثيف والطبيعة الخضراء.
 - سياحة ثقافية تتأسس على إرث المدينة التاريخي ومصادرها السياحية المتنوعة.

- منح مناطق للخواص لإقامة المطاعم وأماكن الترفيه، وتشجيع المقاولين السياحيين.

- توفير الأمن والمواصلات والنقل الجيد.

4- الصيد: ترتسي مدينتي الرباط وسلا على الضفة اليمنى لأبي رقرق، والنشاط الوحيد المزاول حاليا في هذه المنطقة هو الصيد، لكنه يعيش صعوبات تتمثل في الزحف الرملي اتجاه مصب النهر، وعدم وجود مرافق استقبال مناسبة، مما دفع بالأسطول البحري للهجرة نحو مراسي أخرى.

5- التجارة: تضم التجارة قدر مهم من الساكنة النشطة، نظرا للأهمية غير القليلة لهذا القطاع بالمدينة، حيث يتمثل العدد الإجمالي للتجار في الولاية 6532 تاجر، يمثل الأشخاص (87 في المائة) والشركات (13 في المائة). تحتل مدينة سلا المرتبة الثانية بعد الرباط على مستوى الجهة بنسبة (19 في المائة).

يتحدد القطاع التجاري في ثلاثة أنواع: تجارة السيارات، تجارة الجملة، وتجارة التفصيل. كل من هذه الأنواع التجارية يتضمن عددا من الأنشطة.

6- النقل: تمثل مدينة سلا من حيث بنيتها الجغرافية محور رئيسي في تطور النسيج السوسيو-اقتصادي المغربي. إن عامل القرب من عاصمة المملكة يمنحها وضعية مدينة في تطور سريع في السنوات المقبلة، لمواجهة المشاكل والحاجيات بدون التوقف عن التزايد السكاني بالمدينة.

من هنا، كانت وما تزال مشاكل النقل مطروحة بشدة في المدينة، ووضعية التحضر والتطور الحالية تفرض أكثر من أي وقت التدخل الفوري وبمفاهيم جديدة. يتوزع قطاع النقل الحضري بالمدينة إلى نوعين: النقل الجماعي (عبر الحافلات) والنقل (عبر سيارات الأجرة).

تتوفر مدينة سلا على نقل المسافرين يتحدد من خلال الطرق والسكة الحديدية، حيث تتوفر المدينة على محطتين للسكة الحديدية (سلا المدينة وسلا تابريكت). وارتفع العدد

السنوي للقطارات إلى 36.500، بمعدل 100 قطار في اليوم. من هنا يمكن تحديد بعض مشاكل هذا القطاع:

- الحالة المتردية لنقاط المرور والأنفاق القريبة من محطة سلا- المدينة وغياب الأمن والنظافة والإضاءة.
- تواجد بعض الأشخاص غير المرغوب فيهم في هذه المحطات، وخاصة بمحطة سلا- المدينة.
- ازدحام في المستودع التابع لمحطة سلا- المدينة وخاصة وقت وصول قطارات الركاب، وذلك بسبب وقوف سيارات الأجرة والسيارات الخاصة.
- عدم وجود أنفاق تسهل عبور المسافرين من منصة إلى أخرى.

أ- النقل الجوي: يلعب مطار الرباط- سلا دورا هاما في تطوير الحياة الاجتماعية والاقتصادية، كمولد للوظائف وعنصر جذب للمستثمرين المحليين والأجانب. تم إنشاء مطار الرباط- سلا حوالي عام 1948، وشهد تطورات هامة على مر السنين. يضم حاليا اثنتين من المحطات الطرقية: المحطة الطرقية "أ" قدرتها الحالية 700.000 مسافر في السنة وقد تم تصميم هذه المحطة لتلبية فئة العملاء المحددة في رؤساء الدول والحكومات، الدبلوماسيين وكبار المسؤولين ورجال الأعمال.

وتم تصميم محطة "ب" وبنيت عام 1997 لتتكلف "بعمليات الحج والعمرة". وهذه المحطة قادرة على التعامل مع حاملات طائرات كبيرة من طراز ب747. كما يتوفر المطار على مطاعم توفر الطعام، محطة تزويد الطائرات بالوقود، ومكتب بريد المغرب، ووكالات لتأجير السيارات، والأبنك، ومكاتب الشحن.

ب- النقل الطرقي: تتوفر مدينة سلا على محطة طرقية للحافلات بنيت سنة 1990 من قبل بلدية سلا، ورغم ذلك تشهد المحطة صعوبات نظرا لموقعها الذي يؤثر مباشرة على مداخلها. تعيش المحطة العديد من الصعوبات من بينها:

الهجرة والتحصن والتحويلات الأسرية

- عدم وجود وسائل الراحة ومقرها الذي يؤثر على مداخيلها رغم التدابير المتخذة دوريا لتلبية احتياجات الساكنة.
- عدم تطبيق المرسوم الصادر عن وزارة النقل قم 768.90 الصادر في 21 يونيو 1990 بشأن استخدام الحافلة من قبل المتخصصين.
- وقوف السيارات غير المنضبط وغير القانوني للحافلات وسيارات الأجرة قرب محطة الحافلات.

❖ المشاريع حديثة الإنجاز بمدينة سلا:

● **القطار الحضري السريع "الترامواي":** في إطار تحديث قطاع النقل بين مدينتي الرباط وسلا، تم إطلاق خط الطرامواي لحل مشكل النقل بين المدينتين، بحيث يمكن أن يسهل عملية التنقل على 650 ألف شخص يتنقلون بشكل يومي في اتجاه المدينتين، كما من شأن القطار الحضري أن يجيب على القضايا الأيكولوجية لوادي أبي رقرق.

● **منطقة سياحية:** في إطار النهوض بالمدينة وخلق فضاءات سياحية جديدة وتتبع سياسة تنموية، تم إنجاز بنايات على ضفاف شاطئ مدينة سلا لتشجيع الاستثمار الخارجي بالمدينة وانتعاش السياحة الشاطئية، وبالخصوص امتصاص اليد العاملة النشطة أمام التزايد المكثف للمدينة.

● **تجديد الجماعة الحضرية لسلا:** هذا المشروع امتد من 2005_2009 بغلاف قدر ب 1,5 مليار درهم.¹

¹ حصلنا على هذه المعطيات من قسم التعمير بعمالة مدينة سلا في إطار البحث الميداني، 2013.

الفصل الأول:

التخصيصات السوسيو-ديموغرافية للأرباب الأسر المهاجرة

بمؤونة سلا وضواحيها

تقديم:

تركز خصائص المهاجرين بشكل خاص على الجوانب الديمغرافية والاجتماعية والاقتصادية للأسر في وضعية الهجرة. فتركيب السن لأي مجتمع يتأثر بالزيادة الناجمة عن الهجرة. ومن هذا المنطلق، فإن دراسة السن تظهر عدة مؤشرات هامة بالنسبة للمجتمع المدروس، سواء على أهم الصفات والخصائص التي تطبع تكوينهم التعليمي والمهني والمعماري، للتعرف على الأحوال والظروف التي يعيش في ظلها هؤلاء الوافدون أو من حيث شروط العمل أو ظروف السكن أو المستوى التعليمي.¹

يعتبر السن من العوامل المحددة في اتخاذ قرار الهجرة. فقد تأكدنا أن الفئات الشابة النشيطة وفئة الكهول القادرة على العمل هي التي تهاجر في الغالب بحثا عن العمل والدراسة. لقد عمدنا إلى التساؤل عن سن المبحوثين للتعرف على الفئات الأكثر جاذبية إلى الهجرة، فوجدنا أن الهجرة القروية تهم الشباب والكهول القادرين على العمل، مما يؤدي من الناحية الديمغرافية إلى انخفاض وزن الساكنة القروية، وإفراغها من قوة العمل الشابة وإلى تزايد الساكنة الحضرية، وبروز ظواهر مصاحبة لعملية انتقال المهاجر من القرية إلى المدينة.

إن عملية الهجرة تفرض على المهاجر مقومات وإمكانيات طبيعية ومعنوية ونفسية مهمة، وحدهم الشباب في سن النشاط يتوفرون عليها. فحقيقي أن هذه الظاهرة تهم مختلف شرائح السن إلا أنها تتركز في فئة الشباب، وأن نتائج جميع الدراسات المهمة بالهجرة اعتبرت السن المتغير والمحدد الأساسي في اتخاذ قرار الهجرة.²

تعرف الهجرة بمدينة سلا تنوعا في بنية السن بحيث لا تقتصر على فئة الشباب النشطة فقط، وإنما توجد إلى جانبها فئات سن أخرى كالأطفال والشيوخ. هذه التركيبة تعبر عن خصوصية الهجرة بالمدينة كهجرة قديمة ومستقبلة لجماعات من المهاجرين من مناطق مختلفة، وهو ما يشهد به تاريخ سلا وحاضرها (انظر الجدول الخاص بسن الأسر

¹ محمد، البوطاهري: الهجرة الريفية بجهة الرباط- سلا زمور زعير، بحث لنيل دبلوم الدكتوراه في الجغرافية، السنة 1999، ص. 77.

² محمد، البوطاهري: نفس المرجع، ص. 135.

الهجرة والتحضر والتحويلات الأسرية

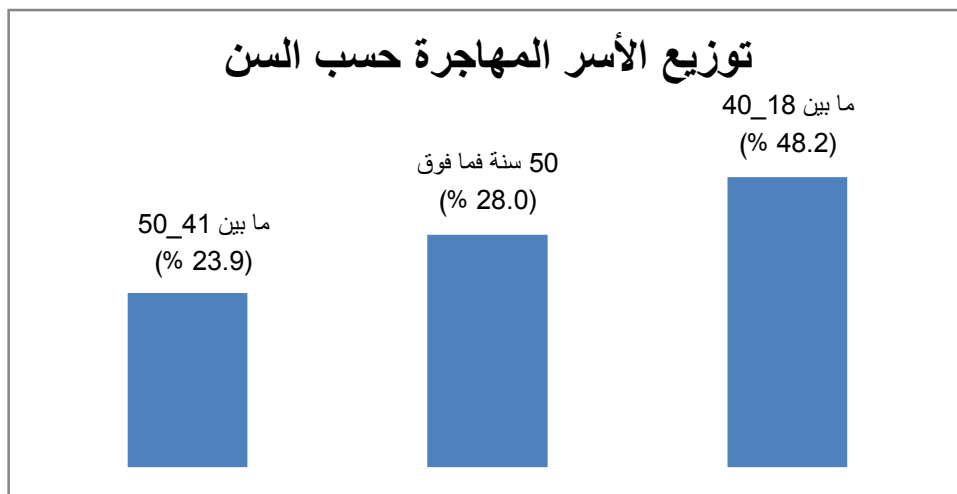
في وضعية الهجرة). من المهم التأكيد على أن الشباب هم الأكثر إقبالا على الهجرة كقناة نشطة قادرة على العمل وتحمل أعباء السفر وصعوباته، كما يعتبر الشباب أكثر تطلعا ورغبة لتغيير أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية، والبحث عن مصادر دخل جديدة أمام ضعف فرص العمل في البادية.

من خصائص الأشخاص المدروسين تقدم المؤشرات التالية جيلا من المهاجرين النشطين الذين يتحملون مسؤولية الأسرة. فما هي نسب أرباب الأسر الشابة؟ يقدم الجدول التالي توزيعا لأرباب الأسر حسب السن، لكننا لم نأخذ بعين الاعتبار الاختلافات بين حي وآخر. فقد كشفت ملاحظتنا الميدانية أن الأحياء الجديدة تتكون من ساكنة شابة.

جدول رقم (3): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب السن (%)

النسبة المئوية %	التكرار	السن
17.7	86	30 - 18
30.5	148	40 - 31
23.9	116	50 - 41
28.0	136	+ 51
100	486	المجموع

مبيان رقم (3): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب السن



المصدر، البحث الميداني، سلا وضواحيها، 2011.

نستخلص من النسب التي تحدد توزيع الأسر المبحوثة حسب السن:

- إن سن أرباب الأسر المهاجرة بمدينة سلا يعبر عن تركيز فئة شابة وفتية. تتباين أعمار المهاجرين كما يلي:

- تمثل نسبة 48,2% أرباب الأسر الذين تتراوح أعمارهم ما بين سن 18-40 سنة، ونسبة 23,9% تمثلها فئة السن من 41-50 سنة. وأخيرا أرباب الأسر الذين يعادل أو يفوق سنهم 51 سنة يشكلون نسبة 28,0%.

- في مختلف الدراسات التي أنجزت حول الهجرة نجد الترابط قائما ما بين السن والاندماج. فنجد مثلا أن المهاجرين الشباب أكثر قدرة على الاندماج ممن هم أكبر سنا. ويمكن تفسير هذه العلاقة أن الشاب أكثر استعدادا من غيره لازدواجية الوجدان والشعور، إذ يسهل عليه التخلي عن أصوله الثقافية والحياتية ليتبنى بدائل أخرى.¹

- تستقطب مدينة سلا وضواحيها ساكنة مهاجرة نشطة وفتية تتميز بتنوع سن المهاجرين، حيث تضم ساكنة مختلفة عمريا تغلب عليها الفئات الشابة النشطة والقادرة على العمل والدراسة والتي لها استعداد للتعايش مع أسلوب الحياة الحضرية الجديد.

- يمكن تفسير هذا التنوع في السن بجاذبية المدينة وحضورها الاقتصادي والاجتماعي بين المدن المغربية العتيقة والساحلية. نظرا لموقعها الممتد على طول الساحل والمحور الاقتصادي الذي يربط بين مدينة القنيطرة والدار البيضاء، ولقربها الجغرافي من العاصمة الإدارية والسياسية الرباط. (أنظر الجزء الخاص بمؤهلات المدينة في سياق الحديث عن مجال البحث).

- تجعل الخصائص الجيو-اقتصادية والمؤهلات السياحية من المدينة قطب جذب للعديد من المهاجرين المغاربة لأن المدينة توفر فرص عمل للمهاجرين سواء بالمعامل والمصانع الموجودة بها (كمعمل الحليب والجلد والنسيج...) أو في الاقتصاد غير المهيكل أو في قطاعات أخرى كانتشار التجارة المتنقلة، والبناء وغيرها، وتوفرها على الصناعة التقليدية (الفخار، والزرابي، والحياسة...) التي توجد بالمدينة العتيقة وضواحيها.

¹ ياسين، علي الكبير: المهاجرون في طرابلس الغرب، دراسة حالة التماثل، معهد الإنماء العربي، بيروت، ص. 19.

الانتماء الجنسي للمهاجرين:

لقد حاولنا معرفة الانتماء الجنسي للمهاجرين لأن ذلك يمنحنا مقاربة نوعية للهجرة. إن الحاجة إلى تحسين شروط العيش، والاستفادة من التطورات التي مست مجالات الحياة المختلفة، خاصة الجوانب الاقتصادية والتكنولوجية والترفيهية، يبقى أمام الشباب القروي ذكورا وإناثا اختيار الهجرة إلى المدينة.

• هجرة الشباب الذكور:

إن ظاهرة هجرة الشباب بصيغة المذكر هي ظاهرة قديمة وعامة في المغرب. ففي 1960 بين دانييل نوان¹ أن متوسط السن لرؤساء الأسر المهاجرين بمدينة المحمدية هو 23,4 سنة، و 24 سنة بالقنيطرة، و 24,9 سنة بأسفي.

يهيمن الذكور على نسب الهجرة تبعا للانتماء الجنسي، بنسبة 70.8%، مما يؤكد فرضيتنا حول قرار الهجرة الذي يكون رجاليا، بينما تهاجر المرأة تبعا لرغبة الزوج أو العائلة أو تحت ضغوط أخرى.

• هجرة بصيغة المؤنث:

لم يعد الحديث عن التحويلات الطارئة على ظاهرة الهجرة بالأمر الجديد، بل راحت أغلب التقارير الدولية² تؤكد منذ فترة مدى التحويلات الكمية لظاهرة الهجرة في بعدها المحلي والدولي. ويبقى حضور النساء المتزايد ضمن الحراك البشري على نطاق واسع من أبرز مظاهر التحول. مما يدفع باتجاه الحديث عن ظاهرة تأنيث الهجرة³.

¹Daniel, Noin: la population rurale du Maroc. Presses Universitaires de France, Paris. Pages, 22 et 23.

² تقارير المنظمة العالمية للهجرة وصندوق الأمم المتحدة للسكان.

³ عائشة، التايب: "الهجرة النسائية والتنمية، مهاجرات بلدان المغرب العربي إلى أوروبا مثلا". مجلة عمران، العدد 3، السنة 2013، ص. 138.

لم تحظ ظاهرة هجرة المرأة باهتمام يذكر من طرف الباحثين والدارسين، وأهملت أبحاث الهجرة ودراساتها لفترة طويلة المساهمات الاجتماعية والاقتصادية والتجارب المختلفة للمهاجرات. ولم يبرز الحديث عن المرأة المهاجرة إلا مع منتصف سبعينيات القرن العشرين، حيث بدأت الدراسات تتحدث عن هجرتها في ضوء الحديث عن التحاق المرأة بزوجها المهاجر. وبهذا ارتبط ظهور المرأة في مشهد الهجرة بصورة نمطية جعلتها منحصرة في صورة الزوجة المرافقة للرجل المهاجر والكائن غير النشط اقتصادياً.

وفي إطار تنزيل الرجل المهاجر ككائن اقتصادي مشارك في المجال العام، والحديث عن المرأة المهاجرة ككائن اجتماعي منحصر داخل المجال الخاص، وقع بالتالي تفسير هجرة الرجل بأسباب اقتصادية وتفسير هجرة المرأة بأسباب اجتماعية. وقد اتجهت المقاربات التحليلية الأولى، التي حاولت تفسير حركة السكان ضمن المدارس الكلاسيكية للتنمية، في الاتجاه ذاته متأثرة بتلك الصورة النمطية المتعلقة بالمرأة المهاجرة المنعدمة النشاط الاقتصادي والمعتنية بأسرتها في حدود أسوار المجال الخاص، وهو ما جعل المرأة المهاجرة تغيب عن الدراسات الأولى للهجرة¹.

تتحدد أهمية دراسة الهجرة في الدور الذي تقوم به في ديناميات التغيير الاجتماعي. ففي الواقع تحدث الهجرة تغييرات على مناطق الوصول ومناطق الانطلاق، كما يكون لها تأثيرات على المهاجر نفسه. "هذا التغيير يكون أقوى عندما تكون النساء هن اللواتي يتنقلن، لأن هجرتهم أكثر من مجرد انتقال جغرافي، بل هو تحول نوعي للعلاقات الاجتماعية، إذ تلعب هجرة النساء دوراً رئيسياً في تطور العلاقات بين الجنسين.

يفترض أن الهجرة تقدم للمرأة فرص الولوج إلى موارد جديدة تقوي وضعيتها في مواجهة الرجل، وتعديل من سلوكياتهن الديمغرافية والاقتصادية. إن الهجرة النسائية من القرية إلى المدينة أصبحت موضوع العديد من الدراسات في السنوات الأخيرة، لأنها هجرة تفرض نفسها من حيث قوة حضورها بين الهجرات الأخرى². وحسب شهادات النساء المهاجرات هناك تباين في المعيش اليومي بين حياة المدينة والحياة في البادية. تقول إحدى النساء المهاجرات "كنا نضطر للقيام بعدة أعمال: العمل المنزلي، تربية المواشي، مساعدة الزوج في الحقل وغيرها".

¹ نفس المرجع، ص. 141.

² عبد الرحمان المالكي: "الهجرة النسائية بمدينة فاس"، مجلة دفاتر جغرافية، العدد 5، السنة 2008، ص. 224.

الهجرة والتحضر والتحويلات الأسرية

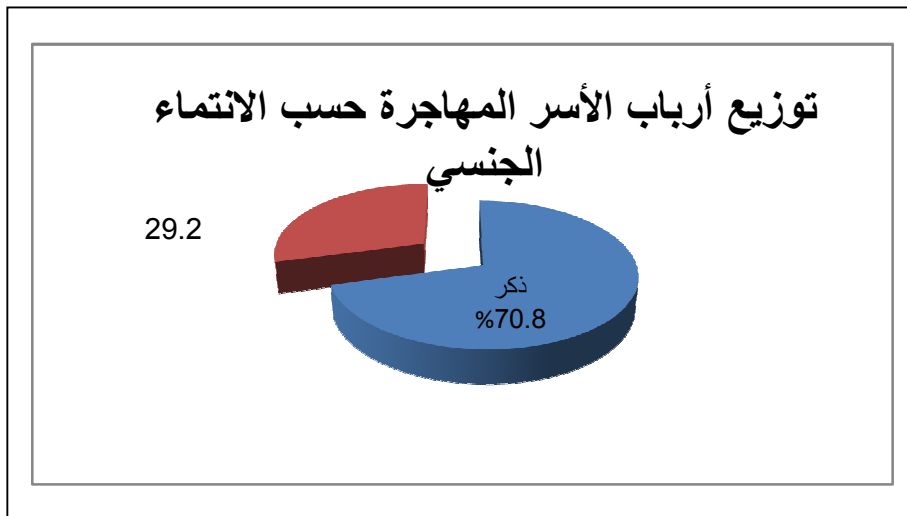
انطلاقاً من نتائج الدراسة التي قام بها الباحث عبد الرحمان المالكي حول أسباب هجرة النساء إلى مدينة فاس وتحليله لأقوال المبحوثات وشهادتهن¹ والتي يمكن تلخيصها في: الهروب من قسوة حياة البادية وشقائها، ومرافقة الأسرة. ويخلص الباحث إلى أن كل الذين قرروا ونفذوا قرار الهجرة انطلقوا من صورة ذهنية سلبية عن البادية.

لمعرفة مشاركة المرأة ومساهمتها في الهجرة بمدينة سلا وضواحيها، طرحنا السؤال بالصيغة التالية: هل كانت هجرتك قراراً شخصياً، أم رافقت عائلتك أو زوجك؟ فجاءت النسب موزعة كالتالي:

جدول رقم (4): توزيع أرباب الأسر في وضعية الهجرة بمدينة سلا وضواحيها حسب الانتماء الجنسي.

الجنس	التكرار	النسبة المئوية
ذكر	344	70.8
أنثى	142	29.2
المجموع	486	100.0

مبيان رقم(4): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب الانتماء الجنسي



المصدر، البحث الميداني، سلا 2011.

¹ عبد الرحمان، المالكي: المرجع السابق، ص. 224. أظهرت نتائج الدراسة التي أقيمت ببوركينا فاسو حول الهجرة النسائية، أن النساء المهاجرات يتخذن مسارات معقدة للخروج من العالم القروي، وأن 3/4 من النساء المهاجرات يتراوح سنهن ما بين 15 و 35 سنة معظمهن متزوجات. تمارس هذه النساء أعمالاً جد متواضعة في الوسط الحضري، هذه الأعمال لا تضمن لهن تحمل المسؤوليات العائلية الملقاة على عاتقهن.

نستخلص:

- تهيم الهجرة الذكورية بنسبة 70.8%. إن السنوات الأخيرة بدأت تعرف هجرة نسائية مكثفة. إن هجرة النساء لا تكون منذ البداية اختيارا وقرارا فرديا بالنسبة لهن لأنه في غالب الأحيان تأتي المرأة برفقة عائلتها أو مرافقة لزوجها وأبنائها، وفي أحيان أخرى تنتقل بهدف الدراسة.
- الملاحظ أن الرجال يتخذون قرار الهجرة بشكل أكبر من النساء (29.2%) نظرا للإغراء الذي تمثله المدينة من حيث فرص العمل ووسائل الترفيه المتعددة، وقدرة الرجل على التنقل بحرية من مكان إلى آخر وهو أمر غير متاح بالنسبة للمرأة.¹
- تظل المرأة سجيبة تقاليد ذكورية تقيد حركتها وتقلها وحريتها في التعبير عن ذاتها واتخاذ قرارات فردية وخاصة بها. لهذا نجد أن أغلب النساء المهاجرات، إما نساء فقدن أزواجهن أو هاجر أزواجهن من جديد نحو الخارج، أو بسبب الطلاق أو الترميل أو العزوبة.

الوضعية المهنية للأسر في وضعية الهجرة:

• الأسر الوافدة نشطة ومشتغلة

يجمع مختلف الدارسين والباحثين الذين اهتموا بدراسة الهجرة القروية والعوامل المسببة لها على أهمية العامل الاقتصادي كمحدد أساسي في اتخاذ قرار الهجرة. إن التزايد الطبيعي بالمجال القروي وضعف مستوى العمل والإنتاج الفلاحي، دفع بالعديد من سكان البوادي للهجرة بحثا عن فرص جديدة للعمل في المراكز الحضرية خصوصا الساحلية منها. وتعتبر مدينة سلا من الأقطاب التاريخية المستقبلية للهجرة بمختلف أنواعها القروية والحضرية على السواء.

إن نسبة هامة من أرباب الأسر المهاجرة هي من المأجورين يعملون في قطاعات إنتاجية مختلفة يعكسها الجدول التالي²:

نوع النشاط	النشطين	العمال	المستقلين	الأجراء العموميون	الأجراء في القطاع الخاص
النساء	12.6	0.2	3.1	6.8	14.2
المجموع	43.5	1.9	23	27.1	43.3

¹ المالكي، المرجع السابق.
² تتفق هذه النتائج مع دراسة الباحث هشام آيت سي، سبق ذكرها، ص. 9. وتأكيدا لمعطيات الجدول الخاص بنوع نشاط أرباب الأسر المهاجرة بمدينة سلا، فمنا بمقارنتها بالنتائج الرقمية لإحصاء 2014 للسكان والسكن بمدينة سلا وضواحيها:

جدول رقم (5): توزيع أرباب الأسر في وضعية الهجرة حسب نوع النشاط (%)

نوع النشاط	موظف	صانع تقليدي	تاجر متجول	تاجر	أعمال حرة	فلاح	ربة بيت	آخر	المجموع
التكرار	164	30	16	48	12	2	76	138	486
النسبة المئوية	33.8	6.2	3.3	9.9	2.5	0.4	15.6	28.4	100

المصدر: البحث الميداني، صيف 2011.

نلاحظ من خلال الجدول:

- تتميز أنشطة أرباب الأسر في وضعية الهجرة بالتنوع والاختلاف، إذ تضم مهنا تتراوح بين الموظفين (33.8%)، والعاملين بالبناء والصناع التقليديين (6.2%)، والتجار (9.9%)، والأعمال الحرة (2.5%)، تمثل ربات البيوت (15.6%).
- وفي سؤال مفتوح عن طبيعة العمل، أكد أرباب الأسر المهاجرة أنهم يعملون باليوم (البناء، الفلاحة، التجارة المتنقلة...)، نفس الشيء بالنسبة للنساء العاملات (الخدمات في البيوت، أو المعامل الموسمية للزرابي وغيرها).
- يقبل المهاجرون القرويون العمل في قطاعات مختلفة، لغياب تكوين مهني أو تعليم يؤهلهم لولوج مناصب إدارية أو مهنية عالية. فيلجأ أرباب الأسر أحيانا إلى القيام بأنشطة متعددة.
- إن الوضعية الاقتصادية للنساء بمدينة سلا رمزية، ويلاحظ ذلك في قطاع المأجورين، حيث يمثلن 6.8% مقابل 27.1% من مجموع الأجراء العموميين، 3.1% من النساء اللواتي يشتغلن كمستقلات، و12.6% منهن نشطات.

■ إن الوضعية الحالية للأسر المهاجرة تختلف من حيث النشاط عن وضعية ما قبل الهجرة، إذ سجل تحول هام في المهن والأنشطة، حيث أصبح المهاجرون يشتغلون في قطاع الخدمات، والتجارة، والإدارة والتعليم، والنقل الخ. من هنا ارتأينا تصنيف أرباب الأسر المهاجرة إلى فئتين:

● **فئة غير مؤهلة:** تضطر لتنويع أنشطتها والبحث عن مصادر دخل متعددة لمواجهة الحاجيات الجديدة التي فرضتها طبيعة الحياة الحضرية، والتي لم يعود عليها المهاجر في حياته السابقة. إن المهاجرين يمتنون أنشطة متواضعة لا تتطلب منهم تأهيلا علميا أو تقنيا، وتتحدد هذه الأنشطة في العمل بتجارة السلع الغذائية، والبناء، والتجارة وغيرها.

● **فئة مؤهلة:** تستطيع أن تندمج في الوسط الحضري الجديد، بحكم ثقافتها وقدراتها العلمية التي تمنحها نوعا من الارتقاء الاجتماعي والاقتصادي. إن المؤهلات التعليمية تتحكم في نوع النشاط والمهن التي يختارها أرباب الأسر المهاجرة.

المستوى التعليمي لأرباب الأسر في وضعية الهجرة:

يعتبر المستوى التعليمي من المؤشرات الهامة التي يمكن توظيفها لمقاربة إمكانية اندماج المهاجرين القرويين في الوسط الحضري، سواء تعلق الأمر بطريقة تماثلهم مع الثقافة الحضرية أو حصولهم على فرص للاندماج في الحياة الاقتصادية للمدينة.¹ إن التعليم ذو أثر كبير على عملية الاندماج، ومن الواضح أن هذه العلاقة قد تمتزج مع متغيرات أخرى كالسن، ومدة الإقامة في المجتمع المستقبل، وسن الهجرة.

إن الأسر القروية المهاجرة تجد نفسها في دائرة من الإكراهات الاجتماعية والاقتصادية والجغرافية، إلا أنها تشجع أبناءها على التمدرس ومتابعة تعليمهم، بل تستفيد بعض الأسر من برامج محو الأمية التي تشرف عليها مجموعة من مؤسسات المجتمع المدني. إن التعلم وتكوين ثقافة مناسبة يساعد المهاجرين بشكل مباشر وغير مباشر على التكيف، لأنهم يصطدمون بالثقافة المنتشرة بالمدينة في المعاملات والسلوكات وطريقة الحياة، الشيء الذي يدفعهم إلى اختيار الاستقرار في هوامش المراكز الحضرية وضواحيها، خاصة أحياء السكن غير اللائق.

¹ سعيد، السباني: "الهجرة القروية وأثرها على التنظيم السوسيو- مجالي للمدينة"، بحث لنيل درجة الدكتوراه في علم الاجتماع، 1997، ص. 120.

الهجرة والتحضر والتحويلات الأسرية

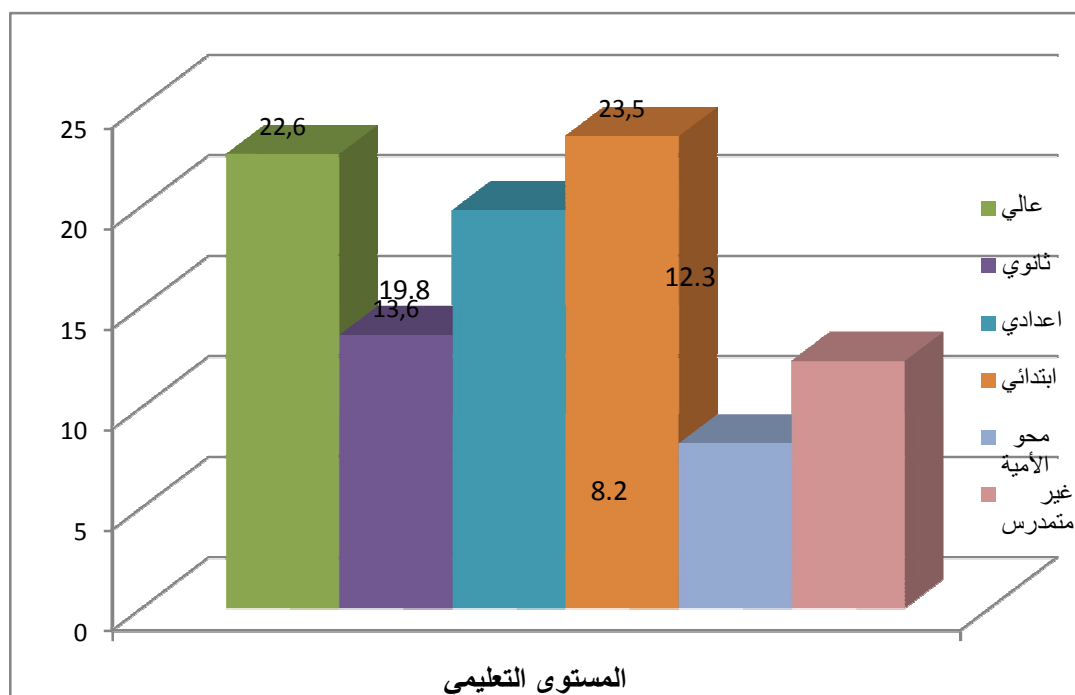
إن تحديد مختلف المتغيرات وبصفة خاصة تحديد المستوى التعليمي للمبحوثين يشكل نقطة جوهرية في الأبحاث السوسولوجية. وقد درج الباحثون على إعطاء أهمية كبيرة للمستوى التعليمي باعتباره يلقي الضوء على الظواهر المدروسة، من جهة، ومن جهة أخرى، فإن الفئة المتعلمة تكون أكثر تفهماً للأسئلة التي يطرحها الباحث ويشاركون بطواعية في النقاش. لهذا قسمنا الفئات إلى ستة مستويات.

ولتحديد المستويات التعليمية لأرباب الأسر في وضعية الهجرة بمدينة سلا وضواحيها، طرحنا السؤال بالصيغة التالية: ما هو مستواك التعليمي؟ وهل أتممت المرحلة التعليمية التي توقفت عندها؟

جدول رقم (6): المستوى التعليمي لأرباب الأسر في وضعية الهجرة بمدينة سلا %

المجموع	عالي	ثانوي	إعدادي	ابتدائي	محو الأمية	غير متمدرس	المستوى التعليمي
486	110	66	96	114	40	60	التكرار
100	22,6	13,6	19,8	23,5	8,2	12,3	%

مبيان رقم (5): توزيع أرباب الأسر المهاجرة بمدينة سلا وضواحيها حسب المستوى التعليمي



المصدر، البحث الميداني، سلا 2011.

- تقدم معطيات الجدول:

▪ إن نسبة (23.5%) أتموا تعليمهم الابتدائي، و22.6% لديهم مستوى عالي، و19.8% من أرباب الأسر أنهوا المستوى الإعدادي، أما نسبة 12.3% من المهاجرين فغير متمدرسين. إن المستوى التعليمي لأرباب الأسر المهاجرة هو الذي يسهل عملية الاندماج المهني.

▪ تحمل بعض الأسر المهاجرة تصورا سلبيا عن التمدرس، وتقلل من قيمته وأهميته مقابل العمل والإنتاج الفلاحي الذي يشكل دعامة اقتصادية لاستمرارية الأسرة. وترفض أسر أخرى أن تلتحق الفتيات بالمدرسة لأن وظيفتهن في الحياة هي الاستعداد للحياة الزوجية ومسؤولياتها، حسب شهادة مجموعة من المهاجرين.

▪ ارتفاع نسبة الأبناء المتمدرسين في أوساط الأسر المبحوثة

تتناول المقاربة السوسولوجية الثقافة المدرسية والمدرسة من زاويتين:

توجه الزاوية الأولى الأنظار إلى المدرسة كمؤسسة اجتماعية تقوم بوظائف تنشئية وفق أنساق تربوية وبيداغوجية وثقافية ومعرفية واجتماعية وسياسية معلنة ومعترف بمشروعيتها، يتم تنشئة المتعلمين في إطارها بكيفية مقصودة وهادفة. انطلاقا من هذا المفهوم نعتبر أن مؤسسة المدرسة كأى مؤسسة اجتماعية، تمتلك ثقافة خاصة بها مادام يحكمها نسق ثقافي محدد.¹

لنحصر مشكل التمدرس بنوع من الدقة، ولتحديد المستوى الدراسي للأبناء حصلنا على معلومات حول المستوى التعليمي للأبناء من أوليائهم المبحوثين، ولذلك فعندما نناقش معطيات الجدول الآتي، سنتحدث عن عدد الأبناء المتمدرسين لهذه الأسر: هل هناك أطفال متمدرسون في هذه الأسر؟

¹ محمد، الشهب: "المدرسة وعملية التنشئة الاجتماعية، دراسة في الثقافة المدرسية وفي الأنساق الثقافية التربوية السائدة في المدرسة المغربية"، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في علم الاجتماع، السنة الجامعية، 2003-2004، ص. 140.

الهجرة والتحضر والتحويلات الأسرية

جدول رقم (7): توزيع أرياب الأسر المبحوثة حسب عدد الأبناء المتمدرسين من الجنسين.

النسبة المئوية %		التكرار		عدد الأبناء المتمدرسين
الذكور	الإناث	الذكور	الإناث	الجنس
23.9	25.9	116	126	1
17.7	14.4	86	70	2
9.5	3.3	46	16	3
2.1	1.2	10	6	4
47,0	55,2	228	268	بدون جواب
100.0	100.0	486	486	المجموع

المصدر: البحث الميداني، سلا، صيف 2011.

▪ نجد 258 أسرة يوجد بها أطفال ذكور في سن التمدرس، و218 أسرة يوجد بها أطفال من الإناث في سن التمدرس، وفي مستويات دراسية مختلفة.

▪ انخفاض نسبة المنقطعين عن الدراسة بين أبناء الأسر المبحوثة

يشكل الأبناء قوة إنتاجية لأسرهم، إذ كلما كان عدد الأبناء الذكور مرتفعاً يزيد من قيمة العائلة اقتصادياً ورمزياً. فالأرض تحتاج لقوة عاملة شابة ونشطة وقادرة على العمل والعطاء، ويمثل الأبناء الذكور الفئة المفضلة في ثقافة الأرض والخصوبة، لهذا تلجأ الأسر لتوقيف الأبناء عن الدراسة لمساعدتهم في الأنشطة الزراعية والعمل في الأرض.

جدول رقم (8): توزيع أرياب الأسر المهاجرة حسب عدد الأبناء المنقطعين عن الدراسة

النسبة المئوية %	التكرار	الأبناء المنقطعين
9.9	48	1
4.1	20	2
0.8	4	3
85,1	414	بدون جواب
100.0	486	المجموع

المصدر: البحث الميداني، سلا، صيف 2011.

• يرجع انقطاع أبناء المهاجرين عن التمدن إلى رغبة الأسر في مساعدتهم في الإنتاج الاقتصادي.

• يرفض بعض أرباب الأسر المهاجرة أن يتابع أبناءهم للدراسة للتكاليف المرتفعة للنقل واللوازم المدرسية. لقد أنجزت الدولة مشاريع تشجع الآباء والأبناء على الالتحاق بالمدرسة كمشروع " تيسير " للحد من الهدر المدرسي.

■ المساواة بين الجنسين في مدة التعليم:

تشكل المساواة بين الجنسين أساس العلاقة بينهما في المجتمعات المتقدمة عكس المجتمعات العربية المسلمة التي ترسخت فيها تاريخيا ظاهرة التراتبية بين الجنسين، وتجسدت في الفصل الصارم بين أدوار كل منهما وبين المجالين الخاص والعام.

إن المرأة لا يمكنها أن تدير منزلها إلا بعد تحصيل مقدار معلوم من المعارف العقلية والأدبية، فيجب أن تتعلم كل ما ينبغي أن يتعلمه الرجل من التعليم الابتدائي على الأقل، حتى يكون لها إلمام بمبادئ العلوم يسمح لها بعد ذلك باختيار ما يوافق ذوقها.¹

من أهم الأسباب التي أدت إلى تغير موقف الأسر القروية تجاه تعليم أبناءها سواء كانوا ذكورا أم إناثا عمومية التعليم في المجتمع، إذ مس هذا الانتشار سكان المدن، ليؤثر بدوره على أرباب الأسر المهاجرين إليها. فاطلاهم على نماذج أخرى من السلوك وطريقة أخرى للعيش والكسب جعلهم يحسون بقيمة العلم. إن تعلم الأبناء وبلوغهم مستويات تعليمية عالية يكسب أسرهم مركزا اجتماعيا.²

لقد أدى التعليم إلى قلب معايير³ سائدة في المجتمع وفتح المجال أمام انتشاره بين أفراد المجتمع القروي له دوره في ظهور قيم جديدة، وتراجع قيم تقليدية، ومن بين هذه القيم تعليم الفتاة. فالتعليم أتاح فرصة أمام الفتاة للخروج بدورها لطلب العلم والعمل في أن

¹ فاطمة، الزهراء، أزريول: "المسألة النسائية في الخطاب العربي الحديث من التحرير إلى التحرر"، المجلس الأعلى للثقافة، 2003.

² رشيد، بومعالي: "واقع التغيرات الاجتماعية في الأسرة الجزائرية المهاجرة"، مجلة دراسات اجتماعية، العدد 7، السنة، 2011، ص. 65.

³ من بين هذه المعايير اختزال قيمة المرأة ودورها في البيت، وقدرتها على الإنجاب والطاعة للزوج، وعدم السماح لها بالتمدرس واتخاذ قراراتها بشكل حر ومستقل.

المجرة والتحضر والتحويلات الأسرية

واحد. وفي هذا الصدد سنتعرف على رأي أرباب الأسر المهاجرة في ما يخص مدة تعليم الفتاة مقارنة مع الذكور فتوزعت الإجابات على الشكل التالي:

جدول رقم (9): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب رأيهم في مدة تعليم البنت.

النسبة المئوية %	التكرار	المدة
14.8	72	أقل من مدة تعليم الإبن
81.9	398	مثل مدة تعليم الإبن
3.3	16	أكثر من مدة تعليم الإبن
100.0	486	المجموع

المصدر: البحث الميداني، صيف 2011، سلا

■ لقد سمح التعليم للفتاة القروية بالخروج من البيت والذهاب في طريقها إلى المدرسة إلى جانب زملائها الذكور. لهذا يرى أرباب الأسر أن مدة تعليم البنت، يجب أن تكون مثل مدة تعليم الإبن، وهو ما توضحه نسبة 81.9 % إذ لم يعد فيها الفارق بين الجنسين في التعليم. فالفتاة تملك نفس الحق الذي يتمتع به الفتى في التعليم وولوج الحياة المدرسية، لأن الهدف الأساسي هو بناء مجتمع متعلم وليس تكريس للامية. تعكس هذه النسبة التحول الذي مس تصورات أرباب الأسر القروية فيما يخص المرأة عموماً وحظوظها في التعليم والزواج والعمل بشكل خاص. لقد أصبحت الأسر القروية تشجع بناتها على التمدرس، وذلك موازاة مع احتكاكها بالأسر الحضرية، وانفتاحها على وسائل الإعلام بمختلف أشكالها.

■ ترى نسبة 14.8 % من أرباب الأسر أن مدة تعليم البنت يجب أن تكون أقل من مدة تعليم الإبن، وتفضل نسبة 3.3 % من المهاجرين أن تكون مدة تعليم البنت أكثر من مدة تعليم الإبن.

▪ قدرة متوسطة لدى أرباب الأسر على فهم اللغة العربية الفصحى:

إن اللغة جزء لا يتجزأ من الثقافة، إنها أولاً، أداة ووسيلة للتواصل والتعبير عن الآراء والأفكار والمشاعر. وثانياً، من اللغة تتمثل ثقافة الجماعة التي ننتمي إليها. وأخيراً، لأن اللغة هي الهوية.¹ لهذا فدراسة اللغة تعتبر متغير رئيسي في معرفة نوعية الثقافة السائدة بين المهاجرين واستراتيجيات التواصل والتعبير بينهم.

إن تعلم اللغة يعني تمدد في الهوية المحلية للفرد، لأنها تفتحه على وسائل تثقيفية وتربوية. كما أن اللغات الحية تجعله يوسع مداركه وتفتحه كذلك على قيم متعددة ومتنوعة تساهم في إغناء هويته وتطوير خلفيته التاريخية، ليصبح انتماءه للوطن والأمة عوض الانتماء للجماعات الصغرى والمجزأة.²

إن قدرة أرباب الأسر على فهم اللغة العربية الفصحى مؤشر على الانتماء والهوية للثقافة العربية السائدة، كما أن عملية اندماج المهاجرين وتكيفهم مع الثقافة السائدة في الوسط الحضري الجديد، ترجع بالأساس للعوامل اللغوية، وقدرة النازحين على التواصل مع الآخرين، وبناء علاقات جديدة تساهم في تسهيل التحضر السريع الذي تفرضه طبيعة الحياة المدنية. ساعدتنا معرفة اللغة في دراسة المؤهلات اللغوية التي تتوفر عليها الأسر المهاجرة، ومكنتنا من تحديد أصول المهاجرين بمدينة سلا وضواحيها.

جدول رقم (10): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب درجة فهم وتكلم اللغة العربية الفصحى

الدرجة	الفهم		التكلم	
	النسبة المئوية %	التكرار	النسبة المئوية %	التكرار
جيد	35,8	174	27,2	132
متوسط	38,7	188	39,9	194
ضعيف	16,0	78	23,5	114
بدون جواب	9,5	46	9,5	46

المصدر: البحث الميداني، صيف 2011.

¹ Charbonnier : Entretiens avec Claude Lévi-Strauss. Collection 1018, Paris, 1961, P. 182_184.

² François de Singly, 1993, P. 16.

نستخلص من معطيات الجدول:

▪ ضرورة إعادة التفكير في النظرة البديهية للأبحاث السابقة حول المستويات التعليمية للمهاجرين من أصول قروية، والتي تتفق على أن المهاجرين القرويين أغلبهم من الأميين لا يستطيعون القراءة والكتابة. إننا أمام فئات مهاجرة جديدة تهتم بالتعليم وتحاول تصحيح النظرة السلبية التي أثرت حولها. ومن المؤكد أيضا أننا أمام أسر على قدر من التعليم يؤهلها للتحاور باللغة العربية وإتقانها فهما وتكلما، كما تؤشر النسب على انتشار ثقافة تتجاوز نطاق الحس المشترك إلى لغة عالمية.

▪ يفهم 38.7 % من أرباب الأسر اللغة الفصحى بدرجة متوسطة، ويتكلم بها 39.9 % من المهاجرين. وبدرجة جيد يتكلم 27,2 % اللغة الفصحى ويفهمها جيدا 35.8 %، أما نسبة 16.0 % فيفهمونها بدرجة ضعيفة.

▪ قدرة جيدة لدى أرباب الأسر على إتقان الدارجة من حيث الفهم والتكلم.

تعتبر الدارجة اللهجة الأكثر انتشارا في التواصل بين المغاربة ووسيلتهم التحوارية بامتياز. وإن كنا نجد بعض الاختلافات بين المناطق المغربية في نطقها، إلا أن الدارجة تبقى اللهجة التي توحد جنوب المغرب بشماله وشرقه بغربه. إن مدينة سلا بحكم موقعها واستقطابها للمهاجرين القرويين والحضريين، فإنها تضم فئات مهاجرة مختلفة تتواصل فيما بينها عبر التكلم بالدارجة.

إن الدارجة تعتبر لغة التداول اليومي بين الناس ومحور التواصل بينهم مهما اختلفت مستوياتهم التعليمية والثقافية. تظل الدارجة لغة الخطاب اليومي والوسيلة التواصلية الأكثر ممارسة وشيوعا بين مجموع المبحوثين.

جدول رقم (11): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب درجة إتقان الدارجة فهما وتكلما

التكلم		الفهم		الدرجة
النسبة المئوية %	التكرار	النسبة المئوية %	التكرار	
97,5	474	97,9	476	جيد
2,5	12	2,1	10	متوسط
100	486	100	486	المجموع

– إن نسبة 97.9% من المبحوثين يفهمون الدارجة بدرجة جيدة، ونسبة 97.5% يجيدون التكلم بها، أما المبحوثين الذين يتوفرون على قدرة فهم الدارجة بدرجة متوسطة فوصلت نسبتهم إلى 2.1%، وتمثل نسبة 2.5% مجموع المبحوثين الذين يتكلمون الدارجة بدرجة متوسطة.

– يفسر الانخفاض في فهم الدارجة والتكلم بها عند بعض المهاجرين إلى الأصول المختلفة التي تكون الأسر في وضعية الهجرة. فالأسر الأمازيغية مثلا لا تجيد فهم الدارجة والتكلم بها أحيانا، حسب تصريحات بعض النساء المهاجرات من أصول أمازيغية.

▪ قدرة جيدة لدى أرباب الأسر على فهم وتكلم اللغة الأمازيغية:

إن للمغرب لغتين وطنيتين، ولغة رسمية واحدة. إن الثقافتين العربية والأمازيغية هما في نفس الوقت تراث ورصيد لكل المواطنين المغاربة دون النظر إلى أصولهم العرقية المتعددة، والتي لا يمكن عمليا تحديدها والتفكير فيها بالنسبة لأي فرد أو لأي مجموعة من الأفراد. إن المغرب هو رصيد تاريخي، وكتاريخ وطني، فإن المغرب أفرز حضارة لها خصوصيتها، وتعتمد على لغتين وطنيتين هما الأمازيغية من جهة، واللغة العربية من جهة ثانية. وهذا الرصيد اللغوي المتكون من اللغتين هو ما أفرزته عناصر تداخلت داخل المجتمع المغربي. البعض من أصل أمازيغي، البعض من أصل عربي، البعض من أصل أندلسي، البعض من أصل صحراوي، البعض من أصل زنجي إفريقي، منهم من تعربوا، منهم من تمزغوا، ولكن أساس ما أنتجه المجتمع المغربي ككل هو لغتان وطنيتان¹.

أصبحت اللغة الأمازيغية لغة رسمية، بعدما قرر المغرب إدراجها ضمن البرامج التعليمية وجعلها لغة للتواصل إلى جانب اللغة العربية الفصحى.

إذا ما تتبعنا تاريخ حركة الهجرة بالمغرب من القرى إلى المدن المغربية، منذ أوائل القرن العشرين، نلاحظ أن منطقتي جنوبي المغرب وجنوبي غربه كانتا تشكلان حتى عام

¹ محمد، جسوس: "الازدواجية اللغوية وتأثيرها على الطفل وعلى العلاقات الاجتماعية وعلى الثقافة الوطنية"، مجلة بصمات، العدد 4، السنة 2009، ص. 218.

1960 القاعدة الرئيسية للهجرة إلى أن حل مكانهما الريف الأوسط والشرقي، وهذه المناطق تسكنها كثرة سكانية من أصل أمازيغي.¹

من قراءتنا للمراجع التاريخية حول مدينة سلا نجد أن مسألة الهجرة بالمدينة قديمة وضاربة في التاريخ. فمنذ نشأة المدينة وهي تعرف نزحيين بداية من المورسكيين، الأمازيغ، والعرب، وغيرهم من الأصول، وخلال سنوات الجفاف التي عرفها المغرب نزحت وفود من المناطق التي عرفت أضرارا شديدة في الإنتاج الفلاحي نحو مدينة سلا، وبعد سنوات الاستقلال وانتعاش المشاريع الاقتصادية والتنمية بالمدينة، عرفت تدفقا للمهاجرين القرويين الباحثين عن ظروف أفضل للعيش والعمل.

وبناء على نتائج المقابلات التي قمنا بها في أحياء مدينة سلا (العيادة، سلا الجديدة، قرية ولاد موسى، حي السلام، حي الرحمة...) نسجل ملاحظة أساسية هي تنوع وغنى الأصول المهاجرة، ولكن يغلب على هذه الأصول حضور عناصر من مناطق الجنوب بشكل مكثف (الرشيدية)، ويشكلون فئة متمدرسة تتوفر على مستويات تعليمية مختلفة، جامعيين وتقنيين يعملون في مهن تتناسب الكفاءات العلمية والتقنية التي يمتلكونها، كالوظيفة العمومية، والطب والتعليم...

إن النظرة إلى المهاجر القروي بدأت تعرف نوعا من التحول، من مهاجر غير متمدرس ويفتقر إلى مؤهلات تمكنه من اختراق حياة المدينة والتعايش وفق مقتضياتها، إلى صورة جديدة تعكس واقع مهاجر يحمل كفاءات ثقافية وتقنية تسهل اندماجه مع الوسط الحضري. إن العمل الاقتصادي هو الدافع إلى الهجرة ويشكل السبب الرئيسي لمغادرة القرية، إلى درجة أن هذا العامل أصبح يشكل قانونا للهجرة من القرية إلى المدينة.²

إن السؤال عن قدرة أرباب الأسر المهاجرة على التكلم وفهم اللغة الأمازيغية، يمكننا من تحديد أصول المهاجرين، والتعرف على الفئات المكونة لسكان مدينة سلا وضواحيها، وغناها اللغوي وتعددته. هل تتقن التحدث وفهم اللغة الأمازيغية بشكل جيد أم متوسط أم ضعيف؟

¹ عبد القادر، القصير: الهجرة من الريف إلى المدن، دار النهضة العربية، بيروت، ص. 236.

² Daniel, Noin: la population rurale du Maroc, presses Universitaires de France, Paris, P. 149.

المجرة والتحضر والتحويلات الأسرية

جدول رقم (12): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب درجة فهم والتكلم باللغة الأمازيغية

التكلم		الفهم		الدرجة
النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية	التكرار	
31,7	154	32,5	158	جيد
14,8	72	14,0	68	متوسط
19,3	94	19,3	94	ضعيف
34,2	166	34,2	166	بدون جواب
100	486	100	486	المجموع

المصدر: البحث الميداني، صيف 2011.

■ يظهر جليا، أننا أمام ساكنة مهاجرة تنتمي إلى أصول أمازيغية في معظمها، حيث يفهم ويتكلم 64.2% من المبحوثين اللغة الأمازيغية بدرجة جيدة. ويتقن 28.8% اللغة الأمازيغية فهما وتكلما بدرجة متوسطة، ثم نسبة 38.6% من المهاجرين يتكلمون ويفهمون اللغة الأمازيغية بدرجة ضعيف. تشير هذه النسب، إلى وجود تعايش بين مهاجرين من أصول متنوعة بمدينة سلا، وهذا التنوع اللغوي دليل على تنوع الانتماءات والأصول القبلية والثقافية.

■ قدرة متوسطة لدى أرباب الأسر المهاجرة على فهم اللغة الفرنسية والتكلم بها.

يشكل البحث عن آفاق جديدة للعمل والدراسة وتحسين ظروف عيش أفضل، هدف كل مهاجر ترك موطنه الأصلي للالتحاق بمكان جديد. وهذه الأهداف تتكامل مع رغبة المهاجر في الاندماج عبر التواصل مع الآخرين لسانبا وثقافيا.

إن التنوع اللغوي عوض أن يخلق تنوعا في الثقافات يؤدي أحيانا، إلى ظهور مجموعات متميزة وصراعات وتناقضات بين أنماط عيش الساكنة، ويكون أثره واضحا على بنية المدينة وأسلوب الحياة فيها بين ثنائية القرية والمدينة.

إن اللغة الفرنسية هي اللغة الأجنبية الأولى التي يوليها المغرب مكانة مهمة في برامج التعليم. فمنذ المرحلة الابتدائية والفرد المغربي يتلقى تكوينا في اللغة الفرنسية، مما ساعد الكثيرين على إكسابها وإتقانها واتخاذها لغة للتواصل. فهل توجد فئة مهمة من أرباب الأسر المهاجرة تستطيع التحدث وفهم اللغة الفرنسية؟ وما هي درجة إتقانهم لها؟ قسمنا الإجابات إلى ثلاث درجات:

الهجرة والتحضر والتحويلات الأسرية

جدول رقم (13): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب درجة فهم والتكلم باللغة الفرنسية

التكلم		الفهم		الدرجة
النسبة المئوية %	التكرار	النسبة المئوية %	التكرار	
13,6	66	16,0	78	جيد
23,0	112	23,5	114	متوسط
15,2	74	12,3	60	ضعيف
48,1	234	48,1	234	بدون جواب
100	486	100	486	المجموع

المصدر: البحث الميداني، صيف 2011.

نستخلص إذن:

■ إن النسب المختلفة في فهم وتكلم اللغات تشير إلى تنوع الأصول (العرب، الأمازيغ...) التي تنتمي إليها الأسر في وضعية الهجرة بمدينة سلا، وتدل على وجود تعدد ثقافي يتعايش في بوتقة واحدة تنوب كل هذه الاختلافات في الانتماء، والتي لا تنفي في نفس الوقت الوحدة في التعايش والتطلع للمستقبل¹.

■ تؤكد نتائج الجدول ما ذهبنا إليه حول تنوع الأصول الجغرافية للمهاجرين بمدينة سلا. ورغم ذلك تبقى الداريجة (99.7 %) هي لغة الخطاب اليومي بين الأسر المستقرة بمدينة سلا وضواحيها. تليها نسبة (23.6 %) تمثلها اللغة الفرنسية، ثم العربية الفصحى بنسبة 16.2 %، وأخيرا 13.0 % بالنسبة للغات الأخرى.

¹ ومقارنة مع نتائج إحصاء 2014 للسكان والسكن حول اللغات المتداولة تكلما وكتابة بمدينة سلا وضواحيها 2014¹، نجد النسب التالية:

اللغات	الدارجة	تشلحيت	تمازيغت	تاريفيت	الحسانية	العربية الفصحى	الفرنسية
التكرار	734.626	63.745	25.681	5369	741	106733	155740
النسبة المئوية	99.7	8.7	3.5	0.7	0.1	16.2	23.6

أهمية نسب الزواج لدى الأسر المهاجرة:

تساعدنا دراسة الوضعية العائلية للأسر في وضعية الهجرة في معرفة مدى الاستقرار النفسي الذي يحققه التجمع الأسري، واستخراج بعض الخصائص الديمغرافية التي تتميز بها الساكنة المهاجرة بمدينة سلا.

تشكل دراسة الزواج مؤشرا مهما في دراسة جوانب التغيير وآليات المقاومة في الحياة الأسرية. إن الزواج يجسد لدى الفرد الشعور بالانتماء والولاء للعائلة وعامل للاستقرار النفسي.¹

إن الزواج نظام من أهم النظم الاجتماعية وأخطرها شأنًا في حياة الإنسان والمجتمع، وهو الرابطة المشروعة بين الجنسين، ولا تتم هذه الرابطة إلا في الحدود التي يرسمها المجتمع ووفق المصطلحات والأوضاع التي يقرها.² لقد مثل الزواج باعتباره المؤسسة التي تتأسس عليها الأسرة إستراتيجية أساسية للحفاظ على الوحدة القرابية ودعمها وتعزيزها. فالزواج إذن، اقتران شرعي بين رجل وامرأة قصد تكوين أسرة جديدة في المجتمع، ويخضع لمجموعة من القوانين والحقوق والواجبات التي تتحكم في عقده أو فسخه.³

■ المدونة والتحويلات الأسرية:

أ- الزواج

لقد عرفت مدونة الأسرة الزواج في المادة 4 من الكتاب: " الزواج ميثاق ترابط شرعي بين رجل وامرأة على وجه الدوام، غايته الإحصان والعفاف وإنشاء أسرة مستقرة، برعاية الزوجين".⁴

يؤدي الزواج إلى خلق رابطة قانونية جديدة بين شخصين مستقلين من الناحية القانونية، غير أنه يؤدي إلى إقامة روابط قرابية، وأخلاقية، واجتماعية، واقتصادية بين الجماعتين المتصاهرتين اللتين ينتمي إليهما الزوجان. فبواسطة هذه القوانين التي تقنن

¹ سكيينة، أحمد محمد هاشم: "علاقة المهاجر بالمجتمع الأصلي: دراسة حول انعكاسات الهجرة الدولية على المجتمع اليمني". بحث لنيل درجة الدكتوراه في علم الاجتماع، السنة الجامعية 2004-2005، ص. 191.

² مصطفى، الخشاب: دراسة المجتمع، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1987، ص. 96.

³ عبد الرحيم، عني: "الأسرة القروية والتحويلات السوسيو-اقتصادية"، بحث لنيل الدكتوراه في علم الاجتماع، ص. 403.

⁴ مدونة الأسرة، قانون رقم 70.30 صادر بتنفيذه الظهير الشريف رقم 1.04.22 في 3 فبراير 2004. منشور بالجريدة الرسمية عدد 5184 بتاريخ 5 فبراير 2004. منشورات المجلة المغربية لقانون الأعمال والمقاولات، الطبعة الأولى، 2004، ص. 16.

الزواج استطاعت المجتمعات البشرية أن تحول الممارسة الجنسية، من سلوك ممنوع قانونيا ومحرمًا دينيا إلى واجب ديني، إلى حق يضمنه القانون ويحلله الشرع لطرفي الحياة الزوجية.

لقد أعطت مدونة الأسرة، أهمية قصوى للزواج باعتباره الرابطة الأساسية لتأسيس الأسرة. إن أول تعديل في مدونة الأسرة الجديدة مس عبارة "ترابط وتماسك"، بحيث قام بتغييرها بعبارة "تراض وترابط"، كما استبدلت عبارة "تحت رعاية الزوج" بعبارة "برعاية الزوجين"، ليصبح بذلك المفهوم الجديد للزواج هو: "ميثاق تراض وترابط شرعي بين رجل وامرأة على وجه الدوام، غايته الإحصان والعفاف وإنشاء أسرة مستقرة برعاية الزوجين".

من هنا يكون الزواج حسب مدونة الأسرة يستحضر ذوات الطرفين المتعاقدين وخاصة المرأة التي ظلت مغيبة في مدونة الأحوال الشخصية، وبالتالي تكون مدونة الأسرة في تعريفها لزوج قد لامست واقع الأسرة المغربية وتحوّلاتها.¹

في مغرب اليوم، أصبح عقد الزواج تنظمه مدونة الأسرة. ويشترط هذا القانون في صحة عقد الزواج حضور شاهدين عدلين سامعين في مجلس واحد الإيجاب والقبول من الزوج أو نائبه، ومن ولي الزوجة، ويشترط هذا القانون تسمية صديق للزوجة ولا يجوز العقد على إسقاطه (الفصل 5 من مدونة الأحوال الشخصية)².

ب- الطلاق:

يعد الطلاق³ من أكثر الظواهر تأثيرا في المجتمع، نظرا لما يخلفه من انعكاسات نفسية وأخلاقية ومادية.

وقد عرفت مدونة الأسرة في المادة 87 من القسم الثالث، الطلاق قانونيا في كونه " حل ميثاق الزوجية، يمارسه الزوج أو الزوجة، كل بحسب شروطه تحت مراقبة القضاء وطبقا لهذه المدونة"⁴.

¹ عبد الرحيم، عني: مرجع سابق، ص. 403.

² سمية، جسوس: بلا حشومة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2003، ص. 86.

³ الطلاق لغة، معناه رفع القيد مطلقا، سواء حسيا كان أم معنويا، فيقال أطلق الأسير، إذا رفع القيد عنه. وطلق الزوج زوجته إذا رفع عنها قيد النكاح، أما فقها، فالطلاق يعني حل رباط الزوجية الصحيحة في الحال والمآل، ورفع القيد الثابت شرعا بالزواج سواء وقع الطلاق الزوج بنفسه أو بواسطة نائبه.

⁴ مدونة الأسرة، القسم الثالث: الكتاب الثاني، انحلال ميثاق الزوجية وآثاره، الطلاق، المادة 87، ص. 29 و30.

الطلاق هو إنهاء للعلاقة الزوجية بحكم شرعي وقانوني، وقد حدد الإسلام مراحل مختلفة قبل الوصول إلى مرحلة الطلاق، في محاولة لمواجهة الظروف الاجتماعية المؤدية إلى الطلاق ومنها: الوعظ والإرشاد والنصح والهجر والتأديب، واختيار حكمن من أهليهما، واعتبار الطلاق هو المرحلة الأخيرة بعد فشل جميع المحاولات السابقة.

الطلاق أيضاً، ترتيب نظامي لإنهاء علاقة الزواج والسماح لكل طرف بحق الزواج مرة أخرى، ويشير هذا المصطلح إلى انتهاء رابطة الزواج أو إصدار إعلان قانوني ببطان هذه الرابطة، كذلك قد يستخدم للإشارة إلى انفصال بين الزوجين. ولقد حدد بارنز معياراً للتفرقة بين الانفصال والطلاق يتمثل في أن يمنح كلا الطرفين حرية إقامة زواج جديد.¹

الطلاق والتطليق إعلان يجدر التمييز بين صيغتهما وعلاقتهما التضمينية. فالطلاق حق مقصور على الزوج، ففي مقدور الزوج أن يطرد عنه زوجته، بدون قبولها أو رضاها، وبدون تدخل من القاضي، الذي يكتفي بتسجيل فسخ الزواج. وأما التطليق فهو، على العكس، فعل قانوني، وهو أن تتقدم الزوجة، أو يتقدم الزوج بطلب للطلاق، ويقوم القاضي بالتحقيق، فيقبل، في ضوء ذلك، أو يرفض فسخ الزواج. وأكثر ما يكون لجوء الرجال إلى الطلاق، فهو عندهم أشد بساطة من التطليق.

وقد خول المشرع للنساء الحق في طلب الطلاق في بعض الحالات المحددة، كحالة عجز الزوج عن الإنفاق على زوجته (الفصل 53)، في السكنى، والطعام، والكسوة، والتمريض، وكل ما يعتبر من الضروريات في العرف والعادة. وإذا كان العيب الذي بالزوج من عيوب الفرج، وبالتالي من العيوب الجنسية التي لا يرجى البرء منها، فإن القاضي يستجيب لطلب المرأة التطليق بدون تأجيل (الفصل 54). ويخول الفصل 56 الحق في طلب الطلاق للمرأة التي تلقى سوء المعاملة من زوجها ويعجز القاضي عن الإصلاح بينهما. ويخول التطليق للزوجة التي يغيب عنها زوجها مدة تزيد على سنة، [بلا عذر مقبول] (الفصل 57)، لكن هذا يبقى منصوص القانون، وأما الممارسة فهي على خلافه تماماً.²

¹ محمد عاطف، غيث: قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، 2006، ص. 123.

² سمية، جسوس: ص. 152 و 153.

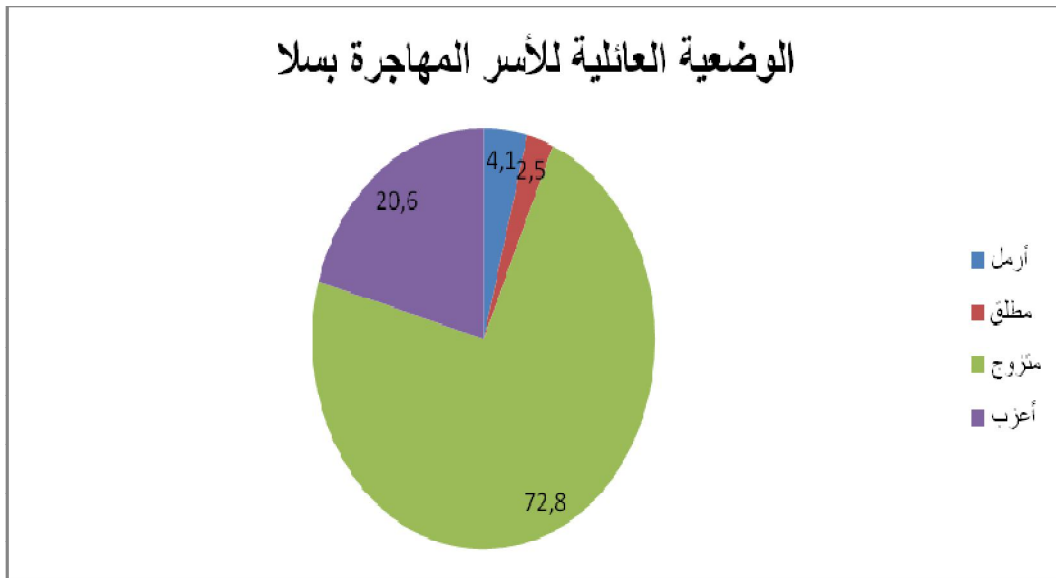
الهجرة والتحصن والتحويلات الأسرية

لقد شكل الزواج حدثاً رمزياً يحيل إلى شرف العائلة ومكانتها ووضعها الاجتماعي، والتعايش خارج هذه المؤسسة يعتبر لاغياً وممنوعاً في تصور القانون. يحضر الزواج في المجتمعات العربية كإكراه ذي طبيعة دينية "الزواج نصف الدين"، وينظر للأشخاص في حالة عزوبة كأفراد غير سويين. فالأولاد الذكور والإناث كان يتم تزويجهم في فترة مبكرة. لقد أصبح الزواج حالياً تقليداً متجذراً في الممارسات الاجتماعية، وإن وجدت في السنوات الأخيرة نسب مهمة من العازبين ليس اختياراً منهم، وإنما لصعوبة الحصول على مرافق.¹ كيف يمكن إذن تحديد الوضعية العائلية لأرباب الأسر المهاجرة؟ ما هي نسبة العازبين، والمتزوجين، والمطلقين والأرامل؟

جدول رقم (14): توزيع أرباب الأسر في وضعية الهجرة حسب الحالة العائلية (%)

المجموع	أرمل	مطلق	متزوج	أعزب(ة)	الوضعية العائلية
486	20	12	354	100	التكرار
100	4.1	2.5	72.8	20.6	النسبة المئوية

مبيان رقم (6): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب الوضعية العائلية



المصدر، البحث الميداني، صيف 2011.

¹¹ Lilia, Ben Salem. "Thérèse, Locoh: Les transformations du mariage et de la famille", in Population et Développement en Tunisie, Edition Cérés, 2001, p.143.

■ فيما يخص الحالة الاجتماعية لأرباب الأسر المهاجرة بمدينة سلا وضواحيها فقد كشفت المعطيات الرقمية أن النمط الغالب على أفراد العينة أنهم من المتزوجين، حيث بلغت نسبتهم 72.8 %، بينما فئة العازبين وصلت إلى 20.6 %، وهذا يؤكد ما قلناه حول رغبة المهاجرين في الاستقرار.

■ تهيمن الأسر التي تتكون من أشخاص متزوجين على الوضعية الاجتماعية للمهاجرين.

■ إن انخفاض نسبة المطلقين من أرباب الأسر المهاجرة 2.5 % له دلالة سوسيولوجية خاصة، تبين أن المشاكل الزوجية يتم فيها تخطي الطلاق كحل لفض النزاعات بين الأزواج، أو كما كان يتم سابقا في الأسرة الممتدة، يتدخل الآباء لفض النزاعات.

– الزواج العائلي الداخلي مع بروز أشكال جديدة من الزواج لدى المهاجرين:

حسب الأدبيات السوسيولوجية، لا يخرج الزواج عن النسق القرابي وخاصة من جهة الأب بهدف ضمان قوة القرابة واستمرارها. لقد ظل الزواج داخليا في المجتمع المغربي القروي خصوصا للحفاظ على الثروة والسلطة في إطار العائلة الممتدة، وللحفاظ أيضا على سلامة النسب. غير أن التحويلات السوسيو اقتصادية والهجرة قد غيرت من قواعد اللعبة الزوجية، وذلك بتعميق تغيراتها.

لم يعد الزواج الداخلي يجري ببساطة قصد إنقاذ الوحدة الأسرية من الخطر بقدر ما برزت عدة اختيارات تحكمها إستراتيجيات غير تلك التي كانت تتأسس على مرجعية القرابة والدم، مما أدى إلى ظهور مقاييس جديدة للاختيار. كما أن العلاقات الزوجية أصبحت تنبني على الحب والعاطفة وتجاوز العلاقات النفعية التي كانت تحكم الزواج القرابي¹.

¹ عبد الرحيم، عني. مرجع سبق ذكره، ص. 413. ومقارنة مع نتائج البحث حول الأسرة الليبية المهاجرة نجد أن: فئة المتزوجين تمثل 69.2 %، والمطلقين بنسبة 14.7 %، ثم الأرمال بنسبة 8,1 %، وأخيرا فئة العازبين تحضر بنسبة 8.0 %. هذا التقارب في نتائج البحوث، رغم اختلاف مجالات البحث الاجتماعية، تدعم فرضية هيمنة نسب الزواج كعامل أساسي في التوازن النفسي للمهاجر.

تتضمن فكرة الاختيار في الزواج بالضرورة وكما تظهر في كتابات علم الاجتماع العائلي، عامل القرب المكاني. فقد تبين من الدراسات العديدة التي أجريت في هذا المجال، أن الناس يتزوجون بمن يلتقون بهم وهؤلاء يعيشون عادة بجوارهم سواء في المسكن أو العمل، وتبين أنه للقرب المكاني أهمية وظيفية في لقاء وتعارف الشباب. ومرجع ذلك إلى أن الحق في حرية الاختيار محدود بالاعتبارات الثقافية التي تحدد الأشخاص الذين من الممكن أن يكونوا الشركاء المرغوب فيهم.¹

في إطار أبحاثها حول قبائل زمر تذكر رحمة بورقية، أن هذه القبائل تفضل الزواج الداخلي، لأنه يحميهم من أخطار تقسيم الثروة ويسمح بالحفاظ على شرف العائلة وعرضها ولا مجال للعنوسة مادام الزواج يتأسس على الرابط القرابي. إن إستراتيجية الزواج العائلي تطمح إلى تقوية الروابط القرابية الداخلية والعلاقات الجماعية.

يستعمل الزواج العائلي كإستراتيجية عرفية للمحافظة على وحدة العائلة خصوصا الزواج من بنت العم كزواج مفضل في مجتمع القبيلة، بحيث تفضل بنت العم على كل البنات، مما يثبت حرص العائلة على الاحتفاظ بممتلكاتها، ومن وراء ذلك الحفاظ على قوة العائلة الأبوية. فالزواج من بنت العم محبذ أكثر من الزواج ببنت الخال لإضعاف قوة الأميسية، كما يكون هذا الزواج صيانة لعرض العائلة والمصالح الرمزية والمادية المشتركة.²

إن الزواج من نفس العائلة كان يمثل الاتجاه السائد للزواج في مجتمع المدينة العربية. والأقارب هم الأشخاص الذين يشتركون في جد واحد سواء كان هذا الجد قريبا أو بعيدا، وتكون صلة القرابة كبيرة بين أولاد وبنات العم، وبنات الخال، وأولاد الخالة والعممة، وأولاد الأخت والأخ، أما الأقارب الذين يشتركون في جد واحد أبعد من جيلين أو ثلاثة أجيال فتكون درجة القرابة بعيدة، ويكون تأثيرها ضعيفا. لقد جرى العرف على أن الزواج من ابنة العم والأنساب، هو الزواج المفضل، حتى أن ابن العم كان يعتبر ذلك من حقوقه ويستطيع منع زواج ابنة عمه من غيره.³

¹ سناء، الخولي : الأسرة والحياة العائلية، دار النهضة العربية، بيروت، 1984، ص. 167.

² رحمة، بورقية: "الثابت والمتحول في علاقات الدولة بالقبائل في زمر"، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، 1989، ص. 334.

³ نفس المرجع، ص. 129.

نشهد حالياً منذ منتصف القرن العشرين رحلة تحول كبيرة نتيجة التصنيع والتحضر والتحديث. وقد انعكس هذا التحول على ظروف الزواج، غير أن هذا التحول لم يكن متساوياً في جميع الأقطار العربية، وذلك لاستمرار الأنماط الأساسية للروابط العشرية في تنظيم الأسرة وعلاقاتها.¹

إن إدراكنا وتوقفنا عند وسط الزوجة الذي تنتمي إليه الزوج(ة)، سيثبت أو ينفي فرضيتنا حول استمرارية الزواج داخل نفس العائلة. فهل المهاجر يختار الزوج(ة) من نفس عائلته ومحيطه الأسري والاجتماعي؟ قسمنا الإجابة إلى مجموعة من المتغيرات عدناها كالاتي:

جدول رقم: (15) توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب الوسط الذي تنتمي إليه الزوج (ة)

المجموع	بدون جواب	خارج الجهة	نفس الجهة	نفس العمالة	نفس الجماعة الحضرية	نفس الجماعة القروية	نفس الدوار	نفس العائلة	وسط الزوج(ة)
486	104	112	32	36	36	22	62	82	تكرار
100	21.4	23.0	6.6	7.4	7.4	4.5	12.8	16.9	النسبة المئوية

المصدر: البحث الميداني، صيف 2011، سلا

الملاحظ أن:

- لقد اختار نسبة 43.7% من أرباب الأسر المهاجرة زوجاتهم من نفس العائلة أو الدوار أو العمالة أو الجهة. مما يعزز القول أن القرب المكاني والمهني يتدخلان كعوامل في تغيير أنماط الزواج، الذي لم يعد ينحصر في إطار العائلة أو الانتماء القرابي والقبلي، وإنما أصبح يخضع لمتغيرات الحياة الحضرية الجديدة.
- يقلص الزواج العائلي من حدوث مشاكل الطلاق بين الزوجين لأن امتداداته تتعدى الزوجين إلى العائلة. هذه الأخيرة ترعى استمرارية العلاقة الزوجية.

¹ حلیم، بركات : سبق ذكره.

■ يتأثر الشباب المهاجر بأسلوب الحياة الحضرية، ويسمح الزواج من زوجة حضرية بتسريع اندماجهم والتصرف وفق طرق العيش الجديدة، وفي الغالب يكون هؤلاء من الشباب الذين تابعوا تعليمهم إلى مستويات عالية، فهم يفضلون الزواج بفتاة متعلمة كنوع من الارتقاء الاجتماعي.

■ السن المثالي لزواج البنت في تصور أرباب الأسر المهاجرة.

إن المجتمع القروي يتأسس على الزواج المبكر والعائلي، وهو ما يجعل هذه الأسر تفضل أن تتزوج الفتاة في سن صغيرة حتى تتمكن من إنجاب الأبناء وتربيتهم. غير أننا لمسنا تحولا طفيفا بحيث فرضت متابعة التعليم على الفتاة والأسر نفسها تأخير سن الزواج، والوعي بضرورة اختيار الفتاة لشريك حياتها.

يبدأ سن الزواج بعد سن النضج البيولوجي بكثير أو قليل تبعا لظروف الشخص المقبل على الزواج، وسن الزواج المسموح به في مدونة الأسرة الجديدة هو سن 18 سنة للأنثى والذكر على السواء.

إن طول مدة التعليم والرغبة في الحصول على عمل يناسب القدرات الثقافية والعلمية المحصل عليها، يفرض تأجيل الزواج إلى حين تحقق هذه الرغبات التي تعتبر ضرورية، وأصبح الفتى والفتاة المتعلمين لا يفكران في أي رباط عاطفي إلا بعد تحقيق أهدافهما الشخصية. هذه العوامل، ساهمت في تأخر سن الزواج لدى الجنسين، غير أن هذا لا يعني تعميم الظاهرة على كل الشباب المتمدرس، لأن الفئات المدروسة تتشبه بقوة بضرورة تزويج الإناث في سن مبكرة.

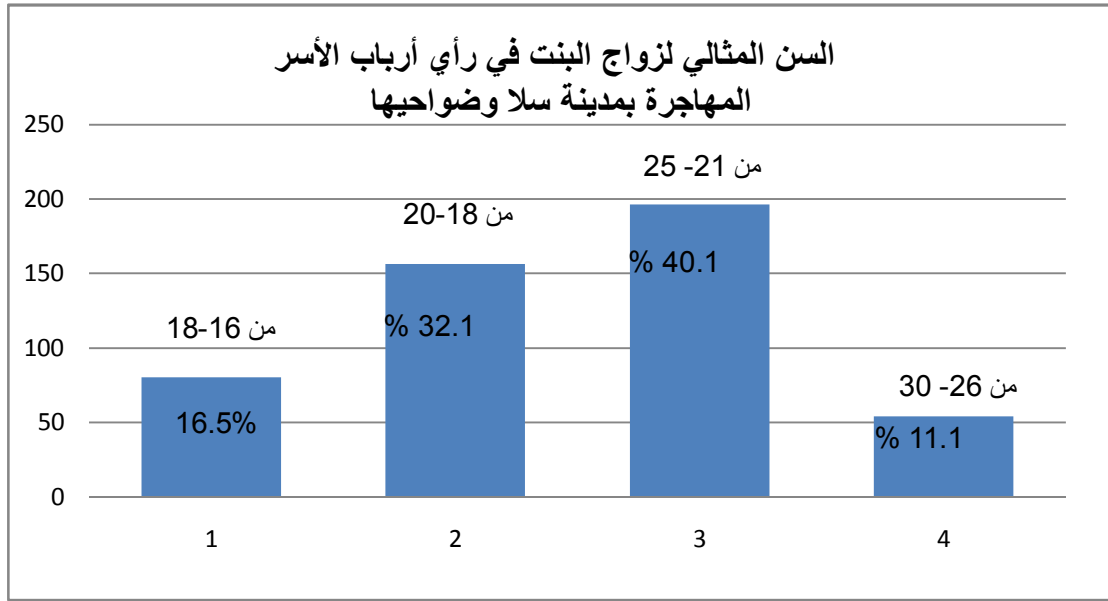
ورغبة منا في التأكد من الفرضية التي نقول باستمرارها الزواج المبكر للفتاة في أوساط المهاجرين بمدينة سلا وضواحيها، طرحنا السؤال على أرباب الأسر المهاجرة: ما هو السن الذي تراه مناسبا لزواج إبنتك؟ وقسمنا اختيارات السن إلى:

الهجرة والتحضر والتحويلات الأسرية

جدول رقم(16): توزيع أرباب الأسر في وضعية الهجرة حسب تصورهم للسن المثالي لزواج البنات:

السن	18-16	20-18	25-21	30-26	المجموع
التكرار	80	156	196	54	486
%	16,5	32,1	40,3	11,1	100,0

مبيان رقم (7): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب تصورهم للسن المثالي لزواج البنات.



المصدر: البحث الميداني، صيف 2011، سلا

نستنتج أن:

_ نسبة 48.6% من الأسر في وضعية الهجرة، تفضل زواج البنات في سن لا يتجاوز الفترة العمرية الممتدة ما بين 16-20. فالزواج المبكر خاصة من الخصائص المميزة للمجتمع القروي، حيث أظهر البحث الذي قام به الأساتذة، المختار الهراس، وإدريس بنسعيد حول السلوك الإنجابي بالمغرب،¹ ارتفاع الخصوبة في الأوساط القروية، لارتباطها بالزواج المبكر خصوصا في صفوف الإناث، والتي تتعدى هذا السن ينظر إليها على أنها عانس.

¹ المختار، الهراس. إدريس بنسعيد: الثقافة والخصوبة، دراسة حول السلوك الإنجابي بالمغرب، دار الطليعة، بيروت، 1996.

الوضعية السكنية للأسر في وضعية الهجرة بمدينة سلا.

يعد السكن من أهم العناصر المرئية التي يمكن من خلالها قياس درجة التحول سواء من حيث الشكل أو الموقع، أو من حيث المواد المستعملة في البناء. لقد أصبح المجال السكني تعبيراً عن الوضعية الاجتماعية والاقتصادية للأسرة، حيث تتحكم عوامل في تشكل السكن. فانخراط المرأة في مجالات العمل خارج الأسرة ساهم في التغيير الجذري للسكن، باعتبارها المسؤولة عن ترتيب فضائه الخاص والاهتمام بالشكل الهندسي والديكور والتجهيزات المنزلية.¹

إن السكن هو إسقاط العلاقات الاجتماعية فوق المجال،² وهو منتج تلك العلاقات وهو الوجه المادي لها. فالإنسان لما قرر أن يتدخل في تواصل مع المجال كذلك ببنائه "لمسكن" أي أن يجزئ المجال لاتخاذ حيز سماه السكن. فهو هنا يعبر عن تحول في علاقته مع الآخرين، لذلك كانت الخيمة نوعاً من السكن يعبر عن علاقات اجتماعية معينة. فالسكن في الجوار هو مجال مفتوح رغم وجود الأبواب، إلا أنها تظل مفتوحة على الخارج وهو ما يعني نوع من الانفتاح يجعل المجال الداخلي الذي يحتضن العائلة في استمرارية وتواصل مع المجال الخارجي "الدوار" وتصل قمة الفردانية في السكن الحضري على طريقة العمارة مما يدل على تطور العلاقات الاجتماعية نحو الفردانية.

لذلك نعتبر بأن التحول في طبيعة السكن هو مؤشر على التحويلات التي تلحق العلاقات الاجتماعية. يفصل السكن في الحواضر بين المجال الداخلي كمجال للنساء والمجال الخارجي كمجال للرجال، لأن نشاط المرأة يتم داخل البيت، بينما نشاط المرأة القروية يتم خارج البيت.³

كانت مشكلة السكن ولا تزال تقف على رأس المشاكل التي يعاني منها المغرب، حيث تتداخل مع مشكلة تزايد السكان والهجرة القروية والبطالة، وتحتل المركز الثاني من المشاكل الداخلية للبلاد، وتؤثر على العديد من نواحي الحياة حيث تمتد آثارها لتساهم في خلق مشاكل موازية أخرى اقتصادية واجتماعية وسياسية.

¹ عبد الرحيم، عني: مرجع سبق ذكره، ص. 379.

² رحمة، بورقية: مرجع سبق ذكره، ص. 334.

³ نفس المرجع، ص. 334 و336.

لهذا فمشكل السكن أصبح يحظى في السنوات الأخيرة، بأهمية قصوى من لدن الرأي العام بما في ذلك منظمات المجتمع المدني والهيئات الحزبية والسياسية، وذلك من أجل ضمان النمو المنسق والهادف إلى مستقبل سكني أفضل، وما المشاريع التنموية السكنية التي تكاثفت في السنوات العشر الأخيرة إلا دليل على أهمية ووضع السكن.

لقد أولى المغرب اهتماما كبيرا للسكن من خلال برامج القضاء على السكن غير اللائق بكل أشكاله وتداعياته، بالتشجيع على اقتناء سكن يتناسب والوضعية الاقتصادية لكل الفئات. ومادامت الفئات التي نحن بصدد دراستها تستقر في أحياء هامشية أو دور الصفيح، غير ملائمة فإن ذلك سيساعد على تطوير هذه الأشكال السكنية داخل المجال الحضري فيؤثر على الطابع المجالي للمدينة.¹

- يشكل الكراء الوضعية السكنية الأكثر انتشارا بين المهاجرين²:

إن عدم امتلاك المهاجر لمنزل خاص يطرح صعوبة مزدوجة:

* تتمثل الصعوبة الأولى، في ارتفاع أئمة الكراء ورفض المالك القيام بإصلاحات بالمنازل التي تسكنها الأسر المهاجرة.

* والصعوبة الثانية، تتمثل في ظروف السكن غير الملائمة، حيث الرطوبة والبناء بمواد تقليدية كالخشب والطوب، وضيق المساحة، وضعف التهوية، وتكدس مجموعة من الأسر في منزل واحد، مما يحول المجال الداخلي إلى معاناة أكثر مما هو مجال الحميمة. (خاصة المنازل التي توجد بالمدينة القديمة حسب ملاحظتنا للمجال الداخلي لبعض الأسر). وللتحقق من الفرضية القائلة بأن أرباب الأسر المهاجرة يفضلون ملكية السكن على وضعية سكنية أخرى كالرهن والكراء وغيرها، تساءلنا: هل تمتلك سكنا خاصا؟ وما هي وضعيتك السكنية الحالية؟

¹ البوطاهري: مرجع سابق، ص. 120.

² في دراسته للوضعية العقارية لبني عمير الشرقيين، يستنتج عني أن نسبة الأسر التي تمتلك السكن، تشكل أكبر نسبة 87.05%، تليها الأسر التي تسكن سكن وظيفي، وأخيرا الأسر في وضعية الإيجار بنسبة 6.18%. واعتبر الحالتين الأخيرتين مؤشر عن تحول اجتماعي بالمنطقة المدروسة.

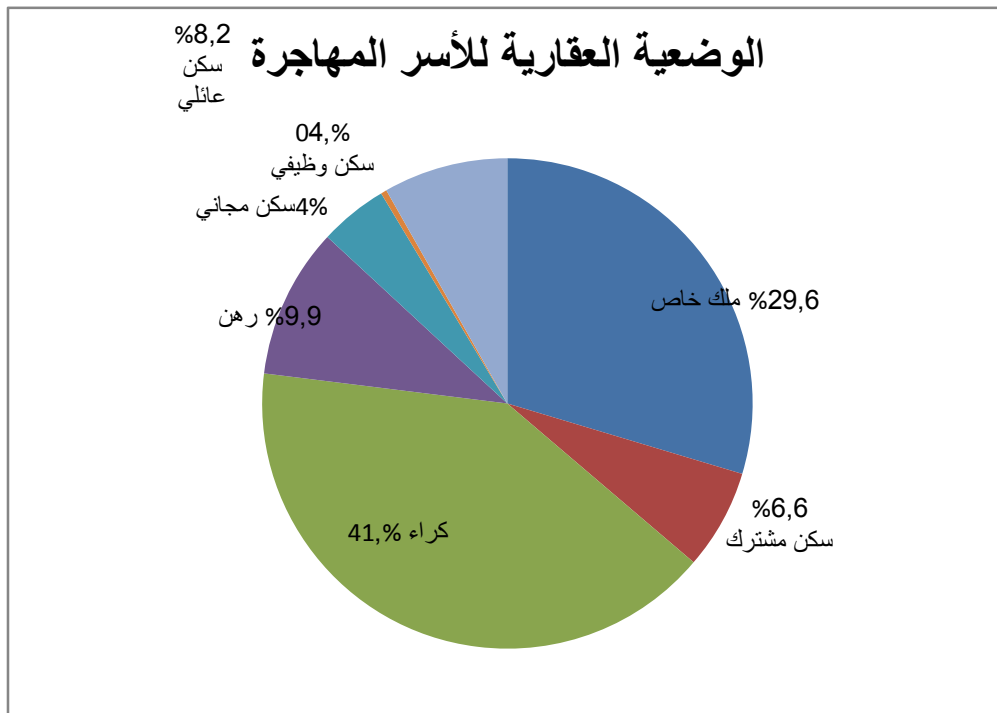
الهجرة والتحضر والتحويلات الأسرية

جدول رقم (17): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب الوضعية السكنية

وضعية السكن	ملك خاص	مشارك	كراء	رهن	مجاني	سكن وظيفي	سكن عائلي
التكرار	144	32	198	48	22	2	40
%	29,6	6,6	40,7	9,9	4,5	0,4	8,2

مبيان رقم (8): توزيع أرباب الأسر في وضعية الهجرة حسب الوضعية السكنية بمدينة سلا

و ضواحيها.



المصدر: البحث الميداني، 2011، سلا.¹

¹ Haut commissariat du plan, 2004.

ومقارنة مع ما توصلت إليه المنذوبية السامية للتخطيط، لسنة 2014، حول الوضعية السكنية بمدينة سلا. نجد النتائج التالية:

ملك خاص	كراء	سكن وظيفي	سكن مجاني	متوسط حجم الأسرة المالكة	متوسط حجم الأسرة المكترية
47.6	31.3	1.8	7.6	5.5	4.1

■ يهيمن الكراء على الوضعية السكنية لأرباب الأسر المهاجرة بنسبة (40.7%) من مجموع الأسر المبحوثة. في هذا السياق، نجد الدراسة التي قام بها مجموعة من الباحثين الاجتماعيين، بإشراف المعهد الوطني للإحصاء حول الإيجار بالوسط الحضري. أن 46 بالمائة من الأسر الحضرية تستأجر منازلها في المدن الانتقالية (سطات، الجديدة، بني ملال، خريبكة) و44 بالمائة في المدن الحديثة (الرباط وسلا) و56 بالمائة بالمدن التقليدية (فاس وتطوان).¹

■ تملك نسبة (29.6%) منزلا خاصا، في الوقت الذي نجد فيه أن ملكية السكن لدى الأسر الحضرية، تشكل إحدى القيم الاجتماعية لأنها ترمز إلى الهوية الشخصية والأسرية. وامتلاك السكن هو فوق كل ذلك دليل انتماء وكرامة وثروة، كانت الأسر تمارس نظام السكن الأبوي، أي السكن في بيت الزوج الأصيل، ولكن نظام التصنيع والتحضر قد حول نظام السكن الأبوي إلى نظام السكن في بيت مستقل.

■ يمثل المهاجرون في وضعية الرهن نسبة (9.9%). فالفئات التي لا تستطيع تحمل ثقل مصاريف الكراء شهريا والالتزام بها، تلتجئ إلى الرهن لضمان عدم ضياع ما تم ادخاره من أموال.

■ تشير نسبة (8.2%) إلى أرباب الأسر المهاجرة الذين اختاروا السكن مع العائلة المستقرة بالمدينة، إما لمحدودية دخلهم أو لأنهم حديثي العهد بالهجرة. وتتقاسم نسبة (6.6%) نفس السكن (حالات التساكن). هذا الاختيار يجعل المهاجرين القرويين يتقاسمون المصاريف اليومية للتخفيف من أعبائها. وقد أشارت إلى ذلك الباحثة نافيز بوشانين بالمائدة الواحدة.²

¹ Ben Messaoud: « Le Loyer urbain, 20% des dépenses », *Revue L'Amalif*, n° 67, décembre 1974, Casablanca, P. 23 et 24.

² Françoise Navez, Bouchanine: *Habiter la ville Marocaine*, L'Harmattan, Editeur Maghreb, chapitre 2, P. 5 à 49.

ومقارنة مع نتائج الدراسة الميدانية التي أجراها الباحث عبد القادر القصير في أحياء الصفيح بمدينة القنيطرة المغربية، فإن الاشتراك في السكن ظاهرة شائعة بين سكان أحياء الصفيح، وبخاصة إذا كان أهلهم لا يقيمون في المدينة نفسها. فقد اتضح أنه بالإضافة إلى أن الأسرة تأوي أسر العينة (248) فردا من أهل وأقارب الزوج والزوجة: أم، وأب، وأخ، وأخت، وابن متزوج مع زوجته وأولاده، وابنة متزوجة مع زوجها وأولادها، وهذا ما يرفع عدد أفراد أسر العينة من (2827) إلى (3075) فردا، ويعطي (6.28) أفراد متوسط عدد الأفراد المقيمين في المسكن الواحد.



صورة (1): لأحد الأحياء الهامشية بمدينة سلا (حي الانبعاث). يتميز الحي بكثافة سكانية، يشكل فيها المهاجرون نسبة مهمة. عدسة الباحثة بتاريخ 14 ماي 2014.



صورة (2): أحد أحياء مدينة سلا الجديدة، نوع " فيلا"، تستقر بها ساكنة مهمة من المهاجرين.

– المجال كفضاء للتدبير والاستقرار:

1- أنواع السكن بمدينة سلا وضواحيها

تتجلى أبرز أوجه الأزمة بالمغرب في ميدان السكن، وأزمة السكن بالمناطق أو المدن الحضرية الكبرى تتشابه إلى حد كبير من حيث الخصائص، إذ يلاحظ أن المساحة المخصصة للسكن تقلصت بشكل كبير مع ما يعرف بالسكن الاقتصادي وفي الأوساط شبه الحضرية.¹

إن التطور السريع الذي عرفته مدينة سلا من الناحية العمرانية والسكنية والاقتصادية، والذي ساهمت فيه عدة عوامل من بينها، الهجرة القروية والتزايد الطبيعي لسكانها، وارتفاع ثمن الأرض. كان من نتيجة هذا أن نمت داخل المدينة وخارجها وفي ضواحيها، أحياء سكنية تعرف كثافة سكانية قوية تضم الفقراء ومحدودي الدخل والأسر في وضعية الهجرة. فمدينة سلا كغيرها من المدن المغربية الساحلية الكبرى، تعرف تدفقا هجراتيا مكثفا من القرى والحوضر المغربية الصغرى، التي لم تكن مهياًة قبلا لهذا التطور الذي تشهده اليوم.

يصل متوسط كثافة السكان بمدينة سلا إلى 6907 نسمة في كلم مربع في المناطق الحضرية. هذه الكثافة العالية ناجمة أساسا عن الهجرة من القرية في السنوات السبعينات، مما زاد من الأحياء الفقيرة وغير القانونية التي تضم السكان ذوي الدخل المنخفض الذين لا يستطيعون التعامل مع المطالب والتكاليف الفعلية للتحضر المخطط له.

• السكن التقليدي:

تتميز بنية السكن التقليدي بمدينة سلا² بكون كل عنصر في المنزل السلاوي التقليدي يحمل دلالة ووظيفة خاصة، حسب الدور الذي وكل إليه في الحياة، للتعبير عن كل لحظة في اليوم والتجمع اليومي للأسرة. كان المنزل يبنني على ثلاث مكونات أساسية:

¹ حمداوي، مرجع سبق ذكره، ص. 223.

²Joudia, Hassar, Benslimane: Salé, Etude Architecturale de trois maisons traditionnelles, vol VII, Musée des Antiquités, Rabat, 1979.

- **الدار**، التي تعتبر المقر الرئيسي لرئيس الأسرة، والذي يستقبل فيه ضيوفه، إنه المكان الأكثر أهمية لمساحته وأبعاده الجمالية والهندسية.
- **الدويرة**، تتجمع في الدويرة الكل المشترك، المطبخ، الحمام، الخزين، إنه المكان الخاص بالنساء والأطفال، هنا تمر حياتهم اليومية الداخلية. للدويرة وظيفة سكنية مهمة وهي حماية حميمية النساء، الأقارب والخالات، بنات الخالات، أو الأعضاء الآخرين من الأسرة.
- **المدواز**، أو الممرات التي تضمن الحميمية الأسرية وتصل بين مكونات المنزل بعضها ببعض.
- **وسط الدار**، المنزل يحاط بوسط الدار كما يحاط المجتمع بالخلايا الأسرية، إن الهندسة الحضرية تعيد إنتاج هذه الحياة الاجتماعية، التي تحافظ على قدسية الحياة الجماعية والممتدة. نجد في وسط الدار ساحة رئيسية واسعة "لاكور" وساحات ثانوية في (الدويرة)، يتميز وسط الدار بأنه مفتوح على السماء وهي خاصية المنازل المغربية العتيقة كفاس ومراكش والشاون ومكناس والرباط وكل المنازل الغربية المتوسطة، كما نجد تأثير المعمار الأندلسي والإسلامي.
- يمثل وسط الدار مركز الدار ويأخذ الشكل الجيوميتري للحلقة التي تتخذ شكل مربع، وهذا يوضح التأثير الكبير بالهندسة المعمارية الإسلامية، خصوصا، الشكل المربع الذي يقدم جمالية أكبر وأرحب للمكان، لكنه يصبح أكثر ضيقا نحو الخارج "السطوان".
- **السطوان**، يكون السطوان باب له طابع تقليدي ودوره هو الربط مع الخارج ويعبر عن المستوى الاجتماعي للأسرة، ويمثل حاجزا لاختراق الداخل عندما يفتح الباب.
- **الطابق العلوي** الذي يأخذ إضاءته ونسبته من التهوية من النوافذ المفتوحة على وسط الدار، وتفتح الدويرات من خلال باب يقدم ممر سري لا يعرفه سوى ساكنة الدار والجيران القريبين، له وظيفة مزدوجة: هي حماية الحياة الحميمية للأسرة، وممر يقطعه ساكنة الدويرة والجيران القريبين للدخول إلى منزل آخر.

لتوحيد هذين العنصرين يتم بناء ممرات طويلة ومظلمة لا تتوفر في غالب الأحيان على الإضاءة. هذه الطريقة لا تمكن أي أجنبي عن الدار بخرق الحياة الحميمة للأسرة وثوابتها، والمرور عبرها لا يسمح به إلا لأعضاء الأسرة.

- **السطح**، يلعب دوراً في حياة النساء من خلاله ترتبط المنازل، ويشكل مكان للقاء بين النساء والجيران. في هذا المستوى نجد قطعة مع الطابق السفلي والعلوي التي تعتبر أماكن مغلقة، بينما السطح هو المكان الذي يسمح بالانفتاح على المجتمع الذي ننتمي إليه. أحيانا كثيرة، يضاف إلى هذه المرافق الحمام والرياض حيث تجد النساء فضاءاً أرحب لقضاء وقتها الخاص.

في كل هذه الهندسة يحمي السلوي ويضمن حياة أسرية هادئة وحميمة في حركات مقننة ومتكررة، التكرار اللامتناهي للأفعال اليومية، لكل القواعد التي تخضع لها.



صورة رقم (3): أحد أبواب المنازل العتيقة بالمدينة القديمة لسلا، والتي تتميز بزخرفتها وشكلها المعماري، كما تظهر الصورة الزليج والألوان. (عدسة الباحثة).

• السكن الهامشي.

يأتي المهاجر الريفي إلى المراكز الحضرية بحثاً عن العمل لتحسين ظروف عيشه، أو للدراسة، أو بهدف الاستفادة من خدمات المدينة المتعددة (الصحة، التعليم، الترفيه...). ولتحقيق هذه الأهداف يصبح السكن من الأولويات التي تساعد على الاستقرار، ونظراً لارتفاع أثمان العقار بالمجال الحضري لا يستطيع المهاجر الباحث عن القوت اليومي أن يمتلك منزلاً خاصاً، لهذا يلجأ إلى الاستقرار بالضواحي أو الأحياء الهامشية. إن اختيار المهاجرين القرويين لأنواع معينة من السكن يفسر بوجود عائلات وأقارب أو أصدقاء مستقرين بهذه الأحياء، مما يسهل عملية اندماجهم في الوسط الحضري.

يعتبر نوع السكن الهامشي من بين أصناف السكن التي يفضلها أرباب الأسر في وضعية الهجرة، وتتواجد بمركز المدينة القديمة والضواحي، وتوفر للمهاجر إمكانيات متعددة للاستقرار والسكن والاندماج، وتتجمع داخل هذه الأحياء مجموعات من أصل واحد. وللتحقق من صحة هذا الافتراض، طرحنا السؤال حول: ما هو نوع السكن الذي تستقر به حالياً؟

جدول رقم (18): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب نوع السكن

نوع المسكن	التكرار	النسبة المئوية %	إحصاء (2004) ¹
شقة	6	1.2	16.6
سكن هامشي	360	74.1	3.6
فيلا	6	1.2	1.6
دور الصفيح	6	1.2	6.9
سكن اقتصادي	48	9.9	—
سكن تقليدي	8	1.6	4.8
دار مغربية عصرية	52	10.7	63.9
المجموع	486	100.0	100

¹ CERED. 2004.

المصدر: البحث الميداني، صيف 2011، سلا.

- يهيمن السكن الهامشي على اختيارات الأسر في وضعية الهجرة، حيث يمثل 74.1%، عكس ما عبر عنه إحصاء 1994¹، حيث مثلت نوع الدار المغربية 72% بالنسبة للمهاجرين الذين يستقرون بالمراكز الحضرية (الخميسات، وعين عودة، وسلا، والصخيرات...).

- إن السكن الهامشي هو الأكثر استجابة لحاجيات الفئات المهاجرة لأنه يناسب قدراتهم الاقتصادية والاجتماعية، وإن كانت هذه الأنواع السكنية في معظمها لا تتوفر على التجهيزات الأساسية وجودة السكن. تأتي في المرتبة الثانية الدار المغربية العصرية بنسبة 10.7 % وهي نسبة ضعيفة، مقارنة مع السكن الشعبي وساكنوها من قدماء المهاجرين بمدينة سلا. ونجد هذا النوع من السكن بالمدينة العتيقة والأحياء الشعبية حيث ينتشر نوع الدار المغربية وتكثر ظاهرة التساكن بين الأسر، ثم السكن الاقتصادي بنسبة 9.9%، ونسبة 1.6% تمثل السكن التقليدي، فيما مثلت نسبة 1.2 % الأنواع السكنية التالية (فيلا، وشقة، ودور الصفيح).

¹ CERED. 1991.



صورة (4): التقطت هذه الصورة من داخل أحد البيوت التي تنتمي إلى نوع السكن الاقتصادي بمدينة سلا وضواحيها. عدسة الباحثة.

• السكن الصفيحي:

فيما يتعلق بالبرامج الجارية، هناك (7000 وحدة)، بما في ذلك (4500) وحدة محفظة لإعادة توطين ساكنة الأحياء الفقيرة ومدن الصفيح. من العمليات المقررة هناك (2400 وحدة) للتحقق على المدى القصير والتي تدخل في نطاق البرنامج الوطني لمحاربة السكن غير اللائق.¹

جدول رقم (19): السكن غير القانوني بمدينة سلا وضواحيها

ملاحظات	الدائرة	عدد المساكن	السكن غير القانوني
في طور الانجاز	حصين	310	عناق الجمل
في طور الانجاز	لعيادة	780	ميكة
في طور الانجاز	لعيادة	1.000	مازة
في طور الانجاز	لعيادة	988	كزارة
في طور الانجاز	باب لمريسة	400	سيدي موسى (دويبي، الصياد، حمدوسج وقصبة)
		3.478	المجموع

• السكن المهجور: الخربات

انطلقت دراسة مشكلة المباني المهجورة في المدينة القديمة بسلا من طرف مندوبية الإسكان والتنمية الحضرية، تغطي مساحة قدرها (88 هكتار).

¹ عمالة مدينة سلا، 2014.



صورة رقم(5): توضح عينة من المنازل التي تمثل السكن المهجور بمدينة سلا العتيقة. (لم يسمح لنا بتصويرها من الداخل). عدسة الباحث.

• الضواحي:

إن التوسع الحضري الذي شهده المغرب في العقود الأخيرة قد أفرز ظاهرة المجالات الضاحوية. ويظهر استحالة دراسة هذه المجالات بشكل مستقل لأن رصد الآليات التي تتحكم فيها والمؤثرات التي تتفاعل داخلها يتطلب الأخذ في الحسبان المدينة القريبة منها لكونها تمثل مع المجالات الحضرية نظاما اجتماعيا ومجالا معقدا.¹

- مفهوم الضاحية:

هناك تعاريف كثيرة تتناول مفهوم الضاحية، فمنها من استمدت تمييزا للمدينة وظهورها وارتباطها بالكيان الحضري، ومنها من أرست المفهوم على أساس وظيفي اكتسى أهمية بأوروبا الغربية بعد قيام الثورة الصناعية، ومنها أيضا من ضمنت المفهوم حديثا مدلولاً اجتماعياً، إثر تفاقم المشاكل الاقتصادية والاجتماعية التي عانت منها هوامش المدن الكبرى الفرنسية في أواخر القرن العشرين.²

هي موقع حضري على مسافة محدودة من مركز المدينة الأم، تعرف بمنطقة الانتقال اليومي للعمل من وإلى المدينة المركز، نظرا لارتباطها بها حيث يقيم فيها سكان مرتبطين بالمركز من الناحية المهنية ومن أجل الحصول على بعض الخدمات، كما يعمل بها سكان يقيمون في مركز المدينة. ومن الناحية الاجتماعية تتكون عادة من سكان خارجين من المركز وآخرين قادمين من الريف، فهي ملتقى سكان ريفي-حضري.

لقد جلبت الضاحية كمفهوم اهتمام كثير من الباحثين المشتغلين بعلم الاجتماع الحضري، نظرا للتغيرات الإيكولوجية التي عرفتها المدينة الحديثة، وظهور ما يعرف بالإقليم الحضري، وذلك باعتبارها تتميز بخصائص خاصة اجتماعيا واقتصاديا وسكانيا،

¹ محمد، أزهار وآخرون: "الضاحية بين هاجس التعمير والإقصاء واستراتيجيات التنمية المحلية والجهوية، حالة ضاحية الدار البيضاء". المحمدية، نحو إستراتيجية لتخطيط التنمية المجالية في العالم العربي بأبعادها المحلية والقومية والعالمية، منشورات الجمعية الوطنية للجغرافيين المغاربة، الرباط، 2008، ص. 387_388.

² نفس المرجع، ص. 388.

وبصفتها وحدة إيكولوجية من وحدات المجتمع المحلي. وهكذا نلاحظ أن الضاحية أصبحت متعددة الوظائف المرتبطة بالمركز الحضري، فهي تؤدي وظيفة سكنية لبعض الفئات الاجتماعية، كما تؤدي وظيفة اقتصادية باستقبالها لبعض الأنشطة الاقتصادية وبالخصوص الصناعية منها، وحتى بعض الأنشطة الإدارية مثل المكاتب خاصة مع الثورة التكنولوجية التي جعلت ذلك ممكناً، كما تؤدي وظيفة ترفيهية باستقبالها لمطاعم وفنادق ضخمة وذلك بسبب سهولة المواصلات وتفضيل بعض الفئات الخروج من ضواحي المركز الحضري.

الضاحية هي المنطقة المحيطة بالمدن، وتنشأ عادة إما نتيجة لضغط سكاني على المدينة وخاصة على خدماتها ومرافقها أو نتيجة لقيام نشاط وبخاصة صناعي يسد النقص في الأنشطة المميزة للمدينة، من ناحية، ويبتعد عن مناطق السكن، من ناحية أخرى. وهناك شروط عديدة تشكل المنطقة الضاحية يرتبط بعضها بالمسافة بينها وبين مركز المدينة، ويتصل البعض الآخر بنوعية أنشطتها.

ويمكن توضيح ستة نماذج أساسية لمجتمع الضاحية وهي:

- الضاحية التقليدية للطبقة العليا وتتميز بسيطرة الأسر العريقة.
 - الضاحية المنعزلة أو المستقلة، ويستأثر بها أصحاب المهن الفنية والإدارية العليا.
 - الضاحية السكنية ذات المساكن الجيدة والمريحة.
 - الضاحية المتخلفة والتي يقيم فيها أفراد وجماعات من ذوي المكانة الدنيا من الفقراء والمهاجرين الجدد إلى المدينة.
 - الضاحية المتنوعة والتي تجمع بين النموذج الثاني والثالث.
 - الضاحية الصناعية وتجمع بين الصناعة والسكن.
- ومن خلال ما سبق، يمكن تحديد الخصائص الاجتماعية والوظيفية للضاحية:**
- تشكل المجال الذي يستوعب الامتدادات العمرانية للمدينة، وتتميز بأنها منطقة تحول وتغير مستمر.

- تشكل ملتقى سكان المركز الحضري والمهاجرين الريفيين، وتتميز ببناء اجتماعي يجمع بين الخصائص الحضرية والقروية.
- تتمتع بفاصل فيزيقي عن المدينة المركزية، وتشكل المكان الذي يستقطب النشاطات الصناعية التي تستفيد من تسهيل المدينة المركزية.
- يختلط فيها العمران المخطط بالعمران غير المخطط، كما تشكل المكان الذي يستقطب الأنشطة الترفيهية لسكان المدينة.¹
- الضاحية والنمو الحضري للمدينة:

إن الضاحية باعتبارها أحد أشكال النمو الحضري تجد صعوبة في الإحاطة بالمعاني التي يتضمنها مصطلح "الضاحية"، لارتباطه الوثيق بسياق التمدين الذي يختلف باختلاف الدول والحضارات والثقافات حيث ارتبطت الظاهرة "الضواحي" بالمدن الكبيرة وبمرحلة معينة من مراحل توسعها، بشكل تصبح معه هذه المدن قادرة على التأثير في تطور ونمو وتوجيه المجالات المحيطة بها وتحضرها. وعليه فإن المدن الكبيرة قد لا تستجيب جميعها لمثل هذه الخصائص.

تحضر الضاحية في المعاجم العربية كالتالي: جاء في معجم لسان العرب " ضاحية كل بلد: ناحيتها البارزة، ويقال هؤلاء ينزلون الباطنة وهؤلاء ينزلون الضواحي". وفي المنجد في اللغة والأعلام " الضاحية: ج. ضواح، الناحية البارزة من كل شيء وضواحي البلدة، نواحيها والحوض جوانبه"، أما المعجم العربي الأساسي: " الضاحية هي الناحية الظاهرة خارج البلد.

ما يمكن ملاحظته وتدوينه من هذه الدلالات المعجمية هو كونها تحافظ على نفس المعنى بالنسبة لكلمة "ضاحية". لكن يبقى التعريف الأخير أكثر دقة وإضافة نظرا لكونه يشير إلى أن الضاحية هي ناتجة عن الحركة السكانية في المجال، إما بسبب الكثافة داخل المدينة، أو البحث عن أفق للتمييز الاجتماعي، أو كنتيجة لفشل الاندماج لدى المهاجرين،

¹ محمد، بومخلوف: مرجع سبق ذكره، ص. 216_39.

ومن هنا اختيار الضواحي كـ مجال أرحب لإعادة إنتاج أسلوب الحياة الخاص والمفضل. كما يربط التعريف بين الضاحية والمدن الكبرى كإشارة أن الضاحية هي ظاهرة مرتبطة بالتمدن، وقدرة المدن الكبرى على استقطاب مجموعات من المهاجرين أو السكان الأصليين، ونظرا لما تعرفه المدن الكبرى من انتقال للسكان بين أحيائها الداخلية وضواحيها، يركز التعريف على أن الضاحية تكون بعيدة في المسافة الجغرافية عن مركز المدينة وبالتالي يظهر خارج البلد.

ورد في معجم المصطلحات الجغرافية أن الضاحية: "منطقة يعيش فيها السكان حياة المدن تماما ولكنها ليست جزءا من المدينة بالمعنى الصحيح، إذ قد تفصل عنها بمناطق خالية أو حقول، أو تبعد قليلا عن مركز المدينة. ومن الناحية الديمغرافية تتبع الضاحية القريبة حركة سكان المدينة فتتزايد بالهجرة وقد تكون امتداد لعمران المدينة.

ويميز بعض الجغرافيين بين ثلاثة أنواع من الضواحي: القريبة والوسطى والبعيدة، أما الوسطى فتبدأ بعد الضاحية القريبة مباشرة ولا تعد جزءا من المدينة، ولكنها تعتمد عليها اعتماد مباشر، أما البعيدة فهي منطقة النفوذ لحركة أو تجارة المدينة وفيها تضعف العلاقة بالمدينة أو تبعد نوعا ما وقلما يصبح الاتصال يوميا ومباشرا.

في نفس السياق، يشير المكي بنطاهر¹ أن الضاحية المغربية تنتشر على طول الوجود الحضري، وتتركب من ثلاثة أشكال للسكن.

- يتحدد الشكل الأول: كأهم تجمع من حيث الكثافة السكانية ويتكون من البراكات التي نسميها "مدن الصفيح".

- والضاحية الثانية: تكون مبنية بالأجور والإسمنت ولكنها أكثر شعبية وتضم منطقة "الأراضي البيضاء".

والضاحية الثالثة: تتكون من الفيلات التي تقطنها الأطر العليا للدولة وتمثل سلطة مركزية .

¹Mekki, Bentaher : Vie quotidienne en banlieue Marocaine, Publication de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines_ Rabat, n° 10, 1988.

تجمع أهم المعاجم اللغوية الفرنسية على أن كلمة "banlieue" مركبة من "ban" وتعني "وجه أو تحكم"، ومفهوم "lieue" فيودالي، يعني أمر بالمنع أو قضاء يصدره حاكم المدينة أو الإقطاعي. وهناك من يرى فيه معنى الرقابة والإقصاء، أما كلمة "lieue" تعني وحدة قياس المسافة تقابلها في اللغة العربية "فرسخ" وتحسب المسافة من مركز المدينة، ومن ثمة يصبح معنى الضاحية هو: النطاق المحيط بالمدينة على امتداد فرسخ وهو نطاق واقع تحت سلطة المدينة ونفوذها. ويعرف معجم الحضريّة والتهيئة، الضاحية بأنها: " مجال يحيط بالمدينة ويتكون من مجموعة من الجماعات المستقلة إدارياً، لكنها تحضرت بفعل تأثير مدينة مركزية".

يرتكز هذا التعريف بشكل خاص على الجانب الإداري، ويقدم الضاحية كمجال- مستقل- تتقاسمه مجموعة من الجماعات بالرغم من أن الحدود الإدارية للضاحية قد لا تتطابق مع الحدود الحقيقية- الجغرافية في كثير من الأحيان، لأن نفوذ المدينة ومظاهر التحول والارتباط بالمدينة لا تخضع للتقسيم الإداري.

أما معجم "les mots de la géographie" فيعرف الضاحية على أنها "النطاق المحيط بالمدينة، لكنه ليس بمدينة وإنما تمارس عليه المدينة نفوذها وهيمنتها، وتشكل المدينة والضاحية معا ما يسمى بـ"المجموعة الحضريّة". وتتميز بوجود هجرة يومية في اتجاه المدينة، كما تعتبر مجالا لقضاء العطل الأسبوعية والترفيه، لكن الضواحي لا تبقى دائما ضواحي وإنما قد تندمج مع المدينة فتصبح من صميمها، كما أن مصطلح الضاحية هو في طريق التراجع لصالح مصطلح "Périurbain" شبه- حضريّة حيث تتداخل الحياة الريفية والحياة الحضريّة مشكلة ما يسمى بالضاحية الجديدة.

تشير الضاحية عادة إلى المجال الحضري للمدينة والذي يقع في استمرارية الإطار الحضري للمدينة- المركز والتي تعتبر مستقلة إدارياً. اليوم، في بعض البلدان كفرنسا وبلدان أخرى يشير مفهوم الضاحية عادة في وسائل الإعلام إلى الأحياء الفقيرة والصعبة، كما تشير الضواحي إلى التجمعات السكنية الخاصة بالسكان المحظوظة والتي تعيش بالضواحي بعيدا عن الطبقات المهمشة.

إن عدم تطابق معنى "الضاحية" وتباين دلالاتها يرجع بالأساس لارتباطها العضوي بظاهرة التحضر التي تختلف بدورها من بلد لآخر، نظرا لاختلاف العوامل والآليات المتحكمة في نشأتها وتطورها وديناميتها.

قبل الحديث عن قدم ظاهرة الضاحية بالمدن المغربية تجدر الإشارة إلى أن أهم المدن الكبيرة بالمغرب قبل الحماية هي مدن إسلامية (فاس ومراكش والرباط ومكناس وسلا)، لذا فإن أية محاولة بحث في إطار هذه المدن سواء تعلق الأمر بتنظيمها المجالي أو بمضمونها الاجتماعي أو بامتداد نفوذها وعلاقاتها، فإنه لا بد من الأخذ بعين الاعتبار شروط ومقومات المدينة الإسلامية بصفة عامة، وخصوصيات المدينة المغربية بصفة خاصة. فهل شكلت الضاحية كظاهرة مجال اهتمام الباحثين والدارسين؟ هل مفهوم الضاحية مرتبط بالسياق العربي- الإسلامي للمدينة أم بالسياق الغربي؟

إن القول بوجود ضاحية مميزة للمدينة العربية - الإسلامية ينفي الطرح الغربي الذي يقر بان الضاحية ظاهرة أفرزتها المدينة الغربية، كانعكاس مجالي للتقدم الاقتصادي الذي عرفته أوروبا بفضل الثورة الصناعية، وفي نفس الوقت يزكي الطرح القائل بتغير مفهوم الضاحية في الزمان والمكان، كما يمكن القول بوجود نوع من التشابه مع الأخذ بعين الاعتبار الفارق الزمني والخصوصيات البيئية والاقتصادية والاجتماعية.

فعلى مستوى التحديد الجغرافي، فإن الإقرار بوجود الضاحية خارج الأسوار في حد ذاتها، تعني نوعا من الاستقلال الإداري على اعتبار أنها كانت تشكل الحدود الجغرافية للحيز الحضري، أما الخصوصيات المجالية للضاحية وعلاقتها بالمدينة ودورها الوظيفي فتبرز من خلال استقبالها للوافدين الجدد إلى المدينة الذين يستقرون بها قبل انصهارهم في النسيج الحضري (وظيفة سكنية)، واحتضانها لتجارة القوافل (دور اقتصادي).

من خلال ما سبق:

يمكن أن نضيف بأن الضاحية ليست مجال عبور للسكان كما كان معروفا سابقا، بل هي مجال استقرار. كما أن الضواحي ليست مجالات طبيعية تحف المدن الكبرى، بل هي مجالات من صنع وتأثير الإنسان، حيث تعمرها مجموعات بشرية لها إستراتيجيتها، إلا أنها تفتقر إلى التجانس والتناغم فيما بينها، إذ أنها تحيط بمدن ذات بنيات معقدة وغير متجانسة أيضا.¹¹

¹¹ محمد. أزهار وآخرون: مرجع سبق ذكره، ص. 389.



صورة رقم(6): تظهر صورتين: التوسع الحضري للمدينة نحو الضواحي، حي عنق الجمل، يحمل هذا الحي سمات الحياة القروية أكثر منها حضرية، ويظهر جليا أن تطور مواد البناء لم يصاحبه تغير في أنماط العيش والحياة التي تظهر قروية (ملكية المواشي التي تتعايش مع الإنسان في نفس الوسط، وتربية الدواجن وغيرها).

المجرة والتحصن والتحويلات الأسرية

يتوفر حي عنق الجمل على شبكة الكهرباء التي تزود ساكنته بالإنارة، وتتعدم المياه داخل المنازل الموجودة بالحي إذ تجلبه الأسر من سقاية الحي المجاور (الملاحظة الميدانية).



صورة رقم (7) : توضح بعض حالات التساكن بالمدينة العتيقة لسلا.

• علاقة المهاجر بالمجال السكني:

يعد المسكن من أهم العناصر الأولية المكونة للمجال الحضري، فهو يأتي في مقدمتهم باعتباره المكان الطبيعي والضروري الذي تتواجد فيه كل أسرة. ثم يأتي الحي باعتباره مجموعة أماكن متجاورة.

بالانتقال من المجال العام إلى المجال الخاص، نجد أن الحياة اليومية تعبر على هذا التقسيم ونوعية المجال وجودته، والذي بدوره يستقبل السلوكيات المختلفة للأفراد. تتكون المدينة من فضاءات عامة وأخرى خاصة تخضع لتراتبية معينة في التخطيط وتحديد أشكال هذه المجالات. يمكن أن يأخذ التقسيم المجالي معيارا ثقافيا، بحيث لا نجد نفس طريقة التقسيم في المجتمع، وقد يتخذ بعدا تاريخيا، لأن الحدود الفاصلة بين الخاص (المنزل) والعام تتباين عبر المراحل التاريخية¹.

2- المجال الداخلي: المنزل

لا شيء يبدو أكثر حميمية للإنسان من سكنه، فهو نقطة ارتكاز وعلامة مرجعية تثبت وجوده، وترسم له حدوده داخل فضاء كوني لا متناه ملغز. لهذا عد السكن بمثابة الامتداد لصاحبه، وما مشاعر الحنين والشوق إلى السكن الشخصي إلا تعبيراً عن الحاجة إلى موضعة الذات ضمن فضاءها المخصوص بشحناته الانفعالية والرمزية. "أجد راحتي في منزلي، مع أبنائي وزوجتي"، هذه العبارة تردت على لسان الكثيرين من أرباب الأسر في سؤالنا عن المكان الذي يطمئن إليه المهاجر ويوفر له حرية أكبر، كان هذا المجال هو المنزل. يمثل البيت العالم الخاص والحميمي للمهاجر تتجسد داخله وتتعمق العلاقات الأسرية عبر التواصل وتبادل الآراء، ويكون ارتباط أرباب الأسر شديدا بالمنزل لأنهم نادرا ما يرتادون أماكن أخرى كالمقاهي أو الأندية (هذا ما توصلنا إليه من مقابلاتنا مع المبحوثين)، "نادرا ما التقى أصدقائي في المقهى، أفضل البقاء برفقة عائلتي"، بهذا يتفاعل المهاجرون بشكل كبير مع المجال الداخلي أكثر من المجالات الخارجية.

¹ Jean-Marc Stébé. Hervé Marchal: *Traité sur la ville*, Presses Universitaires de France, 2009, P. 272 et 273.

• التحديد اللغوي للفظ "السكن":

إذا انطلقنا من الجذر اللغوي للكلمة، س.ك.ن، وجدنا المشتقات الفعلية والإسمية منه تحيل على أربعة معاني رئيسية:

- المنزل بمعناه المادي المباشر، فالسكن والمسكن تعني المنزل والبيت.
- فعل السكن أي الإقامة بالمكان المعد للسكنى، فسكن بالمكان يسكن سكنى وسكونا بمعنى أقام.
- الإنسان الذي يسكن، فالسكن أهل الدار، إسم لجمع ساكن كشارب وشرب.
- الهدوء والسكينة، سكن الشيء يسكن سكونا إذ ذهبته حركته. وكلمة "الدار" المرادفة للسكن والمستخدم على نطاق واسع رغم مطابقتها لنمط من السكن، الذي نجده بالمدن التاريخية العتيقة ذات محتويات انفعالية وقيمية، أحكم المجتمع شحنها كما تشف عن ذلك عدة مآثورات شفوية مثل "الدار قبر الحياة"، حيث لا يبدو تمثيل السكن بالقبر نوعا من الاستعارة القائمة على مقتضيات البلاغة، وإنما يعكس صلة أنثروبولوجية عميقة بينهما.

والسكن من وجهة نظر سوسولوجية، تتجسد من خلاله العلاقات الاجتماعية وتعبر عن نفسها. فالسكن حلقة وصل بين الفرد والمجتمع وإحدى آليات الدمج الاجتماعي، طالما أن الاستقلال بالسكن يرتبط، إلى حد بعيد، بمؤسسة الزواج بما تعنيه من الانتماء والضبط والالتزام، فالمنزل يكاد يكون خاليا من أية دلالة ووظيفة خارج الاجتماع العائلي.¹

• المنزل ووظائفه

من البديهي أن الإنسان يعيش في ظل مجتمع يتكون من بنى ومؤسسات اجتماعية تؤثر على سلوك الفرد وعلى أنشطته، بل يعيش أيضا في ظل مجال يتكون في بعده الفيزيقي من معطيات طبيعية، جغرافية وايكولوجية من شأنها أيضا كباقي المعطيات الاجتماعية أن تحدث وقعها على تحركه وأن تعطي لهذا التحرك معنى ووقعا، وتوجهها ووثيرة خاصة، لا يمكن أن تفهم إلا بمرجع إلى هذه المرجعية المجالية ومكوناتها.

¹ عماد، صولة: "سيرورة الرمز من العتبة إلى وسط الدار: قراءة أنثروبولوجية في السكن التقليدي التونسي"، مجلة إنسانيات، عدد 28 فبراير، 2005، ص. 5-11.

إن السكن من منظور فيزيقي هو عبارة عن مساحة أو مكان يضم غرفا، جدراناً ومرافق... لا تحمل بالنسبة للفرد أية دلالات خاصة ماعدا الدلالات المرتبطة بتلبية حاجياتهم الحيوية الأولية (الأكل والنوم...). غير أن هذا المكان يتحول بحكم التعايش والاستغلال والتفاعل إلى مجال يضم أفراد تربطهم علاقة القرابة، وبالتالي تجارب تفاعلية ذات الصبغة الوجدانية والتواصلية والانفعالية. ويضم كذلك مكونات، أشياء وموضوعات لها أيضا دلالاتها السيكلوجية التي استمدتها من ارتباط الأفراد سواء عبر ميكانيزم التعود، أو اكتساب الخبرات أو الارتباط الوجداني.¹ وفي كلتا الحالتين يحتضن السكن كمجال تجربة الأفراد الأولى والفعلية بالحياة الاجتماعية، وهي تجربة تظل وجودية من حيث قيمتها لكونها مشحونة بجمولة سيكلوجية معبرة معرفيا ووجدانيا وانفعاليا، وذلك بحكم امتداداتها وتأثيرها على مجرى حياتهم، توازناتهم واختياراتهم.

ومن الناحية الوظيفية يظل السكن المجال الذي يحقق الفرد في إطاره مجموعة من الإشباعات لحاجاته الأولية منها والثانوية، ولمتطلباته القصيرة أو البعيدة المدى، ويمثل من حيث مكوناته امتداد للكائن الحي حيث يعتبره البعض في بعده التنظيمي انعكاسا للفرد ولمساته الشخصية وذلك انطلاقا من مقولة "اعرف نفسك بواسطة سكنك".

إذا كان المجال الذي نسكنه يساهم في تنمية وتطوير شعورنا بالراحة والأمان والثقة، باعتباره مجالا ماديا ومعنويا، يتم تنظيمه وتدييره واستغلاله بشكل يزكي لدى الأفراد شعورهم بالانتماء إلى جماعتهم. فإنه وبنفس الشكل وأيضا من خلال مكوناته وأشكال تنظيمه واستغلاله ينمي لديهم الإحساس بمشاعر عدم الرضى، عدم الفاعلية، الإحباط والسلبية. خاصة بالنسبة لمجتمع تفرق ثقافته السكن بجملة من المعاني والمضامين ذات الدلالة الإيجابية، وإذا لم تجد هذه الدلالات امتداداتها في السكن كواقع، فإن ذلك يؤثر ولا ريب على مجهودات الفرد في إقرار توازناته، وفي امتلاك أدوات تمكنه من التكيف مع مجاله مما قد يتوج بمشاكل الاندماج الاجتماعي.

¹ رشيدة، أفيال: "السكن كراسمال مجالي"، مقال منشور بمجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، المعهد الجامعي للبحث العلمي، العدد 43-44، السنة الثلاثون، 1997.

من هذا المنطلق، فإن السكن في ظل ثقافتنا لا يمثل فقط جناحا أو بيتا مسخرا للإقامة، ولكنه مجال يكتسب الأفراد في إطاره خبراتهم وتجاربهم الأولى الخاصة بالتعايش، وفي إطاره يعايشون أيضا الأحداث والوقائع والخبرات الأكثر دلالة سيكولوجيا واجتماعيا وحتى وجوديا، وفي إطاره أيضا ينمي الفرد تجاربه الإدراكية والتصورية حول العالم الخارجي، ويكتسب أدوات تمكنه من التغلب على مشاكله والتعامل مع واقعه.¹

عندما نتحدث عن السكن كرأس مال مجالي، فإننا نعني بالدرجة الأولى، اقتران هذا السكن كمجال من ناحية بالعائلة وكل القيم المحيطة بها، وكذلك تموضعه في مجال له خصائصه وميزاته، التي تؤثر على مختلف الدلالات التي يمنحها الفرد له. كل فرد يحتاج بشكل ضمني إلى مجال شخصي، أي فضاء يتحرك فيه بأدنى حد من الحرية والاستقلالية، ويضبط بواسطته حدوده مع الآخرين. خاصة الأطراف المتساكنة في مجال واحد. ونفهم من المجال الشخصي "ذلك السياج المادي، الذي يحاول الفرد أن يحيط به نفسه، وذلك من أجل إشباع حاجتين ضروريتين بالنسبة إليه ككائن مجالي:

- حاجة ذاتية، تظهر في سلوك الاستقلالية، المبادرة وحرية التحرك.

- تحقيق حدوده مع الآخرين، عبر ضبطه لها، وذلك من خلال تبنيه لمسافات تفصل بينه وبين الآخرين والتي يضبطها طموح المحافظة على المسافة المريحة.²

لضبط التوازن النفسي في علاقة المهاجر بمجاله الخاص، تتدخل مساحة المنزل ومكوناته (عدد الغرف، والتهوية، والأثاث) في تحديد درجة الراحة التي يستشعرها الشخص تجاه الفضاء السكني.

لهذا حاولنا في مرحلة أولى، التساؤل عن عدد الغرف واحتواء المنزل عليها، وتدبير هذه الغرف تبعا لحاجات الأسرة ورغباتها، ومعرفة التجهيزات الأساسية في مرحلة ثانية. فتوزعت الإجابات كما هو مبين في الجدول:

1 نفس المرجع.

2 رشيدة، أفيال: نفس المرجع.

جدول (20): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب المجال الداخلي ومكوناته

وصف المسكن	التكرار		النسبة المئوية %	
	لا	نعم	لا	نعم
غرفة الجلوس	36	450	7.4	92.6
غرفة النوم	40	446	8.2	91.8
الصالون	104	382	21.4	78.6
المطبخ	32	454	6.6	93.4
الحمام	92	394	18.9	81.1
البهو	218	268	44.9	55.1
غرفة التهوية	314	172	64.6	35.6
السطح	168	318	34.6	65.4

المصدر: البحث الميداني، صيف 2011، سلا

- تتوفر المنازل التي تقطنها الأسر المهاجرة على غرفتين إلى ثلاثة غرف تخصص لوظائف محددة، وأحيانا متعددة. فغرفة الجلوس تقوم بوظيفة اجتماع العائلة وتناول الوجبات ومشاهدة التلفاز، وفضاء يستعمله الأبناء المتمدرسون لإنجاز الواجبات المدرسية، وتتحول في المساء إلى غرفة نوم مشتركة للأبناء.¹

تخصص غرفة النوم للزوجين لتأمين حميمية وقدرسية العلاقة الزوجية. إن غرفة النوم وكما تبين ذلك، الشواهد المعمارية، لم تظهر كغرفة مستقلة إلا تدريجيا مع مطلع القرن العشرين، وهو الوقت الذي أصبحت فيه العائلة تسيير نحو بناء مفهوم الزوجين والأطفال غير المتزوجين.²

- أما الصالون أو غرفة الضيافة فتظل فارغة معظم الوقت وتخصص لاستقبال الضيوف، وتستعمل من طرف الأسرة لأداء فريضة الصلاة، لكونها الغرفة الأكثر نظافة

¹ Françoise Navez, Bouchanine: Ibid. P. 5 à 49.

² Jean-Marc Stébé. Hervé Marchal: Ibid. P. 273.

واحتراما، وتضع الأسر المهاجرة كل إمكانياتها المادية لاقتناء الأثاث والديكور المخصص لهذه الغرفة.

- هناك اهتمام بغرفتي الحمام والمطبخ رغم مساحتها ضيقة جدا (الملاحظة الميدانية)، بالإضافة إلى هذه الغرف والوظائف المتعددة التي تخصص لها، تحتوي بعض المنازل السطح وغرفة التهوية أو ما يسمى (بالباتيو).

- حسب الإحصاء العام للسكان والسكن 2004 تتوفر 91 % من الأسر على مطبخ، و94 % على حمام عصري أو دوش، و84.5 % من الأسر تتوفر على الماء الصالح للشرب و87.7 % ترتبط بشبكة الكهرباء.¹

- وتؤكد إحصاءات 2004 أن 12.1% يتوفرون على غرفة واحدة، و31.8 % من المنازل تتضمن غرفتين، وتمثل نسبة 33.1% المنازل التي تتوفر على ثلاثة غرف، و11.1% بالنسبة للمساكن ذات أربعة غرف، ونسبة 11.9% للمنازل التي تتضمن خمسة غرف فما فوق بمدينة سلا.²

- وتوضح دراسة لفاطمة المرنيسي حول عدد الغرف المتوفرة في السكن في الوسط الحضري، أن 70% من العائلات في المدن المغربية تعيش في غرفة أو غرفتين. إن التزاحم السكني له تأثير سلبي على العلاقات بين أفراد العائلة، بين الأجيال والجنسين، بين الآباء والأبناء، بين الإخوة والأخوات، وبين هذه العائلة والمؤسسات الخارجية.³

تبعاً للدراسة التي قام بها الباحث إبراهيم حمداوي، نجد النتائج التالية:

إن المبحوثين يسكنون في غرفتين أو أقل، وقليلة هي العائلات التي تسكن بيوتا من ثلاثة غرف، علماً بأن مساحة المسكن تتراوح ما بين 20 و70 متراً مربعاً، ويسكنها في الغالب أسر تتكون من ثلاثة إلى سبعة أشخاص. حيث تكون غرفة مخصصة للآباء، وغرفة للضيوف، والغرفة الثالثة إن وجدت للآباء جميعهم، وهذا الأمر تنعدم معه وجود

¹ المندوبية السامية للتخطيط. 2004

² المندوبية السامية للتخطيط.

³ فاطمة، المرنيسي. "تطور العائلة المغربية المعاصرة"، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، 1978، العدد مزدوج 3 و4، ص. 158.

حميمية (مساحة خاصة للفرد داخل الأسرة). وهو ما يفسر ممارسات لا أخلاقية وشاذة في الأسر (كزنا المحارم ...). وأمام هذا الوضع فإن حركة الأفراد تكون محدودة داخل الأسرة، وتتعدم فيها الحرية، بالإضافة إلى المعانات الدائمة من الضجيج ومن العادات والتقاليد وتتأثر الأخلاق بفعل ذلك.¹

• اهتمام أرباب الأسر المهاجرة باقتناء التجهيزات المنزلية العصرية:

يعتبر التجهيز المنزلي من القيم الاجتماعية التي يتم التنافس حولها، تنافس لامتلاك الحدائث ورموز الثراء والحضرية.² يعرف المسكن أنه البناء الذي يأوي إليه الإنسان، ويشتمل هذا البناء على كل الضروريات والتسهيلات والتجهيزات والأدوات والأجهزة التي يحتاجها أو يرغب فيها الفرد لضمان تحقيق الصحة الطبيعية والعقلية والسعادة الاجتماعية له ولأسرته.

فالمنزل حسب لينا. بان³ lita. Bane هو المكان الذي يقيم فيه أفراد تربط بينهم روابط حب وتعاطف، وهو المكان الذي تتبع منه علاقة المحبة بين الأبوين وبين كل فرد في الأسرة، والتي يسعد بها الأطفال والكبار، وهو المكان الذي تتم فيه استضافة الأهل والأصدقاء. وهو المكان الذي ينعم فيه الفرد بالراحة والخصوصية والذي يشعر فيه بالأمان وهو المكان الذي يسعد فيه الفرد بممارسة هواياته، وتحفظ فيه الثقافات الأساسية، ومكونات العادات واللغة والتقاليد، إنه مصدر العطاء والوفاء ومكان لممارسة الهوايات والخلق والإبداع.

رغم ما يظهر من عدم اهتمام بجودة السكن من طرف المهاجرين، بالمقابل نجد رغبة واسعة لاقتناء التجهيزات المنزلية ذات الطابع العصري والتكنولوجي. فالأسر التي تتوفر على تلفزيون ملون تمثل نسبة (96.7%)، مقابل (3.3%) من المبحوثين لا يتوفرون على هذا الجهاز السمعي-البصري.

¹ إبراهيم، حمداوي: "خصائص الحياة الحضرية وعلاقتها بالجريمة"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، العدد 17 ص. 201.

² رحمة، بورقية. مرجع سبق ذكره، ص. 337.

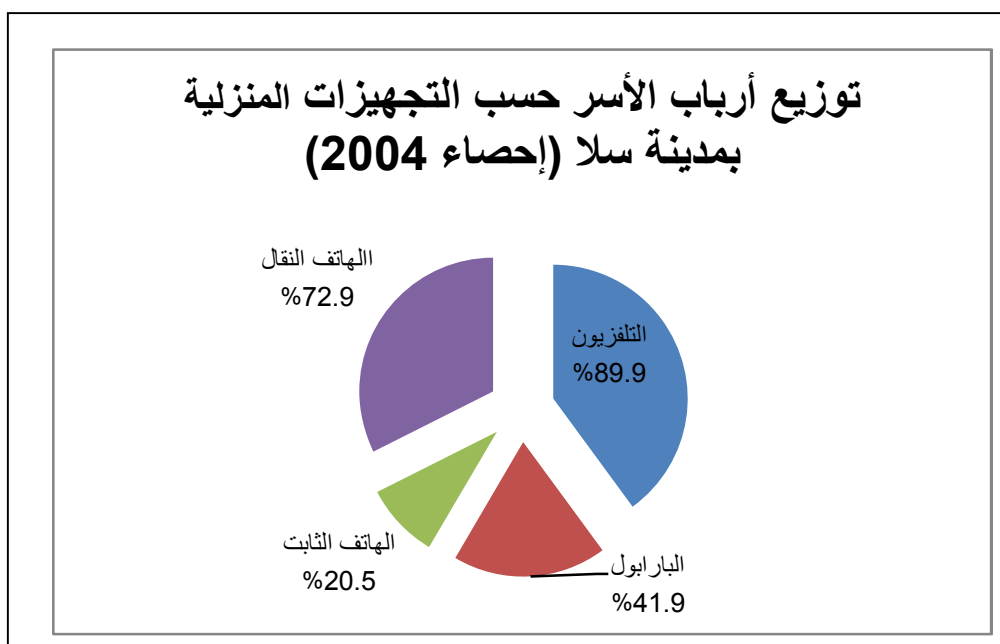
³ عبد القادر، القصير: ص. 170.

الهجرة والتحضر والتحويلات الأسرية

جدول (21): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب توفر المنزل على التجهيزات التالية:

التجهيزات	التكرار		النسبة المئوية %	
	لا	نعم	لا	نعم
فرن غاز	52	434	10.7	89.3
تلفاز ملون	16	470	3.3	96.7
ثلاجة	44	442	9.1	90.9
بارا بول	72	414	14.8	85.2
هاتف ثابت	292	194	60.1	39.9
هاتف نقال	48	438	9.9	90.1
الحاسوب	266	220	54.7	45.3
حاسوب مرتبط بشبكة الانترنت	264	222	54.3	45.7
ديفيدي	148	338	30.5	69.5

مبيان رقم (9): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب التجهيزات المنزلية.



المصدر، البحث الميداني، صيف 2011، سلا. ¹

¹ وردت في عبد القادر، القصير. مرجع سبق ذكره، ص. 176.
مقارنة هذه النتائج بتلك التي توصل إليها البحث الميداني على مستوى أحياء مدينة القنيطرة: ===
== يذكر الباحث أن 92.33 في المائة من جملة مساكن العينة تتوفر فيها الكهرباء و 91.33 في المائة من المساكن تتوفر فيها المياه الجارية، و 71.33 في المائة من المساكن تتضمن غرف استحمام ومرحاض معا، و 68.33 في المائة من جملة المساكن تتوفر فيها المراحيض.
- أما أثاث المساكن فيتميز بالتنوع، واقتناء الضروري من الأدوات الكهربائية العصرية، ومنها الثلاجة، والغسالة، والمكواة الكهربائية، والتلفزيون، والفيديو، والراديو كاسيت وغير ذلك من الأدوات. ومن هنا يتضح أن مستوى تجهيز المسكن وفرشه بالأثاث يختلف من حيث الكم والكيف، باختلاف المركز الاقتصادي للأسرة، إذ كلما ارتفع المستوى الاقتصادي للأسرة، مال مستوى التجهيز والأثاث إلى التنوع والتعقيد والفخامة.

3- المجال الخارجي: الحي

تقديم:

يطرح السكن المشترك والجماعي سواء في العمارات أو المنازل العتيقة مشاكل بين الجيران تضعف من ثقة بعضهم البعض وتعاونهم، وتتخذ الخلافات، أحيانا، شكلا عنيفا أو قانونيا، ومن المشاكل التي تنتج عن السكن المشترك كما عبر عن ذلك المبحوثين مشاكل النظافة وعدم أداء بعض السكان للواجبات المادية للإصلاح والترميم وشجار الأبناء، مما يترك أثرا سلبيا لدى المهاجر في علاقته بجيرانه خوفا من المشاكل لهذا يختار التيقار والعزلة.

• الحي:

شكل الحي تقليديا وحدة اجتماعية هامة في حياة المدينة العربية، ويمكن القول أن كل مدينة عربية كانت في الأساس مجموعة أحيائها المتميزة، فألفت عملا فسيقائيا مختلفا اختلافا جوهريا عن المدن الصناعية في الغرب. ينظر السكان للحي انطلاقا من المسكن الحي هو "المكان الذي نقطن فيه، وسيط بين السكن والمدينة، إنه مجال قريب وفي نفس الوقت مألوف". يتخذ الحي ثلاثة معاني في المقاربات السوسولوجية: الحي "قطعة من المدينة"، و"مجالا للقرب" و"وسطا للحياة" و"مجالا للفعل"¹.

لتعميق تحليلنا حول الحياة في الأحياء، كان من الضروري فحص درجة مشاركة سكان الأحياء المدروسة في المشاكل الموجودة بحيهم، خصوصا أن بعض الأحياء لا توجد بها تنظيمات جماعية لتأطير الساكنة، أو تغلق أبوابها لعدم مشاركة السكان فيها، أو تكون هذه المشاركة ضعيفة، قليلة هي الأسر المهاجرة التي تدفع أبناءها للاستفادة من الخدمات التي تقدمها جمعيات الحي (الرياضية، ودار الثقافة، والمسرح...) حسب ما جاء على لسان المهاجرين. لهذا طرحنا السؤال التالي: هل تشارك في الدفاع عن الحي في حالة مواجهة مشاكل؟ فحصنا على النتائج التالية:

¹Jean- Yves Authier et Autres : Le quartier, enjeux scientifiques, actions politiques et pratiques sociales, La Découverte, 2006, Pages. 24 - 31.

الهجرة والتحصن والتحويلات الأسرية

يعتبر المهاجرون الحي امتدادا للفضاء الداخلي، يستثمره الأبناء والنساء والرجال. فالدفاع عن الحي جزء من الواجبات المشتركة الملقاة على عاتقهم كساكنة، ومن الضروري التعاون والتكافل والإتحاد بينهم في حالة الاضطرابات لضمان مصالح الحي. "يجب أن نكون كاليد الواحدة كل أصبع فيها يقوم بوظيفته تجاه واجبه المشترك مع الأفراد الآخرين للدفاع عن حيننا عندما يتطلب الأمر ذلك" بشهادة أحد المبحوثين. وتضيف إحدى النساء المهاجرات "أنا إنسانة غيورة على حيي الذي أقطن فيه ومستعدة للدفاع عن حقوق الجماعة إذا تطلب الأمر ذلك" "لا أجد راحتي في الحي لانعدام الأمن، ولا أدافع عن الحي في حالة وقوع كارثة أو شيء، لأنني لا أجد الأشخاص الذين أتعاون معهم والأغلبية هنا غير مهتمين" "لا أدافع عن الحي لقلّة العلاقات الجدية بين الناس والتي تدفع الشخص للعمل الجاد والمساعدة، لهذا فأنا لا أبالي" "أنا من الناس ليدافعوا على الحي، فيه نسكنوا، وكيخرجوا ولادنا يلعبوا، خاص غير النظافة شوية" "لا توجد في الحي أماكن مخصصة للعب الأطفال". شهادات المبحوثين.



الصورة رقم(8): أحد أزقة مدينة سلا القديمة، وتتميز بالتصاق المنازل بعضها ببعض، وضيق مساحة الزقاق.

خلاصة الفصل الأول: الخصائص السوسيو-ديمغرافية للأسر في وضعية الهجرة بمدينة سلا وضواحيها.

لقد خصصنا هذا الفصل لدراسة المميزات الاجتماعية والديمغرافية والاقتصادية والثقافية لأرباب الأسر المهاجرة بمدينة سلا وضواحيها. تمكنا معرفة خصائص المهاجرين من فهم ودراسة تركيبية الأسرة المهاجرة والتحويلات التي تشهدها في سيرورة حركتها من القرية إلى المدينة، وانعكاسات هذا الانتقال الجغرافي على الأسر المهاجرة والمحيط الجديد. ويمكن تلخيصها في مجموعة من الاستنتاجات:

- إن دراسة متغير السن باعتباره محددًا للهجرة يطرح كثيرًا من الملاحظات والتساؤلات، كما أن تحديد السن يعتبر ذا دلالة مؤثرة. تشمل الهجرة القروية بمدينة سلا وضواحيها مختلف فئات السن، ويمثل النشطون (48.2%) من مجموع العينة المدروسة، وتتميز هذه الفئة بقدرتها على الاندماج والتعايش مع الأوساط الجديدة.
- تلعب هجرة النساء دورًا رئيسيًا في تطور العلاقات بين الجنسين، إذ أمكن في الوقت الحالي الحديث عن هجرة نسائية وبقرار فردي ومستقل دون أن تكون تابعة أو مرافقة للرجل في اتخاذه لقرار الهجرة. تقدم النتائج الميدانية للدراسة هيمنة ذكورية (70.8%)، مقابل (29.2%) للنساء المهاجرات.
- تختلف الوضعية الحالية للأسر في وضعية الهجرة من حيث النشاط عن وضعية ما قبل الهجرة، إذ سجل تحول هام في المهن والأنشطة، وأصبح المهاجرون يشتغلون في قطاع الخدمات والتجارة والإدارة وغيرها. بينما لم تعرف مشاركة المرأة أي تغيير ملموس، ولا يتم الإعلان عن عمل النساء خارج البيت.
- يعتبر التعليم من المؤشرات التي يمكن توظيفها لدراسة إمكانات اندماج المهاجرين القرويين في الوسط الحضري، والتحقق من حدوث تحولات جذرية في تفاعل المهاجرين مع الحياة الثقافية والعملية.

- تتنوع المستويات التعليمية لأرباب الأسر المهاجرة، وتظهر الدراسة تغيراً إيجابياً في علاقة المهاجر بالمدرسة (23.5%) أنها المرحلة الابتدائية، و(19.8%) حصلوا على تعليم عالي، و(12.3%) من أرباب الأسر غير ممتدرسين.
- يقر أرباب الأسر المهاجرة بضرورة المساواة بين الجنسين في مدة التعليم، لمنح الفتاة فرصة تحقيق ذاتها في مجتمع يخضع باستمرار للتغير والتطور.
- التعدد اللغوي للأسر في وضعية الهجرة بمدينة سلا وضواحيها، يؤثر على غنى وتنوع الساكنة المكونة للمدينة، ويساعد المهاجرين على التعايش ضمن مجموعات مختلفة الانتماءات والأصول الجغرافية. الملاحظ أن اللغة الدارجة (97.5%) هي الأكثر تداولاً في التواصل اللساني بين المجموعات المدروسة.
- يعتبر الزواج إستراتيجية للحفاظ على الوحدة القرابية ودعمها وتعزيزها، وآلية للمقاومة واستمرارية الروابط الأسرية، إنه الرباط الشرعي للعلاقة بين الجنسين. تهيمن نسبة المتزوجين (72.8%) على الوضعية العائلية للأسر في وضعية الهجرة.
- من بين التحويلات تغير في تصور المهاجرين بمدينة سلا وضواحيها لسن الزواج عند البنت، بحيث يعتقد (32.1%) أن السن المثالي يتراوح ما بين 18-20 وهو ما يتوافق مع المقتضيات التي جاءت بها مدونة الأسرة الجديدة.
- استمرارية الزواج العائلي (43.7%) مع بروز أشكال جديدة للزواج.
- تظل ظاهرة الطلاق قليلة بين الزوجين المهاجرين، إن لم نقل نادرة (2.5%) بفعل الزواج العائلي، وتدخل الأعضاء الآخرين في فض النزاعات الزوجية.
- يعد السكن من أهم العناصر التي تمكننا من دراسة درجة التحول سواء من حيث الشكل أو الموقع أو المواد المستعملة في البناء. لقد أصبح المجال السكني تعبيراً عن الوضعية الاقتصادية والاجتماعية للأسرة.

- يعتبر الإيجار حلاً لعدد من المهاجرين القرويين (40.7%)، فيما استطاعت نسبة (29.6%) تملك سكناً خاصاً.
- تتوفر مدينة سلا على أنواع متعددة من السكن (الاقتصادي، العصري، الشقق، فيلا، عشوائى...) مما يجعلها تستقطب فئات مختلفة من الباحثين عن فرص جديدة للعيش.
- يهتم أرباب الأسر المهاجرة بالتجهيز المنزلي كقيمة اجتماعية، ورمز للثراء والحداثة والحضارية.
- يعكس التعدد في أنواع السكن بمدينة سلا وضواحيها، التطور العمراني والسكني والاقتصادي للمدينة في السنوات الأخيرة، ويؤشر على مساهمة الهجرة والتزايد الطبيعي والنمو الاقتصادي في توسع المدينة وامتدادها نحو الضواحي.

الفصل الثاني:

تساراج الهمجرة بمؤينة سلا وضواحيها

المحور الأول: تيارات الهجرة بمدينة سلا.

تقديم:

إن ظاهرة الهجرة قديمة قدم الإنسان، حديثة حداثة الكتابات التي تناولتها. وقد اخترق موضوعها دائرة قضايا الساعة الكبرى التي تطرح بشأن عالم يعرف تحولات عميقة (انتهاء الثنائية القطبية، وعولمة الاقتصاد، وتفشي البطالة والتهميش وعودة القومية والإثنية والحروب التي تتمخض عنهما، وتطور شبكات الاتصال...).

هذه العوامل كلها أدخلت الإنسانية في أزمة عميقة لم تعد معها هجرة السكان وتقلاتهم تعزى لعوامل اقتصادية دون سواها. والهجرة إحدى أخصب المقاربات لفهم عالم اليوم، وبعيدا عن الجنوح نحو إدعاء حل هذه المشكلة انكبت جهود عدد من الباحثين من فروع معرفية متنوعة، كالجغرافيين وعلماء الاجتماع، علوم الاقتصاد والتاريخ... لتأسيس هذه الظاهرة على قواعد تضمن الارتقاء بها إلى مرتبة الاهتمامات والرهانات التي تستحقها.

يثير موضوع الهجرة العديد من الباحثين على اختلاف مشاربهم من اقتصاديين وسياسيين وعلماء اجتماع وغيرهم. وقد اكتست الهجرة في المغرب طابعا خاصا انطلاقا من النصف الثاني من القرن العشرين، فتميزت الهجرة بارتفاع وتيرتها بصفة ملفتة للأنظار، وأصبحت تمثل مشكلا قائما لا يمكن تغافله.

لما كانت الهجرة عنصرا أساسيا من عناصر نمو السكان في المدن وتغير التكوين المورفولوجي للمجتمع، فإنها تؤثر في تكوينه من كافة نواحيه. والهجرة نوعان:

_ دولية، وتشمل التحركات السكانية عبر الحدود السياسية بين دولة وأخرى.

_ وهجرة داخلية، تحدث بين منطقة وأخرى في الدولة الواحدة. ويشكل هذا النوع الأخير أساس اهتمام هذه الدراسة، غير أن النوعين معا لهما أثر في حياة المجتمعات.

- مفهوم الهجرة:

يفيد مفهوم الهجرة، معظم الحركات السكانية الناتجة عن رغبة الإنسان في مغادرة منطقة ما يصعب العيش فيها، إلى منطقة أخرى يعتقد أن بإمكانه العيش فيها بصورة أفضل، سواء عن طريق الهجرة الدولية أو الهجرة الداخلية. أما دوافع الهجرة فهي تبقى واحدة إذ يوحدها عامل عدم الرضا عن البيئة الأصلية للمهاجرين، مما يدفعهم إلى البحث عن مناطق أخرى.¹

تعرف الهجرة لغة، بأنها الترك والمغادرة، وهجر الشيء تركه. فالهجرة تفيد معنى الترك والمغادرة، ويقال الشيء إذا تركه، أما معجم وبستر فقد حدد لكلمة هجرة معان ثلاثة وهي: الانتقال من مكان لآخر، وبخاصة من دولة أو إقليم أو محل سكن أو إقامة إلى مكان آخر بهدف الإقامة فيه والانتقال بصفة دورية من إقليم أو مناخ آخر. ومن الناحية اللغوية أيضا يورد معنى الهجرة بأنها هجرة داخلية أي هجرة الناس داخل الحدود السياسية لقطر معين، والهجرة الخارجية وهي هجرة السكان عبر الحدود السياسية للأمم.

أما في المعنى الاصطلاحي، فقد أعطى الباحثون للهجرة تعريفات متنوعة، فالجغرافيون أو علماء السكان يعتبرونها ظاهرة جغرافية، وتعني انتقال السكان من منطقة إلى أخرى، ثم ينتج عن ذلك تغير مكان الاستقرار الاعتيادي للفرد أو الجماعة.² تشير الهجرة الداخلية إلى عملية انتقال الأفراد والجماعات من منطقة إلى أخرى داخل المجتمع أو إلى منطقة أخرى في نفس هذا المجتمع.³

يمكن تعريف الهجرة بصفة عامة، أنها انتقال أفراد من الناس من بلد إلى آخر للبحث عن الكسب والعيش، أو للبحث عن أعمال أو خدمات يؤدونها، وأن يعيشوا فيه مدة تكفي أن يتداخلوا مع أهلهم. المهاجر إذن هو ذلك الشخص الذي ينتقل إلى بلد ليقيم فيه وليعيش فيه من عمله. والسبب الأساسي الدافع للهجرة هو رغبة الإنسان في تحسين حاله ومعيشته. وتتميز الهجرة بالأمر التالية:

¹ عبد الرحيم، عني: الأسرة القروية، مرجع سبق ذكره.

² علي معمر عبد المومن: مرجع سابق، ص. 22.

³ نفس المرجع: ص. 36.

• الهجرة ليست مجرد انتقال من مجتمع إلى مجتمع، ولكنها تجربة قاسية يمر بها كل مهاجر.

• إن الهجرة إلى جانب كونها حركية اجتماعية من مجال جغرافي إلى آخر، ومن نظام سياسي وإداري إلى آخر. فإنها تعد من أهم العوامل المساهمة في التغيير الأسري ومصدرا أساسيا للتغيير الاجتماعي، حيث تؤثر في نمو السكان وفي الخصائص الديموغرافية والاقتصادية للمجتمع وذلك بمساهمتها في تغيير التركيبة العمرية والنوعية للسكان.

• لقد أشيع بين الباحثين في مجال الهجرة، أن هناك علاقة بين الهجرة والمسافة ذاهبين في ذلك إلى كون العدد الكبير من المهاجرين ينتقل إلى المسافات القصيرة ويقل عددهم كلما زادت المسافة. غير أن هذه القراءة تهتمش دور التطور التكنولوجي والإعلامي السمعي والبصري التي أصبحت توفر معلومات عن مناطق متعددة بالعالم. والملاحظ أن المهاجرين ينتقلون إلى المناطق التي يتوفرون فيها على أكبر معلومات بخصوصها أو على شبكات قرابية.¹

إن قراءة هذه التعاريف لا تحيل إلى الآثار التي تتركها الهجرة على المهاجر نفسه، في علاقته بذاته، وأسرته، وعلاقاته الاجتماعية، وقدرته على الاندماج في الوسط الجديد.

- لمحة تاريخية عن الهجرة القروية بالمغرب:

تقدم الباحثة **بهيجة الشاذلي**² في معرض حديثها عن الهجرة بالمغرب صورة تاريخية، حيث تذكر أن المغرب خلال تاريخه عرف هجرات عديدة إما كمستقبل لجماعات بشرية توافدت عليه من مناطق مختلفة خلال جميع أطوار تاريخه، أو كمصدر لها نحو جهات مختلفة من المعمور وترجع أول الهجرات التي عرفها المغرب إلى حوالي سبعة آلاف سنة.

¹ عبد الرحيم، عني: مرجع سبق ذكره، ص. 189.

² بهيجة، الشاذلي: "الهجرة القروية بالمغرب"، مجلة دفاتر جغرافية، العدد 5، 2008.

وقد عرف المغرب أيضا عمليات ترحيل وارتحال خلال تاريخه منذ قرون، نتيجة الحروب والمجاعات أو بحثا عن عيش أفضل، ورغم كل هذا تذكر الباحثة أن المغرب ظل محافظا على تركيبته الاجتماعية التقليدية إلى غاية ظهور الهجرة الحديثة ابتداء من القرن العشرين. وبدخول الاستعمار الفرنسي والتغيرات الاقتصادية والسياسية التي واكبته، اتخذت الهجرة طابعا خاصا ذلك أن الوجود الفرنسي بصناعاته المتطورة ومشاريعه الضخمة أدى إلى انهيار التركيبة الاجتماعية التقليدية وأسس التكافل التي كانت تربط بينها. فقد كانت الروابط الأسيوية تنمو وتتسع في البادية والحاضرة التقليدية على حد سواء وقبل التدخل الأوربي، لكنها لم تتمكن من الصمود أمام التطورات الاقتصادية التي أثرت بحدة على التوازن الاجتماعي القديم.

كان للضغط الجبائي الذي تعرضت له البوادي المغربية منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر عواقب اقتصادية واجتماعية ساهمت في تدني مستوى عيش السكان، وبروز ظواهر مختلفة انعكست سلبا على أوضاع العديد من القبائل. وإذا كانت الأسباب العامة لهذه الوضعية متعددة وترتبط في معظمها باستفحال التدخل الأجنبي في شؤون البلاد اقتصاديا وسياسيا.

اضطر المخزن إلى نهج سياسة ضريبية جائرة دفعت بالعديد من القبائل إلى عصيان أوامره. تأثر المجتمع المغربي بتسرب الاقتصاد الأوربي الرأسمالي داخل بنياته التقليدية، وكان لهذا التدخل عواقب على السكان ومالية المخزن، كما لعبت الطبيعة دورا كبيرا في إفقار السكان وانعكست سلبا على أوضاعهم المعيشية، فكانت النتيجة هو فرار السكان من قبائلهم ولجوئهم إلى مواطن جديدة لتأمين حياة جديدة ومستقرة¹.

بدأت هجرة المغاربة من باديتهم إلى المدينة، منذ بداية الاحتلال الفرنسي للمغرب في العقد الثاني من القرن العشرين، حينما انتزع المستعمر أفضل الأراضي الزراعية، واغتصب السهول الخصبة من أهلها، فنزح الكثير من الفلاحين إلى المدن لتعرف الهجرة

¹ Ali, Bentaleb: "L'émigration/ L'immigration marocaine à l'ère de la mondialisation", Institut Marocaine de la Culture Amazighe, Imp. El Maarif El Jadida, Rabat, 2013.

الهجرة والتحضر والتحويلات الأسرية

في فترة الستينات والثمانينات، منحى جديد نحو المدن الاقتصادية الساحلية التي توفر فرص العمل والمؤسسات التعليمية، وتحسين الأوضاع الاجتماعية والمادية.¹

• تطور عدد سكان المغرب:

للتأكد من الفرضية التي تقول أن ارتفاع ساكنة الوسط الحضري ترجع إلى النمو الديمغرافي الطبيعي من جهة، والهجرة من جهة أخرى، بالإضافة إلى خلق مراكز حضرية جديدة وتوسع المدارات الحضرية للمدن. رصدنا تطور عدد سكان المغرب حسب وسط الإقامة من خلال إحصاءات 1994-2004-2014.

جدول رقم(22): تطور عدد سكان المغرب حسب وسط الإقامة ما بين سنتي 1960 و2014

نسبة السكان الحضريين %	الوسط القروي		الوسط الحضري		نوع الوسط السنة
	نسبة متوسط النمو السنوي %	العدد	نسبة متوسط النمو السنوي %	العدد	
29.2	-	8236857	-	3389613	1960
35.1	1.8	9977288	4.3	5401971	1971
42.7	1.4	11689156	4.5	8730399	1982
51.4	0.7	12659033	3.6	13414560	1994
55.1	0.6	13428074	2.1	16463634	2004
60.3	0.01-	13415803	2.2	20432439	2014

المصدر، المندوبية السامية للتخطيط، 2015.

مقارنة مع الإحصاء العام للسكان والسكن لسنة 2004، فإن عدد سكان المملكة قد عرف زيادة إجمالية بلغت 3 ملايين و 957 ألف نسمة، وهو ما يعادل 13.2 % ويؤشر على معدل نمو ديمغرافي سنوي بلغ 1.25 % مقابل 1.38 % ما بين الفترة 1994-2004. وبلغ عدد الأسر بالمغرب حسب إحصاء 2014، 7 ملايين و 313 ألف نسمة.

¹ محمد، الكتاني: "مشكلات الهجرة وانعكاساتها في المجتمع المغربي"، مطبوعات أكاديمية المملكة، المعارف الجديدة، الرباط، 2002، ص. 25-27.

يقول محمد جسوس في معرض حديثه عن التحول الديمغرافي بالمغرب، أن بلادنا بدأت تنتقل إلى المرحلة الثانية على مستوى البنية الديمغرافية، مما سيكون له انعكاسات على مستوى البنية الاجتماعية، والبنية السياسية ككل، وفي نفس الوقت الذي نلاحظ فيه هذا الانتقال على الصعيد الديمغرافي نلاحظ أن هناك إعادة توزيع واسعة لسكان المغرب. فالمغرب كان دائما بلدا قرويا، غالبية سكانه يسكنون في دواوير، وفي مناطق مشتتة، ومبعثرة، بحيث لم تكن توجد فيه حتى القرى الكبرى، تلك القرى التي يمكن أن نلاحظها مثلا في الهند، أو في الصين، أو في مصر، بل ما يميز المغرب هو تشتت سكانه، فالمدن الكبرى، تخلق نوعا من الفراغ في محيطها، إذ أن المدينة الكبيرة تنمو على حساب المراكز المحيطة.

أما في السنوات الأخيرة، فقد أصبح هناك تجميع للسكان حسب قواعد واضحة، انتقل السكان على العموم من الجنوب إلى الشمال ومن الشرق إلى الغرب، وهكذا أصبح ميزان القوى الديمغرافي، ومكان الثقل الأساسي هو المناطق الشاطئية وبالضبط على الشريط الأطلسي الذي يجمع اليوم، خاصة في المنطقة الممتدة من القنيطرة إلى الجديدة، الجزء الهام من سكان المغرب، ومن إمكانيات البلاد المادية والاقتصادية¹.

يستفاد من نتائج الجدول (رقم 22) أن سنوات الستينات، سجلت كثافة وحركية مجالية ومهنية وفردية، حيث وصلت نسبة السكان الحضريين 29,2%، لعب التعليم دورا أساسيا في هذه الحركية المجالية الداخلية والمهنية، بفضل حركية الانتقال، بعيدا عن مراقبة الدولة المغربية والإدارة الوطنية التي كانت في حاجة إلى الأطر. من الممكن القول أن الجفاف وقلة الماء، قد دفعت بطريقة مباشرة وغير مباشرة مجموعة من ساكنة القرية إلى المدن.

سترتفع هذه النسبة ابتداء من الثمانينات لتبلغ 42,7% من السكان الحضريين. ستشهد المدن المغربية التي تعرف نموا صناعيا وفودا من المهاجرين القرويين المتطلعين للعمل والاستقرار وتحسين أوضاعهم المعيشية، وفي هذه الفترة ستبرز أحياء الصفيح

¹ محمد، جسوس: "الشباب وتحولات المجتمع المغربي"، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية، سلسلة الدروس الافتتاحية رقم 2، 2000، ص. 12.

بصورة مكثفة، لأن هذه المدن نفسها لم تكن مستعدة لاستقبال هذه الأعداد من الوافدين عليها، مما انعكس على النسيج العمراني والاجتماعي والثقافي لهذه المدن، وساهم في أحيان كثيرة في تطورها، وفي امحاء معالمها الحقيقية في أحيان أخرى. ستجل سنوات التسعينات نسبة تحضر 51,3 %، وسترتفع هذه النسبة إلى 55,1 % في 2004، و60,3 % في 2014.

- تيارات الهجرة بمدينة سلا وضواحيها

أ- تاريخ الهجرة بمدينة سلا وضواحيها:

استقبلت مدينة سلا لعهود طويلة أفواجا متعددة من المهاجرين، هؤلاء لم يكونوا من منطقة واحدة، بل من مناطق متنوعة، هذا التنوع في الهجرات اقتضى تنوعا في العادات والأعراف. بدأت هذه الهجرات منذ دخول العائلات الأندلسية التي وجدت أمامها عناصر بربرية من برغواطة وزناتة، ثم شهدت بعد ذلك العنصر العربي في عهد المرابطين. شكلت هذه العناصر المختلفة خليطا متفردا لساكنة المدينة، كما استقبلت المدينة مجموعات قادمة من الجزائر وتونس في عهد الموحيدين، ثم المجموعات المرتحلة والمطرودة من إسبانيا "المورسكيين".

ستشهد مدينة سلا بداية القرن التاسع عشر ميلادي، هجرة من نوع آخر إنها الهجرة القروية التي سنتقوى في القرن العشرين، وبالخصوص بعد حصول المغرب على استقلاله، حيث ستتولد ظواهر سكنية ستؤثث لانطلاقة حضرية واسعة، وستبرز أشكال سكنية متنوعة خارج أسوار المدينة وستمتد في الاتجاهات الأربعة للمدينة الشيء الذي سيطبع المدينة بعدم التنظيم والتوسع العمراني الكبير.¹ تميزت مدينة سلا بتركيبة ساكنتها واختلاف العناصر المكونة لها، وعرفت توسعا في نسيجها الحضري والعمراني نتيجة الهجرات المتتالية التي عرفتتها عبر تاريخها.²

¹¹ Jaudia, Hassar, Benslimane: Le passé de la ville de Salé dans tous états, histoires, archéologie, archives, Editions Maisonneuve & Larose, Paris, 1992, P. 21.

² محمد بن علي، الدكالي: مرجع سابق، ص. 163.

ب- شهدت المدينة هجرة مكثفة إبان استقلال البلاد:

تتميز الهجرة بمدينة سلا وضواحيها، بازدواجية قطبية، فهي لا تتحدد فقط كقطب جذب للمهاجرين القرويين، وإنما تضم أيضا مهاجرين حضريين من مدن مغربية مختلفة. هذه الازدواجية تؤثر على أهمية المدينة وحضورها القوي بين المدن الساحلية الاقتصادية، بحيث تستأثر باهتمام المهاجرين قرويين وحضريين، الباحثين عن سبل جديدة للعيش.

إن ما ساعد على كثافة الهجرة نحو المدينة، تاريخها الذي منحها الانتماء إلى المدن المغربية العتيقة حيث شهدت قوافل الهجرة منذ أمد بعيد، فانتشر صيتها كمدينة مستقبلية لزوارها والمهاجرين إليها. شكل قرب المدينة من العاصمة الإدارية والسياسية للبلاد، وتوفرها على أسطول بحري، وتزايد الاستثمارات والمشاريع التنموية والصناعية، عوامل تؤهلها لاستقطاب المزيد من المهاجرين.

إن تحديد سن الهجرة يمكن من معرفة الزمن الذي انصرم على هجرته من القرية الأصلية، ولهذا المتغير أهميته المنهجية وذلك بتحديد الزمن بشكل أكثر دقة، ولتحديد تأثير هذه الفترة على البنيات الاجتماعية الأساسية وعلى سلوك المهاجر سواء على المستوى الاجتماعي أو الاقتصادي أو الثقافي.

إن تحديد سن الهجرة إلى مدينة سلا يمكن أن يراقب من خلال سؤال المبحوث عن الزمن الذي انصرم على هجرته من القرية الأصلية. ولهذا المتغير أهميته المنهجية، وذلك لتحديد الزمن بشكل أكثر دقة، ولتحديد تأثير هذه الفترة على الأسرة المهاجرة. طرحنا السؤال التالي: ما هي السنة التي هاجرت فيها إلى مدينة سلا؟ هل كانت مدينة سلا منذ البداية هي المدينة التي كنت تنوي الاستقرار بها؟

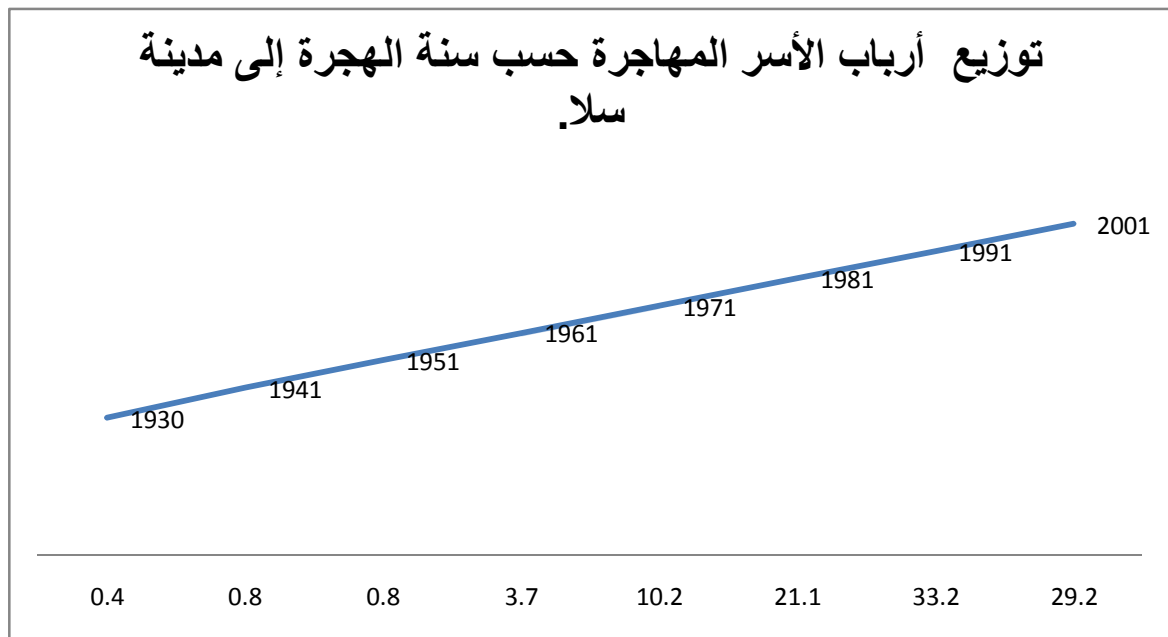
الهجرة والتحضر والتحويلات الأسرية

جدول رقم (23): توزيع أرباب الأسر في وضعية الهجرة حسب سنة الهجرة إلى مدينة سلا

سنوات الهجرة	-1930	-1941	-1951	-1961	-1971	-1981	-1991	-2000
	1940	1950	1960	1970	1980	1990	2000	2010
التكرار	2	4	4	18	50	103	162	142
النسبة المئوية	0,4	0,8	0,8	3,7	10,2	21,1	33,2	29,2

المصدر: البحث الميداني، صيف 2011، سلا

مبيان رقم (10): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب سنة الهجرة إلى مدينة سلا.



تبيين معطيات الجدول:

- إن هذه النسب المتباينة لها تعبيرات ومعاني، إذ تقدم معلومات عن وجود أنوية من السكان تستقر بأحياء مدينة سلا وضواحيها منذ أزيد من عشرين سنة. وتتركز في

الأحياء القديمة خصوصا (الجدول رقم 4)، كما نلاحظ تزايدا في نسب المهاجرين سنة عن أخرى في منحى تصاعدي متسارع بعد استقلال البلاد.

▪ إن الهجرة القروية بمدينة سلا قديمة، بحيث نجد بعض أرباب الأسر الذين استقروا بها إبان فترة الاستعمار، وإن كانت نسبتهم قليلة (0.8%) مقارنة مع بداية استقلال المغرب.

▪ تقوى الزحف القروي نحو المدينة بعد استقلال البلاد مباشرة 3.7 %، مقارنة مع سنوات الأربعينات والخمسينات 0.8 % من أرباب الأسر الذين هاجروا إلى مدينة سلا وضواحيها، ويتعلق الأمر بالمهاجرين الذين انتزعت أراضيهم من طرف الاستعمار، لتضاعف أعداد المهاجرين في سنوات السبعينات والثمانينات لتصل إلى (21.1%)، وبلغت في فترة التسعينات نسبة 33.2%.

ج- تنوع أصول المهاجرين القرويين المستقرين بمدينة سلا.

تنقسم الهجرة بمدينة سلا إلى نوعين:¹

▪ هجرة قروية-حضرية، بحيث نجد نسبة 52.3% من الساكنة النازحة، هاجروا من القرى نحو مدينة سلا.

▪ هجرة حضرية-حضرية، من مدن أخرى نحو سلا بنسبة 45.7 بالمائة. مما يفسر درجة تأثير المدينة على مناطق كثيرة بالمغرب حضرية وقروية، خصوصا بعد استقبالها لمشاريع تنمية واجتماعية راهنة، كمشروع تهيئة ساحل أبي رقراق، وخط الطرامواي الرابط بين العدوتين، الذي سيقطع من مشاكل المواصلات بين المدينتين، بالإضافة إلى تحويل مجموعة من الأراضي إلى تجزئات سكنية، تستهدف مختلف الفئات الاجتماعية، توجد هذه التجزئات بضواحي المدينة.

¹ بناء على نتائج المقابلات الميدانية مع الساكنة المهاجرة بمدينة سلا، توصلنا إلى أن الهجرة تتخذ شكلين، هجرة من القرى نحو المدينة، وهجرة من مدن أخرى إلى مدينة سلا.

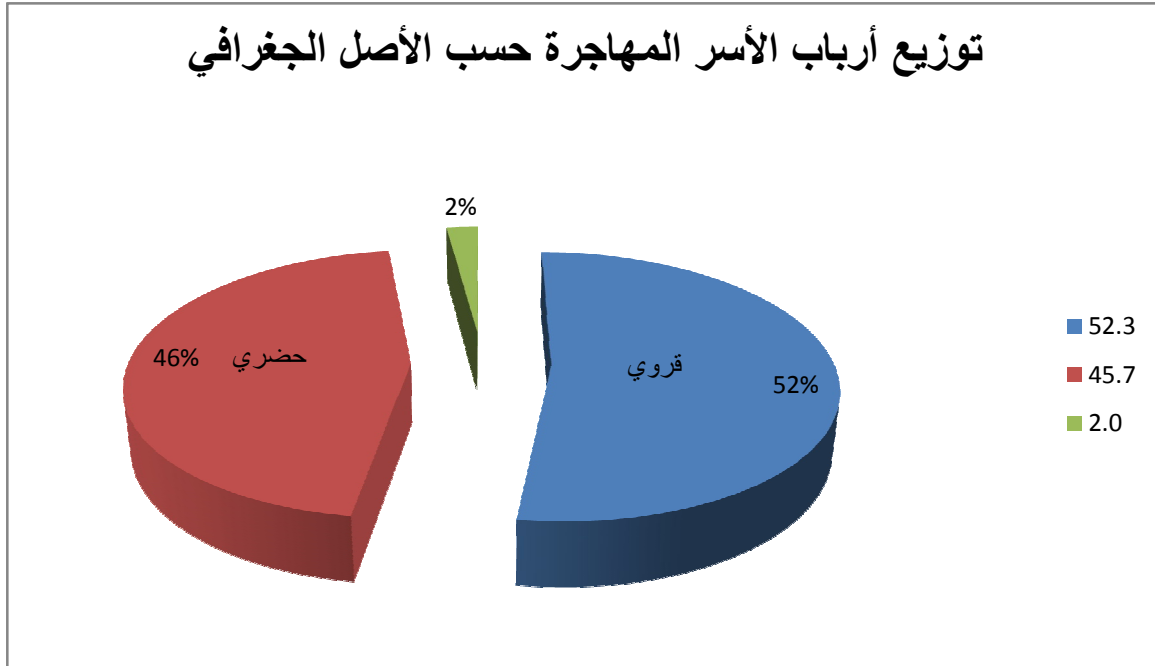
الهجرة والتحضر والتحويلات الأسرية

وتدعيما لجدول سن الهجرة، وللتعرف على الأصل الجغرافي للمهاجرين الذين اختاروا مدينة سلا كوجهة للاستقرار. توجهنا بالسؤال إلى أرباب الأسر حول مسقط الرأس، فكانت صياغة السؤال كالآتي: ما هو مكان ولادتك؟ إن مثل هذا السؤال يمكن في حد ذاته من معرفة تيارات الهجرة بالمقارنة بين مكان الولادة ومكان الإقامة الحالي.¹

جدول رقم(24): الأصل الجغرافي لأرباب الأسر المهاجرة والمستقرة بمدينة سلا.

الأصول	قروي	حضري	بدون جواب	المجموع
النسبة المئوية	52,3	45,7	2,0	100
التكرار	254	222	10	486

مبيان رقم(11): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب الأصل الجغرافي.



¹ الشاذلي، طريفة: الظاهرة الحضرية والتنمية في تونس، دار سراس للنشر، المعهد الأعلى للتربية والتكوين المستمر،

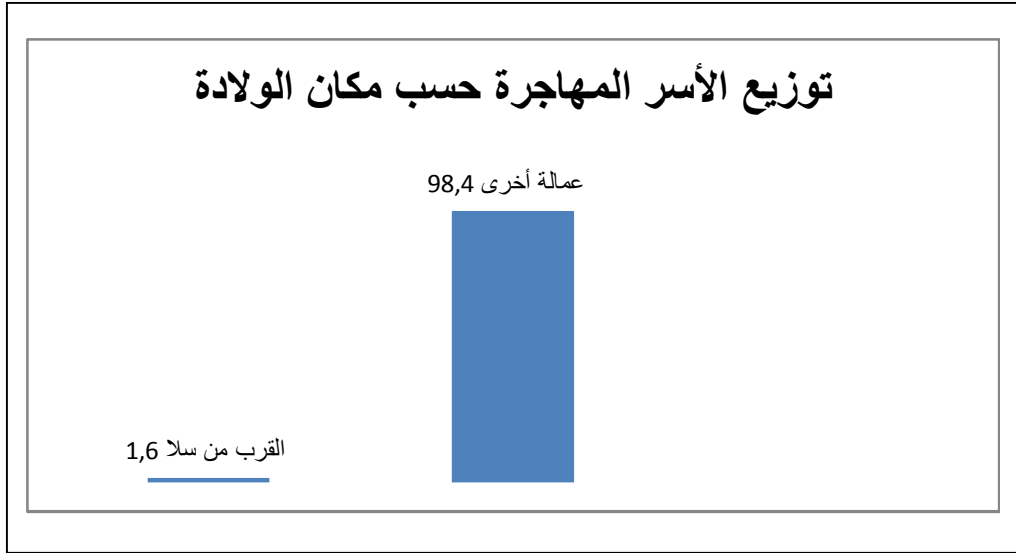
■ يتضح:

■ إن نسبة 52.3% من أرباب الأسر في وضعية الهجرة، ولدوا بالقرية. وأن 45.7% من المهاجرين من أصول حضرية ولدوا بمدن أخرى، وهذا ما يؤكد الفرضية التي ذهبنا إليها بأن الهجرة بمدينة سلا وضواحيها تتسم بازدواجية وتنوع أصول المهاجرين.

■ تتفق نتائج دراستنا مع الدراسة التي قام بها الباحث الهاشم آيت سي حول آثار الهجرة على التوسع العمراني بضواحي المدن، نموذج حي أزرو بأكادير الكبرى¹ والتي تؤكد كذلك على:

■ اختلاف وتنوع الأصول الجغرافية للمهاجرين.

مبيان رقم(12): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب مكان الولادة.



■ إن معظم ساكنة المدينة من المهاجرين. تنتمي نسبة 98.4% من المهاجرين إلى عمالات وجهات خارج مدينة سلا، ومن مناطق مختلفة من المغرب. في مقابل 1.6% فقط من المهاجرين ازدادوا بالضواحي أو البوادي القريبة من المدينة وهو ما يتعارض مع النتائج التي توصلت إليها الباحثة فاطمة الزهراء بيدي التي تقول: "أن هجرة السكان قريبة المسافة والمحلية تمثل العنصر المسيطر في الهجرة الداخلية"².

¹ الهجرة والتنمية، مختبر الأبحاث والدراسات الجغرافية والتهيئة الكارطوغرافية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية فاس-سلايس، 2012، ص. 7.

² ف. الزهراء، بيدي: مرجع سبق ذكره.

المحور الثاني: الهجرة والتحضر بمدينة سلا وضواحيها.

تقديم:

تميزت الساكنة المغربية ولأمد طويل بطابعها القروي فحتى مطلع القرن العشرين، كان تسعة مغاربة من بين كل عشرة يعيشون بالوسط القروي. إلا أن التحويلات العميقة والسريعة التي عرفها المجتمع المغربي خلال القرن الماضي أثرت بشكل كبير في التوزيع المجالي للساكنة المغربية، وكان من بين النتائج المباشرة لهذه التحويلات تزايد الهجرة القروية نحو المدن الكبرى بالخصوص، إضافة إلى ذلك توالي سنوات الجفاف، وتراجع الإنتاج الفلاحي، وارتفاع حدة ظاهرة الهجرة التي تحمل إلى المدينة أعدادا جديدة تضاف إلى فئات أخرى تعاني هي الأخرى من رداءة السكن وضعف التجهيزات والخدمات المتعلقة بالتشغيل والتربية والتكوين والصحة.¹

- مفهوم التحضر:

شغلت ظاهرة التحضر اهتمام الباحثين من مسؤولين وعلماء اجتماع وجغرافيين ولاسيما في منتصف القرن العشرين. يعد التحضر من الظواهر الحديثة التي يمكن ملاحظتها في مظهرها الكمي والكيفي في مدننا اليوم من خلال عمليتين رئيسيتين:

_ الأولى، تتمثل في نمو حجم السكان وتزايد أعدادهم وأعداد المدن.

_ والثانية، تتمثل في القوى التي تدفع السكان من القرى نحو المدن، ومن خلال قوى الجذب المختلفة والتي تعرف بالهجرة.

من الصعوبة التوصل إلى تعريف موحد أو ثابت لمفهوم التحضر وذلك لتعدد المعاني التي يمكن أن يفسر بها. يمكن القول أنه "عملية تغير سريع للسكان في مكان معين هو المدينة والتي يمكن ملاحظتها في مظهرها الكمي والنوعي، بغض النظر فيما إذا كانت العملية تتبثق من عناصر النمو الطبيعي للسكان، أو الهجرة. واعتبار التحضر في الأساس عملية تحديث في المكان من خلال التحول من النظم الاقتصادية التقليدية إلى النظم الاقتصادية الحديثة بمظاهرها المختلفة."²

¹ Rapport national sur la politique de la population, 2002, P. 8.

² مازن عبد الرحمن، الهيبي: المدن والتحضر، أسس ومفاهيم، دار العراب للدراسات والنشر والترجمة، ص. 216، 2011.

يعرف التحضر من الناحية الديمغرافية على أنه انتقال السكان من مكان الإقامة (القرية) إلى مكان إقامة جديد (المدينة) يختلف جذريا، الأمر الذي يؤدي إلى تغير نسبة حجم السكان سلبا في المكان الأول وإيجابا في المكان الثاني.¹

ويعرف التحضر من وجهة نظر الباحث محمد كيلاني من خلال النقاط التالية:

- حجم السكان في المكان، يعني تركيز للسكان والأنشطة غير الزراعية في بيئة حضرية بأحجام وأشكال مختلفة.
- التحضر هو مستوى العلوم والفنون والتقدم التكنولوجي وأشكال التصنيع السائدة.
- التحضر هو الأنماط والروابط الاجتماعية وأشكال التفاعلات الإنسانية.
- التحضر هو التمييز بين نمط الحياة البسيطة والمعقدة في السلوك والقيم والتنظيم.
- التحضر هو عملية تركيز سكاني بزيادة عدد أماكن وحجم التجمعات السكانية.²
- إن التحضر هو عملية تغير اجتماعي معقدة تحدث بترك الناس للقرى كأماكن للإقامة والزراعة كمهنة، وما يصاحب ذلك من تغير ممثلا في اكتساب أساليب جديدة ملائمة للحياة الحضرية التي يختلف فيها نسق القيم المحدد للأدوار والمكانات والعلاقات الاجتماعية.³

يشير التحضر كذلك، إلى حركة السكان من المناطق الريفية إلى المناطق الحضرية وما يتبع ذلك من تزايد نسبة السكان المقيمين في الأماكن الحضرية عن نسبة الذين يقيمون في المناطق الريفية. وقد ظهر التحضر الحديث إثر الثورة الصناعية التي خلقت الحاجة إلى أعداد ضخمة من العمال في المراكز الصناعية، وعقب الثورة الزراعية التي أتاحت لنسبة أقل من السكان أن تعمل في إنتاج الطعام والمواد الخام.

¹ محمد، بومخولوف: التحضر وواقع المدن العربية، دراسات في المجتمع العربي المعاصر، دمشق، 1999.

² محمد، كيلاني: التحضر، شبكة الانترنت العالمية، 2010.

³ سعيد أمين، ناصف: علم الاجتماع الحضري، المفاهيم والقضايا والمشكلات، القاهرة، 2006، ص. 17.

ويشير التحضر إلى انتشار أنماط السلوك وأساليب الفكر الحضرية، وفي هذا الصدد تلعب وسائل الاتصال دورا هاما في نشر الثقافة الحضرية في المناطق الريفية، ولذلك تكاد تكون الفروق الثقافية الريفية والحضرية أن تتلاشى في المجتمعات التي يتعاظم فيها التحضر الكبير. وهذا ما يعني أن المصطلح يشير إلى اتساع نطاق تأثير المراكز الحضرية¹.

نجد في تحديده لمعنى التحضر² إشارة إلى تعريف لويس وورث للحضرية، حيث يقول: " كلما زاد عدد السكان وارتفعت معدلات كثافتهم وعظم تباينهم، عبر ذلك عن الخصائص المرتبطة بالحضرية، وهي الخصائص التي تتمثل في ضعف الروابط القرابية والجيرة وتضاؤلها ونتيجة لذلك تظهر المنافسة ووسائل الضبط الاجتماعي الرسمي لتحل محل روابط التضامن، كذلك فالعلاقات السائدة بين الأفراد تبدو ثانوية وسطحية وانتقالية وانقسامية". والنتيجة الطبيعية لهذا الكلام، أن المهاجر الذي ترك قريته وانتقل إلى المدينة سوف تضعف روابطه القرابية مع أهله المقيمين في البادية، بسبب انخفاض كثافة هذه العلاقات وضعف التفاعل وهي الأمور الناجمة عن البعد المكاني. وبالتالي تضعف روابط الاتصال بين الأقارب وفتور العواطف وبرودها.³

أ- التحضر كحركة سوسيو-جغرافية:

يشير المعنى العام للتحضر، إلى أنه "ظاهرة اجتماعية جغرافية ينتقل السكان في ظلها من المناطق الريفية إلى المناطق الحضرية، وبعد انتقالهم يتكيفون بالتدرج مع طرق الحياة وأنماط المعيشة الموجودة في المدن، وهو أساسا يعني تمركز السكان في المدن ويؤدي إلى تغير اجتماعي وثقافي وتدعيم الروح الفردية في العلاقات التي تصبح ثانوية بعدما كانت أولية في القرية".⁴

¹ محمد عاطف، غيث: مرجع سابق، ص. 462.

² محمد، الجوهري وآخرون: دراسات في علم الاجتماع الحضري، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995، ص. 264.

³ نفس المرجع، ص. 264.

⁴ محمد بومخلوف، مرجع سبق ذكره.

يشير هذا التعريف إلى مختلف العمليات الاجتماعية الأساسية التي تصاحب عملية التحضر وتفرضها الحياة الاجتماعية الحضرية وهي: الحراك الجغرافي للسكان، والتمركز السكاني في المدن، والتكيف التدريجي للسكان مع شروط الحياة في المدينة، والتحول في العلاقات الاجتماعية من العلاقات الأولية إلى الثانوية، والاتجاه نحو الفردية.¹

ب - المعنى السوسولوجي للتحضر:

يشير إلى تلك العمليات الاجتماعية التي تصاحب التحويلات المجالية والديموغرافية والبيئية والتنظيمية التي تهم التجمع السكاني الحضري. فالمسافات المكانية السائدة بين السكان في التجمع الحضري، قربت أو بعدت تترك آثارها واضحة على علاقات الأفراد والجماعات بعضهم ببعض. وهكذا فالتحضر يؤدي إلى إحداث حالة من الوجود الاجتماعي، بشقيه المادي واللامادي، يتسم بالتعقيد ويفرض نفسه على الأفراد والجماعات للتكيف معه.²

ج - تطور الساكنة الحضرية بالمغرب:

عرف المغرب في ظرف قرن من الزمن، تطورا سريعا على مستوى النمو الديموغرافي، حيث انتقل عدد السكان من حوالي 5 ملايين نسمة سنة 1900 إلى حوالي 33 مليون نسمة سنة 2014. هذا التزايد السريع لعدد السكان يعزى إلى تراجع نسبة الوفيات بسبب تحسن الظروف الصحية والمعيشية.

¹ محمد، بومخولوف: مرجع سبق ذكره، ص. 34.

² محمد، بومخولوف: التوطن الصناعي وقضاياها المعاصرة، دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر، 2001، ص. 23 و 27.

جدول رقم (25): عدد ساكنة المغرب (بالملايين) ابتداء من سنة 1900 إلى 2014.

متوسط النمو السكاني %		عدد السكان بالملايين	السنة
المتوسط	الفترة		
-	-	5	1900
0.6	1912-1900	5.40	1912
1.1	1936-1912	7.04	1936
1.5	1952-1936	8.95	1952
3.3	1960-1952	11.63	1960
2.6	1971-1960	15.38	1971
2.6	1982-1971	20.42	1982
2.0	1994-1982	26,02	1994
1.4	2004-1994	29.84	2004
1.1	2006-2004	30.84	2007
1.3	2014 -2004	33.85	2014

المصدر: المندوبية السامية للتخطيط، إحصاءات 1960، 1971، 1994، 2004 توقعات السكان لسنة 2007.

■ نلاحظ، أن نسبة متوسط النمو السنوي عرفت وتيرة متصاعدة منذ سنة 1912، لتسجل أعلى نسبة خلال سنوات الستينات ب 3,3 بالمائة، وظلت هذه النسبة مستقرة في 2,6 في الفترة ما بين 1971 -1994، لتعود إلى التراجع والانخفاض لتصبح 1,4 بالمائة ما بين سنتي 1994 و2004، و1.3 في الفترة 2004 -2014.

هذا التغيير الذي طرأ على متوسط النمو السنوي يعود أساساً إلى تراجع نسبة الولادات بسبب زيادة تـمدرس الفتيات ومتابعة تعليمهن إلى مستويات عالية، وارتفاع سن

الزواج لدى الإناث، وتضائل فرص التشغيل. بالإضافة إلى الحملات التحسيسية التي تقوم بها وزارة الصحة من أجل "التخطيط العائلي" والحفاظ على صحة الأم والطفل.¹

وعليه، فقد انتقل عدد السكان بالوسط الحضري من 16 مليون و 464 ألف إلى 20 مليون و 432 ألف نسمة خلال الفترة ما بين 2004 و 2014 ، مسجلا بذلك معدل نمو ديموغرافي سنوي قدره 2.2% مقابل 2.1% خلال العشرية السابقة.

ويرجع هذا الارتفاع في ساكنة الوسط الحضري إلى النمو الديموغرافي الطبيعي من جهة، والهجرة من المجال القروي من جهة أخرى، بالإضافة إلى خلق مراكز حضرية جديدة وكذلك توسع المدارات الحضرية للمدن. وقد انعكس ذلك على ساكنة الوسط القروي التي عرف عددها الإجمالي تراجعاً طفيفاً مقارنة مع إحصاء 2004 حيث بلغت 13 مليون و 415 نسمة في حين بلغت سنة 2014 ما عدده 13 مليون و 427 ألف نسمة مسجلة بذلك معدل نمو سنوي سالب قدره 0,01% .

- الهجرة محرك للتحضر:

عرف المغرب مثل باقي الدول النامية تحضراً بوتيرة مفاجئة خلال القرن العشرين، محدثاً تحولات وتأثيرات مختلفة على المستوى الديمغرافي، أصبحت المدينة تعيش خلافاً حيث عرفت نمواً ديمغرافياً عالياً، أحدثت تأثيرات مجالية تتمثل أساساً في الامتداد نحو الضواحي والأراضي الزراعية التي تحولت إلى بنايات سكنية. وعلى المستوى الاقتصادي والاجتماعي تظهر هذه التأثيرات في ارتفاع الطلب على السكن والعمل وخلق حركية صناعية من جهة، والبطالة بين قوى الإنتاج المؤهلة وغير المؤهلة، من جهة أخرى.

ساهم النمو الديمغرافي والهجرة القروية بشكل كبير في تنامي سكان المدن الذين ارتفع عددهم من 20% سنة 1936 إلى 58,30% سنة 2011² و 60.0%، وارتفع عدد

¹ محمد، حزوي وآخرون: مرجع سبق ذكره، ص. 45.

² المندوبية السامية للتخطيط، 2013.

المراكز الحضرية من 27 مركز سنة 1900 إلى 400 مركز سنة 2004. كما أن انتشار السكن العشوائي في ضواحي المدن وتزايد الضغط على المدن العتيقة تسبب في تآكلها وتدهور معالمها المادية والثقافية وانهيار بعضها.

بدأت الألفية الجديدة تحت شعار العولمة والثورة الرقمية، وبروز أقطاب عالمية تتحكم في رأس المال. هذه الحركية ساهمت في انتقال العمال نظرا لعمومية البنيات التحتية للنقل السريع، وتوفير وسائل التواصل الحديثة (الهاتف، والانترنت، والأقمار الاصطناعية...) في العالم بأسره وفي كل مستويات الحياة الخاصة والعامة. هذه التغيرات ساهمت في تزايد المهاجرين القرويين نحو المدن، وتزايد هجرة النساء وهجرة الشباب.¹

¹Mihaela Nedelcu. Le migrant online : nouveaux modèles migratoires à l'ère du numérique. L'Harmattan, 2012, P. 19.

خلاصة الفصل الثاني: تيارات الهجرة بمدينة سلا وضواحيها.

تطورت ظاهرة الهجرة بالمغرب، بوتيرة سريعة منذ الاستقلال، وقبل ذلك بقليل، بعد الحرب العالمية الثانية، وتثير اليوم قلق فيما يتعلق بالتوسع الكبير للمدن، والتراتبية في مورفولوجيا الأحياء السكنية الهامشية والضواحي.

سهلت شبكات الأسرة من توفر المعلومات حول المدن المهاجر إليها، ومن تنقل المهاجر النهائي واستقراره بالمدينة. كما تضافرت عدة عوامل من تسريع وتيرة الهجرة نحو المدن، ومن بينها:

- انفتاح الإنسان القروي على العالم الحضري.
- انهيار الشبكات التقليدية التضامنية، واندثار البنيات الاجتماعية، وتحرر الشباب من إكراهات المجتمع الأصلي.
- ظهور أهداف ذاتية وشخصية للشباب القروي.
- ضعف التجهيزات السوسيو-تربوية والاقتصادية بالعالم القروي، بالمقارنة مع طموحات الشباب القروي ووعيهم بوضعيتهم، ورغبتهم في تحسين شروط حياتهم.¹
- لقد عرف المغرب هجرة داخلية مهمة خاصة نحو المدن الكبرى التي عرفت نموا في التصنيع كالدار البيضاء والقنيطرة والرباط. ويمكن تفسير هذه الهجرة سواء الحضرية أو القروية، بعدة عوامل ترجع بالأساس إلى قوى الطرد من المناطق الأصلية وقوى الجذب بالمناطق المستقبلية.
- إن مدينة سلا أصبح عدد سكانها يفوق سكان مدينة الرباط، إذ يقترب اليوم من مليون نسمة، إنها ظاهرة إعادة توزيع السكان مع ما سوف يترتب عليها خاصة

¹Moussa, Kerzazi: Migration Rurale et Développement au Maroc. Publication de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines à Rabat, n°55, 2000, P. 9-56.

- فيما يتعلق بتقسيم السكان بين المدينة والضواحي.
- لقد أصبح أكثر من نصف سكان المغرب يسكنون في المدن، مما يعني عددا كبيرا من التحويلات الديمغرافية وما يترتب عليها من تمدن أو تمدن، ومن تركيز تواجد السكان في الحواضر لاسيما المدن الكبرى.
- شكل التمدن ظاهرة ديمغرافية، وظاهرة جغرافية، أكثر مما هو ظاهرة سوسيولوجية وثقافية، وبصيغة أخرى. فالمراكز الحضرية التي تبرز وتنتامي، لا تتوفر عادة على أهم مقومات المدن سواء من حيث البنيات التحتية، أو طبيعة العلاقات الاجتماعية السائدة، أو طبيعة القيم والعلاقات القائمة في أحيائها.
- إننا أمام ظاهرة تمدن بدون تحضر، ونحن أيضا أمام كثافة السكان في المدن بدون بروز ثقافة أو حضارة مدنية جديدة.
- شهدت مدينة سلا هجرة مكثفة بعد استقلال المغرب، وتضاعفت خلال فترة الثمانينات، وهي المرحلة التي انصب فيها الاهتمام على المدن الكبرى الساحلية، بإقامة مشاريع وإنشاء مصانع كبرى. وتطلب ذلك يد عاملة نشطة، وحاجة متزايدة للأطر المغربية المؤهلة لتعويض الفراغ الذي تركه المستعمر في الأطر والخدمات.
- تنوع وغنى في تركيبة الساكنة المهاجرة، فهي خليط من الأصول والقبائل القروية والحضرية.
- تثير المدينة بجاذبيتها الاقتصادية والساحلية والاجتماعية (أنظر مجال البحث) مهاجرين من عمالات مختلفة بالمغرب، وتستقطب تيارات الهجرة القروية من داخل الجهة وخارجها. ويبرز المهاجرون من أصول تتحدر من المناطق الجنوبية كالراشيدية، ومن الشمال الشرقي كتازة، زيادة على الأصول التي تنتمي إلى القرى والسهول القريبة من المدينة.
- يؤثر هذا الاختلاط في الانتماءات والأصول المتعددة للأسر المهاجرة بمدينة سلا على نسيجها المعماري والثقافي. فكل مهاجر يغادر موطنه الأصلي يأتي مزودا

بحمولة ثقافية واجتماعية تتجسد في سلوكاته وأفكاره وطريقة عيشه، مما ينعكس على أسلوب حياته في المدينة، بل تظهر تجليات هذه الثقافة المزدوجة في قيم المدينة التي أصبحت تجمع بين أشكال الحياة الحضرية والقروية في نفس الوقت.

■ تتوفر مدينة سلا على أراضي شاسعة قابلة لأن تتحول إلى مبان سكنية، ومؤهلات فلاحية وصناعية تستقطب أيدي عاملة مهمة، بالإضافة إلى الصناعة التقليدية. فالمهاجر القروي الباحث عن فرص العمل أو المتطلع للدراسة يجد ضالته في هذه المدينة التي توفر مصانع حديثة، وأخرى للصناعة التقليدية (صناعة الأحذية، والألبسة...)، وتوفر تجزئات سكنية لمختلف الفئات الاجتماعية وتناسب قدرتها الشرائية، بل توفر أيضا أحياء هامشية تعاني من غياب في التجهيزات الأساسية بضواحي المدينة. كما أن أثمان الكراء منخفضة مقارنة مع عدوتها، الرباط، أو الأحياء العصرية الجديدة.

■ تمارس المدن الكبرى جاذبية على محيطها القروي الجهوي الشيء الذي يجعلها تنير وتستقطب في نفس الوقت تيارات الهجرة القروية إليها¹.

■ تعتبر المدينة في تصور القرويين معطى مباشر واعتيادي، هذا التمثل للمدينة يمكن أن يقدم تحديدا علميا لها، وفي جميع الحالات يكشف شكلا خاصا من المعرفة، مضمونها محدد ومتماسك ورمزي (العمل، والضجيج، والانحرافات...) إنها انعكاس جزئي لواقع مليء بالدلالات إلى درجة أن القرويين يختارون في المدينة عناصر دون أخرى وتوجهات معينة. هذا الرأي حول المدينة يفسر المجتمعات القروية في طور النمو أو واعية بتخلفها ومحبطة في ضرورتها الاقتصادية.

■ هذه الصورة هي أداة للتواصل بين القرويين والحضرين، ووجه من مواقف كل منهما على الآخر، إنها عنصر دينامي في قيادتهم، إنهم يتوقعون حل المشاكل أكثر من تطوير معارفهم، إنهم يوجهون أحكامهم ويركزون إدراكاتهم. إن هذه

عبد الرحمان، المالكي: "الهجرة النسائية"، مجلة دفاتر جغرافية، العدد 5، السنة 2008، ص. 7.

التمثلات بمثابة دليل على مواقفهم وسلوكياتهم أكثر من معلوماتهم، صراعات تصوراتهم يشرح التعارض بين القيم، ويفهمنا لماذا المجتمع القروي يقبل أو يرفض بعض التحويلات.

■ إن التمثل الاجتماعي للمدينة يندمج في سيرورات التحضر، إنه ينبني على المستوى المعرفي لخصوصيات الذات الحضرية كما تتصورها الذهنية القروية.¹ إن الإنسان في المدينة في نظر جورج زيميل يشعر أنه في حالة ضياع نظرا لتعدد جوانب الحياة فيها، هذه الحالة النفسية هي التي تجعل الناس يبتعدون عن الاستجابة العاطفية، الأمر الذي أصبح معه العلاقات بين الإنسان وأقرانه علاقات جزئية.

■ إن حياة المدينة تعرض أصحابها لانطباعات قوية متغيرة وغير متوقعة، توهن إحساسهم ولا تترك لهم حتى المجال لحماية أنفسهم منها، إلا باختصار العلاقات ذات الطابع العاطفي مع الناس والأشياء التي تحيطهم، هذه الانطباعات الحسية المختلفة التي تطبع الشعور تكبت المجال العاطفي وتختزله في مجرد مجال عقلي.²

¹Placide, Rambaud. Société rurale et urbanisation. Edition de Seuil, Paris, 1969.

² Simmel cité dans, Cellier, Hervé : Algérie France, jeunesse, ville et marginalité, Paris, L'Harmattan, 2008, P. 3-18.

الفصل الثالث:

أسباب ومشاكل الحجرة القروية بمؤينة سلا وضواحيها

المحور الأول: أسباب الهجرة بمدينة سلا وضواحيها.

تقديم:

تعتبر معرفة أسباب ومحددات الهجرة القروية من بين أهم المواضيع التي تهتم بها سوسيوولوجية الهجرة. ومن الطبيعي أن يستهل كل بحث سوسيوولوجي في هذا الميدان بالتساؤل عن الدواعي والأسباب والتمثلات الذهنية التي تجعل البعض يهاجر، والبعض لا يهاجر.

إن أسباب الهجرة لا تكون في الغالب واضحة ودقيقة، لأنها في الواقع عبارة عن شبكة متداخلة من الأسباب التي تؤثر بعضها في بعض وينتج بعضها البعض. فمن الأكيد أن هناك أسبابا أو دواعي هي التي تحمل المهاجر على مغادرة موطنه الأصلي.

ترجع ظاهرة الهجرة القروية إلى أسباب متعددة، هذه الأسباب تتعدد وتتنوع بتعدد النازحين إلى مدينة سلا وضواحيها، ولكنها تتجمع كلها لتندل على وجود قوتين: قوى طاردة وقوى جاذبة. تشير القوى الطاردة إلى العوامل التي تدفع القرويين نحو المدينة بفعل الظروف الطبيعية كالجفاف وتراجع مردودية الأرض، والظروف الاجتماعية التي يحددها المهاجرون في النزاعات العائلية وضعف فرص العمل بالبادية، وانعدام الخدمات الأساسية. أما القوى الجاذبة، فتتمثل في كل الظروف التي تجذب المهاجرين بحثا عن فرص عمل وظروف معيشية أفضل، معنى ذلك أن عوامل الطرد كامنة في البادية وعوامل الجذب توجد في المدينة.¹

وبناء على ذلك، فإن قرار الهجرة لا يتخذ نتيجة لعامل أو سبب محدد من أسباب الهجرة، بحيث يمكن تمييزه أو فصله عن غيره من العوامل، بل هو نتيجة تداخل وتراكم هذه الأسباب. سنحاول فرز الأسباب الرئيسية انطلاقا من تصريحات المبحوثين، والتمييز فيها بين الأسباب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية.

¹ محمد، البوطاهري: الهجرة الريفية، مرجع سابق، ص. 77_102.

- تصنيف أسباب الهجرة

لتحديد أسباب الهجرة طرحنا مجموعة من الأسئلة حاولنا من خلالها حصر الأسباب العميقة للهجرة، والجدول (26) يبين بعض الأسباب التي نعتبرها مساعدة في معرفتها. طرحنا الأسئلة التالية: لماذا غادرت القرية؟ لماذا اخترت الهجرة إلى مدينة سلا؟ إن السؤال بهذه الصيغة سيمنحنا بوضوح الأسباب التي دفعت أرباب الأسر لمغادرة الموطن الأصلي.

جدول رقم (26): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب السبب الرئيسي للهجرة (%)

النسبة المئوية (%)	التكرار	الأسباب
44.9	218	العمل
4.9	24	تعليم الأبناء
20.2	98	مرافقة الأسرة
2.5	12	نزاعات عائلية
5.3	26	استقرار العائلة بالمدينة
9.9	48	الاستفادة من خدمات المدينة
2.1	10	السكن
3.3	16	الجنسية
1.6	8	الجفاف
5.3	26	انتقال / تعيين
100	486	المجموع

المصدر: البحث الميداني، صيف 2011، سلا

يمكن توزيع أسباب الهجرة حسب نتائج الجدول كالتالي:

أ- الأسباب الاقتصادية:

تعتبر العوامل الاقتصادية أحد الأسباب الرئيسية في تحريك عملية الهجرة القروية في اتجاه المراكز الحضرية. لقد تبين من خلال البحث الميداني أن 44.9% من أرباب الأسر في وضعية الهجرة هاجروا من قراهم لأسباب العمل الذي لم يعد مناسباً، سواء كان ذلك على مستوى العلاقات الاجتماعية أو الاقتصادية. وبناءً على تصريحات المهاجرين بمدينة سلا وضواحيها، يعتبر العمل السبب الرئيسي في اتخاذ قرار الهجرة.

• قلة فرص العمل بالبوادي

إن العمل في الأرض أو الضيعات الفلاحية لا يعتبر عملاً متواصلاً ودائماً، ولا يشغل إلا عدداً محدوداً من اليد العاملة، ويساعد الفلاحين فقط على العيش وتحصيل القوت اليومي، ولا يمكن الفلاح من عائدات مادية لائقة. كما أن انتشار الآلات العصرية في الملكيات الفلاحية ساهمت في تردي الأوضاع الاقتصادية، وانتشار البطالة في صفوف الشباب القروي، ونضيف عامل تعقد السياسات العقارية للأراضي التي لا تزال تحكمها أنظمة تقليدية في بعض البوادي، الشيء الذي ينتج عنه هجرة نحو المدينة.

ومما يزيد من تأزم الأوضاع الاقتصادية للفلاحين توالي مواسم الجفاف، خاصة وأن النشاط الفلاحي مرهون بالظروف المناخية التي تتميز بعدم انتظامها وتقلباتها، مما ينتج عنه ضعف في المردودية والإنتاجية، فيتضرر الفلاح الصغير ويضطر إلى بيع أرضه وماشيته وترك مسقط رأسه نحو المدينة. لهذا عبر أرباب الأسر على هذا الوضع بالصيغة التالية: "لو كان لدينا ما نفعله في القرية لما هاجرنا".

• تعدد فرص العمل بالمدينة

إذا كانت البادية تمثل أماكن طرد بالنسبة لسكانها، فإن المدينة تعتبر بالمقابل منطقة جذب للمهاجرين القرويين، فالوسط الحضري يوفر مصادر للعيش وأنشطة متعددة ويتميز

بارتفاع نسبي للأجور. هذه الجاذبية التي تمارسها المدينة تغري الشباب للالتحاق بها والحصول على عمل منتظم في القطاعات الصناعية التحويلية التي لا تحتاج إلى تكوين تكنولوجي أو مهارة علمية، ولكن تحتاج إلى الطاقات البشرية التي تعتمد القوى العضلية والبدنية.

• الرغبة في الحصول على عمل وأجر منتظمين

نتيجة تراجع دور القرية المغربية أصبح كثير من القرويين يشعرون بتفاوت مستوى المعيشة وشروطها بين القرية والمدينة. فبينما الأعمال في المدينة تمتاز حسب وجهة نظر المهاجر بأنها أعمال سهلة ودائمة، بينما العمل في البادية شاق ومتعب. جاء على لسان المبحوثين أن "العمل بالمدينة غير شاق ومتعب، ومتوفر".¹

- البحث الميداني للباحثة عائشة التايب حول الهجرة النسائية والتنمية²: تستخلص طغيان سبب الهجرة من أجل العمل، وسبب الالتحاق بالزوج على باقي الأسباب الأخرى في حالة هجرة الإناث من البلاد التونسية إلى الخارج، كما يبقى العمل السبب الرئيس لهجرة الذكور التونسيين إلى الخارج، إذ يهاجر 79.2 في المائة منهم من أجل العمل.

أسباب الهجرة حسب الجنس	العمل	الزواج	الدراسة	أسباب أخرى
الذكور	79.2	2.5	14.1	4.2
الإناث	27.2	36.3	20.3	16.4

¹ علي، معمر: مرجع سبق ذكره.

ومقارنة مع نتائج دراسات أخرى حول أسباب الهجرة:

- الدراسة التي قام بها الباحث علي معمر حول التكيف الاجتماعي والثقافي للمهاجرين بليبيا، نجد أن العمل من الأسباب الرئيسية التي تدفع القرويين للهجرة، حيث يمثل نسبة 60.2 بالمائة.¹

العمل	الزواج، الطلاق، الموت	الجفاف والفقير	نزاعات عائلية	آخر
60,2	9,2	22,0	5,9	2,7

² عائشة، التايب، ص. 152.

نستخلص أن:

- مغادرة مسقط الرأس بالنسبة للإنسان المغربي يقتضي إكراهات حادة أو متعددة حتى يعزم الشخص على اتخاذ هذا القرار.
- تهيم الأسباب الاقتصادية تهيم بنسبة 51.8 %، مما يعكس أهمية العامل الاقتصادي في التأثير على حركة الهجرة قبل وبعد الانتقال من البادية إلى المدينة.
- قد أضحت جملة من الدراسات في مناطق مختلفة من العالم النامي تؤكد ميل الأسر إلى تشجيع هجرة الفتاة بدافع التغلب على الفقر ومجابهة صعوبات الحياة اليومية، وهو ما يبقى أحد الأسباب الرئيسة التي تحفز المهاجرة على تحويل جزء كبير مما تجنيه من عملها في الهجرة لفائدة زوجها وأبناءها، إن كانت متزوجة، ولفائدة أبنائها وإخوتها إن كانت غير متزوجة¹.

ب- الأسباب الاجتماعية:

من بين الأسباب الاجتماعية التي تدفع المهاجرين إلى ترك مكان إقامتهم الأصلي والانتقال إلى المدينة، نجد:

جدول رقم (27): توزيع أرياب الأسر المهاجرة الذين نزحوا لاعتبارات اجتماعية (%)

السكن	نزاعات عائلية	استقرار العائلة بالمدينة	مرافقة الأسرة	الأسباب الاجتماعية
2.1	2.5	5.3	20.2	%

المصدر، البحث الميداني، صيف 2011.

• مرافقة العائلة

لتحقيق التجمع العائلي بين أفراد الأسر المهاجرة، تلتحق الزوجة والأبناء بالأب المهاجر، أو تكون هجرة أفراد الأسرة جماعة. إن نسبة 20.2% من المهاجرين اختاروا الهجرة بسبب مرافقة أسرهم.

¹ عائشة، التايب، ص. 152.

• استقرار العائلة بالمدينة

من بين العوامل التي تشجع هجرة القرويين استقرار العائلة والأقارب، وأحيانا الأصدقاء من البادية نفسها، باعتبارهم فئات حققت النجاح في الحصول على عمل ومسكن واستطاعت تحسين ظروفها المعيشية نسبيا مقارنة بوضعيتها السابقة بالدوار. تساعد الشبكات القرابية والعائلية والأصدقاء في دعم المهاجر واستقراره. وهذا ما تأكدنا منه أثناء البحث الميداني، حيث تبين أن نسبة 5.3% من المهاجرين أقاموا عند عائلاتهم أو أبناء قريتهم عند قدومهم إلى مدينة سلا. إن وجود العائلة يشكل جسرا يعبد الطريق ويسرع حركة الهجرة نحو المدينة.

• النزاعات العائلية

تشكل الخلافات العائلية نسبة منخفضة 2.5%، مما يعزز فرضية التضامن الاجتماعي بين الأسر القروية.

• السكن عامل للنزوح نحو المدينة

حسب نتائج دراسة شملت المهاجرين القرويين ببوركينا فاسو، يستفيد المهاجرون الجدد من دعم حالما يصلون إلى المدينة المستقبلية، ويتحدد هذا الدعم في ثلاثة ميادين هي: التغذية والسكن، والدعم المالي.

يشكل السكن الطريق الأمثل للاندماج ويكون مرحلة مهمة في سيرورة الهجرة لدى الأفراد. وغالبا ما تتخذ هذه السيرورة الشكل التالي، يكون المهاجر مقيما لدى إحدى العائلات المستقبلية، ثم تتغير وضعيته إلى مكثري وأخيرا إلى مالك لمنزل خاص.¹

إن تحسين السكن والبحث عن ظروف أفضل فيما يتعلق بالإضاءة والماء والتطهير والنظافة، دوافع تساهم في توافد مجموعة من الأسر على مدينة سلا الحضرية. فقد بلغت نسبة الأفراد المهاجرين بسبب عامل السكن 2.1% من مجموع الأسر المبحوثة، وعبر هؤلاء عن رغبتهم الأكيدة في القرب من العاصمة الإدارية الرباط، بحكم الخدمات الحضرية التي توفرها.

¹Dynamique migratoire, insertion urbaine et environnement au Burkina Faso, L'Harmattan, 2007, P. 188_211.

ج- أسباب أخرى:

• الرغبة في التمدرس من بين دوافع الهجرة

أصبحت المدرسة هي العنصر القادر على تحقيق التمايز الثقافي والاقتصادي داخل القرية، الشيء الذي جعل منها متغيرة أساسية في التحول الأسري، على اعتبار أنها تجسد أول أشكال تبعية الأسرة للدولة، فهي تنمي القدرات العقلية للأطفال، ثم تعدهم للانخراط في خدمة المجتمع وتنميته. وبالتالي صار التمدرس مكونا اقتصاديا للأسرة، تستثمر فيه جزءا من مدخراتها، وتعلق عليه آمالها في تأمين حياة جيدة.¹

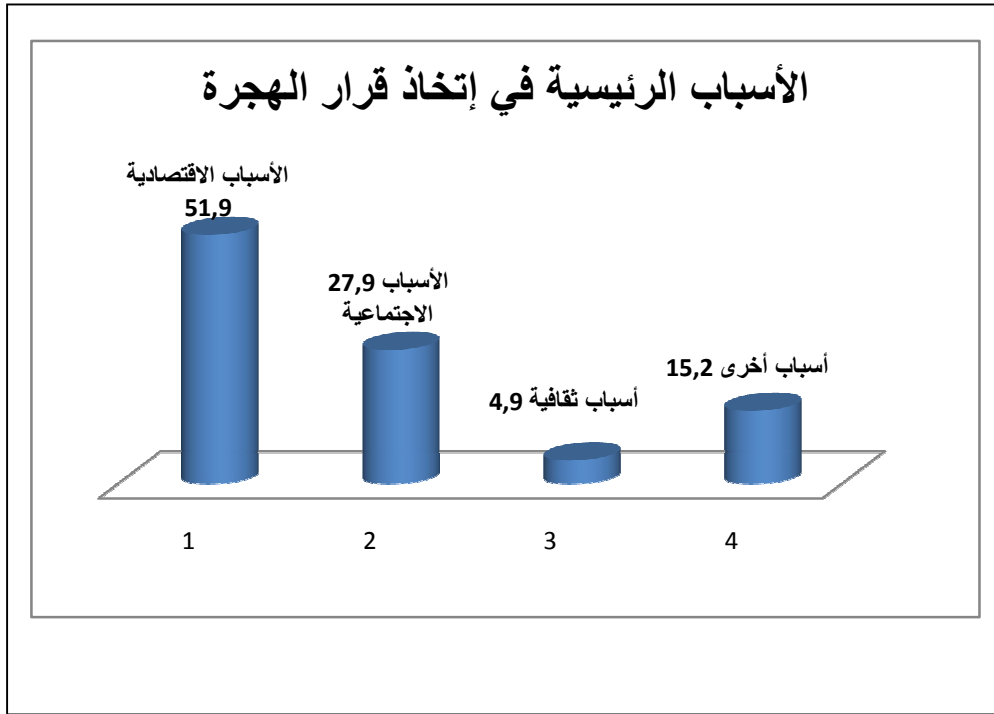
من الأسباب التي تدفع الأسر القروية إلى اتخاذ قرار الهجرة، الرغبة في ضمان تعليم جيد لأبنائهم. ولما كانت فرص التعليم في البوادي محدودة، لضعف المؤسسات والأطر البشرية، تلجأ نسبة 4.9% من المهاجرين إلى مغادرة القرية باتجاه المدينة.

• العوامل النفسية:

وفضلا عما سبق، لا يجب أن نغض الطرف عن العوامل النفسية التي تجعل من المهاجر القروي عنصرا ناجحا جديرا بالتقليد، ذلك أن التقليد الاجتماعي يعزز تيارات الهجرة، فيزداد تطلعه إلى المدينة عندما يكتشف سلبية البادية، ومجالات العيش الموجودة في المدينة خاصة عندما ينقل إليه رفاقه صورة مغرية عن الحياة، فتراوده فكرة الهجرة مقلدا بذلك رفاقه المهاجرين. يقول أحد المبحوثين في هذا الصدد: "كنا كنشوفو دراري لي هاجروا من الدوار، كيرجعوا نقيين ومتغيرين بزاف، أحيانا كانت تجيني لغيرة أنا شخصيا". ويضيف آخر: "عياودوا على حياتهم فالمدينة سهلة وبسيطة، وعلى الخير موجود حتى فالعائلات. ويضحك".

¹ عني: مرجع سبق ذكره.

مبيان رقم(13): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب أسباب الهجرة.



■ قرار الهجرة:

يعتبر المختار الهراس مفهوم اتخاذ القرار عملية تضم مجموعة من القواعد والأساليب تستعمل لتفضيل توجه معين أو اختيارات معينة. يقتضي اتخاذ القرار أن يتمتع الفرد بالقدر الكافي من الخبرة والكفاءة ليحدد بسرعة ما يجب فعله.¹

إن قرار الهجرة لا يتم اتخاذه أو تنفيذه إلا بعد الانخراط في شبكة الهجرة، وذلك ما يعبر عنه علماء الاجتماع بشبه قانون مفاده "أن الهجرة تؤدي إلى الهجرة"، ومن تم تتشكل شبكات الهجرة التي تمتد وتتضاعف باستمرار من البادية إلى المدينة ومن المدينة إلى البادية. هذه الشبكات هي التي تحول فعل الهجرة إلى ظاهرة اجتماعية أو تيار اجتماعي يمتد في الزمان والمكان، وهذا التيار هو الذي كان ولا يزال يغذي المدن المغربية بأفواج

¹ المختار، الهراس: المرأة وصنع القرار في المغرب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، السنة، 2008.

متواصلة من الوافدين الجدد. هذه الأفواج التي تجد في الأحياء الهامشية المهيكلة وغير المهيكلة الميناء الأفضل للدخول، أي المجال الأفضل للاستقبال والمهد الأنسب للاستقرار العابر أو الدائم.¹

من أصعب القرارات التي يتخذها الشخص هو تغيير مكان إقامته ومغادرة موطنه الأصلي نحو مكان آخر. وهذه الحركة هي ما يسمى بالهجرة التي قد تكون اختيارية أو إجبارية، فردية أو جماعية، ويمتد تأثيرها ليس فقط على المهاجر، بل تمس كل أعضاء عائلته. "هذا ينبغي على المهاجر أن يفكر في الصعوبات التي ستواجهه مستقبلا قبل الإقدام على مغادرة موطنه، ولا يتخذ قرار الهجرة إلا بعد تفكير عميق" تعبير أحد المبحوثين.

يخضع قرار الهجرة إلى أربعة عوامل مرتبطة بالأصل، والوجهة، والمنتقلون في التفكير في الهجرة، والعوامل الشخصية. ففي كل مكان أصل، ومكان الوجهة نعتقد بوجود قوى إيجابية تجعل الساكنة مستقرة وتجذب المهاجرين، وقوى سلبية تجعل الساكنة تغادر ولا تشجع على استقرار المهاجر.² إن قرار الهجرة يجب أن يخضع لشروط أساسية، يقول أحد المبحوثين "أن تكون للمهاجر دراية مسبقة بالمكان، وأن يخضع القرار للتشاور مع أعضاء الأسرة والأصدقاء، والأخذ برأيهم".

ينبني مجتمع القرية على علاقات متداخلة بين أعضائه، والقرارات لا تتخذ بشكل فردي وإنما يتم التشاور مع العائلة، إذ غالبا ما يتدخل الآباء في مثل هذه القرارات الأسرية المصيرية التي تتعكس ليس فقط على المهاجر وإنما تمس الأسرة بأكملها. يقول أحد المبحوثين "من الأفضل أن يستقر كل إنسان في بلده الأصلي، إذا توفرت لديه شروط العيش الكريم، فليس هناك ما هو أفضل من مسقط الرأس".

¹ عبد الرحمان، المالكي: مرجع سبق ذكره، ص. 7 و 12.

² Moussa, Kerzazi. Ibid. P. 9 et 56.

الهجرة والتحصن والتحويلات الأسرية

انطلاقاً من الفرضية التي تقول بأن الشخص لا يقدم على فعل الهجرة إلا إذا كانت هناك أسباب قوية وعميقة، والتي سبق وأن حددنا البعض منها. ومن أجل تحديد الإجراءات والضغوطات التي تمارسها العائلة أو بعض الأصدقاء على الشخص لكي يهاجر، طرحنا السؤال بالصيغة التالية: هل دفعك أقاربك أو أصدقاؤك للهجرة؟

جدول رقم (28): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب قرار الهجرة

النسبة المئوية %	التكرار	قرار الهجرة
41.2	200	فردى (شخصى)
28.4	138	رفقة العائلة
21.8	106	مع الأقارب
8.6	42	مع الأصدقاء
100.0	486	المجموع

المصدر، البحث الميداني، 2011.

- إذا أخذنا النسبة الأولى في الجدول، نلاحظ أن اختيار الهجرة فعل فردي واختيار حر، فنسبة 41.2 % هاجروا بفعل قرار شخصي نتيجة الظروف القاسية التي يعيشها القروي في البادية، خصوصاً الذين لا يملكون أرضاً أو منزلاً.
- نسبة 28.4 % من أرباب الأسر في وضعية الهجرة هاجروا تحت ضغط الإجراءات أو التوصيات، وتكون هذه الضغوطات في شكل فرد من أفراد العائلة بنسبة 21.4 %، أو صديق بنسبة 8.6 %¹.

¹M. Nabili. *Migrations et stratégie d'intégration des migrants dans la ville d'El Jadida*. 1995, P. 283-300.

- ومقارنة مع نتائج الدراسة التي قام بها الباحث مصطفى نبيلي حول الهجرة وإستراتيجيات اندماج المهاجرين بمدينة الجديدة، نجد النتائج التالية:
جدول المقارنة مع نتائج دراسات أخرى:

هجرة رؤساء الأسر رفقة العائلة	هجرة رؤساء الأسر بالمفرد
67,7	32,3

نبيلي، مصطفى: الهجرة وإستراتيجيات اندماج المهاجرين بمدينة الجديدة، ص. 283.

▪ أنواع الهجرة بمدينة سلا وضواحيها:

• تصنف الهجرة من حيث القائم بالهجرة:

الهجرة الفردية هي التي تحمل الأفراد، منفردين قريبا أو بعيدا، من أمكنة سكناهم الأصلية للأسباب التي دفعتهم للهجرة. أما الهجرة الأسرية، فهي عندما يقرر الفرد المهاجر عدم العودة إلى موطنه الأصلي، والاستقرار في مهجره، يصطحب أسرته إلى البلد المستقبل.

والهجرة الجماعية، هي التي يشترك فيها جملة أفراد أو أسر، وهي غالبا ما تنجم عن الكوارث الطبيعية كهجرة أهل أغادير في المغرب عام 1954 على إثر الزلزال أو هجرة أبناء مناطق نكبت بالفيضان، كما حصل في بنغلاديش، وفي بعض الأحيان تنجم عن اعتداء سياسي وعسكري كهجرة الفلسطينيين إلى البلاد العربية.¹ أو في سبيل تحقيق مشاريع تنمية أو اقتصادية أو تخطيطية، وأحيانا تنجم عن الحروب والاضطرابات السياسية والأطماع الاستيطانية.²

تستحوذ الهجرة القروية الفردية على المعطيات الميدانية. فقد خلصنا من البحث الميداني أن 41.2% من أرباب الأسر المهاجرة قدموا إلى مدينة سلا بمفردهم. وبناء على دراسة الوضعية العائلية للأسر وجدنا أن النسبة التي تحضر بقوة هي فئة المتزوجين، مما يعني أن الهجرة تكون فردية في البداية، وبعد استقرار المهاجر وحصوله على عمل وسكن ملائم يستدعي أسرته وأبناءه لمرافقته أو يقوم بتغيير وضعيته العائلية من عازب إلى متزوج.

نستخلص أن:

▪ تتأرجح أسباب الهجرة بين نوع الأرض والطرده من العمل أو الخلافات العائلية أو البحث عن العمل الذي يرجع بنا إلى سبب واحد أكثر أهمية عمومية وجوهرية. ونعني بذلك الوضع الخاص الذي يعيشه الإنسان القروي إزاء ملكية الأرض. فالبحث عن العمل

¹ عبد القادر، القصير: الهجرة من الريف إلى المدن. دار النهضة العربية، بيروت، 1992، ص. 110.

² علي معمر: التكيف الاجتماعي والثقافي للمهاجرين، ص. 34.

والرغبة في الحصول على وظيفة والاستقرار بالمدينة، تعتبر دوافع أساسية لمغادرة القرية والاتجاه نحو المدينة.

■ قرار الهجرة قد يكون في البداية فردياً ليتحول إلى مشروع جماعي يضم أعضاء الأسرة الآخرين، وقد يستفيد الأقارب والأصدقاء من تهيئ الظروف المناسبة لإغرائهم للالتحاق بالمدينة. ويمكن أن نفسر الهجرة العائلية بمتابعة الأبناء لتعليمهم أو بفعل تعيينات في صفوف الجندية والوظيفة العمومية، أو النزاعات العائلية حول الإرث، أو البحث عن العمل لمواجهة الصعوبات الاقتصادية، وفي بعض الأحيان بغرض الاستشفاء.

■ إن هجرة أرباب الأسر تكون في الكثير من الأحيان، فردية وتسبق الهجرة الأسرية الدائمة. فبعد استقرار أحوال المهاجر بالمدينة يأتي بالزوجة والأبناء للعيش معه، وأحياناً أخرى، تكون الهجرة جماعية بحيث يهاجر كل أعضاء الأسرة باتجاه مكان جديد للاستقرار.

المحور الثاني : تأثير الهجرة على بنية المدينة وعمرانها.

تقديم:

لقد اهتمت الدراسات السوسولوجية بمسألة الهجرة القروية بالمغرب منذ سنوات عديدة. غير أن معظم هذه الدراسات نظرت للهجرة من زاوية نقط الوصول بالنظر إليها كهجرات في المدينة، كما هو الحال بالنسبة لدراسة أندري آدم حول ساكنة الدار البيضاء.¹ كما أن الدراسات التي قام بها الباحثون في الجغرافية والديمغرافية تركز على انعكاسات الهجرة على مناطق الوصول ومناطق المغادرة، لتقصي هذه الدراسات التأثير الذي يقع على الأسرة المهاجرة نتيجة الهجرة والتغير الحضري. هذا النزوح القروي للساكنة من البادية إلى المدينة، ليس حالة خاصة بالمغرب، ولكن هناك حتما عاملا مهما، يتمثل بدون شك في التحضر السريع وغير المعقلن في نفس الوقت.

تعرف المجتمعات العربية عموما، ومن بينها المغرب هجرة من القرى نحو المدن، ومن المدن الصغرى إلى المدن الكبرى، مما ولد تبعات على كل الأصعدة حيث خلقت آثارا واضحة على التنمية والتحضر في نطاق المدن المستقبلية على مستويات متعددة.²

- مفهوم المدينة:

ماذا تعني المدينة؟ إنها أعلى نماذج التنظيم الإنساني إنها مجتمع من الرجال والنساء مرتبطين بعضهم ببعض في نفس السكن على نقطة في سطح الكرة الأرضية، يتضامنون في إطار نفس القوانين، نفس الحاجة للعمل، والسكن، والانتظارات، ولكن هذا النموذج التنظيمي لا يمكن أن يكون إلا في إطار حضارة عالية.

تحدد المدينة بوظائفها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والدينية والثقافية والإدارية والترفيهية، أكثر مما تتحدد بحجمها رغم الترابط بينهما. وتنشأ المدينة كما يقول ألبير حوراني³ في حديثه عن المدينة الإسلامية: " إن المدينة تنشأ عندما ينتج الريف مزيدا من

¹ A. Adam. Histoire de Casablanca des origines à 1914. Publication des Annales de la Faculté des Lettres d'Aix en Provence, Edition Ophrys Nouvelle, série n° 66.1968, P. 192.

² نفس المرجع، ص. 159.

³ ألبير حوراني مذكور في حلیم، بركات: مرجع سبق ذكره، ص. 300_350.

الطعام أبعد¹ من حاجاته، مما يمكن فريقا من الناس أن يعيشوا دون أن يزرعوا محاصيلهم أو يربوا مواشيهم فينصرفون إلى صنع سلع للبيع أو تقديم خدمات لبقية المجتمع".

إن المدينة هي مركز الحكم والنفوذ والقوة، فتوجد فيها مؤسسات الدولة والوزارات والجيش والمحاكم والمجالس الإنتاجية والسفارات... ومركز التجارة العالمية والمحلية، والأسواق التجارية، الأبنك والشركات، ومراكز التعليم والجامعات والمعاهد المتخصصة والمدارس، ومركز العبادة المساجد والكنائس، ومركز الإدارات والفنون والحرف والصناعات والترفيه والخدمات العامة.²

تعتبر المدينة نوعا من المركز الذي يسيطر ويوجه ويحدد العلاقة مع المحيط، باعتبار إن المدينة تشكل مركزا تنظيميا على جميع المستويات. وهذا الطابع التنظيمي هو الذي يجعل منها كيانا مهيمنًا، ومركزا لمختلف ومعظم الأنشطة والخدمات والمؤسسات الاقتصادية أو الاجتماعية أو الثقافية أو الدينية أو السياسية. إن المدينة تمارس نوعا من الجذب على الناس والخيرات. وتتميز المدينة إلى جانب ذلك كقوة جاذبة تتمركز فيها الأنشطة والاقتصادية والمصالح، وينتج عن هذا التمرکز تمرکز السلطة، وهو ما يعني احتكار السلطة من طرف المدينة.³

إن المدينة هي وحدة اجتماعية واقتصادية وسياسية وثقافية وعمرانية، تنمو وتتطور بشكل ديناميكي ضمن حيز مكاني معين، تعمل وترتبط وفق نظام خاص بها يختلف من مدينة إلى أخرى. يمثل السكان الجانب الاجتماعي والثقافي، ويمثل الجانب الاقتصادي بطبيعة ونوع النشاط، أما الجانب السياسي فيتمثل في السلطة الإدارية والسياسية في المدينة. فيما يتحدد الجانب العمراني في الكتل البنائية.

مهما اختلفت المدن في توزيعها المكاني وأبعادها الزمانية فهي تشترك في ثلاث خصائص:

¹ نفس المرجع.

² نفس المرجع، ص. 90.

³ إبراهيم، حمداوي: "خصائص الحياة الحضرية وعلاقتها بالجريمة"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، العدد 17، ص. 201، 2012.

- احتواءها على عدد معين من السكان، والذين يعيشون فيها.
- بنية فيزيائية (الهيكل العمراني)، يمثل الحيز المكاني الذي يمارس فيه السكان نشاطاتهم الحياتية.
- العلاقة الوظيفية لعناصر المدينة فيما بينها، من جهة، وعلاقة المدينة مع إقليمها والمدن الأخرى، من جهة أخرى¹.

إن هيمنة المدينة على القرية من حيث تقسيم العمل وتمركز الاستثمارات والرساميل والسلطة جعلها تجذب الإنسان القروي وتدفعه إلى الاستقرار بمحيطها. بالإضافة إلى ذلك فخضوع القرية للظروف المناخية والطبيعية وتركز الرأسمال والخدمات في المدينة وصعوبة الوضع الجغرافي والمناخي في السنوات الأخيرة جعل القرية تعيش فقراً مدقعا دفع بسكانها إلى الهجرة.

- تأثير التحضر على شكل المدينة ومورفولوجيتها:

إن فهم التحضر السريع يتم من خلال دراسة جدلية القرية والمدينة أو العلاقة بين المجالات الحضرية والمجالات شبه الحضرية.² إن المدينة هي مكان للعلاقات بدرجات متفاوتة، إنها مفتوحة على العالم الخارجي مقابل القرية كمكان تقليدي مغلق على ذاته. يمكن أن نتحدث عن طريقة عيش حضرية وطريقة عيش قروية، فالضغوطات، والشروط التي تمارس على الحضري تختلف تماما عن قواعد الحياة القروية³.

تعد ظاهرة النمو الحضري من الظواهر المهمة التي تؤثر في شكل المدينة ومورفولوجيتها والوظائف الحضرية فيها، فهي مؤشر نوعي للسلوكات غير المنتظمة

1 مصطفى جليل إبراهيم، الزبيدي: "التغيير في البنية الحضرية للمدينة العربية الإسلامية...مدينة بغداد كنموذج"، معهد التخطيط الحضري والإقليمي للدراسات العليا، جامعة بغداد، ص. 1.

² نفس المرجع، ص. 202.

³Jean Bernard Charrier: Citadins et ruraux, Coll. Que sais _je ? Presses Universitaires de France, 1964, P. 42.

Op. Cit. P. 8.

وغير المستقرة في أنظمة حتمية لا خطية. فالمدينة بوصفها نظام تميل نحو والاتصال، فالارتباط يعبر عن ميل أو نزعة ذلك النظام للانتشار عند وصوله إلى حد معين. ونتيجة تأثير القوى الحضرية بأنواعها المختلفة، تنتشر المدينة بأنساق مكانية عبر الزمن... لتكون جزرا حضرية خارج حدود النسيج الحضري. ووفق قواعد هذا السلوك المكاني تحدث عملية تغذية عكسية تعمل على اندماج هذه الجزر الحضرية بالمدينة الأصلية وفق آليات ومحددات النمو الحضري¹.

■ التعريف اللغوي للمدينة:

تعني المدينة لغة مكان الإقامة أو الاستقرار، ومدن بالمكان أقام فيه. وهي مشتقة من (دان) (يدين) أي يحكم، وديان يقصد بها القاضي، وهي مكان إقامة القاضي. وقد مددت كلمة المدينة في القرآن الكريم عشر مرات.

مدن بالمكان: أقام به، فعل مامات، ومنه المدينة، وهي فعيلة، وتجمع على مدائن... وفلان مدن المدائن: كما يقال مصر من الأمصار. والمدينة هي الحصن الذي يبنى في أضمطة الأرض².

والمدينة اصطلاحا ظاهرة يمكن تمييزها كإحدى المعالم البارزة التي أنشأها الكائنسان على سطح الأرض وهي شكل من أشكال التنظيم والتنسيق الذي حقق منافع وفوائد عديدة³.

شروط المدينة حسب ابن خلدون، اعلم أن المدن قرار تتخذه الأمم عند حصول الغاية المطلوبة من الترف ودواعيه، فتؤثر الدعة والسكون، وتتجه إلى اتخاذ المنازل للقرار. ولما كان ذلك، للقرار والمأوى، وجب أن يراعى فيه دفع المضار بالحماية من طوارقها وجلب المنافع وتسهيل المرافق لها⁴.

¹ سناء ساطع، عباس: "ديناميكية النمو الحضري في العراق"، مجلة المخطط والتنمية، العدد 26، 2012، ص. 3.

² ابن منظور: لسان العرب، الجزء 13، ص. 402. مذكور في عبد الأحد السبتي، مرجع سبق ذكره، ص. 17.

³ مازن عبد الرحمن، الهيتي: مرجع سبق ذكره، ص. 61.

⁴ ابن خلدون: عبر، الجزء 2، ص. 617-621. مذكور في عبد الأحد السبتي، مرجع سبق ذكره، ص. 17.

إن تزايد سكان المدن يعود بالدرجة الأولى إلى الهجرة والنزوح وإلى التزايد الطبيعي، إذ يكاد يتساوى معدل الولادات في القرية والمدينة بينما ينخفض معدل الوفيات في المدينة، وتتصف المدينة بالإضافة إلى نمو السكان السريع، بارتفاع نسبة الشباب، هناك أيضا ازدواجية المدينة القديمة والجديدة، ومما يزيد من حدة هذه الازدواجية الاختلاف الكبير بين المدينة في شتى جوانب الحياة.¹

■ المدينة ظاهرة سوسولوجية:

تتصف المدينة القديمة، بطابعها التقليدي وتراكم منازلها وأزقتها الضيقة الملتوية والمتشعبة وأزيائها الشعبية، وتشابك الأسواق التجارية ومحلات الحرف اليدوية، والمقاهي، والمطاعم الشعبية بالمنازل السكنية، وازدحام سكانها وفقرها (الجزائر، والرباط، وتونس، والقاهرة..)، بينما تتصف المدينة الجديدة بطابع حديث أوروبي وتوزع وارتفاع منازلها وشوارعها الواسعة المستقيمة وأزيائها الأوربية، ومتاجرها التي تتعامل بالبضائع الاستهلاكية المستوردة وتوزع سكانها ومستواها المعيشي المرتفع. هناك ظاهرة نشوء الأحياء الصفيحية والهامشية وغير اللائقة التي يقطنها المهاجرون القرويون في الأغلب ومشكل كثافة السكان.²

تسود في المدينة حياة التجارة والصناعة والحكم والثقافة والترفيه، ويستدعي كل ذلك الانفتاح على الخارج وقيام البيروقراطية السياسية وسيادة العلاقات والتنظيمات الرسمية المحكومة بالتعاقد، أكثر مما هي محكومة بالعلاقات الشخصية مقابل البنى اللارسمية والأولية التي هي أكثر رسوخا في حياة البادية.

تتشكل البنية السياسية للمدينة من شبكة العلاقات المنتظمة في مؤسسات الدولة التنفيذية والتشريعية والقضائية والأحزاب والمنظمات السياسية والجيش والنقابات والمؤسسات الصحافية.³

1 نفس المرجع.

2 حلیم، بركات: مرجع سبق ذكره.

3 نفس المرجع.

إن اختلاف تركيب الأسرة بين المدينة والقرية يختلف كما وليس نوعا عنه في القرية، فهي أيضا عائلة ممتدة مع ميل أوضح نحو النووية. فالأوضاع المهنية والاقتصادية اقتضت نشوء العائلة الممتدة ذات السلطة الأبوية المركزية والتماسك الداخلي والتلاحم مع الفروع. وقد جرى تحول في هذه البنى منذ بداية القرن التاسع عشر إثر الاحتكاك بالغرب ونمو التجارة، واستخدام التكنولوجيا الغربية وحلول نمط الاقتصاد النقدي محل نمط اقتصاد الإعاشة القائم على شبه الاكتفاء الذاتي وتبادل السلع وبين التحويلات المهمة.¹ يذكر السيد الحسيني بأن ظهور المدن الجديدة والهجرة من الريف وتقلص الاختلافات بين البادية والمدينة يرجع بالأساس لتطور المواصلات وانتشار التعليم وارتفاع مستوى المعيشة.²

يعتقد علماء الاجتماع الحضري، أن المدينة تمثل شكلا من أشكال التجمعات المحلية الإنسانية التي تتميز بخصائص معينة، وأن طابع الحياة فيها يختلف عن حياة البادية من حيث التنظيم.³ إذا كانت المدينة الحالية تبدو وكأنها تشغل الوظائف الحضرية الأساسية. وتعرف أحياء المدينة العتيقة نموا سكانيا غير مسبوق وغير منتظر، والاختلاف الذي كان موجودا بين المدينة القديمة والمدينة الحديثة أخذ اليوم يزداد اتساعا مع ظهور عمارات ذات طابع تجاري وصناعي. إن المجال الذي كان يفصل بالأمس الأحياء العتيقة عن الأحياء العصرية أصبح اليوم تغمره تجزيئات عصرية، أحياء للنوم، ومنازل ناقصة الاندماج وغير مجهزة، بل عامرة ببيوت وبراريك، تأوي عددا كبيرا من السكان.⁴

■ المدينة قبل الثورة الصناعية:

تمتاز المدن قبل الثورة الصناعية بمميزات تجعلها ذات طابع خاص والتي تعرف بالمدن المسورة أو المدن المحاطة بالسور، وهي بذلك لها صفاتها الخاصة وأهمها: أنها محدودة في عدد السكان والمساحة، وان حدث ونمت المدينة من ناحية العمران أو الحجم،

¹ حليم، بركات، نفس المرجع السابق.

² السيد، الحسيني: المدينة: دراسة في علم الاجتماع الحضري. دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، 1981، القاهرة، ص. 243-276.

³ محجوب عطية، الفائدي: علم الاجتماع الحضري. المكتب الوطني للبحث والتطوير، البيضاء، ليبيا، 2004، ص. 86.

⁴ أحمد، الكوال: مرجع سبق ذكره، ص. 125.

فإنه من الصعب تجاوزه. هذا فضلا عن وسائل النقل التي كانت تستخدم وأبرزها العربات التي كانت تجرها الحيوانات في نقل الأشخاص والبضائع أو بواسطة الحيوانات التي كان يألفها الإنسان، أما في ما يخص عملية التنقل فقد كان الإنسان ينتقل بين أجزاء المدينة سيرا على الأقدام فضلا عن بنية الوظائف والخدمات. فقد كانت المدينة تضم المسجد (الجامع) الذي يتوسط المدينة وبجواره السوق بمؤسساته وحرفه ونشاطاته التجارية، كما تضم دار القضاء وبيت الحاكم لحل مشاكل الناس وقضاياهم¹.

إن النسيج الحضري للمدينة العربية الإسلامية يتمتع بقدر كبير من الانسجام والتوازن والوحدة. إن المدينة بمختلف أنماطها وطرزها كانت ولا تزال تعكس استجابة مادية لمتطلبات الإنسان، وتقف في مقدمتها العلاقة بين أبعادها الأفقية والعمودية. لهذا فالعلاقة بين المدينة التقليدية والإنسان كانت تتميز بنوع من الحميمية والألفة، تحتضن الإنسان وتستوعبه، عكس كثير من أجزاء المدينة المعاصرة التي تكون خارجة عن المقياس الإنساني².

■ المدينة بعد الثورة الصناعية:

إن المدينة في هذه المرحلة تتكلم عن نفسها من حيث حجم السكان وتعدد الوظائف والخدمات والتطور التكنولوجي والمواصلات والامتداد العمراني، وهو ما تشهد به المدن الصناعية الكبرى في الولايات المتحدة الأمريكية، ودول أوروبا كبريطانيا، وفرنسا وغيرها، ومدن الوطن العربي كالإمارات العربية، ومصر، والمغرب³.

إن مدينة ما بعد الثورة الصناعية، مدينة عصرية مصممة بطريقة عقلانية ومنظمة، تكشف عن اختيارات حضرية جديدة تستجيب لحاجيات الدولة الوطنية. تستثمر التطور التقني والعلمي والمبادرات الفردية، إنها أيضا موجهة لأفراد مختلفين من حيث التطلعات والتوجهات الخاصة. تتميز المدينة الصناعية بحركية الأشخاص والمعلومات والأرباح، وتلاءم متطلبات الإنتاج والاستهلاك والتبادل التجاري.

¹ مازن عبد الرحمن، الهيئي: مرجع سبق ذكره، ص. 237.

² الزبيدي، مرجع سبق ذكره، ص. 4.

³ الهيئي، ص. 237.

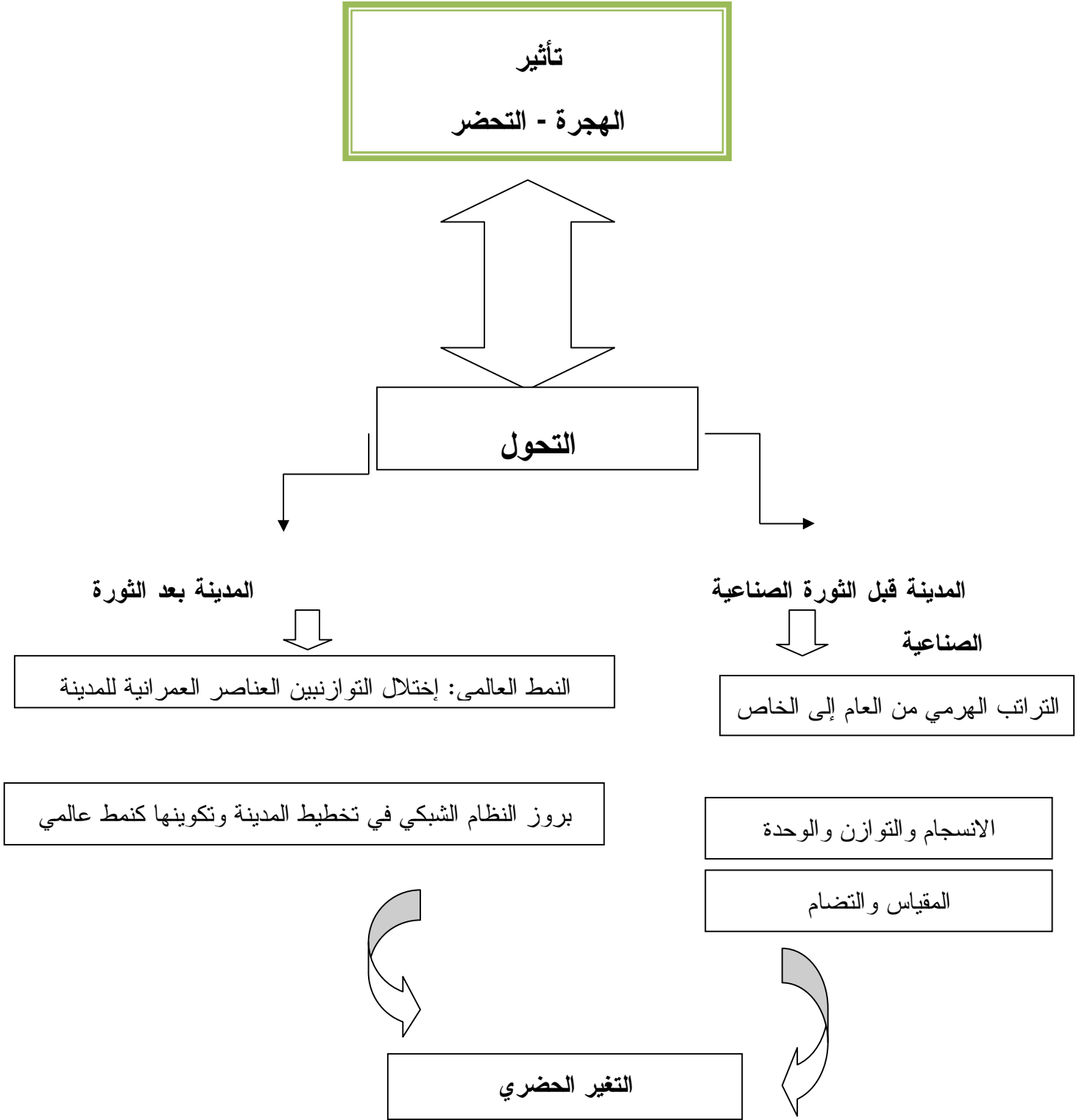
إن أساليب البناء الحديثة قد غيرت من المعالم الحضرية للمدينة العربية الإسلامية، من خلال إنشاء أنماط حديثة من الأبنية العالية (النمط العالمي) وأشكال متباينة لا تتوافق ولا تتسجم مع المقياس الإنساني للنسيج الحضري، فاختلف التوازن بين العناصر العمرانية المكونة للبنية العمرانية للمدينة، وتغير خط البناء الذي كانت تهيمن عليه المآذن والقباب، كما أثرت المواد الحديثة في تغيير معالمها، حيث ظهرت المباني ذات الواجهات الزجاجية والخرسانة المسلحة، فأصبحت المدينة تشكيلة متنافرة من المباني وهذا نتاج التفاعل المستمر بين الصناعة والتقنيات الحديثة لهذا العصر. وهكذا فقدت المدينة العربية الإسلامية الانسجام والتكامل بين الذاتية الفردية للمبنى والتشكيل العمراني ككل، وأصبحت المدينة عبارة عن مجموعات وتراكمات للأبنية المختلفة والسيارات والناس.

في العصر الحديث، واجهت المدن توسعا حضريا سريعا أحدث خلا في النواحي التخطيطية، خاصة بعد ظهور حركة التصنيع السريع وبرامج التنمية الاقتصادية في الدول الغربية¹.

خلقت هاتين السيورتين نموا ديمغرافيا في المدن، وتوسعا مجاليا سريعا، هذا النمو السريع للمدن ووظائفها كان دافعا نحو تنمية علمية وتكنولوجية، ولكن ولدت أيضا فقرا شديدا لفئات حضرية مهمة.²

¹ الزبيدي: مرجع سابق، ص. 5.

² Ascher, François : Les nouveaux principes de l'urbanisme suivi de lexique de la ville plurielle, Ed L'Aube, 2010, P. 20 et 27.



خطاطة رقم (1): تأثير الهجرة والتحضر في تحول المدينة ومكوناتها الفيزيائية.

- تمثّل أرباب الأسر المهاجرة للمدينة:

ما هي المدينة بالنسبة لك كمهاجر؟ كان هدفنا من هذا السؤال هو التوصل إلى التصورات والتمثّلات التي كونها المهاجرون حول المدينة، وإذا ما كانت نظرتهم لها تتوافق مع انتظاراته وتطلّعاته السابقة.

تحمّل المدينة تناقضات يكون لها تأثير على تمثّل المهاجر للحياة الحضرية وطبيعة العيش فيها، وتحضر في شكل مخاوف تؤثر على نفسيته وثقته في الآخرين والإحساس بعدم الأمان. هذه التناقضات تفرض عليه بناء سلوكيات جديدة في علاقته بأبنائه وزوجته والمحيطين به. فمن جهة، أتاحت المدينة للمهاجر فرصة تحسين أوضاعه المادية والمعيشية، ومن جهة أخرى، ولدت لديه مخاوف زعزعت ثقته بجيرانه وأصدقائه. "أخاف على أبنائي في هذه المدينة بسبب انعدام الأمن، كذلك أخاف من مرافقة ابني لأشخاص منحرفين، وكذلك ابنتي، أما زوجي فأنا أضع ثقتي فيه". تصرّح إحدى النساء المهاجرات. "لا أجد راحتي في المدينة فأنا أشعر بالغرابة، ومن الناحية العقلية فالكل هنا مختلف في التفكير، عدم التفاهم وكثرة المشاكل في المدينة، أما الإيجابيات فهي مادية فقط، فقد تحسّن مستوانا المادي بعد الهجرة، وكذلك الثقافي". يقول أحد أرباب الأسر المهاجرة.

توفر المدينة حاجات وخدمات متعددة في تصور المهاجر، هذه الخدمات التي ترتبط بالمستويات الصحية والتعليمية والسكنية والمعيشية والترفيهية والتي تفتقر لها البادية. وفي نفس الوقت تزداد في المدينة إمكانية تحرر الفرد من رقابة العائلة والقرية والجوار "ان المدينة توفر أيضا فضاء للحرية والراحة والخصوصية الفردية والاختلاف الفكري بين الناس، وتسهل من ظروف الحياة القاسية والصعبة التي تعرفها البادية، رغم الصعوبات التي يجدها المهاجر أمامه أثناء الهجرة فهو لا يفكر إطلاقا في العودة إلى البادية" شهادة أحد المبحوثين.

مقابل ذلك تحضر لدى المهاجر تخوفات من الحياة في المدينة في ما يخص الخوف على الأبناء من الانحراف والمخدرات، أو التأثر بعادات أبناء المدينة السلبية. كما عبر مهاجرون آخرون عن معاناتهم من قلة الأمن والضجيج الذي تعرفه المدينة، يقول أحد المبحوثين: "أنا أشعر بالغربة في المدينة، فالناس مختلفون جدا في التفكير وهناك مشاكل كثيرة وهناك صعوبة في تربية الأبناء، أما إيجابيات المدينة فهي تحسن في الوضعية المعيشية". وتضيف إحدى النساء المهاجرات " ما لا يعجبني في المدينة هو قلة الأمن ويعجبني أنها توفر كل شيء من مواد غذائية، وملابس، وأماكن للتنزه بحكم أنها مدينة كبيرة". وتضيف أخرى "أخاف على أبنائي من المدينة بسبب انعدام الأمن" سلا الجديدة.

تعتبر المدينة تجربة قوية بالنسبة للمهاجرين الريفيين. إنها تحت الفرد لاعتماد طرق جديدة في الحياة، كما أنها تزيد من سرعة تغيره، وذلك بتعرضه لمجموعة من الأساليب الحياتية والآراء والأفكار.¹

إن تمثل المهاجر لحياة البادية باعتبارها الهوية والأصل، مقابل حياة المدينة التي تمثل الغربة وغياب الضوابط الأخلاقية وطغيان المصلحة الفردية وعدم الثقة، قد يكون مصدرا لتفاقم إحساسه بالعزلة وعائق أمام اندماجه في الوسط الجديد خصوصا في بداية الهجرة.

- تحديات المدينة²:

تطرح المدينة المغربية اليوم تحديات مختلفة :

_ التحدي الاقتصادي: يتمثل في التنافسية الاقتصادية وقدرة المدينة على إنتاج الثروة واستقطاب الاستثمارات، لذلك يجب أن تتوفر المدن على مجموعة من الخصائص والتجهيزات.

¹ ياسين، علي الكبير: مرجع سابق، ص. 11.

² عبد العزيز، عديدي: "التمدن بالمغرب"، جريدة هسبريس، 25 سبتمبر 2013، حوار سمير هلال.

التحدي الإيكولوجي: إن التمدن مرادف لاستهلاك الثروات الطبيعية مما يؤدي إلى تراجع مساحات الأراضي الفلاحية، لأنه في الكثير من المدن المغربية التوسع العمراني والتمدن يكون على حساب الأراضي الفلاحية، خصوصا المدن التي تقع في أراضي فلاحية خصبة. كما أصبحت المدينة منتجة للنفايات والغازات السامة وأيضا استهلاك مفرط للماء.

التحدي التنموي: يهم التوازنات والتفاوتات الاجتماعية وتطرح في دول الجنوب، بحيث تستفيد أقلية من الثروة والنمو الاقتصادي وجزء كبير من الساكنة يتكدس في أحياء فقيرة¹ وهامشية ومدن الصفيح مما يؤدي إلى وجود هوة بين الطبقات الاجتماعية.

- البطالة الحضرية

تعتبر البطالة من المشاكل التي تواجهها المجتمعات بدون استثناء حتى البلدان التي حققت تفوقا اقتصاديا. وإذا مست البطالة الفئات النشطة والشابة ستتحول إلى عائق أمام تقدم وتنمية الطاقات الحية والمبدعة، كما تتولد عن البطالة مشاكل اجتماعية كالانحراف والمخدرات والتطرف والفساد الأخلاقي. لهذا تحاول الشعوب أن تحقق حد أقصى من فرص التشغيل بتشجيع المبادرات الحرة والاستثمارات في الميادين التي تستقطب يد عاملة تقلص من احتمالات البطالة في صفوف الشباب.²

الملاحظ هو احتراف عدد من الوافدين الحرف البسيطة والأنشطة غير الرسمية واليد العاملة الرخيصة وغير المؤمنة، بينما تتحول الأغلبية إلى عاطلين عن العمل. ويرى الباحث محمد بومخلوف أن هذا الوضع هو نتيجة لعدم مواكبة الدينامية الاقتصادية والتنظيمية للمدن المستقبلية، وعدم قدرتها على إشباع حاجات السكان من فرص العمل لضمان دخل اقتصادي قار، الأمر الذي ينتج عنه انتشار ظاهرة البطالة الحضرية.³

¹ حسب تقرير لوزارة الإسكان فإن نسبة ساكني الأحياء الفقيرة ارتفع إلى 25 %، وقاطني المدن انتقل من 8 % سنة 1912 إلى 60 % 2014، ونسبة سكان المدن وضواحيها تقارب اليوم 65 % من مجموع الساكنة.

² محمد، البوطاهري: مرجع سابق.

³ ياسمين، بعريش: "إشكالية العنف الاجتماعي" (مدينة علي منجلي نموذجا)، مجلة إضافات، العدد 28، خريف 2013.

جدول رقم (29): تطور نسبة البطالة بالمغرب¹

السنة	2006	2007	2008	2009	2010
النسبة المئوية	9,7	9,8	9,6	9,1	9,1

يتجه المهاجرون إلى العمل الذي يعتمد على قوتهم الفيزيائية، لعدم توفرهم على مؤهلات علمية أو تقنية فيتحولون إلى عمال موسمين. «تهددنا البطالة في كل لحظة وحين، بل بشكل دائم» تعبير أحد المبحوثين.

انتقلت نسبة البطالة من 10.2 % إلى 9.9 % ما بين الفترة الممتدة من (2014 - 2015)، وانخفض معدل البطالة على المستوى الوطني من 14.6 % إلى 14.3 % في الوسط الحضري، ومن 5.1 % إلى 4.7 % في الوسط القروي.

¹La mobilité des travailleurs dans l'espace maghrébin". Nations Unies, 2011, P.17.

المحور الثالث : مشاكل الهجرة بمدينة سلا وضواحيها

تقديم:

تعتبر بداية الهجرة بمثابة امتحان يواجه المهاجر ويخضع لطبيعة المكان المستقبل، وتظهر قدرة الوافد على التعايش مع وضعه الجديد. وتتحدد في تصورنا، أولى الصعوبات التي تتولد عن الانتقال من مكان إلى آخر، في الاستقرار، والبحث عن العمل، ثم التكيف مع الوسط الجديد.

قد تتحول الهجرة إلى المدينة إلى مشكل يرهق تفكير المهاجر، وتكون عائقا أمام إدماجه وبنائه لعلاقات جديدة في الوسط الحضري. لهذا من الضروري أن تكون للمقبل على الهجرة فكرة مسبقة عن المكان الذي يختاره للاستقرار، ويتربق بالإكراهات التي يمكن أن تتولد عن هذا القرار ماديا ونفسيا وأسريا.

- مشاكل الهجرة:

من هنا راهنا على طرح السؤال على أرباب الأسر المهاجرة في ما يخص المشاكل ذات الأولوية التي تعيق نجاح واندماج المهاجر بالوسط الجديد. فكانت الإجابة كما هو موضح في الجدول التالي:

جدول رقم (30): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب مشاكل الهجرة.

النسبة المئوية %	التكرار	مشاكل الهجرة
51.4	250	- مشكل السكن
7.0	34	- غياب مساعدة العائلة
3.7	18	- غياب مساعدة الأصدقاء
16.5	80	- ضعف الأجر (غلاء المعيشة)
9.1	44	- ضعف القدرة على استعمال تقنيات التواصل الجديدة
1.6	8	- انعدام الثقة في الناس
10.7	52	- مشكل البطالة
100.0	486	المجموع

المصدر: البحث الميداني، صيف 2011، سلا.

- مشكل السكن :

يرى 51.4% من أرباب الأسر في وضعية الهجرة أن السكن من الأولويات التي تشغل تفكيرهم في بداية الهجرة. فالاستقرار السكني والمادي هو ما يحفز المهاجرين على الاستمرارية والاندماج وفي حالة النفي الشعور بالإحباط والفشل.

يحفظ السكن كرامة الإنسان وقيمه ويترك لديه الشعور بالتفوق، "رغم الإقامة مع الأهل أو الأصدقاء المستقرين بالمدينة، فإن حميمية الشخص وخصوصيته لا تتحقق إلا بسكنه الخاص" تصرّحات أحد المهاجرين. يصر أرباب الأسر على ضرورة إعطاء مشكل السكن حيزا ضمن السياسات الحكومية، والعمل على خلق سكن لائق يناسب كل الطبقات الاجتماعية ويساير قدرتهم الاقتصادية.

- مشكل ضعف الدخل وغلاء المعيشة

صرح 16.5% من أرباب الأسر عن معاناتهم من ارتفاع الأسعار وأثمنه الكراء مقابل محدودية الدخل، فمعظمهم يشتغل في التجارة المتجولة، أو كحراس عمارات أو ليليين، أو البناء... ويتلقون أجورا هزيلة لا تسد حاجتهم، أمام النفقات الجديدة المصاحبة لعملية الاستقرار بالوسط الحضري كتكاليف الكراء، والإنارة والماء والهاتف والمواصلات وتطبيب الأبناء وتعليمهم. أمام هذا الوضع يضطر المهاجر للبحث عن أكثر من عمل لتتويع مصادر دخله وتلبية متطلبات أسرته.

استطاعت فئات من المهاجرين تجاوز الصعوبات المادية بإنشائهم لمشاريع خاصة والنجاح في تكوين ثروة اقتصادية سهلت إمكانية الاندماج في الوسط الحضري. يقول أحد البقالين من المهاجرين والمستقر بسلا الجديدة: "الحمد لله لدي أصدقاء من البلاد هم جيرانني هنا، نتعاون فيما بيننا حتى نستطيع تجاوز محنة الهجرة والغربة" ويضيف "استطعت النجاح واكتسبت ثقة الناس في الحي من مشروع صغير". ويحدثنا مهاجر آخر بائع دجاج عن وضعيته بالمدينة: "الطريق الصحيح تجعل الناس يحبونك، لا أتعامل بالكريدي لكن الكل يتعامل معي بثقة واحترام".

- انعدام الثقة في الناس

تشير نسبة 1.6% إلى مشكل الثقة بين المهاجر والناس المحيطين به سواء من الجيران أو الأقارب المقيمين بنفس الحي أو المدينة. إن انخفاض هذه النسبة يدل على العلاقات الإيجابية بين المهاجرين في غالب الحالات، وتوجد استثناءات قليلة تولد الإحساس لدى المهاجر بعدم الثقة في الآخرين، عكس ما كان عليه الوضع في البادية، حيث تعود الناس التعامل فيما بينهم وتبادل الثقة وتقديم المساعدة، ويتم هذا التفاعل بعيدا عن المصالح الشخصية أو المنفعة. لهذا يحاول أرباب الأسر المهاجرة التمسك بنفس القيم حتى بعد هجرتهم إلى المدينة. يقول أحد المبحوثين: "في الدوار نتضامن في السراء والضراء، في الأحزان والأفراح، والتعاون فيما بيننا بدون مقابل أو مصالح".

- مشاكل أخرى :

يعتبر الفقر زيادة على الشرخ الاجتماعي الذي يحدثه ضمن عوامل فشل الانتقال على الأصعدة التربوية والديمغرافية والاقتصادية، أحد العوامل المحفزة على الهجرة. فحسب تقرير التنمية البشرية لعام 2008 للأمم المتحدة، فإن نسبة 19% من مجموع السكان يعيشون تحت عتبة الفقر بالمغرب. وتعتبر البوادي أكثر فقرا، حيث أن معدل الدخل الفردي بها يقارب 3037 درهما، مقابل 3922 درهما في المدن.¹

من المشاكل الاجتماعية ذات الأهمية الكبرى في تصور أرباب الأسر المهاجرين البطالة 39.9%. تعاني نسبة 16.0% من المهاجرين من الفقر وآثاره بسبب قلة العمل وضعف الموارد الاقتصادية. ويحتل التعليم مكانة مهمة ضمن أولويات المهاجرين بنسبة 13.6%، إذ عبر أرباب الأسر عن رغبتهم في ضمان تعليم جيد لأبنائهم سواء من حيث توفر الأطر أو المؤسسات التعليمية أو التجهيزات. يمثل مشكل الخدمات الصحية نسبة

¹ امحمد، لزعر. أيمن، فلاق: "محددات الهجرة السرية من المغرب إلى أوروبا"، مجلة الهجرة والتنمية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس - سلايس، 2012، ص. 35.

الهجرة والتحصن والتحويلات الأسرية

6.2%، ومشكل الأمية نسبة 5.3%، لهذا ترغب الأسر المهاجرة التحاق أبناءها بالمدرسة ومتابعة الدراسة إلى مستويات عالية، لضمان اندماجهم في الحياة الحضرية.

يمثل مشكل الرشوة نسبة 4.9%، فقد عبر أرباب الأسر المهاجرة عن ضرورة محاربتها في المعاملات بين الناس في الحياة العامة. إن الرشوة تهدد المجتمع مثلها مثل الانحراف والجريمة، واستمراريتها تذل بأخلاقيات الأفراد وممارساتهم. وسجلت الجريمة نسبة 2.5%، ويرى 1.6% من أرباب الأسر أن وضعية المرأة تمثل مشكلا أساسيا، فيما احتلت الزبونية والهجرة مرتبة أخيرة في مراتب المشاكل ذات الأولوية بالنسبة للأسر في وضعية الهجرة بنسبة وصلت إلى 0.8%.

■ المشاكل ذات الأولوية بالمغرب

ولتحديد المشاكل التي تعتبر أولويات في تصور المهاجرين، طلبنا من أرباب الأسر ترتيبها حسب أهميتها، صغنا سؤالنا كالتالي: ما هي في نظرك المشاكل ذات الأولوية؟ ورتبها حسب أهميتها؟ فكانت الإجابات كالاتي:

جدول رقم (31): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب تصورهم للمشاكل ذات الأولوية بالمغرب

النسبة المئوية %	التكرار	المشاكل
39.9	194	البطالة
16.0	78	الفقر
13.6	66	توفير تعليم جيد
8.2	40	السكن
6.2	30	الخدمات الصحية
5.3	26	الأمية
4.9	24	الرشوة
1.6	8	وضعية المرأة
2.5	12	الجرائم
0.8	4	الهجرة
0.8	4	الزبونية (المعارف)
100.0	486	المجموع

المصدر البحث الميداني، سلا، 2011.

خلاصة الفصل الثالث: أسباب ومشاكل الهجرة

تتعدد الأسباب التي تدفع أرباب الأسر في وضعية الهجرة لمغادرة أماكن ولادتهم وموطنهم الأصلي بما يختزله من دلالات وقيم وعلاقات، للاتجاه صوب عالم جديد يفرض التلاؤم مع شروطه ومقتضياته. وقد تتحدد هذه الأسباب في ما هو اقتصادي، أو اجتماعي، أو نفسي.

قد تكون الهجرة قرارا فرديا وتعبيرا عن اختيار حر وشخصي من طرف المهاجر، أو انتقالا جماعيا يشمل أفراد الأسرة ككل، وهذا القرار يكون إما إراديا أو إجباريا بسبب قساوة الحياة القروية، أو ضعف الموارد والإنتاج الفلاحي.

تتولد عن الهجرة مشاكل متعددة تحول دون تحقيق المهاجر لطموحاته في احتضان هذا العالم الجديد الذي يحمل عنه صورا ذهنية تعبر عن رغبات نفسية واجتماعية شخصية. إن تدخل العائلة والأصدقاء المستقرين بالمدينة يقلص من تخوفات المهاجر في بداية الهجرة إلى الوسط الجديد، ونظرا للدعم النفسي والمعنوي الذي يقدمه هؤلاء (الإقامة عند أحد الأقارب أو الأصدقاء، توفير المعلومة حول المدينة وأماكن العمل وغيرها). هذا الدور الذي تقوم به الشبكات العائلية والقروية يسهل عملية اندماج المهاجر ومقاومته لل صعوبات الحضرية.

تبين من النتائج الميدانية أن العمل يعتبر محددًا رئيسيًا في اتخاذ الشخص قرار الهجرة، فبالإضافة إلى ضعف فرص العمل بالبادية، يعاني المهاجرون من قساوة الشغل وشقائه، بل حتى النساء المهاجرات عبرن عن وجود فرق كبير بين الأعمال المنزلية في البادية والمدينة.

تتأرجح أسباب الهجرة بين ما هو اقتصادي (الشغل)، وما هو اجتماعي (مرافقة العائلة، النزاعات الأسرية حول الإرث، وغيرها)، وما هو نفسي (التقليد، النموذج الحضري). تصبح آثار هذا الوضع ضرورية لكل دراسة أو تحليل سوسولوجي لمعرفة انعكاساته على الأسرة في وضعية الهجرة.

تعتبر مشاكل كالبطالة والسكن والفقر والتعليم والصحة أولويات تهيمن على تفكير المهاجر، ولكنها في نفس الوقت تخفي مشاكل أخرى عميقة والتي لا يمنحها المهاجر حيزا كبيرا، وتتمثل أساسا في وضعية المرأة المهاجرة، والانحرافات والزبونية (أو المعارف).

تهيمن المشاكل الاقتصادية على تفكير المهاجرين، خصوصا البطالة والعمل الذي يحتل حيزا مهما من اهتماماتهم، ويعتبر المحفز الأول في اتخاذهم قرار تغيير الموطن الأصلي. ترغب المهاجرين في تحسين وضعهم الاجتماعي والاستفادة من الخدمات الحضرية: حظوظ أكبر لتعليم الأبناء، السكن، الخدمات الصحية، والترفيه، وغيرها.

الفصل الرابع:

التغير الأسري والتغير الحضري

تقديم:

التغير الأسري هو تلك التغيرات والانتقالات التي تحدث في أدوار ووظائف أعضاء الأسرة. إن التغير الأسري هو جزء من التغير العام الذي يحدث في المجتمع مع مرور الزمن. إن أدوار ووظائف النظم والتنظيمات والمؤسسات الاجتماعية داخل المجتمع تتغير من مرحلة زمنية لأخرى، كما أن ما يقوم به أعضاء هذه التنظيمات، من أدوار ووظائف، يطرأ عليها تعديل وتغير من مرحلة زمنية لأخرى.

يعد التغير الأسري نتيجة عدة تفاعلات اقتصادية وسياسية واجتماعية. لقد تمت دراسة التغير الأسري ودراسة الأسرة والقرابة في القرن التاسع عشر في إطار النظرية التطورية، حيث افترض العلماء التطوريون، أن الزواج والأسرة قد تطورا من مرحلة الإباحية الجنسية إلى الأشكال المختلفة من الزواج الجمعي حتى وصلا إلى مرحلة الزواج الأحادي.¹

أما الدراسات الأنثروبولوجية، فإنها قد مالت في دراستها للتغير الأسري إلى دراسة الأنساق القرابية والبناءات الأسرية. أما علماء الاجتماع، فإنهم مالوا لدراسة إشكاليات التحول التي تواجه الأسرة في المجتمعات الصناعية المعاصرة، مما أدى إلى ظهور عدة تغيرات على أنساق القرابة وأشكال الأسر.

اهتمت الدراسات السوسيولوجية بالبحث في علاقة الأسرة بالتغير المجتمعي، كما اهتمت بتحديد أسباب التغير الاجتماعي في إطار اشتغالها بهذا الموضوع.

لقد ذهبت بعض هذه الدراسات إلى كون عوامل التغير الأسري خارجية مع تجاهلها لدور الأسرة في هذه العملية. وإن التغير الحادث فيها هو رد فعل للتغير في العوامل الأخرى، ويعلل هؤلاء الباحثون هذا الطرح بكون المتغيرات الأساسية المتسببة في التغير الأسري تتمثل في التصنيع والتحضر وما يصاحبهما من عمليات اجتماعية، ومن خلال هذه المتغيرات ينظر إلى الأسرة على أنها متغير تابع.²

¹ عبد الرحيم، عنبي: مرجع سبق ذكره، ص. 93.

² عنبي، مرجع سبق ذكره، ص. 93.

- مفهوم التغيير:

التغيير لغة كما جاء في لسان العرب : تغيير الشيء عن حاله : تحول. وغيره حوله وبدله كأنه جعله غير مكان¹.

يتضح من التعريف اللغوي أن مصطلح التغيير مصطلح محايد لا يحمل معنى التقييم، وإنما يصف التغيير بما يحدث في الواقع دون أن يشير إلى التقدم أو التخلف. وقد استعمل اصطلاح التغيير الاجتماعي للتعبير عن ظاهرة التحول والنمو والتكامل والتكيف والملائمة.

يعرف صامويل كوينج : "التغيير هو التحول الذي يحدث في أنماط الحياة الإنسانية، ويرجع إلى عدة عوامل داخلية وخارجية. إن التغيير طابع مميز لجميع المجتمعات". ويرى موريس جينز بوج أن : "التغيير هو حدوث تغيير في بناء المجتمع ويشمل حجمه وتركيب أجزائه وشكل تنظيماته الاجتماعية، كما يتضمن التغيير في الاتجاهات والمعتقدات التي تساهم في تحقيق التغيير في النظم الاجتماعية". أما جورت ومينز فيعرفانه بأنه : "التحول الذي يطرأ على الأدوار الاجتماعية التي يقوم بها الأفراد، وكل ما يطرأ على النظم الاجتماعية وقواعد الضبط التي يتضمنها البناء الاجتماعي في مدة زمنية معينة²."

التغيير ظاهرة عيانية موجودة في كل مستويات الوجود في المادة غير الحية، وفي المادة الحية، وأيضا في الحياة الاجتماعية.³ والتغيير الاجتماعي "هو ذلك التغيير والاختلاف في أدوار الأفراد التي يقومون بها في المجتمع من مرحلة زمنية إلى مرحلة زمنية أخرى، وفي أدوار التنظيمات والنظم، والمؤسسات داخل المجتمع، وما تقوم به من أدوار تختلف أيضا من مرحلة زمنية إلى أخرى، وما يطرأ على هذه الأدوار من تغييرات وتعديلات من

¹ ابن منظور : لسان العرب، الجزء الثاني، ص 1035.

² عاطف غيث : علم الاجتماع، الإسكندرية، مطبعة التقدم 1972، ص 55.

³ عبد القادر، القصير: مرجع سبق ذكره، 1999، ص. 77.

حيث الدرجة والسرعة.

وفي ضوء ذلك يمكن القول أن التغيير الاجتماعي صفة أساسية من صفات المجتمع، وهو صفة لا يمكن أن تخضع لإرادة معينة، بل هي نتيجة تيارات اجتماعية، وعوامل ثقافية، واقتصادية، وسياسية يتداخل بعضها في بعض، ويؤثر بعضها في بعض. هذا يعني أن التغيير الاجتماعي ليس إلا جزءاً من عملية أكبر وأوسع من عمليات التطور في المجتمع، وهي التي يطلق عليها إسم التغيير الثقافي، ويشمل التغيير الثقافي كل تغيير يحدث في الجوانب المادية وغير المادية للثقافة، وفي ذلك العلوم، والفنون، والفلسفة، والتكنولوجيا، واللغة، والآداب، هذا بالإضافة إلى التغييرات التي تحدث في أشكال المجتمع وبنائه وقواعده ونظمه.¹

¹ نفس المرجع السابق، ص، 77.

المحور الأول: التحضر والتغير الأسري؛

تقديم

تعتبر العلاقة بين الأسرة والتحضر من أكثر الموضوعات التي أثارت مناقشات نظرية في كتابات علم الاجتماع المعاصر. فقد أكد وليام جود¹ في كتابه الثورة العالمية وأنماط الأسرة أن دول العالم التي أصبحت صناعية ومتحضرة تتحول أنساقها الأسرية في اتجاه نسق الأسرة الزوجية، وهو يرى أن السبب في ذلك هو ملائمة شكل الأسرة الزوجية للمجتمع الصناعي الحديث. فبينما يتغلغل النسق الاقتصادي ويمتد من خلال التصنيع تتغير أنماط الأسرة وتضعف روابط القرابة الممتدة وتتفكك أنماط الأسر وتنتج نحو بعض أشكال النسق الزوجي الذي يبدأ في الظهور.

وهناك عوامل عديدة صاحبت التصنيع تتجه إلى تحريك بناء الأسرة نحو شكل النسق الزوجي. فالأعمال في النسق الحديث في الصناعة تعتمد على الإنجاز أكثر من اعتمادها على النسب، وهذا يعني أن الإنسان سوف ينجح أو يفشل تبعاً لكيفية أدائه لعمله، وبالتالي يميل الأفراد إلى التحرر من الروابط القرابية لكي يصبحوا أكثر حرية في التنقل المكاني والاجتماعي دون أن تقف هذه الروابط عائقاً في طريق تقدمهم ونجاحهم.

هذا الرأي قد يصدق على المجتمع الغربي، إذ نجد أن المجتمع المغربي له خصوصياته السوسيو-ثقافية والاقتصادية التي تتحكم بشكل قوي في حركة التغير المجتمعي والأسري. فإذا نظرنا إلى الأسرة المغربية نجد أن الطبقة المتوسطة التي تتوفر على تعليم عال وتشغل مناصب إدارية وعلمية، قد تكيفت مع التغيرات الحضرية وحسنت من ظروفها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية التي تتلاءم أكثر مع نمط الأسرة الزوجية التي تميل إلى تحقيق نوع من الاستقلالية عن أنماط الحياة في الأسرة التقليدية سواء من حيث الاهتمام بأفرادها والأسلوب المتبع في حياتها.²

¹ سناء الخولي: الأسرة والحياة العائلية، دار النهضة العربية، بيروت، 1984، ص. 63.

² نفس المرجع السابق، ص. 66.

تجد الأسر في وضعية الهجرة نفسها أمام مفارقة تمسكها بنمط الأسرة التقليدية الذي ألفت التعايش معه، وبين نمط الحياة الحضرية الذي يفرض ضرورة التأقلم مع أشكال التحول المجتمعي والذي يكون تأثيره واضحا على الأسرة. فالروابط القرابية لم تكن يوما عائقا أمام تحقيق تطلعات الأفراد، بل على العكس من ذلك كلما تقوت هذه العلاقات بين الأعضاء، ساهمت في تحررهم وفي نفس الوقت تبعيتهم للقيم الثقافية التي تشكل هويتهم الحقيقية.¹

- الشبكات العائلية والقرابية وصلة الرحم والتواصل

1- تشكل العلاقات القرابية أهم رابط بين الأسر في وضعية الهجرة

يمكن أن نميز في الجماعات القرابية بين الجماعات الأولية والجماعات الثانوية، بحيث تعرف الجماعات الأولية «بأنها تعني تلك الجماعات التي تتميز بعلاقات المواجهة والتعاون اليومية، وهي أولية بمعان عديدة فهي ذات أهمية جوهرية في تشكيل الطبيعة الاجتماعية ووجودها يتوقف على الارتباط النفسي الحميم، فضلا على أنها تعمل على استدماج الأفراد بشكل محدد، بحيث تنصهر حياة الفرد في حياة الجماعة، وربما تكون أبسط طريقة لوصف هذا التكامل والتوحد، هو أننا عندما نتكلم عن جماعتنا الأولية نقول "نحن" وهذا التعبير يتضمن نوعا من العاطفة القوية المتبادلة تجعل من كلمة "نحن" تعبيرا طبيعيا». ونظرا لصغر حجم الأسرة وارتفاع درجة المودة بين أعضائها فإنها تعتبر جماعة أولية.²

ويقع في الطرف المقابل للجماعة الأولية ما يسمى بالجماعة الثانوية «وهي التي على تنوعها تشمل كثيرا من انتماءاتنا إن لم يكن معظمها، في المدرسة وفي العمل والمجتمع المحلي، إلا أنها لا تتميز بالطبيعة الشخصية الحميمة البعيدة عن التكلف التي تتميز بها الجماعات الأولية، فالجماعات الثانوية عموما موجهة أساسا لتحقيق هدف أو أغراض معينة.

¹ عني، مرجع سبق ذكره.

² الخولي: مرجع سبق ذكره، ص. 66.

ويلاحظ أنه في المجتمعات التي تغطي فيها علاقات الجماعة الثانوية تظهر أهمية الأسرة التي تمنحنا العلاقات الأولية اللازمة، حيث لا يمكن للوجود الاجتماعي أن يستمر في غياب علاقات الجماعة الأولية.¹

2- قوة العلاقات القرابية:

تتصف العلاقات داخل الأسرة العربية بالتأزر والمناصرة والتعاقد والعصبية، ليس بسبب اعتماد أفرادها بعضهم على بعض في مختلف حاجاتهم اليومية فحسب، بل أيضاً لأنهم بذلك، كما يقول ابن خلدون "تشدد شوكتهم ويخشى جانبهم... وتعظم رهبة العدو لهم"، إنها عصبية تقوم على أواصر الدم أو اللحمية النسبية والتوحد في مصير مشترك، فيتقاسم أفرادها الأفراح كما الأحزان، والمكاسب كما الخسائر، والكرامة كما الإذلال.² من هنا فإن أعضاء الأسرة الواحدة يتوقعون الكثير بعضهم من بعض، وحين يأتي تصرف البعض دون مستوى التوقعات تكون خيبة الأمل كبيرة، فينشأ توتر في العلاقات بين الأقارب قد يتطور إلى حدوث خلافات حادة.

تقوم العلاقات الأسرية على التعاون والتضحية والالتزام الشامل غير المحدود وغير المشروط، وهذا ما يعزز إحساس أفراد الأسرة الراسخ بالاطمئنان والاستقرار النفسي بعدم الخوف في مواجهة الأزمات والنكبات المحتملة، فينشأ الإنسان مستنبطاً للقيم الأسرية ومتمسكاً بالثقافة العامة التي تعتبر العائلة أحد دعائمها الأساسية إن لم تكن الدعامة الأهم.³

انعكست التغيرات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية الشاملة التي شهدتها المجتمع الحديث نتيجة التحضر، والتصنيع، والهجرة، على الأسرة فأحدثت فيها تغيرات جذرية مهمة. ولعل أبرز التغيرات التي طرأت على الأسرة تتمثل في العلاقات الأسرية، وتبادل الزيارات، والقرابة والتواصل العائلي، والتضامن القرابي.⁴

¹ نفس المرجع: ص. 63.

² حلّيم، بركات: مرجع سبق ذكره، ص. 354.

³ نفس المرجع: ص. 354.

⁴ عبد القادر، القصير: مرجع سبق ذكره، الصفحة. 81.

إن التغيرات التي تعرض لها المجتمع العربي خلال النصف الثاني من القرن العشرين، نتيجة التحويلات المتعددة منها الاقتصادية والاجتماعية وتزايد التحضر. بدأت حركة التأثير في النسق القرابي كله، وأصبحت شبكة العلاقات القرابية أضيق مما كانت عليه في المجتمع العربي التقليدي، وبخاصة في أوساطه الحضرية، إلا أنها ما تزال قوية، ووثيقة بغض النظر عن الاختلافات التي تعكس في واقع الأمر مجموعة من العوامل الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والمهنية.¹

3- مفهوم القرابة:

تمثل القرابة مفهوما مركزيا داخل الدراسات الأنثروبولوجية، من خلاله حاول الأنثروبولوجيون رصد واقع العلاقات والروابط بين مكونات النظام القبلي، بل أكثر من ذلك، مثل هذا المفهوم أداة إجرائية لتحليل هذه العلاقات ولفهم هذا النظام، وعادة ما يميزون فيها بين قرابة تقوم على الروابط الدموية والتي تعتبر علاقات لا يمكن فصمها أو قطعها، وقرابة تكون ناجمة عن الاعتقاد في الانحدار من نفس الجد المؤسس للقبيلة أو للمجموعة القبلية.

نجد في السنوات الأخيرة باحثين آخرين، يوسعون من المفهوم ويدرجون في إطاره كذلك العلاقات الناجمة عن التحالفات بين الأفراد والجماعات، وكذلك العلاقات الزبونية وأيضا العلاقات التي تنتج وتتطور عن السكن المتجاور، والتي تبين كما يذكر إيكلمان، كما لو كانت هناك بين الناس علاقات إلزامية تدفعهم إلى التعبير عنها بمصطلحات القرابة العائلية".²

هناك إذن مستويات من القرابة، قرابة يمكن أن نسميها قرابة حقيقية تضم أو تشمل الأقرباء بالدم وتجد ترجمة لها في التسمية العائلية أو اللقب الذي تحمله المجموعة الأسرية، ثم هناك قرابة من مستوى ثاني تضم الأصهار وهي قرابة وإن تعددت الأسماء العائلية بتعدد الأصهار. ثم هناك قرابة أخرى يمكن أن نسميها قرابة قريبة يؤكدها الجوار والاشتراك في نفس المجال

¹ حلیم بركات، مرجع سبق ذكره.

² محمد، شرقي: ص. 139.

القريب: الدوار. ثم هناك في الأخير قرابة مرتبطة بالانتماء إلى نفس الوحدة الاثنائية الفخذة أو القبيلة، أو ما يمكن أن نسميه بالقرابة الوهمية غير المؤكدة جنيالوجيا، ولكن مع ذلك، راسخة في لاوعي المجموعة القبلية، والتي بصدها تتسج الروايات والأساطير.

مما سبق، يمكن اختزال القرابة إلى مستويين أساسيين: مستوى القرابة العائلية المبنية على الروابط الدموية والمصاهرة، ثم قرابة يمكن أن نسميها قرابة مجالية مرتبطة بالانتماء إلى نفس الدوار، أو الحي.¹

تدل القرابة على شبكة متداخلة من أواصر القربى، تجمع عددا من الأفراد بناء على رابطة الدم أو النسب أو المصاهرة، والمفهوم الأكثر تعريفا للقرابة: هم نوو القربى من أب وأم وجد وجدة وأخوال وأعمام ونسلهم أو سلالتهم سواء كانت مقيمة أم غير مقيمة. إنها المجموعات التي ينقل إليها الإرث المادي أو الإرث الرمزي والروحي، كما هو الشأن عند بعض السلالات الشريفة أو ما يسمى بالقرابة الطقوسية، أو الإرث السلطوي مثلما نجد في أغلب الزعامات.

إنها تشير إلى الأقارب لتمييزهم عن الغرباء والدخلاء عن القبيلة أو العائلة أو العشيرة، لأنه قد تتبني القرابة على أسس وهمية مثل قرابة التبني وقرابة الأخوة بالرضاعة، لكنهم لا يمتون للسلالة بأي رابط، ويقام عليها روابط وعلاقات اجتماعية وسلوكات وتصرفات مختلفة ومتناقضة كالعداوة، الناتجة عن مشاكل الحرث أو الدراسات أو الزواج أو الطلاق... كما تقضي إلى مشاكل معقدة في مجال الإرث واقتسام الثروة المادية والمعنوية. وسواء كانت علاقة القرابة حقيقية أو وهمية، فإنها تخلق علاقات الاحترام والألفة ومراعاة المسؤولية وتقدير الأدوار ومراعاة التراتيبات العائلية وسلطتها.²

القرابة هي علاقة اجتماعية تعتمد على الروابط الدموية الحقيقية أو الخيالية أو المصطنعة، ولا تعني القرابة في علم الاجتماع علاقات الأسرة والزواج فقط، بل تعني

¹ محمد، شرقي. ص. 141 .

² الهادي، الهروي: "تحول المجتمع المغربي الحديث وعوائق التنمية، مساهمة في دراسة تغير وتحديث البنيات الاجتماعية بالعالم القروي". بحث لنيل درجة الدكتوراه في علم الاجتماع، السنة الجامعية 2008-2009، ص. 11.

أيضا علاقات المصاهرة. بيد أن القرابة هي علاقة دموية، والمصاهرة هي علاقة زواجية. فعلاقة الأب بابنه هي علاقة قرابية، وعلاقة الزوج بزوجته هي علاقة مصاهرة.¹

4- تبادل الزيارات بين مختلف الجماعات القرابية:

في الماضي كانت علاقات الأفراد في الشبكة القرابية قوية، و متماسكة. فالأسرة الممتدة كانت تعيش في منزل واحد، والأقارب كانوا يعيشون معها في المنزل نفسه، أو في منازل متجاورة، وكل فرد من أفراد الأسرة كان يعرف أقرباءه من جانب أبيه، وأمه، وكان يساعدهم ويدافع عنهم، وكانت الجماعات القرابية تفضل السكن في منطقة جغرافية واحدة، وذلك في منازل متجاورة. وكانت الأسرة الممتدة تمارس مهنة واحدة يعتمد عليها جميع الأفراد وتحقق الوحدة بينهم وتقوي علاقاتهم الاجتماعية القرابية.

ويلاحظ أن إيديولوجية الأسرة التقليدية لم تشجع القيم والممارسات الفردية بقدر ما كانت تشجع القيم والممارسات الجماعية المشتركة. وكان الفرد يواجه منذ طفولته نحو العمل لمصلحة أسرته وأقربائه وليس لمصلحته الخاصة لهذا الأفضلية تعطى للأسرة، ولا تعطى للفرد مطلقا مادامت ذاتية الفرد تتجسد في ذاتية الأسرة، والقرابة، والممتلكات، والإنجازات وسمعة الفرد لا تعلق به فقط، بل تتعلق بأفراد أسرته وأقربائه... وهذه القيم الاجتماعية الجماعية التي تمسك بها أفراد المجتمع العربي التقليدي توضح أهمية الأسرة الممتدة والقرابة في حياة الفرد والأسرة.²

بغية معرفة مدى استمرارية الزيارات بين أرباب الأسر المهاجرة وأقاربهم، طرحنا السؤال التالي: هل تصل الرحم مع الأشخاص والجماعات القرابية التالية؟ ونقصد بصلة الرحم هنا تبادل الزيارات واللقاءات المباشرة بين المهاجرين وأقاربهم، فحصلنا على المعطيات التالية:

¹ نفس المرجع.

² عبد القادر، القصير: مرجع سبق ذكره، ص. 189.

المجرة والتحضر والتحويلات الأسرية

جدول رقم: (32) توزيع أرباب الأسر حسب زيارتهم للأشخاص و الجماعات القرابية التالية،

باستثناء أبناءهم وبناتهم:

المجموع	بدون جواب	لا	نعم	الجماعات القرابية
% 100.0	28.0	7.8	64.2	أخ الزوجة وأبناؤه
	32.1	10.7	57.2	أخت الزوجة وأبناءها
	60.9	8.2	30.9	الإخوة والأخوات من الأب
	70.8	6.2	23.0	الإخوة والأخوات من الأم
	12.8	4.9	82.3	الأعمام والعمات وأبناءهم
	6.2	5.3	88.5	الأخوال والخالات وأبناءهم
	84.0	3.3	12.8	جد وجدة الزوجة
	69.1	3.7	27.2	جد وجدة الزوج
	94.7	1.2	4.1	أبناء الزوج
	96.7	0.8	2.5	أبناء الزوجة

المصدر: البحث الميداني، صيف 2011، سلا

■ يتضح من معطيات الجدول الأهمية التي يوليها أرباب الأسر للعلاقات العائلية والقرابية ويحرصون على تقويتها وتماسكها عبر الزيارات واللقاءات المباشرة. يجب التمييز بين القرابة الأولية والقرابة الثانوية، فالقرابة الأولية هي العلاقة الدموية والاجتماعية التي تربط الوالدين بالأبناء، بينما القرابة الثانوية هي العلاقة الدموية والاجتماعية التي تربط الجد بالخال، وتربط العم بابنة الأخ.¹

¹ محمد حسن، إحسان: المدخل إلى علم الاجتماع، دار الطليعة، بيروت، 1988، صفحة 124 نقلا عن: عبد القادر القصير. الأسرة المتغيرة في مجتمع المدينة العربية، دار النهضة العربية، بيروت، الصفحة. 46.

- تبدأ علاقات الزيارة في التقلص كلما توسعت دائرة القرابة، فنسبة 64.2 % من أرباب الأسر المهاجرة يقرون بواجب الزيارة لأخ وأخت الزوجة وأبناءهما، و88.5 % يزورون أحوالهم وخالاتهم وأبناءهم، ونسبة 82.3 % لهم علاقة جيدة بعماتهم وأعمامهم وأبناءهم، ولا ننسى النسبة التي تمثلها زيارة أبناء الزوج 4.1 % أو الزوجة 2.5%.
- إن التساؤل عن طبيعة العلاقة بين أرباب الأسر في وضعية الهجرة وباقي العائلة يجعلنا نجزم أن هذه العلاقات تعرف استمرارية وديمومة، رغم التغيرات العامة¹ التي تطرأ على حياة المهاجر في الوسط الجديد.

¹ خصصنا فصلا خاصا للتحويلات التي نتجت عن عملية الهجرة من القرية إلى المدينة، وقمنا بتحليل تأثير الهجرة من جهة، على الأسر المهاجرة، والانعكاسات التي يتركها التحضر من جهة ثانية.

- تأثير التحضر على العلاقات العائلية

▪ العائلة كبنية للدعم والانتماء:

بينت نتائج الدراسة¹ التي قام بها مجموعة من الأساتذة، رحمة بورقية، المختار الهراس، إدريس بنسعيد حول علاقة الطلبة وتمثلهم لمؤسسة العائلة كبنية للدعم والنصح والتضامن، ولكن أيضا كمصدر للتفاوت واللامساواة، أن نسبة 79.8% من الطلبة الجامعيين يضعون ثقتهم الكاملة في المجال الخاص أكثر من المجال العام. فأمام أزمة المجال العام تصبح العائلة ذات قيمة راهنة لأنها تشكل لديهم أساس الاندماج والانتماء الاجتماعي.

إن العائلة كما أوضح نفس البحث² لا تزال تمثل السند الحقيقي التي تمكن الفرد من أن يضع ثقته الكاملة فيها، فهي الداعمة اقتصاديا واجتماعيا ونفسيا. فالعائلة هي المؤسسة التي يستند عليها الأفراد، إنها مجال الحوار والتشاور وتبادل النقاشات.

إذن تبقى العائلة هي المرجع الأساسي بالنسبة للشباب. فهم يتقون في حمايتها أكثر من ثقتهم في الدولة أو الأحزاب أو الجمعيات. فالشباب مازال يبحث عن المؤسسات الاجتماعية التي يمكنها أن تحميه على المستوى الاجتماعي والاقتصادي³.

أوضحنا فيما سبق، أن العائلة تمثل بنية للدعم والثقة والنصح، الشيء الذي دفعنا للتساؤل عن نوعية العلاقة التي يحتفظ بها أرباب الأسر المهاجرة مع عائلاتهم سواء المستقرة بالمدينة أو تلك التي لم تهجر لسبب من الأسباب.

وفيما يخص هذه الرابطة الأساسية، فإن الجدول التالي يقدم لنا بعض التوضيحات حول درجة العلاقة الثقة التي يمنحها المهاجرون لمؤسسة العائلة:

¹ R, Bourqia. M, El Harras. D, Bensaid: Jeunesse estudiantine marocaine: valeurs et stratégies. Publication de la Faculté des Lettres et Sciences Humaines, Université Mohamed V, 1995, P. 41.

² Rahma, Bourqia et autres : ibid. 1999.

³ رحمة، بورقية: "السوسيولوجيا وقيم الشباب، إشكالية المجتمع المدني بالمغرب"، مجلة الشعلة، العدد 2، 1998، ص. 23.

جدول (33): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب درجة العلاقة والثقة في العائلة

المجموع	ممتازة		حسنة		لأبأس بها			سيئة			العلاقة مع العائلة
	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1	
100	18.5	18.9	29.6	18.9	5.3	2.1	1.6	1.6	0.8	2.5	الثقة في العائلة
%	% 37.4		% 48.5		% 9.0			% 4.9			
	% 2.5		% 66.7		% 22.6			% 8.2			

■ يتضح أن نسبة 48.5% من أرباب الأسر يستحسنون علاقتهم بعائلاتهم، وهذا ما يفسر التربية على الولاء للعائلة كشعور ديني تجاه الوالدين،¹ وتتمثل أساسا في تبادل الزيارات وصلة الرحم معهم والدعم النفسي والمادي أحيانا.

■ 37.4% من مجموع المبحوثين يجدون أن مؤسسة العائلة هي مصدر السند والدعم، ورمز الحياة الأسرية والاجتماعية.

■ ويرى 9.0% أن علاقتهم بالعائلة متوسطة، و4.9% يرونها سيئة.

■ تعتبر العائلة ملاذا للمهاجر للتغلب على عزله وغربته في الوسط الحضري، يقول أحد أرباب الأسر "أستقر بمدينة سلا أزيد من عشر سنوات لكنني لازلت أشعر بالغبرة لعدم وجود أفراد عائلتي، فاستغل أي فرصة تتاح لي لأسافر وأجتمع بهم". ويضيف آخر: "لم أستطع لحد الآن التفاهم مع هاذ الناس وطريقة تفكيرهم وعقليتهم مختلفة، ديما نت براني، حتى كتحس بالحكرة وكتسد على راسك، كايين لي مكيملكش حيت مهاجر وعروبي". إن ثقافة القروي المهاجر ترسخ لديه حب العائلة والتضامن

¹ فضيلة، فاطمة دروش: "في سوسيولوجيا الاحتجاج، حالة الجزائر"، مجلة إضافات، العدد 22، السنة 2013،

والانصهار في الروح الجماعية والأسرية. فأغلب المهاجرين ولدوا في ظل أسرة ممتدة تعرف ارتباطا شديدا بين أعضائها.

• نسبة مرتفعة من أرباب الأسر تضع ثقة كاملة في مؤسسة العائلة

رغم انخراط المهاجر في المجتمع الحضري، والانخراط في بعض المؤسسات الاجتماعية الحضرية المختلفة التي من شأنها تعويض بعض وظائف المؤسسة العائلية، فإن الأفراد يستمرون في التعبير عن ولائهم الكبير للعائلة وما يتصل بها من نظام قرابي وحرصهم الشديد على التمسك بتلك العلاقات المستمدة منها.¹

تستحوذ العائلة بدرجة ثقة عالية لدى الأسر المبحوثة مقارنة مع باقي المؤسسات الأخرى السياسية والثقافية والدينية والقانونية، لتشمل العائلة نسبة مهمة من المبحوثين الذين يعتبرون العائلة هي المرتع الحقيقي للثقة، لما تقدمه من دعم وسند على جميع المستويات. فالعائلة هي المدرسة الأولى التي تعلم الطفل التربية وأنماط السلوك، وتقومه لمواجهة التجارب الحياتية، وتسهم في تكوين شخصية الفرد النفسية، وتمده بالعون والمساعدة في حالة الأزمات، وتمنحه العطف والحنان وترسخ لديه قيم مجتمعه وتقاليده وتسهر على تنشئته بكيفية سليمة.

- المناسبات التي يزور فيها أرباب الأسر المهاجرة أقاربهم:

لفهم الروابط الأسرية بالمغرب، ينبغي التعامل مع الأسرة كنسق داخل سياق سيميائي رمزي ودلالي ناتج أساسا عن قوة القيم والممارسات التي تؤسس للأسرة الممتدة والتي تشجع على الأيديولوجية الجماعية، وتعطي للعلاقات الفردية والمباشرة مكانة أساسية في الحياة الاقتصادية. إن ما يؤكد صحة هذه الفرضية، هو ذلك الترابط المادي الذي أصبح واضحا بين الآباء والأبناء، إذ لا تزال الأسرة تعد من أهم الروابط والقنوات التي يتم داخلها تبادل التعاون، والتعاقد بين الأجيال.²

¹ محمد، بومخلف، ص. 220 و 221.

² Mokhtar, El Harras. Ibid. P. 120.

² عبد القادر، القصير: مرجع سابق، ص. 189.

المجرة والتحضّر والتحوّلات الأسرية

تتميز الروابط القرابية الداخلية في الأسرة التقليدية بسلطة شبه مطلقة للأباء على الأبناء، بحيث يهيمن كبار السن على الحياة الاجتماعية والأسرية خاصة الآباء والأجداد والإخوة الكبار، فمسؤولية ضمان استمرارية التقاليد وسلطة القرار يتحكم فيها الكبار فيما يتكيف الشباب مع هذا الوضع دون تغييره أو التدخل فيه سواء تعلق الأمر بالشباب العازبين أو المتزوجين. كما تخضع الزوجات في إطار العائلة التقليدية إلى سلطة أم الزوج وقراراتها وتوزيع الأدوار الأسرية.

هذه العلاقات الأسرية الداخلية تتميز بسلطة الزوج على الزوجة، هذه الأخيرة تتحدد وظيفتها في قدرتها على الإنجاب وتربية الأبناء والقيام بالخدمات المنزلية اليومية والإجابة على متطلبات أعضاء الأسرة، كما يتم تربيتها منذ طفولتها على تقديس الزواج، ويتقوى وضعها الأسري بقدرتها على إنجاب الأبناء الذكور.¹

• تهيم المناسبات الدينية على أوقات زيارة المهاجر لموطنه الأصلي:

لقد أردنا أن نستطلع من آراء المهاجرين، المناسبات التي تتقوى فيها زيارتهم لأهاليهم ودرجتها، وصنفناها إلى فئات ما تزال تحافظ على ارتباطاتها بالقرية لوجود أفراد من العائلة تحت "باستمرار"، وبين الفئة التي لا تزور العائلة إلا في مناسبات معينة "نادرا"، والفئة التي قطعت صلتها تماما مع العائلة "لا، أبدا".

جدول رقم (34): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب مناسبات الزيارة ودرجتها

المناسبات	باستمرار		على الأقل مرة في الأسبوع		على الأقل مرة في الشهر		نادرا		لا، أبدا	
	%	التكرار	%	التكرار	%	التكرار	%	التكرار	%	التكرار
رمضان	18.5	90	20.2	98	25.9	126	28.8	140	6.6	32
عيد الفطر	38.3	186	8.2	40	18.5	90	29.6	144	5.3	26
عيد الأضحى	45.3	220	7.4	36	21.0	102	23.0	112	3.3	16
عيد المولد النبوي	28.0	136	12.8	62	21.4	104	31.7	154	6.2	30
المناسبات العائلية	12.8	62	32.1	156	48.6	236	6.2	30	0.4	2

المصدر: البحث الميداني، صيف 2011، سلا

¹ Mokhtar, El Harras. Ibid. P. 120.

من كل ما سبق نستنتج الخلاصات التالية:

- تشكل المناسبات الدينية فرصة للمهاجرين لزيارة أقاربهم وصلة الرحم معهم، ويعتبر عيد الأضحى (45.3%) من المناسبات الدينية التي يستغلها المهاجرون للسفر إلى عائلاتهم بالموطن الأصلي، وتكون فرصة مناسبة للقاء أيضا بالمهاجرين آخرين من نفس الدوار، كما تجتمع الأسر في ما بينها حول طاولة واحدة ويقترب البعيد والقريب وتكثر خلال هذه المناسبة صلة الرحم وتبادل الزيارات. يقول أحد المهاجرين: "لا يهمني في مناسبة عيد الأضحى، الأضحى أو مراسيم الذبح أو الأكل، إنها فرصتي لرؤية أحابي وأصدقائي والتمتع بالطبيعة". ويقول آخر: "عيد الأضحى هو عطفتي السنوية، أسافر مع أبنائي وزوجتي إلى مسقط رأسي وأزور كل عائلتي جيراننا هناك".

- إن اتجاه التغيير قد حول الأسرة الممتدة إلى نمط الأسرة النووية، ولكنه لم يحولها إلى العزلة التامة. فلا تزال الأسرة المغربية والعربية على علاقة بالنسق القرابي.¹

- إن الأسر في وضعية الهجرة لها صلة وطيدة بأقاربها البعيدين والقريبين خصوصا في المناسبات العائلية والأعياد الدينية، وأن شبكة العلاقات العائلية قوية ومستمرة. إن التغيير لا يمس بأسس التقاليد الاجتماعية التي ترسخها العائلة والمجتمع على السواء.

- يزور 48.6% من المبحوثين أقاربهم على الأقل مرة في الشهر خلال المناسبات العائلية. و20.2% من أرباب الأسر يزورون أسرهم على الأقل مرة واحدة في الأسبوع في رمضان، ونادرا ما يزور 31.7% أقاربهم في عيد الفطر.

- إن أكثر أسر العينة تحافظ على زيارة ذويها وأقاربها، لكن نسبة 6.6% قطعوا الصلة بذويهم إلا في مناسبات خاصة جدا.

¹ سناء، الخولي: مرجع سبق ذكره، ص، 61.

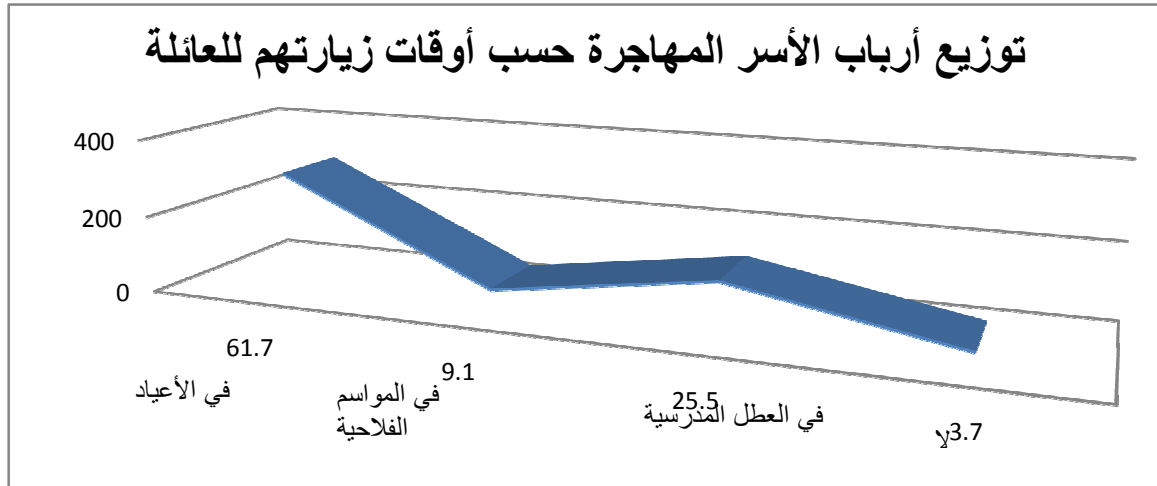
• تشكل الأعياد والعطل مناسبات للقاء بالعائلة

استكمالاً لما سبق، (نتعرف من خلال الجدول رقم 36) على أوقات الزيارات المتبادلة بين المهاجرين المستقرين بمدينة سلا وأقاربهم الموجودين بالريف. لهذا قسمت أوقات الزيارات إلى ثلاثة أنواع هي: زيارات تتم في الأعياد والمناسبات، وزيارات تتم في المواسم الفلاحية، والزيارات التي تتزامن مع العطل المدرسية. بغض النظر عن الأسباب التي تؤدي إلى استمرار أو ندرة هذه الزيارات، لأن الهدف هو معرفة مدى تأثير القيم الحضرية على الحياة الريفية.

جدول رقم (35): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب أوقات زيارتهم للعائلة

أوقات الزيارات	التكرار	النسبة المئوية %
في الأعياد	300	61.7
في المواسم الفلاحية	44	9.1
في العطل المدرسية	124	25.5
لا	18	3.7
المجموع	486	100.0

مبيان رقم (14): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب أوقات زيارتهم للعائلة.



المصدر البحث الميداني، سلا، 2011.

- جوابا على الأوقات التي يخصصها المهاجر لزيارة العائلة والأقارب، نجد نسبة 61.7% يتخذون من الأعياد فرصة للقاء باقي أفراد العائلة. بينما تستغل نسبة 25.5% العطل المدرسية لزيارة العائلة، و9.1% من أرباب الأسر يترددون على عائلاتهم خلال المواسم الفلاحية، فيما تقطع الصلة بالعائلة نسبة 3.7%.

هكذا نستطيع القول أن:

- رغم استقرار المهاجرين بالوسط الحضري لا تزال تربطهم علاقة قوية ومتينة مع الموطن الأصلي. فتغيير المكان والانتقال لا يعني التخلي عن الأواصر القرابية، والتضامن الأسري، من تبادل الزيارات والمساعدات المادية والمعنوية، والتآزر في الحالات التي تفرض تدويب المصلحة الفردية واستحضار التكافل الاجتماعي بين أعضاء الأسرة الواحدة.

- توضح الدراسة التي قام بها الباحث عبد القادر القصير:¹ أن 43, 29 بالمائة من عينة الدراسة تزور أهلها وتتردد على قراها في مناسبات محددة. ونسبة 18, 35 بالمائة يترددون على قراهم بصفة دورية أثناء المواسم الزراعية.

• هذه النسب المتقاربة بين الأبحاث مع اختلاف المناطق المدروسة والعينة المختارة، تؤكد أن الصلة بالمجتمع الأصلي تعرف استمرارية، وأن المهاجر لا يزال شديد الصلة بمسقط رأسه ويتخذ من العطل والأعياد المختلفة سببا لتوطيد وتثمين هذه العلاقات.

- أشكال التواصل بين الأسر في وضعية الهجرة والعائلة:

تشكل العائلة نواة التنظيم الاجتماعي والنشاطات الاقتصادية، وفي العائلة يتوارث الأعضاء انتماءاتهم الدينية والأخلاقية والسلوكية، وحتى الولاءات والتوجهات والتحالفات. وهي أيضا، أهم الجماعات الوسيطة بين الفرد والمجتمع، وضمنها تكون التنشئة الاجتماعية، حتى يمكن القول إنها المصدر الأهم للقيم والتقاليد السائدة.

¹ عبد القادر، القصير: مرجع سبق ذكره.

• اللقاءات المباشرة بين الأسر المهاجرة:

لقد توجهنا بالسؤال لأرباب الأسر المهاجرة عن مدى ودرجة اللقاءات المباشرة مع أفراد العائلة، سواء بتبادل الزيارات في المنزل، أو في الحي، أو في المقهى وغيرها. فتدرجت الإجابات كالتالي:

جدول رقم: (36) توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب درجة اللقاءات المباشرة مع أفراد العائلة

المجموع	بدون جواب	لا، أبدا	من مرة إلى مرتين في الشهر	من مرة إلى مرتين في الأسبوع	يومية	الدرجة
100.0	0.4	6.2	48.6	32.1	12.8	اللقاء مع أفراد العائلة

المصدر: البحث الميداني، صيف 2011، سلا

نستخلص من الجدول:

- إن اللقاءات المباشرة بين أفراد العائلة من المحددات الأساسية التي تقوي الروابط القرابية وتعطي من التضامن بين الأسر، ومؤشر على درجة الترابط العائلي. فاللقاءات المستمرة بين أفراد العائلة تعزز من قيمة هذه العلاقات وتجعل الأسر أكثر دراية بأمورهم ومناقشة أحوالهم ومشاكلهم الخاصة.

- تتم أغلب الزيارات بين أرباب الأسر وعائلاتهم من مرة إلى مرتين في الشهر بنسبة 48.6%. إن التقارب السكني، واستقرار العائلة في نفس المدينة يشجع على تكثيف الزيارات بين العائلات والتمسك بها ويسهل عملية اندماج الأفراد المهاجرين.

- تلتقي نسبة 32.1% من أرباب الأسر المهاجرة بأفراد العائلة من مرة إلى مرتين في الأسبوع. ويلتقي بشكل يومي 12.8% مع العائلة. عبر 6.2% عن غياب أي شكل من أشكال التواصل مع العائلة.

الهجرة والتحضّر والتحوّلات الأسرية

• التقنيات الجديدة وسيلة للتواصل مع أعضاء العائلة:

مكن تطور تقنيات التواصل الجديدة الإنسان من ضمان ديمومة العلاقات العائلية، لأنها أصبحت وسيطاً ضرورياً لتعميق أواصر القرابة، كما تسهم هذه التقنيات في تذويب المسافات التي تفصل بين أعضاء العائلة.¹

أصبحت التقنيات الجديدة كالسكايب، والبريد الإلكتروني، والهاتف الثابت والنقال، من الوسائل التواصلية التي تسهم في امتداد الروابط والعلاقات الاجتماعية وتسهيلها في حالة بعد المسافة بين الناس والهجرة عبر العالم، وهي طريقة سهلة لتعميق أواصر المحبة والصدقة والامتنان. لقد أصبح عدد كبير من الناس يلجأ إلى هذه التقنيات الحديثة والتعامل بها في التواصل والحوار وأحياناً التواصل المباشر الذي تسمح به تقنية السكايب والهاتف النقال وغيرها من هذه التقنيات المتجددة.

مادام أرباب الأسر في وضعية الهجرة يسعون إلى الاندماج في الحياة الحضرية، فإنهم يتجهون لتوظيف التقنيات الحديثة للتواصل. فما هي هذه الوسائط التكنولوجية؟ وما هي درجة استعمالها؟

جدول رقم: (37) توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب درجة ووسيلة التواصل

المحادثات الهاتفية	ترسل لأفراد عائلتك رسائل عبر sms		تتواصل مع أفراد عائلتك عبر السكايب		تتواصل مع أفراد عائلتك عبر البريد الإلكتروني		وسيلة التواصل
	%	التكرار	%	التكرار	%	التكرار	
7.8	3.3	16	0.8	4	3.3	16	الدرجة يوميا
44.4	8.2	40	3.7	18	7.4	36	من مرة إلى مرتين في الأسبوع
44.9	17.3	84	4.5	22	11.1	54	من مرة إلى مرتين في الشهر
2.9	65.4	318	84.0	408	70.8	344	أبداً
=	5.8	28	7.0	34	7.4	36	بدون جواب
100.0	100.0	486	100.0	486	100.0	486	المجموع

المصدر: البحث الميداني، صيف 2011، سلا

¹ حلّيم، بركات: مرجع سبق ذكره.

نقرأ من نتائج الجدول:

- هناك ضعف في التعامل بالتقنيات الحديثة للتواصل خصوصا تلك التي تعتبر أكثر تطورا تكنولوجيا كسكايب، والبريد الإلكتروني:

- ف70.8% لا يستعملون تقنية البريد الإلكتروني، كما تنفي نسبة 84.0% تعاملها بالسكايب في التواصل مع أفراد العائلة، و65.4% لا توظف الرسائل القصيرة.

- يعتبر السكايب من أحدث التقنيات التواصلية التي تستهلك من طرف الشباب خصوصا، حيث تتواصل نسبة 4.5% عبر هذه التقنية من مرة إلى مرتين في الشهر.

- يبقى تعامل أرباب الأسر مع هذه التقنيات واستثمارها في التواصل ضعيفا، وهذا يوضح أن درجة اندماج المهاجرين في الوسط الحضري الجديد لا تزال تعيقها العديد من الأشياء ومن بينها استغلال الوسائط التواصلية في العلاقات الاجتماعية.

- رغم الانفتاح على استعمال الهاتف الثابت والنقال 44.9%، إن فئة من المهاجرين ما تزال تتحفظ على التواصل عبر هذه التقنية بسبب المضايقات والإزعاج الذي تسببه للمشارك نتيجة تصرفات بعض الناس. وأفراد هذه الفئة يعتبرون استعمال الهاتف وسيلة تفتح الباب على اتصالات خارجية غير مرغوب فيها.¹

- التضامن الأسري بين أرباب الأسر المهاجرة:

من أجل معرفة حالات التضامن الأسري بين المهاجرين، طرحنا السؤال حول الحالات الاجتماعية التي يساند فيها أرباب الأسر عائلاتهم ماديا ومعنويا. لقد تساءلنا عن نوعية العلاقة التي يحتفظ بها المهاجر مع العائلة بدون استثناء، وشعوره بواجب المساعدة: هل علاقتك بالعائلة هي مجرد علاقة الزيارة، أم تتجاوزها إلى المساعدة الاقتصادية؟

¹ حسين، خريف: "المهاجرون في المدينة وشبكة الاتصال الحضري"، مجلة سوسيولوجية الهجرة الجزائرية في تاريخ الماضي والحاضر، مختبر الدراسات والأبحاث الاجتماعية التاريخية حول الهجرة والرحلة، جامعة منتوي، قسنطينة، 2008، ص. 141.

الهجرة والتحضر والتحويلات الأسرية

كانت الإجابات تتفاوت حسب أهمية الحالة ودرجة المساعدات، لكنها تجمع كلها على أن حالة الوفاة تستدعي تكافلا مكثفا من طرف جميع أعضاء الجماعة الأسرية.

جدول رقم: (38) توزيع رؤساء الأسر المهاجرة حسب الحالات التي يساعدون فيها أفراد

الأسرة (باستثناء المقيمين معهم في نفس البيت).

الدرجة/ الحالات		نعم، باستمرار		نعم، من حين لآخر		لا		بدون جواب	
المرض	154	31.7	250	51.4	250	16.0	78	4	0.8
البطالة	60	12.3	170	35.0	170	52.7	256	0	0.0
الفقر	88	18.1	214	44.0	214	37.9	184	0	0.0
الوفاة	278	57.2	160	32.9	160	9.5	46	2	0.4

يتضح من معطيات الجدول :

- إذا أخذنا المساعدة كمؤشر على التضامن الاجتماعي واستمرار العلاقات العائلية بعد الهجرة، نلاحظ أن الشخص المهاجر في حالة استقراره في الحفاظ على العلاقات القرابية والدموية بصفة خاصة، فإنه يقف عند هذا الحد ولا يتجاوزها إلى المساعدات المالية أو تحمل المسؤوليات عندما تقتضيها الظروف.¹

- إن 31.7 % من أرباب الأسر في وضعية الهجرة يتجاوزون في علاقاتهم العائلية مرحلة ما يمكن أن نسميه بالتضامن العاطفي إلى التضامن المادي (مثلا في حالة المرض وبشكل مستمر). و 57.2 % يتضامنون باستمرار في حالة الوفاة، ويقدم 44.0 % المساعدة من حين لآخر في حالة الفقر، ولا يساعد 52.7 % عائلاتهم في حالة البطالة، "لأنها مشكل مشترك بين أرباب الأسر المهاجرة" تعبير أحد المبحوثين.

¹ بوشنفاي، بوزيان: في التحضر والثقافة الحضرية بالمغرب، دراسة في البناء الاجتماعي لمدينة الصفيح، منشورات الحوار الأكاديمي والجامعي، 1988، ص. 118.

المحور الثاني: الأسرة المهاجرة بمدينة سلا وعلاقات الصداقة.

تقديم

تعتبر جماعة الأصدقاء أضعف الجماعات الأولية بنائياً، فليس لها دوام الرابطة القرابية أو علاقات المواجهة اليومية التي تميز جماعة الجيران، ومع ذلك فإنها تواجه بنفس الضغوط الاجتماعية من حيث التنقل المتميز. إن في حالة الأصدقاء يختار الفرد أصدقاءه تبعاً لقيمه وما يتوافق مع آرائه الخاصة وقد يكون الأصدقاء من الجيران أو الأقارب في نفس الوقت.¹

- أشكال التواصل بين الأسر المهاجرة والأصدقاء:

ينسج المهاجر علاقات اجتماعية وثقافية وسياسية واقتصادية، تتولد عنها علاقات إنسانية مكثفة عبر الشغل والاستقرار والزواج والتبادل السوسيو- ثقافي.²

إن مفهوم الصداقة لدى المهاجر يرتبط بالمنفعة وعدم الثقة والخيانة، لهذا "تتخصر علاقات الصداقة في أصدقاء العمل والتي لا تعرف تطورا خارج مجال العمل" حسب شهادة أحد المبحوثين، فيما يعتبر مهاجر آخر " أن الصداقة ضرورية وتتأسس على الثقة والصدق والاحترام والواجب الأخلاقي، وانتقاء الصديق الذي يشارك السعادة والحزن والهموم للتخفيف من صعوبات المدينة ومشاكل الاندماج في بعض الأحيان". يختار المهاجر أصدقاءه من العائلة كالإخوة والوالدين أو الزوجة لأن الثقة لا تخرج عن هذه الدائرة القرابية. "لدي أصدقاء منهم من ينتمي إلى نفس الدوار، وأصدقاء من هنا "سلا" تعبير المبحوثين.

¹ سناء، الخولي: مرجع سبق ذكره، ص. 76.

² عائشة، بلعربي، مرجع سبق ذكره، ص. 137.

– اللقاءات المباشرة مع الأصدقاء

إن العلاقات التي يمكن أن يخلقها المهاجر متعددة، سواء على مستوى طبيعتها أو ديمومتها. فيمكن أن نتحدث عن العلاقات الاجتماعية ذات الهدف النفسي والاجتماعي، أي مجموع العلاقات التي تساعد الفرد على التعبير عن مشاكله ومشاعره، والمهاجر يدرك أكثر من غيره قيمة هذه العلاقات لأنها هي التي تمكنه من استمرارية نمط حياته بعد الهجرة. تعد هذه العلاقات أكثر أهمية بالنسبة للنساء والمسنيين الذين يقضون وقتا كبيرا في المنزل أو الحي.

يسمح التواصل المباشر بين المهاجر وأصدقائه سواء من المهاجرين أو من الساكنة الأصلية من التحرر من الفضاء العائلي إلى الانفتاح على علاقات الزمالة المهنية وغير المهنية. إن الحديث مع الأصدقاء يكسب المهاجر أساليب جديدة في التعارف وتبادل النقاش حول مواضيع عامة وخاصة، بل إن البعض يجد ضالته في أصدقائه للتعبير عن مخاوفه وآماله وهمومه. "يكون الصديق القريب خير من القريب البعيد" تعبير أحد المهاجرين. "إن الأصدقاء هم الذين يروحون عن النفس في غياب العائلة" شهادة أحد المبحوثين. فيما يقول آخر "لا ثقة لي في أحد وليس لدي أصدقاء، الكل يخدم مصالحه الخاصة".

ولمعرفة تفاصيل أكثر كان من الضروري تحديد درجة اللقاءات بين أرباب الأسر وأصدقاءهم. وفي ما يلي النسب التي تحدد هذه العلاقة:

جدول رقم(39): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب درجة ووسيلة التواصل مع الأصدقاء

المجموع	بدون جواب	لا، أبدا	من مرة إلى مرتين في الشهر	من مرة إلى مرتين في الأسبوع	يومية	الدرجة
100.0 %	1.6	15.6	24.7	33.7	24.3	اللقاء مع الأصدقاء
	5.8	59.7	14.8	11.9	7.8	الانترنت
	4.9	60.9	15.2	16.0	2.9	الرسائل القصيرة
	3.3	22.2	35.4	35.0	4.1	المحادثات الهاتفية

المصدر: البحث الميداني، صيف 2011، سلا

يتبين من معطيات الجدول:

- هناك تقارب في نسب درجة اللقاءات بين أرباب الأسر والأصدقاء، بحيث يلتقي 24.3 % من المهاجرين يوميا مع أصدقائهم، وتحرص نسبة 33.7 % على هذا اللقاء من مرة إلى مرتين في الأسبوع، أما 24.7 % فيفضلون اللقاء مع أصدقائهم من مرة إلى مرتين في الشهر. تنعدم هذه اللقاءات لدى 15.6 %.

- تتواصل نسبة 14.8 % من أرباب الأسر عبر الانترنت مع أصدقاءهم، من مرة إلى مرتين في الشهر. وتستهلك نسبة 11.9 % هذه الوسيلة مرة في الأسبوع، وبشكل يومي نسبة 7.8 %، وتنفي نسبة 59.7 % التعامل بهذه التقنية.

- تمثل الرسائل القصيرة إحدى الوسائط الأساسية للتواصل بين أرباب الأسر والأصدقاء. يتواصل 16.0 % من المبحوثين مع أصدقائهم من مرة إلى مرتين في الأسبوع، وتوظف نسبة 15.2 % هذه التقنية من مرة إلى مرتين في الشهر، ويوميا صرحت نسبة 2.9 % عن هذا الاختيار. والنسبة الأكبر 60.9 % لا ترسل أية رسائل إلكترونية.

- نلاحظ ارتفاع نسبة المبحوثين الذين لا يستعملون التقنيات الحديثة في التواصل مع الأصدقاء.

المحور الثالث: الحياة الاجتماعية وعلاقات الجوار

تقديم:

إن القيمة الحقيقية للأقارب والجيران والأصدقاء تكمن في قدرتهم على أن يكونوا مصادر مكملة للأسرة النووية المنعزلة، وفي إمكانهم أن يقوموا بهذا الدور لأنهم بنائياً ينتمون إلى الجماعة الأولية التقليدية الأمر الذي يجعلهم يقللون إلى الحد الأدنى من مشاكل الاتصال.

تتميز جماعة الجيرة بالقرب المكاني للأعضاء، وبالتالي فإن الجيران يتميزون بعلاقات الوجه للوجه، إلا أن التصنيع يتطلب اختصار هذه العلاقات، فإذا أرادت الجيرة أن تستمر في هذه الظروف فلا بد أن تتخلى عن بعض أبعاد الجماعة الأولية. ونتيجة للتفاعل المباشر بين الجيران وخاصة إذا كانوا متساوين في أشياء أخرى مثل درجة الثقافة والإمكانات المادية أو يشكلون نفس الأصول.

وهناك ميزة أخرى، تشمل جميع الخدمات التي يستفيد منها تكنولوجيا كل الذين يعيشون في نفس المنطقة. فمثلاً يكون للناس الذين يعيشون في نفس الشارع نفس المشاكل، كما يلعب الجيران دوراً هاماً عندما تكون الملاحظة المستمرة وسيلة من وسائل التعلم، فمن الممكن أن يؤثر هذا الاتصال المباشر في طريقة التنشئة الاجتماعية.¹

-الهجرة والعلاقات الاجتماعية-

لم يكن الجوار فقط تجاوراً في المكان، بل إنه علاقة تتأسس على روابط قرابية إما حقيقية أو وهمية، لقد مثلت علاقات الجوار، وما تفترضه هذه العلاقات من تبادلات في الخيرات وفي الخبرات معطى واقعياً يضمّنه العرف والتقليد القروي، كما أن المعتقد الديني من جهته لا يتعارض مع الموروث القيمي الذي يؤسس لعلاقات الجوار. لقد مثل الجوار ضرورة اجتماعية، حيث أنه في مجتمع قروي، كثير من الحاجيات والخدمات التي

¹ الخولي: مرجع سبق ذكره.

تفرضها ظروف خاصة، بعض الأخطار أو بعض التهديدات، كان يتم إشباعها بواسطة خدمة جماعية تتجاوز الجماعة العائلية عن طريق علاقات الجوار.¹

تتيح طبيعة المنازل التقليدية بالمدينة العتيقة ربط علاقات جوار قوية بين ساكنتها سواء من المهاجرين أو السكان الأصليين. "إننا نحب البراني منذ التاريخ الطويل لمدينة سلا واستقبالها لقوافل الهجرة من مختلف المناطق المغربية بنوعيتها من البوادي أو من المدن الصغرى، خصوصا، وأن مدينة سلا القديمة تضم مهاجرين قدماء استطاعوا التكيف والاندماج في الحياة الحضرية" تعبير احد أرباب الأسر السلاوية. إن التحول الذي مس بنية السكن الحضري، من سكن أفقي يسمح بتقوية علاقات الجوار والتضامن، إلى سكن عمودي يبرز فردانية الأفراد وانغلاقهم على ذواتهم.

1- المهاجر وعلاقات الجوار

يقيم المهاجرون القرويون علاقات اجتماعية في حدود الأماكن التي يتواجدون بها، وأولى هذه الأماكن هي أحياء الإقامة، وداخل هذه الأحياء ينتظم المهاجرون في شكل جماعات تنتمي كل جماعة إلى جهة أو منطقة معينة. وبهذه الطريقة يجتمع أبناء المنطقة الواحدة في حي واحد ويشعرهم هذا التجاور المكاني بالأمان والطمأنينة.²

تتميز العلاقات الاجتماعية بالمحدودية، بحيث تقتصر العلاقة على أعضاء الأسرة الواحدة، لأن كل أسرة مهتمة بشؤونها الخاصة والداخلية وبرامجها اليومية، فتنقلص بذلك علاقات الجوار والقرابة.³

أ- الرضا عن العلاقة بالجيران:

لتحليل كثافة وتماسك العلاقة بين المهاجرين والجيران، كان ضروريا الاستعانة بالمقابلات الشخصية لتساعدنا على دراسة علاقات الجوار. ولاحظنا التوزيع التالي:

¹ محمد، الشرقي: مرجع سبق ذكره، ص. 156.

² حسين، خريف: مرجع سبق ذكره، ص. 142.

³ محجوب عطية، الفاندي: مرجع سابق، ص. 76.

جدول رقم (40): توزيع أرباب الأسر حسب درجة الرضا عن العلاقة مع الجيران

المجموع	الدرجة										العلاقة مع الجيران
	ممتازة		حسنة		لابأس بها			سيئة			
%100.0	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1	
	8.6	5.3	6.6	18.5	23.0	21.4	8.2	3.7	2.9	1.6	
	% 13.9		% 25.1		% 52.6			% 8.2			

إن تعامل المهاجر مع الجيران وربطه لعلاقات الجوار من العوامل التي تساعد على الاندماج في المحيط الجديد، كما تشكل هذه العلاقات إحدى أشكال التضامن الاجتماعي التي تكفل للمهاجر الشعور بالثقة والانتماء.

- يقيم %52.6 علاقة لا بأس بها مع الجيران، فيما يستحسن % 25.1 هذه العلاقة، وترتبط بين % 13.9 من أرباب الأسر علاقة متميزة مع الجيران. تبقى نسبة % 8.2 من المبحوثين عبروا عن سوء هذه العلاقات.

ب- ثقة متوسطة لدى رئيس الأسرة تجاه جيرانه:

إن الجوار قيمة اجتماعية تعبر عن التضامن والتكافل بين أعضاء المجتمع الواحد، وعلاقات الجوار من العلاقات التي تتمسك بها الأسر المهاجرة، فالتعامل مع الجيران يسمح بالتعرف أكثر على الآخرين وطرق تفكيرهم وأسلوبهم في الحياة والتعود على قبول الاختلافات الموجودة بين الناس بالطبيعة وبفعل الانتماء للمحيط.

تدخل طبيعة السكن وبنيته في تحديد علاقات الجوار واختلاف الأشكال التي تتخذها. فالسكن العمودي في العمارات يخلق علاقات الفردانية والتي يعبر عنها المبحوثين "بالتيقار" والاحترام المتبادل، أما السكن في الأحياء الشعبية والمدينة العتيقة يسمح بإقامة علاقات التفاعل المباشر بين الجيران وتبادل الأشياء والخدمات والتعاون والتضامن في حالات اجتماعية مختلفة.

يتم تبادل الثقة بين الجيران وتتكون صداقات قوية بين العائلات المتجاورة، فيمكن للجارة أن تترك أبناءها تحت رعاية الجيران عند قضائها لأشغال معينة أو عند ذهابها للعمل، كما يتم التعاون بينهم في حالة المرض أو الوفاة أو الزفاف.

ج- التواصل بين أرباب الأسر المهاجرة والجيران:

يعرف ريمون لدريت التجاور السكني بأنه: «إقامة السكان بعضهم قرب بعض. وهؤلاء السكان غالبا ما يتعاشرون، ويتزاورون، ويتعاونون فيما بينهم»¹ في شتى المجالات، ومن ذلك الحاجة إلى استعارة كمية صغيرة من السكر، أو الملح، أو القهوة، أو الزيت وغيرها في أثناء إعداد الوجبات الغذائية، واستعارة بعض الأدوات المطبخية، أو الحاجة إلى من يرعى طفلا لفترة وجيزة لاضطرار الأم إلى الخروج لسبب طارئ أو العمل. ويشتركون مع الأقربح والأحزان إلى غير ذلك.

إن الحفاظ على علاقة جيدة وطيبة مع الجيران وزيارتهم والتضامن في مختلف المجالات والمناسبات، كان وما يزال واجبا مقدسا عند الشعوب العربية والإسلامية عامة. والأسرة المغربية تختزل ضمن ثقافتها هذا التجاور السكني "وتعتبر الجار الأقرب أفضل من الأخ أو العائلة البعيدة" تعبير أحد أرباب الأسر.

حاليا أمام نمو حركة التصنيع وتزايد التحضر، بدأت تتغير ملامح الحياة الاجتماعية بين الناس، وفرضت أنماط جديدة في التعامل والسلوك بين الجيران، نتيجة خروج المرأة للعمل، وتديير الوقت فيما يخص مصلحة أفراد الأسرة، واختلاف انتماءات الساكنة وأصولها، مما لا يشجع على إقامة علاقات متينة بين الأسر المتجاورة والحفاظ على مسافة في التعامل مع الآخرين. تقول إحدى النساء المبحوثات: "في المدينة لا تستطيع أن تضع ثقتك في الآخرين خصوصا الجيران" ويضيف أحد المبحوثين: "علاقتي بالجيران ليست قوية، بل محدودة بسبب انعدام الثقة وسوء التفاهم".

• ضعف في درجة التواصل بين المهاجرين وجيرانهم.

نفترض أن هناك عوامل كنوع السكن وتاريخ الهجرة والوضعية الاقتصادية والاجتماعية، تتدخل في تماسك وتطوير الجوار بين جماعات المهاجرين. من هنا ولمعرفة درجة التواصل بين أرباب الأسر المهاجرة وجيرانهم بمدينة سلا وضواحيها، تساءلنا عن عدد المرات التي تتم فيها اللقاءات المباشرة، وقسمناها إلى أربع درجات موزعة كالتالي:

¹ Raymond, Ledrut. Sociologie Urbaine. Paris, 1968, P. 106.

جدول رقم: (41) توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب درجة التواصل مع الجيران

النسبة المئوية %	التكرار	الدرجة
9.5	46	يومية
16.5	80	من مرة إلى مرتين في الأسبوع
24.3	118	من مرة إلى مرتين في الشهر
48.6	236	أبداً
1.2	6	بدون جواب
100.0	486	المجموع

المصدر: البحث الميداني، صيف 2011، سلا

- تعبر نسبة 9.5 % عن تواصل يومي ومباشر بين أرباب الأسر والجيران، غير أنها تكشف في نفس الوقت، عن تدبب هذه العلاقة بالنظر إلى الانشغالات اليومية للمهاجرين. بالمقابل يتواصل 16.5 % من مرة إلى مرتين في الأسبوع، و 24.3 % يلتقون بالجيران من مرة إلى مرتين في الشهر، ولا يفوتنا الإشارة إلى نسبة 48.6 % والذين لا تربطهم أية علاقة مع الجيران.

- انطلاقاً من هنا يمكن توزيع الجوار إلى:

- مجموعات قديمة-شعبية التي كانت تكون في الماضي جماعات محلية، فالحياة الجماعية للأحياء التقليدية لا تزال تحتفظ بسمات هذا الماضي.
- مجموعات جديدة راقية ومتقفة وتتميز بعدم تماسك علاقاتها الخارجية¹.

¹ البحث الذي قام به عبد القادر القصير على عينة من مناطق بحث مختلفة، القنيطرة، طرابلس، في دراسته للتغير الأسري في محيط المدينة العربية.

- مقارنة النتائج مع أبحاث أخرى:

- في البحث الميداني الذي قام به الباحث عبد القادر القصير على عينة بمدينة القنيطرة حول صلة القرابة مع الجيران، نجد النتائج التالية:

- في أحياء صفيح مدينة القنيطرة، نجد أن 93.47% من أسر العينة هي على علاقة طيبة مع الجيران، وتقوم بزيارتهم. في حين أن الأسر التي لا تقوم بواجب الزيارة لجيرانها لا تتجاوز 6.52% من جملة أسر العينة.

- والأسر التي تقوم بواجب الزيارة لجيرانها منها 78.04% تقوم بزيارة جيرانها كل يوم، تليها الأسر التي تقوم بواجب الزيارة لجيرانها مرة واحدة في الأسبوع 8.47%، ثم الأسر التي تزور الجيران نادراً 5.21%، ثم الأسر التي تزور جيرانها مرة واحدة كل 15 يوماً 1.30%، والأسر التي تقوم بزيارة الجيران مرة واحدة في الشهر 0.43%.

- عكس ما توصلت إليه نتائج البحث السابق، نجد صعوبات في التواصل بين أرباب الأسر المهاجرة بمدينة سلا وجيرانهم في مواضيع متعددة. هناك استثناءات عبرت عنها فئات المهاجرين المستقرين في أحضان المدينة القديمة، والذين يقيمون أزيد من أربعين سنة بمدينة سلا وضواحيها، والذين تربطهم علاقة ثقة وجوار تصل إلى درجة التعاون وتبادل الزيارات والتضامن والتآزر "شهادة إحدى النساء من الساكنة الأصلية".

- إن المهاجرين الجدد الذين يقيمون بمدينة سلا أقل من خمسة سنوات تكاد تكون علاقات الجوار معدومة بينهم، لاختلاف أصولهم وانتماءاتهم وعاداتهم وعقلياتهم ومرجعياتهم الثقافية والاجتماعية.

- بدون شك يمارس نوع السكن تأثيرا قويا بالإضافة إلى تاريخ الهجرة في تماسك علاقات الجوار. إن السكن بالعمارات يقلل من فرص التواصل واللقاء بين الجيران فهم يحافظون على مسافة هي "التيقار". وجدنا هذه الحالة لدى سكان سلا الجديدة.

- إن رغبة الأسر المهاجرة في الاستقلال السكني عن الجيران والأهل يجعلهم يختارون العزلة والتيقار.

د- يتبادل أرباب الأسر المهاجرة الزيارات والخدمات مع الجيران:

تتحدد علاقات الجوار حسب طبيعة الأحياء والفئات الاجتماعية التي تصنع مثل هذه العلاقات. فالأحياء الشعبية والهامشية تعرف كثافة سكانية تترابط فيما بينها بالجوار، أما الفئات المتعلمة أو تلك التي تمتلك رصيد ثقافي وتسكن بالأحياء الراقية، فتضعف لديها هذه العلاقات التي تربط عادة بين ساكني الحي الواحد والمشارك.

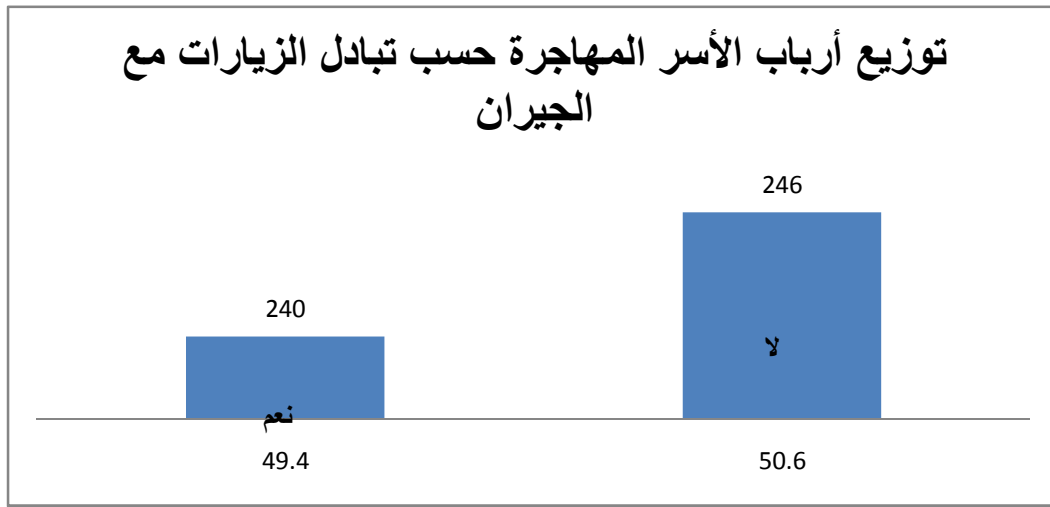
تبادل الزيارات:

يتحدد الجوار كقيمة اجتماعية تضمن علاقات الود والتعاطف بين أفراد المجتمع الواحد، وتساعد الأفراد على الانصهار في حياة الجماعة وضوابطها، ومن مظاهر الجيرة نجد تبادل الزيارات والخدمات بين سكان نفس الحي أو العمارة أو المسكن (في حالة التساكن). فهل علاقات الجوار جيدة بين المهاجرين؟ وهل تمنحهم اكتفاء يساعدهم على الاندماج فيما بينهم؟

جدول رقم (42): توزيع أرباب الأسر في وضعية الهجرة حسب تبادل الزيارات مع الجيران

النسبة المئوية %	التكرار	تبادل الزيارات
49.4	240	نعم
50.6	246	لا
100.0	486	المجموع

مبيان رقم (15): توزيع أرباب الأسر في وضعية الهجرة حسب تبادل الزيارات مع الجيران.



المصدر البحث الميداني، سلا، 2011.

- أجابت نسبة 50.6% بلا، مما يعني أن هناك جوار دون تبادل الزيارات، مما يبرز إمكانية القول بالمؤانسة أو المجاورة السكنية التي تجعلنا نتوقع ميلاد جماعة محلية¹.

- و49.4% تظهر علاقات الجوار (الزيارة في المنازل، الضيافة، التجمع وغيرها) أهمية الجوار، مادام هذا النوع من الصداقات الاجتماعية يحضر عند نصف العينة. إنه مؤشر على حضور جماعات الجوار.

تبادل الخدمات:

لا تزال علاقات الجوار جيدة بين بعض الأسر المهاجرة، لأن قيم المجتمع القروي تفرض المحافظة على العلاقات الطيبة مع الجيران وزيارتهم وتبادل الخدمات فيما بينهم

¹ بوشنفاي، بوزيان، مرجع سبق ذكره، ص. 110.

المجرة والتحضر والتحويلات الأسرية

ومساعدتهم في مختلف المناسبات. لكن هذه العلاقات تتفاوت من حيث الدرجة حسب المستوى الاقتصادي والثقافي للأسر، فهي تضعف قليلا لدى الأسر المنتمية للفئة العليا والمتوسطة التي تسكن الأحياء الحضرية الحديثة، وتتقوى علاقة الجوار لدى الأسر المنتمية إلى الفئة القديمة من المهاجرين. تقول إحدى نساء مدينة سلا: "إن العلاقات بيننا تتميز بتبادل الزيارات والسؤال عن الأحوال والخدمات والتضامن". ويضيف رئيس أسرة من الساكنة الأصلية: "إن بيوتنا مفتوحة منذ زمن للمهاجرين وهم جيران اليوم تربطنا بهم علاقات مودة واحترام".

جدول رقم (43): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب تبادل الخدمات وطبيعتها

الخدمات	التكرار	النسبة المئوية %
الأدوات المنزلية	146	30.0
المواد الغذائية	58	11.9
المساعدة في الأعمال المنزلية	30	6.2
اللباس	8	1.6
بدون جواب	244	50.2
المجموع	486	100.0

المصدر البحث الميداني، سلا، 2011.

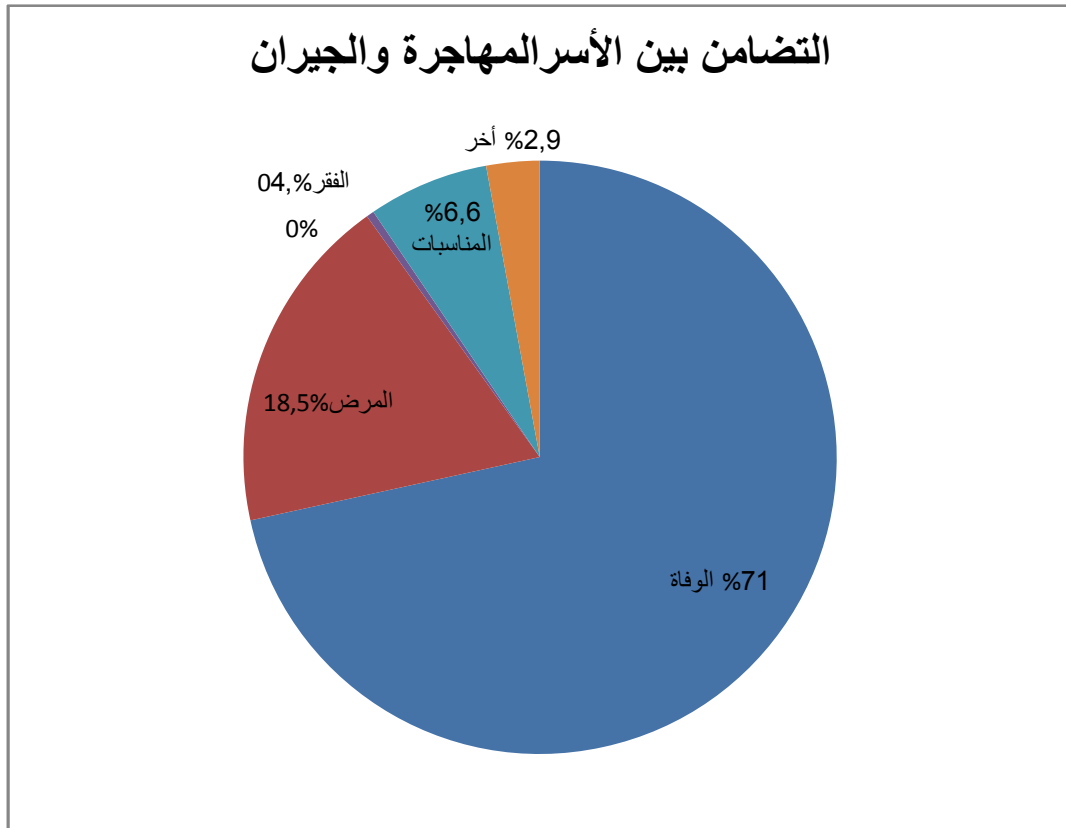
- لا تتوقف علاقات الجوار على تبادل الزيارات، بل تتعداه إلى تبادل الخدمات من طبيعة مختلفة، ف30.0% من المبحوثين يتبادلون الأدوات المنزلية مع الجيران، ويدخلون هذا النوع من السلوك في إطار التضامن الاجتماعي. وتتبادل نسبة 11.9% المواد الغذائية، فيما يقدم 6.1% المساعدة للجيران في الأعمال المنزلية، وأخيرا 1.6% يتبادلون اللباس أيضا.

- إن نسبة 50,2% من أرباب الأسر المصنفين في خانة غير معني، تحمل دلالة سوسولوجية تعبر عن تخوف نصف العينة من تكوين علاقات جديدة في الوسط الحضري، وهذا ما يؤكد معطيات الجدول السابق والمقابلات الميدانية التي عبر فيها المهاجرون عن تخوفاتهم من العلاقات الحضرية.

هـ- التضامن بين الأسر المهاجرة والجيران.

تسود علاقات التضامن والتآزر بين الناس المتجاورين مكانيا، ويتعمق لديهم هذا التكافل في حالات اجتماعية معينة كالوفاة والمرض والفقر والمناسبات. وإن كانت قراءة النسب تكشف عن تراجع هذه العلاقات التضامنية. فما هي الحالات التي تشكل مناسبة لإظهار التضامن بين المهاجرين والجيران؟

مبيان رقم (16): توزيع أرباب الأسر في وضعية الهجرة حسب الحالات الاجتماعية التي يتضامنون فيها مع جيرانهم



المصدر، البحث الميداني بمدينة سلا وضواحيها.

- هناك ضعف التضامن بين الأفراد المتجاورين في حالات الفقر والبطالة (0.4%). جاءت تعليقات المبحوثين كالتالي: "بدأت تتراجع المساعدات بين الناس داخل الحياة العامة، بفعل الاهتمامات المتعددة للأفراد وانتشار الفردانية والاستقلالية". تعبير أحد المهاجرين. وتقول إحدى النساء المهاجرات: "كنا فالبلاد نتعاون في جميع المناسبات خاصة عندما يموت أحد أفراد القبيلة، أو يزوج أحدهم أبناءه، تتلق الدوار من صغيره إلى كبيره يشارك وكأنها مناسبة تخصه وعائلته، فالزواج كنشريو حوايج جداد والذهب باش نبانوا في مظهر جيد، ولا كانت موت ثلاثة أيام نحضر الفطور والغذاء بالتناوب بيننا، وجدادنا كانوا لا يسمحون لعائلة الميت باشعال النار مدة ثلاثة أيام، هاذ شي دابا ما بقاش".

- إن نسبة 71.6% يتضامنون في حالة الوفاة، فتعزية الأهل تشكل أدق المناسبات التي لا يمكن أن تمر دون التفاتة من قبل المهاجر، فواجب التعزية من العلاقات التي يحترمها المهاجرون.

- ويساند 18.5% جيرانهم في حالة المرض، و6.6% خلال المناسبات (كالأعراس، والختان، والعقيقة، وغيرها).

المحور الرابع : محدودية العلاقات المهنية؛

إن تحديد المهنة بالمفهوم الاقتصادي والسوسيولوجي باعتبارها ممارسة اجتماعية اقتصادية يدخل فيها الشخص في علاقات إنتاج مع رب العمل، وتتميز بالخصوصية والضرورة والاستمرارية. قد لا تنطبق على عدد كبير من المهاجرين المبحوثين، لأن الممارسات الاقتصادية للمهاجرين قد لا تدخل ضمن العمل المنتج والضروري.¹ لهذا كان سؤالنا: هل تتوقف علاقات العمل داخل أماكن العمل، أم أن العلاقات المهنية تتجاوز فضاءها المجالي إلى أمكنة أخرى للقاء وتبادل الأحاديث؟

تثير العديد من الأفكار في النقاش العام حول الهجرة وتأثيرها على سوق العمل بالمناطق المستقبلية. فالشائع أن المهاجر يسلب السكان الأصليين فرص العمل لأنه يقبل بكل أنواع العمل وبأجر زهيد، مما ينتج عنه المنافسة والصراع بين العمال الأصليين والمهاجرين. إن هجرة القرويين تؤدي إلى تغير بنية الساكنة النشطة، وتزايد أعداد النشطين الذين يختلفون من حيث السن، والانتماء الجنسي، والتأهيل مقارنة مع السكان الأصليين. وتظهر فئة المهاجرين من بين أفضل الأشخاص القادرين على العمل.²

جدول رقم (44): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب درجة اللقاءات مع زملاء العمل خارج أوقات

العمل

الدرجة	يومياً	من مرة إلى مرتين في الأسبوع	من مرة إلى مرتين في الشهر	أبداً	بدون جواب	المجموع
التكرار	28	114	80	224	40	486
النسبة المئوية %	5.8	23.5	16.5	46.1	8.2	100

المصدر: البحث الميداني، صيف 2011، سلا

¹ نفس المرجع السابق، ص. 93.

² Joël, Oudinet : "Immigration et marché du travail dans les pays du nord, des effets positifs avérés", in les nouvelles migrations, Universalis, 2005, P. 97.

الهجرة والتحضر والتحويلات الأسرية

- تخضع العلاقات المهنية لزمّن الإنتاج ومجاله، فنادرًا ما يتواصل زملاء العمل خارج مكان العمل ووقته، فنسبة 46.1 في المائة من المبحوثين تتوقف علاقتهم في حدود مجال الشغل، ويلتقي 45.8 في المائة بزملاء العمل خارج أوقات العمل بدرجات متفاوتة، إذ يلتقي 5.8 % بزملائهم يوميًا، و23.5 % يلتقون من مرة إلى مرتين في الأسبوع، ويلتقي 16.5 % من مرة إلى مرتين في الشهر.

- العلاقة بين المهاجرين والمشغلين:

يقول أحد العمال في قطاع الصناعات الغذائية: "لا أستقر في عمل واحد، فرؤساء العمل يعاملوننا بدونية واحتقار، رغم التزامنا بوقت ومسؤوليات الشغل". ويضيف آخر: "أشعر بالراحة في العمل لأنه المتنفس الوحيد الذي أنسى فيه ذاتي وهمومي ومشاكل الحياة اليومية".

جدول رقم (45): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب درجة الرضا عن العلاقة مع المشغلين

المجموع	الدرجة											العلاقة مع المشغلين
	بدون جواب	ممتازة		حسنة		لا بأسبها			سيئة			
100.0 %	22.6	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1	
		4.1	2.1	7.0	13.2	16.5	11.1	9.5	4.1	4.1	5.8	
	% 22.6	% 6.2		% 20.2		% 37.1			% 14.0			

- يستحسن 37.1 % من المهاجرين علاقتهم بمشغليهم، وهذا تعبير عن رضا أرباب الأسر المهاجرة على أسلوب وطريقة تعامل المشغلين معهم. تتميز العلاقة مع مرؤوسينا بروح الالتزام والمسؤولية" تعبير أحد العمال من المبحوثين. تدل هذه الشهادة وغيرها عن غياب علاقات الاحتقان والتوتر أو الصراع التي يمكن أن تحدث بين الطرفين.

- ترى نسبة 14.0 % من أرباب الأسر أن علاقتهم بالمشغل سيئة، حيث يعاني بعض المهاجرين من تسلط المشغلين وتعنتهم واستغلال قوة عملهم مقابل أجر زهيد. إن

العلاقة السيئة بالمشغلين تعبر عن شعور بعدم الراحة والرضا عن العمل وممارسات المشغلين. ويعتبر 6.2% إن علاقتهم متميزة بمشغليهم.

- سيادة القيم الاجتماعية في أوساط الأسر المهاجرة.

إن قيم الاحترام والتشاور والتضامن، والثقة والتسامح وغيرها، أساسية في العلاقات التي يكونها المهاجر مع أفراد أسرته الصغيرة كزوجته وأبنائه أو الكبيرة التي تضم الأبوين والأقارب القريبين والبعيدون. تتأثر هذه القيم بالأوضاع الجديدة للأسرة وانتقالها من مجال قروي إلى مجال حضري، كما تتدخل اختيارات الأبناء وتمثلاتهم للوسط الجديد في تغير نظرة المهاجر لهذه القيم.

لا يمكن القول بأنه في الماضي كانت قيم فردانية والقيم الجماعية في البادية. القيم الجماعية كانت في المدينة والبادية. غير أن المؤسسات الجماعية التي كانت تحتضن الفرد في الماضي، كانت تختلف من مكان إلى مكان (القبيلة، الجماعة، الحنطة، الدرب...) المجتمع المغربي ربما يمر الآن من مرحلة مخاض تظهر على مستوى الفرد، والفرد يستعمل الإستراتيجية في المكان المناسب. بمعنى أنه عندما يكون فردانيا فهو يدافع عن فردانيته، وعندما يريد أن يتشبث بالجماعة فهو يتشبث بالجماعة وقيمها¹.

في نفس السياق نجد هناك ميكانيزمات لإحياء التضامن الاجتماعي عبر آليات المقاومة والحفاظ على مجموعة من القيم واستمراريتها.

تشكل قيمة الاحترام إحدى ركائز المجتمع القروي التي ترسخ لدى الفرد وجوب احترام الآخرين، ويرتبط هذا الاحترام بعوامل السن والجنس والانتماء والأصول. فهل تعتقد في وجود هذه القيم في الحياة الاجتماعية؟

¹رحمة، بورقية، مرجع سابق، ص. 25.

المجرة والتحضر والتحويلات الأسرية

جدول رقم (45): توزيع الأسر المهاجرة حسب درجة اعتقادها في سيادة القيم التالية في الحياة

الاجتماعية

المجموع	منعدمة	ضعيف	متوسط	إلى حد كبير	القيم
% 100.0	4.5	23.5	58.0	14.0	التضامن
	5.8	42.4	37.4	14.4	الاحترام
	4.5	23.5	56.0	16.0	التسامح
	10.7	37.9	41.6	9.9	الثقة
	11.5	31.3	44.9	12.3	التبادل
100.0	9.1	32.1	39.1	19.8	الإبداع

المصدر البحث الميداني، سلا، 2011.

نستخلص:

- إن حضور قيم التسامح والاحترام والتضامن والثقة، بدأت تفقد حضورها في العلاقات الاجتماعية بين الناس. فقد عبر 42.4 % عن ضعف قيمة الاحترام، وتراجع الثقة بين الناس في تصور 37.9 % من المبحوثين، ويرى 23.5 % ضعفا في قيمتي التضامن والتسامح في العلاقات الاجتماعية.

- نقرأ تفاؤلا لدى 14.4 % من المبحوثين في ما يخص حضور قيمتي التضامن والاحترام وبدرجة كبيرة في العلاقة بين الناس. وبدرجة متوسطة يعتقد 44.9 % عن علاقات التبادل بين الناس.

خلاصة الفصل الرابع: التغيير الأسري والتغيير الحضري.

أوضحنا في الفقرات السابقة طبيعة العلاقات الاجتماعية السائدة بين المهاجرين بمدينة سلا وضواحيها، وتأثير الثقافة الحضرية في تغيير البنيات الاجتماعية، وتغيير في العلاقات الاجتماعية (من حيث تبادل الزيارات، والتضامن) بين الناس سواء القرابة أو الجوار أو الصداقة أو العلاقات المهنية. كما توقفنا عند التصورات التي يمنحها المهاجر للقيم والسلوكيات وأشكال التبادل بين الناس المتجاورين، وأساليب العيش والاعتقادات.

يمكن القول أن العلاقات التي تحدد مجموع البنيات الاجتماعية بين الأسر في وضعية الهجرة تتميز بنوع من التعقيد والتناقض، وهذه الخاصية هي ما يجعل هذه الجماعات انتقالية ومتأثرة بالتحضر السريع.

رغم التغييرات التي تلحق حياة المهاجرين بالمدينة، إلا أن الحمولة الثقافية التي ينطوي عليها وعي المهاجر تحتفظ بمجموعة من الخصوصيات التي تشكل تعويضا عن الانتقال والتحول عن مسقط الرأس. ولهذا يتمسك أرباب الأسر المهاجرة بجودة العلاقات الاجتماعية خصوصا تلك التي يرى فيها مجالا للتعويض العاطفي. فتبادل الزيارات مع الأهل، وبناء علاقات الصداقة والزمالة، والحفاظ على علاقات جيدة مع الجيران تقوي من اندماج المهاجر واستفادته من وضعه الجديد.

هناك اختلافات لها دلالتها في تحديد قيمة الجوار وحضوره بين الأسر المهاجرة، ولتحليل درجة العلاقة والتبادلات بين المهاجرين بمدينة سلا وضواحيها، كان ضروريا التعامل بالمقابلات الشخصية غير الموجهة لدراسة خصائص الحياة الاجتماعية بين الفئات المهاجرة. فلاحظنا أن هذه العلاقات لها أهمية كبيرة في خلق شبكات جديدة تؤثر عن حضور مجموعات الجوار المحلية.

استخلصنا أن الأحياء القديمة قد حافظت على بعض خصائص الحياة الاجتماعية السابقة، وتتميز بكثافة وقوة العلاقات الاجتماعية والجوار. بدون شك نوع السكن يمارس تأثيرا فعلا في عملية الاتصال والتواصل بين الجيران، هذه الفرضية تأكدنا من صدقها من الملاحظات والمقابلات الميدانية، فشرط ووضعية السكن مرتبطة بأشكال وكثافة هذه العلاقات.

تشكل الشبكات العائلية والقرابية قناة أساسية في عملية الاندماج والتغير الأسري، وإن كانت التحويلات الاقتصادية والاجتماعية قد انعكست على المجتمع والأسرة المعاصرة نتيجة التصنيع والتحضر والهجرة، إذ أصبحت العلاقات القروية أضيق في الأوساط الحضرية.

تحرص الأسرة المهاجرة بمدينة سلا على زيارة الأقارب القريين والبعيدون في أوقات ومناسبات مختلفة. غير أن الدائرة القروية تبدأ في التقلص كلما تحدثنا عن الأشخاص الذين تفصلهم مسافة عن الأهل.

تظل العائلة المؤسسة التي يمنحها الأفراد المهاجرون ثقمتهم الكاملة في غياب مؤسسات تقليدية كالقبيلة والحزب والحنطة، فهي الداعمة ماديا ونفسيا واجتماعيا، ورمز الهوية والانتماء الجماعي. لهذا يستغل الأفراد جميع الوسائل (اللقاءات المباشرة، التقنيات الحديثة) لاستمرار التواصل والتضامن الأسري عبر تقديم المساعدة المادية والمعنوية في حالات اجتماعية متعددة.

لا تتوقف الروابط الاجتماعية التي يقيمها المهاجر على ما هو قرابي، بل تتعداها إلى علاقات الزمالة المهنية، والجوار، والصدقة، وهذا ما يحرره من قبضة الفضاء الأسري والانفتاح على الغير.

للإطلاع على محدثات القضايا الوطنية والدولية، تلجأ الأسر المهاجرة إلى التلفزة كمصدر أساسي لمعلوماتهم المحلية والعالمية، بينما يختار البعض منهم العلاقات الشخصية مع زملاء العمل أو غيرهم، أو عن طريق المسجد والنقاشات العائلية.

تفضل الأسرة في وضعية الهجرة بمدينة سلا وضواحيها الاستقلال السكني مع الحفاظ على القرب المكاني من العائلة بحثا عن سعادتهم الشخصية. وهذا ما يفسر انخفاض عدد الأجيال الذين يعيشون في الوحدة السكنية من جيلين إلى جيل واحد.

وكننتيجة لما سبق يمكننا الجزم أن المهاجر شديد الارتباط بموطنه الأصلي، ولكنه في نفس الوقت يتشبث بالاستقرار في الوسط الحضري.

الفصل الخامس:

الهجرة والانفصال المهاجرين في الوسط الحضري

تقديم:

إن الهجرة إلى جانب كونها حركية اجتماعية من مجال جغرافي لآخر ومن نظام سياسي وإداري إلى آخر، فإنها تعد من أهم العوامل المساهمة في التغير الأسري ومصدرا أساسيا للتغير الحضري، حيث تؤثر في نمو السكان وفي الخصائص الديمغرافية والاقتصادية للمجتمع، وذلك بمساهمتها في تغيير تركيبة السن والنوع.

تعتبر الهجرة القروية المتزايدة، من أهم العوامل التي أدت إلى تريف المدينة. فتمركز الأنشطة الصناعية والتجارية في المدن، أدى إلى تدفق العديد من الأسر القروية نحوها. إن الصناعة في حاجة دائمة للطاقات البشرية لاعتمادها على القوى العضلية والبدنية أكثر من اعتمادها على طاقات عقلية وذهنية، لذلك لا يجد النازحون صعوبة كبيرة في إقامتهم في المدن، إذ أنهم يقصدون أطراف المدن وضواحيها التي تتعايش فيها أساليب الحياة الحضرية والقروية، وحيث ترتفع نسبة الأمية والخصوبة وروح دينية قوية. وهذا ما أكدته الدراسة التي قامت بها الباحثة جانيت أبو الغد¹ في معرض حديثها عن الهجرة القروية بمدينة القاهرة، أن المهاجرين الريفيين يميلون إلى الاستقرار على الحدود الريفية الحضرية للمدينة، أو نحو الأحياء القديمة التي توجد داخل المدن لخص أجورها.

وردت في مرجع سبق ذكره لحليم بركات : ص. 285.

المحور الأول: طبيعة العلاقة بين المهاجرين والمؤسسات

تعتبر الإدارة من المؤسسات التي تسهم في عملية اندماج المهاجر في وسطه الجديد، بحيث تختزل بالنسبة له وتحضر في تمثله مشخّصة في طلب شهادة السكنى من المقدم. "أذهب للإدارة لطلب شهادة السكنى".

تتحدد علاقة أرباب الأسر المهاجرة بالإدارة في درجات مختلفة، ترجع إلى المهاجر نفسه، وطرق تفاعله وقدرته على تأثيث مكانته في إطار وضعه الجديد، خصوصاً وأننا نعلم أهمية هذه المؤسسة في ضمان اندماج بمثابة اعتراف للمهاجر. تتحول هذه العلاقة إلى درجة سيئة عندما يفشل المهاجر في التكيف مع طبيعة المعاملات الإدارية التي تتطلب من الفرد نوعاً من السلاسة والصبر، للصعوبات التي تطرحها أمام القادمين الجدد. لهذا طرحنا السؤال حول طبيعة ونوعية العلاقة التي تربط بين المهاجرين المبحوثين ومؤسسة الإدارة؟

جدول رقم (46): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب درجة الرضا عن العلاقة مع الإدارة

المجموع	الدرجة										العلاقة مع الإدارة
	ممتازة		حسنة		لا بأس بها			سيئة			
100.0	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1	
%	1.8	3.3	2.9	5.8	18.5	13.2	16.0	14.0	5.3	19.3	
	%5.1		%8.7		%47.7			%38.6			

- يستحسن 47.4% من المهاجرين علاقتهم بمؤسسة الإدارة، بل وصلت هذه العلاقة إلى درجة متميزة لدى 4.9%. مما يدل على نجاح فئات من المهاجرين في التعامل بإيجابية مع المقترضات والمعاملات الإدارية.

- نفترض أن تاريخ الهجرة، ومدة استقرار المهاجرين بالمدينة، يتدخل في تكيف أو سوء العلاقة مع مؤسسة الإدارة، إذ عبر 38.6% عن سوء معاملة الإدارة.

- رضا أرباب الأسر المهاجرة عن العلاقة بالمدرسة:

تشكل المدرسة أهم مؤسسة اجتماعية تقوم بأدوار التربية والتعليم والتوجيه وإعداد الفرد للمستقبل، وتساعده في تكوين شخصيته ومشاركته الفعالة في المجتمع. ان المدرسة أساس ومبدأ الأسرة المعاصرة، نظرا لما تحدثه من تغيرات على مستوى مكانة وأدوار أعضائها، سواء فيما يتعلق بالجوانب الاقتصادية أو الاجتماعية أو الثقافية.

تساهم المدرسة إلى جانب عوامل أخرى في الإسراع بوتيرة التحويلات الكبرى التي يعرفها العالم، وفي المجتمع المغربي لعبت المدرسة دورا أساسيا في تعميق هذه التحويلات، إلى جانب ذلك ساهمت المدرسة في إحداث عدة تغيرات بالأسرة، حيث أضحت التناقضات داخلها واضحة بين الأجيال. لقد طال هذا التغير قيم وقواعد التنشئة الاجتماعية التي بواسطتها تقدم الأسرة للطفل الخبرات الأولى باعتبارها المؤسسة الأولى التي ينتمي إليها الطفل.¹

باعتبار المدرسة مؤسسة تعليمية فهي فضاء لبناء الفكر واكتساب القدرات المعرفية للتلميذ أو الطالب، وما يؤهل لتوليد المعرفة وإنتاجها. من البديهي القول إن هناك إجماعا في كل المجتمعات حول قيمة المدرسة اعتبارا لوظيفتها التربوية والتعليمية ولكونها قناة للمعرفة ونقيضا للامية والجهل. تكتسب المدرسة قيمتها من كونها كانت وما تزال من الوسائل الأساسية لتقدم الإنسانية. بحيث تمنح للفرد رأسمالا تعليميا يستثمر في الحياة العملية وفي العيش في المجتمع.

تعمل المدرسة على تعلم الفرد وتلقيه التربية لتأهيله لكي يعيش في المجتمع ويساهم في استمراريته وفي تحوله، كما تسهل مرور الأفراد من الأسرة إلى المجتمع باعتبارها مرحلة انتقالية مهمة في حياتهم لكي يلجوا المجتمع الواسع وهم يحملون ما اكتسبوه منها.²

¹ عبد الرحيم، عني: مرجع سابق، ص 353.

² رحمة، بورقية: "نحو مدرسة لبناء القدرات المعرفية"، المدرسة المغربية، عدد مزدوج 4 و 5، أكتوبر 2012، ص. 13 و 14.

الهجرة والتحصن والتحويلات الأسرية

تعتبر المدرسة آلية أساسية للتربية والتعليم والتنشئة، حيث ينتفع أبناء المهاجرين وغيرهم من التمدن ومحاربة الجهل والأمية، كما تفتح الطريق أمامهم نحو العلم والمعرفة والانفتاح على عالم جديد، عالم الثقافة والتميز وإثبات الذات. وتشكل المدرسة للأسر المهاجرة شكل من أشكال الانتماء للحياة الحضرية ووسيلة لتغيير وضعها الثقافي والرمزي إلى الأفضل في المستقبل. من هنا، لا بد من طرح تساؤل بصدد هذا الأمر، هل باستطاعة المدرسة أن تستجيب اليوم لطلبات الأفراد؟ وما هي درجة الثقة التي يمنحها المهاجرون للمؤسسة التعليمية؟

جدول رقم (47): درجة رضا أرباب الأسر المهاجرة عن العلاقة مع المدرسة

المجموع	الدرجة										العلاقة بالمدرسة
	ممتازة		حسنة		لا بأس بها			سيئة			
100.0	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1	
%	8.6	3.7	9.1	18.5	21.0	16.5	8.2	6.6	1.6	6.2	
	% 12.3		% 27.6		% 45.7			% 14.4			

• ارتفاع نسبة الثقة في مؤسسة المدرسة:

أصبحت المدرسة هي العنصر القادر على تحقيق التمايز الثقافي والاقتصادي داخل القرية، الشيء الذي جعل منها متغيرة أساسية في التحول الأسري على اعتبار أنها تجسد أول أشكال تبعية الأسرة للدولة، فهي تنمي قدرات الفرد العقلية وتعددهم للانخراط في خدمة المجتمع وتنميته.

تمارس المدرسة العملية التعليمية التي أصبحت جزءاً هاماً من العمل التربوي، إذ تعتبر الجانب المتخصص من العملية التربوية التي تربط الأسرة بالمدرسة في سياق تفاعل الكثير من المواقف. تقوم المدرسة إلى جانب التربية والتعليم بتنشئة الأفراد ودمجهم اجتماعياً. وتعتبر التنشئة الاجتماعية من أهم الأدوار التي تقوم بها المدرسة، فهي ترسخ

لدى الفرد معايير وأنساق التفكير، ومعتقدات وتقاليد وقيم أخلاقية ومهنية وطبقية منها ما هو ثابت ومنها ما هو متغير تبعا لوضعيات معيشية.¹

إن التحويلات الاجتماعية الراهنة تتجه لتأسيس قيم جديدة قوامها الاعتراف بالطفولة كوضع ثقافي واجتماعي وسيكولوجي متميز يتطلب من المجتمع السهر عليه وحمايته، والمدرسة هي التي مكنت الطفل من هذا التحول العميق، حيث منحتة دورا تربويا واجتماعيا متميزا هو التمدرس.²

هناك جوانب أخرى تمنح المدرسة قيمتها المعيارية في تصورات الناس في المجتمع، منها ما يتعلق خصوصا بوظيفتها ودورها في تحريك المصعد الاجتماعي وما تمنحه للفرد من نفع. فعلى الرغم من تراجع دورها المباشر في تحريك الحركة الاجتماعية التي عرفها المجتمع المغربي بعد الاستقلال، ومن التحويلات التي عرفها وضع التعليم، خصوصا في العقدين الأخيرين، فإن المدرسة تظل بالنسبة لفئات عريضة من المجتمع، الأداة الأساسية لتحسين وضعها الاجتماعي، ويظل التصور السائد يعتبر مستقبل الفرد مرتبطا بمدى الاستفادة من التعليم، ومن القيمة التسويقية التي تمنحها له الشهادة في سوق الشغل.³

تمنح المدرسة للأسر المهاجرة فرصة التعلم والاكتماب، وتساهم بشكل كبير في انفتاحهم على العالم، وتساعدهم على الاندماج في الوسط الحضري، وتمكن المدرسة الأجيال من التكوين واكتساب مؤهلات علمية ومهنية تبعا للتخصصات. تساعد المؤسسة التعليمية على تجاوز الوضعيات التي يجدون أنفسهم فيها كوضعيات محددة.

تقوي المدرسة من شعور المهاجرين النفسي والاجتماعي، كما تسمح لهم بإعادة النظر في مكتسباتهم السابقة وتدفعهم نحو بناء مسار جديد للعلم والمعرفة والثقافة والتغيير، والانفلات من ترسبات الماضي والأحكام العامة التي ترسخت في وعيهم، فتساعدهم على التميز الفكري والثقافي.

¹Emanuel, Kant. Réflexions sur l'Education, traduction Alexis Philonenko, 8ème Edition, Paris, 1986, P. 77.

²Mohamed, Cherkaoui: Sociologie de l'Education. P.U.F. Collection Que Suis _Je ? n°2270, Paris, 1989, P. 39 et 40.

³رحمة، بورقية، المرجع السابق، ص. 14.

يضع أرباب الأسر المهاجرة ثقة كاملة في مؤسسة المدرسة بنسبة 53.1 %، تليها نسبة 28.0 % يضعون ثقتهم في المدرسة بدرجة متوسطة.

على الرغم من القيمة التي يمنحها المجتمع للتعليم والمدرسة، فإن هذه الأخيرة تعاني اليوم من صورة سلبية وتستهدفها مؤاخذات تستوطن في الخطاب الذي يقرنها بالأزمة. لا يقتصر هذا الأمر على المدرسة في الواقع المغربي، وإنما يشمل كل المجتمعات المعاصرة، بفعل التحويلات العميقة التي تعرفها وبفعل هيمنة النموذج الاقتصادي الذي يضع ترابطاً وثيقاً بين التعليم وقيمه في السوق الاقتصادية¹. وهذا ما يفسر الثقة القليلة التي تضعها عينة من المبحوثين في مؤسسة المدرسة بـ 11.5 %، وتتعدم هذه الثقة لدى 4.1 % من المهاجرين.

- علاقة سيئة تربط بين الأسر المهاجرة والمنتخبين:

ينظر للأسر المهاجرة من طرف المنتخبين كفئات دخيلة على المجتمع المستقبل، وتخلق تنافسية مع الساكنة الأصلية، وتضيق الخناق من حيث فرص الشغل. لهذا نواجه صعوبات في التعامل مع المنتخبين، هذا ما عبر عنه أحد المبحوثين جواباً عن نوعية العلاقة التي تربطهم كمهاجرين بالمنتخبين، ودورهم في الحراك الاجتماعي العام. ويضيف مهاجر آخر "لا يعاملنا المنتخب معاملة مزيانة لأننا ماشي ولاد البلاد، وديما كايحاكمونا علاش خلينا الارض وجينا، واش كراهننا نقابلو الفلاحة ونكلسوا في محالنا". يقول أحد المهاجرين. ويضيف "كيديرو الميز بينا وبين السكان الأصليين".

أكد مجموعة من أرباب الأسر عن عدم معرفتهم بمنتخبهم. تختلف العلاقة مع المنتخبين عن المعاملات الأخرى التي يقيمها المهاجرون مع باقي المؤسسات. صرح 64.4 % من أرباب الأسر المهاجرة عن علاقة سيئة بالمنتخبين، بل هناك من ينعتهم باللصوص والوصوليين، وأنهم أناس غير أكفاء وغير صالحين للخدمة العامة للمواطنين. فيما عبر 28.0 % عن علاقة رضا بالمنتخبين بدرجة متوسطة، و 4.6 % اعتبروا علاقتهم بالمنتخبين حسنة إلى درجة ممتازة، كما صرح بذلك 2.8 % من مجموع المبحوثين.

1 نفس المرجع.

ـ رضا أرباب الأسر المهاجرة عن العلاقة بالمركز الصحي:

تعتمد معظم العائلات المغربية على الجهاز العمومي الصحي لضمان وقاية صحية لأفرادها، وتعتبر وقاية وصحة أفراد العائلة المغربية الحديثة من مسؤوليات الدولة وتشمل السياسة الصحية للدولة النطاق الوطني كله، والهدف منها هو الوصول إلى شبكة جهاز صحي تغطي البلاد بمدنها وأريافها وتلجأ الدولة إلى مواجهة وظيفتها الصحية بتوفير مراكز صحية تستجيب لحاجيات المواطنين من الناحية الصحية والوقائية.

أدت الهجرة القروية إلى الحواضر المغربية إلى تدهور الخدمات الاجتماعية والصحية في المدن. فلم تعد المؤسسات التعليمية والعيادات الصحية والمستشفيات ودور الرعاية الاجتماعية، قادرة على امتصاص الأعداد الضخمة من المهاجرين، فالذين ينزحون من القرى يكونون في حاجة إلى رعاية صحية مكثفة بسبب افتقارهم إلى مثل هذه الخدمات والاستفادة من مساعداتها لتحسين ظروفهم الصحية.

جدول رقم (48): درجة رضا أرباب الأسر المهاجرة عن العلاقة مع المركز الصحي

المجموع	الدرجة										العلاقة مع المركز الصحي
	ممتازة		حسنة		لا بأسبها			سيئة			
%100	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1	
	4.5	1.6	2.5	8.6	16.0	21.9	14.0	11.5	5.8	13.6	
	% 6.1		% 11.1		%51.9			% 30.9			

ـ يرى 51.8 % أن المركز الصحي يقدم الخدمات الصحية والأساسية والمجانية للمواطنين. ويستفيد المهاجرون من المساعدات الطبية التي توفرها المراكز الصحية بالأحياء، خاصة أن معظم أرباب الأسر عبروا عن افتقار قراهم لمثل هذه الخدمات. لهذا يستحسن 11.1 % منهم علاقته بالمركز الصحي، بل إلى درجة متميزة حسب 6.1 %، رغم أنها نسبة منخفضة إلا أنها تحمل دلالة اجتماعية تعبر عن رضا تجاه هذه المؤسسة الحكومية.

• ثقة كاملة تضعها الأسر في وضعية الهجرة في الطبيب:

تشكل الخدمات الصحية أولويات أساسية للتمتع بصحة جيدة والوقاية من الأمراض التي تهدد صحة الناس وعافيتهم، لهذا تضع الأسر المهاجرة ثقها الكاملة في الطبيب بنسبة 59.3 %، مما يفسر درجة وعي المهاجرين بأهمية التطبيب، ودور الصحة، وتوضح تخلي بعض الأسر عن ممارسات كالتداوي بالأعشاب أو اللجوء للمشعوذين والسحرة الذين عادة ما يسيطرون على وعي الفئات غير المتمدرسة.

تؤشر هذه النسبة على تغير العادات والممارسات المتبعة من طرف الأفراد المهاجرين. فقد خلقت لديهم وعيا بالتخلي عن هذه السلوكات التي كانت بديلة عن اللجوء للاستشارة الطبية. تختلف نسب الثقة والاستشارة الطبية تبعا لوعي المهاجر وتخلصه من الاعتقاد في بدائل أخرى غير طبية. لهذا يستشير 30.0 % الطبيب في حالة الأزمات الصحية.

- رضا أرباب الأسر المهاجرة عن العلاقة مع القنوات التلفزية:

لقد أصبح التلفزيون وسيلة إعلامية أساسية تؤثر فضاء الأسرة، وتساهم في الربط بين أعضائها وبين باقي مكونات العالم الخارجي، وذلك لما تقدمه من مواد إعلامية وبرامج ونشرات إخبارية وبرامج للترفيه. كل هذا جعل من هذا الجهاز أهم الوسائل الإعلامية التي يتفاعل معها أعضاء الأسرة، وبهذا التفاعل يساهم في تطوير حياة الأفراد وفي توجيههم¹.

تعتبر التلفزة إحدى العوامل الهامة إلى جانب الأسرة والمدرسة في تنمية الفرد وتشجيعه على المشاركة في الحياة الاجتماعية، لاسيما وأن البرامج التي تبثها التلفزة تصل إلى كل البيوت وتنقل آليا المعلومات والأخبار، وبذلك تساعد على توحيد الأساس المعرفي لدى العديد من الأفراد. يشكل التلفزيون وسيط مهم للانفتاح على العالم الخارجي ووسيلة الإعلام الأكثر انتشارا بين الفئات الشعبية، بل تعوض الجوانب الترفيهية التي يفتقدها المهاجرون في موطنهم الأصلي.

¹Rabia, Bakkar. « Ecoute et Regard : La télévision et les transformations spatiales en Algérie ». in miroirs Maghrébine itinéraire de soi et paysages de rencontre, Paris, Edition du CNRS, 1998, p. 183.

الهجرة والتحضّر والتحوّلات الأسرية

إن الخدمات الإعلامية التي يتتبعها أرباب الأسر المهاجرة عبر الشاشة الصغرى والتي تصل إلى عمق منازلهم وحياتهم، "لاتصل إلى تطلعاتهم، ولا تعكس واقعهم اليومي المعيشي، ولا تمس مشاكلهم اليومية ولا تطرح قضاياهم أمام الرأي العام، كما أن هذه القنوات تفوق قدراتهم الثقافية والاجتماعية" تعليق أحد أرباب الأسر المهاجرة.

جدول رقم (49): درجة رضا أرباب الأسر المهاجرة عن القنوات التلفزية

المجموع	الدرجة									العلاقة مع القنوات التلفزية المغربية	
	ممتازة		حسنة		لا بأس بها			سيئة			
%100	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1	
	2.1	3.0	3.7	11.1	11.1	16.0	12.3	14.0	11.5	15.2	
	% 19.9				%39,4			%40.7			

تظهر نتائج الجدول،

- إن علاقة المهاجرين بالقنوات التلفزية تتباين تبعا لانتظاراتهم وتمثلهم للخدمات الإعلامية التي تعرضها، فهناك من يرى فيها وسيلة للتسلية، وآخرون يعتبرونها منفذهم الرئيسي لمعرفة العالم والأحداث المحلية، وهناك مهاجرين لا يولون أهمية لما تقدمه. لهذا تباينت النسب بين:
- مهاجرين راضون تماما عن القنوات الفضائية والبرامج التي تعرضها بنسبة 39.4 % من المشاهدين، ويستحسن 14.8 % البرامج التلفزية والإذاعية، 5.0 % يرونها ممتازة.
- وآخرون غير راضون، ولا تثيرهم القنوات الفضائية وبرامجها، وعبروا عن علاقة سيئة بها بنسبة 40.7 %.

- تتنوع مصادر معلومات أرباب الأسر المهاجرة بمدينة سلا وضواحيها.

• تهيمن التلفزة على مصادر معلومات المهاجرين:

يشكل التلفزيون آلية يجذب لها الكل بفعل التقنيات السمعية والبصرية التي توفرها للمشاهد، وتنوع فقراتها وقنواتها وبرامجها التي تستهدف كافة شرائح المجتمع وفئاته الصغيرة والكبيرة، العالمية والشعبية. كما تعتبر وسيلة للترفيه والتسلية لدى الأسر في وضعية الهجرة. فالى أي حد تساهم التقنيات الجديدة في الاتصال والتواصل في حصول المهاجر على المعلومة؟

جدول رقم (50): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب مصدر معظم معلوماتهم فيما يتعلق بالأحداث

الوطنية والدولية

النسبة المئوية %	التكرار	المصدر
0.4	2	المسجد
10.7	52	الجراند والمجلات
15.6	76	الراديو
47.7	232	القنوات التلفزية الوطنية
16.5	80	القنوات الفضائيات
6.6	32	الانترنت
2.1	10	الأصدقاء
0.4	2	النقاشات العائلية
100	243	المجموع

المصدر البحث الميداني، سلا، 2011.

مما سبق:

- يجيب 47.7% عن التأثير الذي تمارسه القنوات التلفزية الوطنية في نقل الأخبار ونشر المعلومة على المستوى الوطني والعالمي. إذ أصبح تأثيرها واضحا على جميع الفئات الاجتماعية كل حسب انشغالاته واختياراته ودرجة تتبعه للبرامج التي تقدمها. "تتابع كل البرامج عبر التلفزة، رسوم متحركة، الأفلام، مقابلات، أخبار، وغيرها" تعبير إحدى النساء المهاجرات.

- يفضل 16.5 % القنوات الفضائية لتوسيع دائرة مداركهم الإخبارية وتنوعها، تليها نسبة 15,6 % تتابع البرامج المقدمة من طرف جهاز الراديو "يعتبر الراديو أقدم وأفضل تقنية تعامل معها الإنسان القروي وعبرها تطلع إلى العالم وأخباره ومتابعة مباريات كرة القدم" (تعبير أحد المبحوثين)، ثم 10.7 % يتصفحون الجرائد والمجلات، و6.6 % يحصلون على معلوماتهم من الانترنت، فيما تستمد نسبة 2.1 % أخبارها من النقاشات مع الأصدقاء،

المحور الثاني، درجة الثقة التي تضعها الأسر المهاجرة في المؤسسات:

- ثقة متوسطة في مؤسسة الدولة:

تقدم الدولة معنيين مترابطين ومتميزين، فمن جهة، تشير إلى مجتمع قانوني منظم، تراب سكاني وسلطة سياسية، ومن جهة أخرى، تفيد الدولة داخل مجتمع مدني سلطة سياسية مؤسساتية تتكون من الشخصية القانونية والوسائل المادية. يقول ماكس فيبر "نعني بالدولة مقولة سياسية ذات خصائص مؤسساتية عندما تتجح توجيهاتها الإدارية في توجيه العنف المادي المشروع".¹ من هنا يمكن اعتبار الدولة شكل مؤسساتي للسلطة السياسية.

تمثل الدولة في تصور المهاجر جهازا ضامنا للاستقرار والأمن والتنظيم والحقوق القانونية، كما تشكل الإطار السياسي والأمني الذي يسهر على تنظيم المواطنين، وتدبير شؤون حياتهم، وحفظ مصالحهم، وتلبية مختلف حاجياتهم الاقتصادية والثقافية والترفيهية (حسب إفادات أرباب الأسر من المهاجرين)، لهذا تثق نسبة 39.5 % في مؤسسة الدولة.

- ثقة متوسطة في الحكومة

يثق أرباب الأسر المهاجرة بدرجة متوسطة في الحكومة بنسبة 34.2%، تليها نسبة 31.7% بدرجة قليلة، لأن الحكومة في رأيهم لا تعبر عن حاجاتهم وقضاياهم ومطالبهم الأساسية، وتفصل بين المهاجرين وممثلي الحكومة مسافة لا تسمح لهم بمعرفة طبيعة وظائفهم ومهامهم الحقيقية. صرح 14.8% عن عدم ثقتهم في مؤسسة الحكومة، وأخيرا نسبة 13.2% يمنحون مؤسسة الحكومة ثقتهم الكاملة. يقول أحد المهاجرين المبحوثين "ما يذكرني بالحكومة هي فترة الانتخابات"، "أحترم نواب الأمة لأنهم يدافعون عن مصالحنا، وإن كانوا يقدمون مصالحتهم الخاصة على الشعب"، "لا تعبر الحكومة إطلاقا عن حاجياتنا، بعض المساعدات كانت تقدمها لنا في حالات الجفاف بتسهيل عمليات القرض الزراعي".

¹ ماكس، فيبر: العالم والسياسي، الترجمة الفرنسية جوليان فروند، بلون، 1959، ص. 111_113.

- ثقة قليلة في الأحزاب السياسية:

تعتبر الأحزاب السياسية من أهم قنوات الحركة الاجتماعية المؤدية إلى التغيير، فهي مؤسسات عرفتھا المجتمعات الغربية منذ الثورة لفرنسية. إلا أن المغرب لم يكن يعرف هذا التنظيم بأجهزته ورهاناته وشكله المعاصر إلا مطلع القرن العشرين، بل كانت الزاوية والحركات المرابطية والصوفية هي التي تنهض بأدواره. وكان التنظيم القبلي سواء في شكل "الجماعة" أو الكونفدرالية القبلية هو الشكل القادر على تنظيم الجماعة الاجتماعية، وتكوين وتأطير المواطنين ومساعدة المخزن على تدبير الشأن العام .

إلا أنه بعد تشكيل الأحزاب السياسية بالمغرب، استلھاما من التنظيمات السياسية الحزبية في المجتمعات الغربية، أصبح الحزب مؤسسة تنظيمية خاضعة لإيديولوجية وبرنامج واضحين وحاملا لمشاريع ورهانات، وأداة تكوينية وفعالة في عملية النمو الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والسياسي. واعتبر بذلك قناة ايجابية للتغيير والحرية والاستقلال.¹

يرتبط مفهوم الحزب في الحس المشترك للمهاجرين، بالسياسة والعمل السياسي الذي يتأسس على أخلاقيات متناقضة في ذاتها. فالحزب يعبئ ويكون الفرد للمشاركة في الحياة السياسية بفعالية، وفي نفس الوقت يخدم مصالح خاصة لطبقات معينة تمتلك السيادة والنفوذ السياسي، ويرتبط مفهوم الحزب عند المهاجر بالانتخابات وبرامج المنتخبين وعودهم التي طالما تتلاشى بعد الصعود في السلم السياسي.

مما لاشك فيه، أن إصرار المرأة، والصراع والتنافس بينها وبين الرجل حول اكتساب مواقع اجتماعية جديدة، بالإضافة إلى تزايد حجم المناصب المخصصة للنساء في الميزانية العامة للدولة، قد ساهم في تطور نسبة مشاركة المرأة في مجموعة من الميادين أبرزها ميدان الحقل السياسي.

¹الهادي، الهروي: مرجع سابق، ص. 168.

استعرض المختار الهراس في معرض حديثه عن المرأة وصنع القرار في المغرب، بعض الأسباب ذات طابع اجتماعي، وأخرى ذات طابع سياسي، لا تمكن المرأة من المشاركة السياسية الفعالة والمؤثرة ومن بينها: سيادة ثقافة ذكورية في مبادئها وممارستها لا تسمح للمرأة ولو بالتفكير في الانخراط في العمل السياسي، تحمل المرأة لوحدها أعباء الأشغال المنزلية، ارتفاع نسبة الأمية في صفوف النساء، بالإضافة إلى غياب آليات استقطاب وإدماج النساء في الحياة الحزبية، هذا إلى جانب عدم توافق مواعيد العمل الحزبي مع الظروف الشخصية للمرأة، وكذلك ظهور ثقافة جديدة في الانتخابات تعتمد على المرشح الغني¹.

• نستخلص من خلال شهادات أرباب الأسر:

- "يمكن أن أسمح لابني بالانضمام إلى الحزب، شرط أن يقوم الحزب بتوظيفه" ما بقاوش الأحزاب، الكل يخدم مصالحه الشخصية، والمشهد السياسي دليل على تراجع دور وأهمية العمل الحزبي" " لا أنتمي لأي حزب لأنني لا أثق في وعودهم المتكررة والباطلة" شهادة المبحوثين.

- نلمس تراجعاً في الثقة التي يضعها المهاجر في المؤسسات السياسية بما فيها الأحزاب بنسبة 36.6 %، بل تتعدى هذه الثقة بالنسبة لـ 26.3 % نظراً لتراجع أدوار الأحزاب السياسية في الدفاع عن مصالح المواطنين، لدى الجهات المسؤولة، وفتح نقاشات عامة حول المشاكل والقضايا المتعددة التي يواجهها الشخص المهاجر من المغادرة إلى الوصول.

- إن تناقص ثقة المهاجر في الأحزاب يصاحبه تراجعاً في أدوارها وحضورها في السنوات الأخيرة، وتتأثر هذه الثقة بالوعد والبرامج التي تقدمها في حملاتها الانتخابية. إن نسبة 14.4 % يتقنون في الأحزاب ثقة متوسطة، و 7.0 % لهم ثقة كاملة في الأحزاب السياسية.

¹ المختار، الهراس: المرأة وصنع القرار في المغرب، مرجع سابق.

- لم تعد العلاقة بين المهاجر والمؤسسة الحزبية تتأسس على مبادئ سياسية، بقدر ما هي تبادل مصالح فردية أو جماعية، وهو الأمر الذي استنتجناه من تعليقات وشهادات المبحوثين.

- ثقة متوسطة في الجمعيات:

إن مؤسسات المجتمع المدني والجمعيات من أقوى المؤسسات التي تمنحها الأسر المهاجرة ثقتها وتتعامل مع برامجها بفعالية ومصداقية، نظرا للخدمات الاجتماعية التي تقدمها والتي تستجيب لتطلعات وحاجيات المهاجرين القرويين، فمشاريعها تشجع وتتوجه لإدماج القرويين في الحياة الحضرية.

تساهم الجمعيات في مساعدة المرأة المغربية على معرفة حقوقها وواجباتها بشكل أفضل، وإتاحة الفرصة أمامها للمساهمة في تطور بلادها بشكل فعال، باعتبارها ربة بيت، أما، وباعتبارها امرأة نشيطة في الحقل الاقتصادي.

يأخذ هذا الهدف بعين الاعتبار المجالين الأساسيين الذين تتطور فيهما المرأة، العالم الأسري، وعالم الشغل، بحيث تهتم الجمعيات النسائية بمشاكل المرأة داخل البيت، ويركز نشاطاتها على الأعمال المنزلية، وعلى تربية الأطفال، والأعمال اليدوية التي يتم القيام بها داخل البيت، والتي تتيح للمرأة إمكانية التنظيم داخل تعاونيات. في حين يهتم جزء آخر من هذه الجمعيات بمساعدة المرأة على الوعي بحقوقها في سوق العمل، والدفاع عن مطالبها في الترقية واحترام حقوقها¹.

تعمل الجمعيات على تقديم مشاريع اجتماعية تدمج المرأة والطفل والرجل كل حسب مؤهلاته وقدراته وتنمي فيهم روح التعاون والتضامن، وتقوي من قدرة الخلق والإبداع لديهم، وتستعيد ثقتهم في كفاءاتهم وذواتهم وتساعدهم على الخروج من عالمهم الخاص والضيق إلى فضاء أرحب. ونظرا لأهمية الجمعيات في الحياة العامة لأي مجتمع من المجتمعات، فإنه من المنطقي أن يلتجئ المهاجر إليها قبل غيره. والنسب التالية تعبر عن

¹ ليلي، الشافعي: "الحركة النسائية، والمجتمع المدني، ملاحظات أولية"، مجلة أفاق، العدد 1، 1993، ص. 77.

هذا التوجه نحو الجمعيات سواء ذات الأهداف الرياضية، أو الترفيهية، أو الدينية والثقافية:

- يتبين أن 35.8% من مجموع المبحوثين هم الذين ينتمون إلى الجمعيات ويضعون ثقة متوسطة فيها، وتثق نسبة 30.5% من المبحوثين ثقة كاملة في الخدمات التي تقدمها الجمعيات الموجودة بالحي، و18.5% ثقتهم قليلة تجاه الجمعيات، وتتعدم هذه الثقة بالنسبة لـ 5.3%.

- عبرت بعض النساء المهاجرات عن انضمامهن لجمعيات نسائية توجد بالحي تهدف لتعليم النساء القراءة والكتابة والأعمال اليدوية وبعض الصناعات. وأنهن خلقن عبر هذه الجمعيات علاقات جوار وصدقة منحتهن فرصة التعبير عن ذواتهن والتبادل مع نساء أخريات تجربتهن الخاصة:

"أفضل العمل الجماعي لأن الجمعيات تقدم المساعدة للناس" "أحب الانضمام إلى الجمعيات، لأنها توجه أعمالها للفئات الاجتماعية الهشة، وتهتم بنا كنساء مهاجرات"، وعبرت نساء أخريات: "لم يسبق لي أن شاركت في جمعية لأنني منشغلة بالأعمال المنزلية وتربية الأبناء".

- يفضل أرباب الأسر المهاجرة الانخراط في الأعمال والبرامج التي تؤطرها الجمعيات، لأنه عمل يرسخ قيم التضامن والتعاون والموازرة ويقدم مساعدات اجتماعية لمختلف الفئات، وتتحدد أهدافه فيما هو اجتماعي بالدرجة الأولى. فالعمل الجماعي يترك تمثلا ايجابيا لدى المهاجر، مقارنة مع مشاركته في الحياة السياسية. فباستثناء الانتخابات التي عبر معظم المبحوثين عن مشاركتهم فيها والتعبير بأصواتهم كواجب وطني يرفض الكثيرون الانخراط في إطار أحزاب، "في حين يشجع بعض الوافدين أبنائهم للانضمام في الأحزاب السياسية بهدف الحصول على وظائف مضمونة"، تعبير أحد المهاجرين. تبقى مشاركة المهاجرين السياسية ضعيفة مقابل رغبتهم الحقيقية في الانخراط في جمعيات ذات طابع تنموي واجتماعي، باستثناء الاستحقاقات الانتخابية بحيث تعودوا من البداية المشاركة وتفعيل الحياة السياسية.

- تبين من خلال بعض المقابلات التي أجراها المختار الهراس مع مجموعة من النساء، أن انخراط المرأة في العمل الجمعي كان له الدور الفعال في تمكين النساء وإشراكهم في التنمية الاجتماعية، وضمان حقوقهم ومكانتهم داخل المجتمع¹.

- ثقة قليلة في النقابة

تعتبر النقابات المهنية حركة اجتماعية قائمة بذاتها لاعتمادها على ثلاثة أبعاد أساسية:

- البعد المذهبي أو الإيديولوجي المتمثل في جملة من الأفكار والمبادئ التي تتبناها النقابة وتعمل على الدفاع عنها، وتحاول تجسيدها واقعياً.

- والبعد الأداتي الذي يتمثل في أسلوب النشاط ووسائله.

- والبعد الغائي المتمثل في الغاية التي تسعى النقابة إلى تحقيقها من خلال نشاطها. والنقابة إحدى دعائم المجتمعات الحديثة ومحدثة لتغيرات مهمة.²

تقوم النقابة بعرض لائحة مطلبية مبنية على مجموعة معطيات واقعية يعيشها ويحياها العمال داخل المؤسسة وخارجها، وهي تحاول تحقيق أكبر إرضاء لهم عن طريق إعطاء الأولوية للنواحي المطالبية، ويتم تحديد موعد لبدء التشاور والتفاوض في شأنها.³

تشير النقابة إلى رابطة دائمة بين الذين يتقاضون الأجور بهدف تحسين أحوال ظروف عملهم، لم يكتسب هذا المصطلح معنى إلا بعد القرن 19 ميلادي، وكان يعني الاتحادات التي يكونها العمال الذين يمارسون أعمالاً مختلفة.⁴

¹ المختار، الهراس، المرجع السابق.

² نعيم، بومقرة: "الحركة النقابية في الجزائر وسياستها المطالبية، الأجر نموذجاً"، مجلة إضافات، العدد 21، السنة 2008،

ص. 25.

³ نفس المرجع، ص. 45.

⁴ محمد، عاطف غيث، مرجع سابق، ص. 452.

لا يتوفر المهاجر على وعي كاف يكفل له الإلمام بمهام مؤسسة النقابة والأدوار التي تقوم بها من أجل الفئات العاملة، بل لا يعتقد الكثير منهم بأهميتها ووظائفها. صرحت 26.3 % بوجود ثقة قليلة في النقابات، و 25.1 % فقط ينتمون لنقابات مهنية ويضعون ثقة متوسطة في أدوارها، وعبر 22.2 % عن ثقتهم الكاملة في النقابة وأهدافها، فيما تتعدم هذه الثقة لدى 10.7 % من المبحوثين.

- ثقة متوسطة في المحكمة والقبيلة والشرطة:

تمثل المحكمة في رأي المهاجرين القرويين، رمز للعدالة والقوانين والمساواة، وتحسم في حل النزاعات التي تقع بين أفراد المجتمع القروي في حالة الصراعات حول الأرض، أو الإرث، أو المشاكل الأسرية الشخصية.

القبيلة:

هي البنية الاجتماعية الأساسية، والشكل الواقعي الملموس للنظام القبلي، ويمثل هذا النظام بما يحمله من رموز وقيم ومعايير بالنسبة للقبيلة، روحها وإيديولوجيتها في تحقيق وجودها المادي وإعادة إنتاجها الاجتماعي.

فالقبيلة وحدة اجتماعية يعتقد جميع أفرادها أنهم ينتسبون لنفس الجد، سواء كان هذا الاعتقاد خرافيا أو حقيقيا. وتشكل رابط الدم محور التعاون والتماسك الاجتماعي في هذه البنية، وهو ما يطلق عليه ابن خلدون مصطلح العصبية، أي الرابطة الاجتماعية الطبيعية التي تجمع بين مجموعة متجانسة من البشر بصلة الولاء وتدفعهم جميعا إلى الحركة والفعل والبناء والدفاع عن النفس ضد عدوان الغير.

وتشكل القبيلة كيانا سياسيا مستقلا، وبوصفها كذلك، فهي لا تتطوي في المسافة المتجانسة لمسكنها ولكنها تبسط أيضا سيطرتها وشرعيتها وحقها على موطن... إن السيطرة على موطن يسمح للجماعة بتحقيق مثالها الاكتفائي، واكتفائها الذاتي على مواردها فتصبح غير متعلقة بأحد ومستقلة تمام الاستقلال¹.

¹ محمد، جابر الأنصاري: "مراجعات في الفكر القومي"، سلسلة الكتاب العربي، رقم 57، الكويت، وزارة الإعلام، 2004، ص. 137. مذكور في دحماني سليمان، ظاهرة التغير في الأسرة الجزائرية، 2006، ص. 10.

الهجرة والتحصن والتحويلات الأسرية

تحيل القبيلة إلى الأصل والهوية الجماعية الرمزية. فالانتماء القبلي يمنح المهاجرين الإحساس بالعزة ويقوي من شوكة من ينتمي إليها، لهذا نجد ارتباط القرويين بالقبيلة قويا، لأنها تمثل لهم المرجع الاجتماعي والثقافي الذي يتوحدون تحت لوائه.

تعتبر الشرطة من المؤسسات التي تضمن الأمن وتضبط السير السليم للحياة العامة. إن الأحياء التي تسكنها أغلبية المهاجرين القرويين تتميز بالهامشية وانعدام الأمن، وتكثر فيها الفوضى والانحرافات في صفوف الشباب من تعاطي الخمر والمخدرات والجريمة والدعارة وغيرها، وما ينتج عنها من صراعات وصراخات ليلية. لهذا تساءلنا عن درجة ثقة المهاجرين القرويين بمجموعة من المؤسسات ذات اتجاهات وانتماءات وأدوار مختلفة في المجتمع. وقسمناها إلى أربع درجات، توزعت كالتالي:

جدول رقم (51): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب درجة الثقة في المؤسسات التالية:

المجموع	بدون جواب	ثقة منعدمة	ثقة قليلة	ثقة متوسطة	ثقة كاملة	درجة الثقة/ المؤسسات
100	1.6	11.1	23.0	41.6	22.6	الإدارة
100	6.2	14.8	31.7	34.2	13.2	الحكومة
100	5.8	9.9	17.3	27.6	39.5	الدولة
100	2.1	31.3	39.9	22.6	4.1	المنتخبين
100	15.6	26.3	36.6	14.4	7.0	الأحزاب السياسية
100	15.6	10.7	26.3	25.1	22.2	النقابة
100	9.9	5.3	18.5	35.8	30.5	الجمعيات
100	1.6	9.1	17.7	39.5	32.1	المحكمة
100	4.5	24.7	24.3	34.6	11.9	الشرطة
100	3.3	8.4	11.5	28.0	53.1	المدرسة
100	1.2	3.7	5.8	30.0	59.3	الطبيب
100	_	19.8	13.2	27.2	30.0	الفقيه
100	0.4	7.0	16.0	39.5	37.0	الجيران
100	_	2.5	8.2	22.6	66.7	العائلة
100	2.5	14.8	25.9	31.3	25.5	التلفزة
100	11.5	13.6	18.1	30.5	26.3	القبيلة

- ثقة متوسطة في الفقيه:

يمثل الفقيه أو الطالب شخصية مركبة لها أدوار كثيرة يطبعها طابع روحي لها أهميته وطقوسيته في الحياة القروية.¹ للفقيه قدرة على الإحاطة بالأحكام تؤهله للبحث في مظاهر الحياة الدينية والسياسية والخاصة للفرد. فالفقه يشمل كل القواعد التي تنظم العبادات وتتضمن الأوامر والنواهي فيما يتعلق بالقوانين الخاصة بالأسرة والإرث والملكية وقوانين الالتزامات والعقود في المعاملات.

ويشير ويستمارك² أن وظائف الفقيه تتسم بالتعدد، فإلى جانب كونه يمثل الدين ويعلم القرآن وينشر المعرفة الدينية، فإنه يتدخل في مجالات عديدة ومناسبات متنوعة، كحفلات الزواج والمآتم والأضاحي وكتابة الأحجبة الوقائية وغيرها. إن الفقيه مصدر المعرفة الدينية في وسط ينتشر فيه الجهل والامية.³

يحتل الفقيه مكانة مهمة لدى القرويين، إذ يعتبر من الرموز الدينية التي لها وضع خاص في أذهانهم، ففي البادية يلعب الفقيه دورا أساسيا في الحياة الاجتماعية والدينية، فيتم العودة إليه في حل النزاعات والخلافات التي تقع بين أعضائها، ويتم الأخذ برأي الفقيه في الأمور الشخصية والاجتماعية والمشاكل التي تعترضهم في حياتهم.

- تصور أرباب الأسر المهاجرة لتدين المغاربة:

إن المسألة الدينية لم تعد مجرد ممارسة الطقوس أو التخلي عنها، بل أصبحت تمثل ظاهرة سياسية واجتماعية تتمحور حولها طبيعة السلطة ونوعية الدولة. هل يمكن أن

¹J. Berque. Structures Sociales du Haut- Atlas. 2^{ème} Edition, 1978, p. 254.

² Rahma, Bourqia et Mokhtar El Harras (cordinateurs): Westmarck et la société Marocaine, actes du colloque organisé à Rabat du 20_22 mai, 1992, F.L.S.H, P. 198.

³ عبد الهادي، أعراب: "الفقيه كمؤسسة بالمجال القروي، دراسة لتغير مكانة وأدوار فقهاء الشرط بالمغرب"، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في علم الاجتماع، السنة الجامعية 2005-2006. ص. 144.

يصبح الدين مقولة نظرية اجتماعية لفهم العلاقات الاجتماعية؟ وما هي الأشكال التي يمكن أن يأخذها التغيير الديني في تمثل المهاجرين؟¹

لنتاول الظاهرة الدينية تناولا من منطلق العلوم الإنسانية والاجتماعية، لابد من إبداء بعض الملاحظات المنهجية:

يجب أن نسجل أن هناك فرقا بين الدين كإيمان وعقيدة، يدخل المؤمن في الوجدان والعاطفة، والظواهر الدينية كظواهر مجتمعية يعيشها الناس وينتجون حولها طقوسا ورموزا ويضمنونها دلالات يتم تداولها في المجتمع ويفصح عبرها المجتمع عن منظوره للنظام الاجتماعي وللحلاقات الاجتماعية وللمعايير التي يجب أن تسود فيه. فالمقاربة العقائدية تضعنا في مستوى الإيمان الذي إذا ما أخذ في أبعد حدوده، ومن الداخل، لا يحتاج إلى تفسير. في حين أن المقاربة الثانية تقحمنا في مستوى المعرفة والملاحظة والفهم والتفسير، مع إبراز منطق الأشياء وفهم وظيفة الدين ودلالاته في المجتمع. وكثيرا ما يتم الخلط بين المستويين والمقاربتين.

ومن منظور العلوم الاجتماعية لا تكون الظاهرة الدينية، أو مذهب ديني ، أحسن من الآخر، وإنما كل معتقد إنساني وجب التعامل معه وتفسيره في أبعاده ووظائفه النفسية والاجتماعية والسياسية وفي منطق خطابه.

إن العلوم الاجتماعية تتعامل مع كل أشكال التدين والممارسات الدينية كظواهر تتجلى في الطقوس وزيارة الأضرحة أو وضع التمام للتوسل إلى الله...وهي ممارسات تستحق أن تدرس لإدراك مغزاها ووظائفها بالنسبة للناس الذين يؤمنون بها.

قد تختلف الظاهرة الدينية من مجتمع لآخر، ومن حضارة لأخرى، وقد تشترك بعض الحضارات في بعض الممارسات والطقوس الدينية، وقد تتعدد أشكال التعبير عن الدين حسب الفئات، باعتبار أن الدين ليس مجرد مجموعة من الشعائر والأركان فحسب، وإنما أيضا رؤية للعالم والمجتمع وللحلاقات الاجتماعية.

¹ إضافات، العدد 23-24، السنة 2013، ص. 147.

من الملاحظ أن الظاهرة الدينية توجد في كل المجتمعات وعبر كل المراحل التاريخية الطويلة وأن الدين والتدين لازم الإنسانية. هناك من الباحثين الأنثروبولوجيين من ميز في مختلف التعبيرات الدينية في المجتمع المغربي بين دين الفقهاء والدين الشعبي، أو ما سماه الأنثروبولوجي ارنست جلنير في كتابه أولياء الأطلس، دين الفقهاء ودين الأولياء. ولقد أبرز هذا الباحث في نظريته حول الأولياء أن هؤلاء الأولياء يلبون حاجة البوادي إليهم، ونظرا لكون أهل البادية في أغلبهم ليس لديهم إمام بالكتاب المقدس، القرآن، فهم يتوسطون بالأولياء للتقرب من الله، بحيث كان للأولياء دور كبير في تقريب الدين إلى الذين لا يعرفون القراءة والكتابة.

لقد اعتبر إيميل دوركايم أن الأشكال الأولية للحياة الدينية لعبت دورا في ضمان التلاحم الاجتماعي بين أفراد الجماعة التي تتقاسم نفس المعتقد، باعتبار أن الدين منظومة من التعاليم والقيم والطقوس يشترك فيها الناس. وقال أن المجتمعات تقوم بتمييز بين العالم الدنيوي والعالم المقدس. أما ماكس فيبر فقد ركز على فهم رموز الظواهر الدينية داخل النسق الثقافي للمجتمع، وميز بين ثلاثة أنواع المشروعية¹.

يبدو التدين كحالة للروح غير قابلة للاختزال، إنه ميل أو طبع غير مرتبط بهذا المضمون أو ذلك، حالة الروح الدينية لا تتضمن أي مضمون محدد وضروري منطقيًا. إن التدين هو نوع من ثوابت الوجود الإنساني، على الرغم من أن تعبيرات التدين متغيرة تبعا للزمان والمكان، فإن كل مظاهر التدين لا تؤدي إلى الدين، ليس فقط لأن التدين يمكن أن يكون محملا بأنواع مختلفة من مجالات الوجود، ومن ثم فهو يوجد في السياسة، وفي الحياة الاجتماعية، في الحياة الفنية، دون أن يعني ذلك أنه عبارة عن دين دنيوي، ولكن أيضا لأن التدين يمكن ألا يستقر داخل مضامين ويظل مائعا².

¹ رحمة، بورقية: "الظاهرة الدينية، من منظور العلوم الاجتماعية"، مجلة الأكاديمية، العدد 23، 2006، ص. 308 و309.

² دانيال، هيرفيهايجيه. جورج زيمل: استمرارية ومرونة التدين. ترجمة درويش الحلوجي، المجلس الأعلى للثقافة، 2005، ص. 158.

• يمكن أن نميز في تمثّل المهاجر لتدين المغاربة بين موقفين أساسيين:

الموقف الأول: يرى أن التدين يعرف تحسنا في السنوات الأخيرة، فالناس أصبحوا أكثر اهتماما بالأمر الديني التي لا تتوقف عند فريضة الصلاة، بل تتعداها إلى حفظ القرآن الكريم وتفسيره ومعرفة دلالاته القصدية، وبطرق عصرية وواعية كمتبع برامج التوعية الدينية والتردد على المجالس التي تعطي فيها دروس في التفسير القرآني. يؤكد أصحاب هذا الموقف على أن فئة الشباب هي الأكثر تفعيلا وحضورا في المجال الديني. شهادات المبحوثين حول تدين المغاربة: "أصبح الناس يتدينون بشكل متزايد، ففي نظري وضعية الدين في المغرب في تحسن وتقدم كبير وبطرق عصرية وواعية".

الموقف الثاني: يعتبر أن التدين بالمغرب يعرف تناقضا "رغم ما يلاحظ من اكتظاظ في المساجد وأعداد المصلين، مقابل ذلك تنتشر ظواهر لا أخلاقية تتنافى مع تعاليم ديننا الحنيف ككثرة الكذب والنفاق والفساد الأخلاقي" "إن تدين المغاربة يتميز بالاختلاف لكل واحد دينه الخاص حسب ما يتوافق مع مصالحه الشخصية" شهادة المبحوثين، كما عبروا عن رفضهم للتيارات التي تدعي المغالاة الكثيرة في الدين. "التدين عند المغاربة أخذ يتناقص ويظهر ذلك في كثرة الكذب وقلة الصلاة". "التدين عند المغاربة أصبح يتناقص، ورغم ذلك لا يزال هناك أشخاص متدينون وملتزمون".

يتحول الديني في هذا السياق إلى "إيديولوجيا فردية" يستعملها الأفراد وفق إرادتهم الخاصة لإضفاء معنى على وجودهم الخاص، والتموقع اجتماعيا داخل نسق يشعرون أنهم مستبعدون منه ويقعون على هامشه، ولكن ذات الديني قد يتحول إلى إيديولوجيا جماعية يتبناها الأفراد.¹

– المؤسسات الدينية:

• تعتبر زيارة الأضرحة أحد أشكال التدين:

إن مجتمعات الإسلام ليست مشكلة تشكيلا متجانسا إلى الحد الذي نجد فيها أسلوبا دينيا شائعا بصورة متماثلة وشاملة، فحقائقها وتغييراتها أيضا أكثر تعقيدا مما نتصور

¹ إضافات، العدد 23 و24.

وبصورة أعمق، فإن الأفراد لا يغيرون بصورة آلية من النمط الديني، بل يقومون بتبني إستراتيجيات متكيفة وملائمة حسب حاجياتهم في لحظة من لحظات إنتاج المعنى.¹

يتصف الدين بحركة أكبر فهو متأثر بالتغيرات باعتباره نتاجا تاريخيا. يشكل الدين مثله مثل الثقافة إطارا للإدراك والتفسير، فهو يفترض وجود رموز ومؤسسات التي تجعل هذه الصور والاستعارات في متناول أولئك الذين يلجأون إليها. فالدين إذن، إطار يسمح للأفراد بفهم الحقائق الاجتماعية، ولكن أيضا للتصرف انطلاقا من المدركات التي يتيحها هذا الإطار.

يعبر الدين عن نفسه أولا بواسطة الرموز، ويحدث أن لا يعود لهذه الرموز تأثير يذكر على الواقع. فقدرة هذه الرموز على التفسير لم تعد عملية إجرائية، إذ يحدث طلاق بين الواقع والرموز الدينية التي لم تعد لها سلطة حتى وإن ظلت تتمتع بسمعة ما. على سبيل المثال، الكثير من النساء المتحجبات خلال هذه السنوات الأخيرة، والكثير من الشباب الذين يؤمنون بالمساجد، وهم أكثر امتثالية للتعاليم الإسلامية... وغالبا ما يكون هذا في الفضاءات التي لم تكن في يوم ما بالضرورة من المعامل الإسلامية. فهناك رموز دينية جديدة تتجه نحو التكاثر وليست لها صلة مباشرة بالطابع الراديكالي الديني. فالرمز اللباسي الذي يتخذ من النزعة الإسلامية مرجعية له لم يكن مرتبطا بالضرورة بالممارسات الاجتماعية، ويبدو أنه تم توجيه استعماله في مجالات اجتماعية أخرى.²

تعتبر زيارة الأضرحة ممارسة دينية مترسخة في معظم مجتمعات المغرب العربي على الرغم من الخطاب الفقهي المناوئ لها، الذي يرى فيها بدعة تمس جوهر التوحيد الديني للإسلام.³ وأكد نفس البحث استمرارية هذه المزارات الدينية في استقطاب رواج اجتماعي مكثف يفصل كافة الشرائح الاجتماعية بأشكال مختلفة وأحجام متفاوتة، تشمل

¹ محمد إبراهيم، الصالحي: "الدين بوصفه شبكة دلالية، مقاربة كليفورد غيرتز"، مجلة دفاتر مجلة إنسانيات، العدد 4، وهران، 2013.

² نفس المرجع السابق، ص. 78.

³ عبد الغني، منديب: "الأضرحة بالمجتمع القروي المغربي، آليات الوجود والاستمرار في التحويلات الاجتماعية والثقافية في البوادي المغربية"، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2002، ص. 135_141.

القرويين والحضرين.¹ تعتبر زيارة السلاويين للأضرحة وإقامة المواسم عليها إحدى السمات التي تجسد الطابع الديني السائد بالمجتمع السلاوي، كما تعرف مدينة سلا بكثرة المساجد والزوايا.²

• الزوايا:

تعتبر كل من الزوايا والكتاتيب أشكال من المدرسة في النظام التعليمي القديم، وقد مارسا علم التربية من تنمية مواهب المتلقي، وميوله وقدراته، وتشجيع نشاطه ومهاراته في إطار الثقافة الأصلية التي كانت تحكم المجتمع وتضبطه.

رغم أهمية الزاوية كمؤسسة دينية واجتماعية، إلا أنها تعرف فراغا في أدوارها التقليدية ومكانتها كما في السابق. فالعديد من الشباب المهاجرين لا يرتادونها ولا يكثرثون لوجودها حسب تعبير العديد منهم.

استقطبت مدينة سلا منذ العصر الوسيط كثيرا من مشاهير المتصوفة، لذلك ساع لابن قنفذ أن يقول عنها: إنها "أولى بالمريد من غيرها"، وتعرف المدينة كثافة الزوايا التي توجد فيها ومثلت إطارا اجتماعيا لأعداد كبيرة من المريرين، وأعتمد أهل سلا الزوايا كمعاهد ثقافية وارتبطوا بها لكونها أضرحة أولياء الله، وظل الطابع العلمي أحد مميزاتها باعتبارها مراكز علمية صرفت لها أحباس مهمة للإنفاق على الأساتذة والطلبة.³

إن التعبير عن التجربة الدينية لا يكون موحدًا حتى داخل دين من الأديان، نظرا لكون الناس يكتفون الدين حسب رغباتهم وحاجياتهم واستراتيجياتهم الفردية والجماعية. ومن هذا المنطلق فالظاهرة الدينية كما تتجلى في المجتمع لها أبعاد متعددة، باعتبار أن الفئات الاجتماعية منحت للممارسة الدينية، عبر التاريخ وفي مجتمعات إسلامية مختلفة، معاني تداخل فيها الديني بالسياسي والاجتماعي والثقافي.⁴

¹ نفس المرجع.

² محمد، السعديين، مرجع سابق، ص. 336.

³ محمد، السعديين، مرجع سبق ذكره.

⁴ رحمة، بورقية، الظاهرة الدينية، ص. 312.



صورة (9) ضريح سيدي بنعاشر، عدسة الباحثة، مارس 2015.



صورة (10) ضريح سيدي عبد القادر الحراثي، مارس 2015. هذه المزارات الموجودة بمدينة سلا تعرف إقبالا من طرف مجموعة من الزوار خاصة في نهاية الأسبوع، ويتوافد عليها النساء والرجال على السواء. الموجودة بمدينة سلا وضواحيها، عدسة الباحثة.

المحور الثالث : الهجرة واندماج المهاجر في الوسط الحضري.

تقديم:

تعتبر الهجرة القروية في البلدان المتخلفة إحدى أشكال إستراتيجيات التعايش الفردية والعائلية. فهي تعبر عن رغبة الساكنة المهاجرة في تحسين أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية عبر النزوح عن الأوساط القروية المهمشة، التي تعاني من ضعف البنيات التحتية والمرافق والخدمات العمومية وتقلص فرص الشغل وتدني المداخيل، نحو الأوساط الحضرية الأكثر جاذبية على هذه المستويات.

وقع هذه الحركات على أوساط الاستقبال لهذه البلدان، يكون مؤثرا بشكل بالغ في أنساقها الحضرية من خلال التأثير على بنياتها التحتية والاقتصادية وعلى البيئة الحضرية. ولعل أكبر تحد تفرضه الهجرة القروية، سواء بالنسبة للمهاجرين أو بالنسبة للمناطق الحضرية المستقبلية لهم، هو تحدي الاندماج بهذه الأوساط.

يعتبر الاندماج صيرورة تخضع لتضافر عوامل فردية تتعلق بخصائص المهاجرين الديمغرافية والثقافية والسوسيو اقتصادية، وعوامل تتعلق بالإطار الاقتصادي والاجتماعي والسياسي للأوساط المستقبلية.¹

إن المهاجرين يفدون إلى المدينة من أماكن لها ثقافتها الفرعية الخاصة، أي أنهم يأتون مزودين بأساليب مستقرة في السلوك، وفي العمل، وأنماط محددة من الولاء والالتزامات والأوضاع الاقتصادية وأنساق الضبط، وقنوات الاتصال، وهي جميعا ليس من السهل أن تموت في البيئة الحضرية، بل سيستمر أثرها وفاعليتها داخل الإطار الحضري، لمدة قد تطول أو تقصر حسب قدرات المهاجرين القرويين على التكيف مع الثقافة الحضرية. إن مجرد الوجود الجسماني للمهاجر بالمدينة لا يعني بالضرورة مشاركة القروي في الحياة الحضرية.²

¹ محمد، الهيلوش: "الهجرة القروية وإستراتيجيات الاندماج بالوسط الحضري، حالة مدينة صفرو"، مجلة دفاتر جغرافية، 2008، ص. 33.

² عبد القادر، القصير: الهجرة من الريف إلى المدن. ص 234.

- مفهوم الاندماج:

الاندماج هو سيرورة متعددة الأبعاد والتحوّلات التي تقود المهاجر إلى التكيف مع الحياة الحضرية، هذا الاندماج يحمل سمات اقتصادية، فالمهاجر ليستقر بالمدينة هو في حاجة إلى عمل يضمن له دخلا، ويضمن له أيضا سكنا، في ظل السياق الحضري الذي يعرف أزمة سكنية.

حسب الدراسة التي قام بها علي معمر حول التكيف الاجتماعي والثقافي للمهاجرين القرويين بليبيا، يتخذ الاندماج الاقتصادي طرقا متعددة، ويبقى القطاع غير المهيكّل هو القطاع الأكثر تداولاً بين المهاجرين الشباب غير المتزوجين. يمكن تحديد ثلاثة أشكال للاندماج، اندماج بدون دعم اجتماعي (السكن، عمل، مجهود فردي، الموقف، عدة أعمال...)، واندماج منظم في إطار شبكات التضامن العائلي، واندماج مؤطر من طرف جماعات التضامن والانتماء لنفس البلاد أو الجهة.¹

يجد المهاجر نفسه في وضع استثنائي، إنه يبحث عن تضامن فعال يلبي حاجياته النوعية، سواء العاطفية منها أو الثقافية أو الاقتصادية، ويساعده على تجاوز الإكراهات الواقعية للاندماج في الوسط الحضري. فشبكة الاجتماعية تؤثر تأثيراً قوياً في حصوله على الشغل والسكن، كما تمكنه العلاقات التي يربطها مع أعضاء شبكته من تجاوز عدم الاطمئنان الناجم عن مساع فردية للاندماج داخل وسطه الحضري الجديد. ولكي يتأتى له كل ذلك، يتحتم عليه إقامة روابط اجتماعية دينامية تنبني على علاقات بين الأشخاص تتميز بكونها عملية حسب كل الظروفيات، من أجل تلبية الحاجيات الضرورية.

تشكل الشبكات الاجتماعية، بنية أساسية للمجتمع، كما تعتبر وسيلة تكتسي أهمية قصوى فيما يتعلق بالاندماج المجتمعي، بحيث من الممكن الاعتماد عليها فيما يخص التوسط من أجل الحصول على الشغل والسكن الضروريين. من هذا المنطلق تمثل الشبكات الاجتماعية عنصراً أساسياً في حياة الشخص المهاجر، وتجسد نسيجه الاجتماعي.

¹ علي، معمر: التكيف الاجتماعي والثقافي للمهاجرين، مرجع سبق ذكره، ص. 34.

يرجع المهاجرون إلى الشبكة الاجتماعية عندما تواجههم صعوبات، بدل اللجوء إلى أنواع أخرى من المساعدة المؤسساتية، كما تخفف الشبكة الاجتماعية من عزلة الفرد، وتكون بمثابة سند له عندما يواجه صعوبات أو عند افتقاره لحاجيات خاصة.

يمكننا أن نميز في إطار الهجرة بين أنواع مختلفة من الشبكات: القرابة أو الجوار أو الأصدقاء أو رفاق الشغل أيضا. ويؤدي جميعهم أدوارا تتمثل في الاندماج المجتمعي، وربط علاقات بين الفرد والمجتمع، كل بمميزاته الخاصة. ومع ذلك فإن الخاصية المميزة للشبكات الاجتماعية للمهاجرين، في هذا المجال تتمثل في كون القرابة تشكل في غالب الأحيان الهيكل الذي تتبنى عليه الشبكة. وبالفعل يبدو أن الشبكة العائلية تلعب دورا راجحا، إذ تشكل في الغالب وسيلة مرنة تتلاءم والطلب، وتتدخل بسرعة في الحالة الاستعجالية، كما تمكن في نفس الوقت من تقديم المساعدة لأعضائها، على المدى الطويل.¹

- القرابة وسيط بين المهاجر واندماجه في الوسط الحضري:

تعتبر القرابة، في غالب الأحيان، الشبكة الرئيسية بالنسبة للمهاجرين وبعيدا عنها ليس لهؤلاء سوى القليل من العلاقات الاجتماعية الفعالة، فهم قليلا ما يشاركون في تجمعات منظمة، بل يعاشرون ويترددون أساسا على الأقرباء. يساعد الدعم العائلي المهاجرين على العيش حسب ظروفهم الراهنة. فعندما يفد المهاجرون على أسر مجتمعة في مكان الاستقبال المخصص لها، فإن الأمان الذي يستمدونه من هذا الدعم من أجل الحفاظ على هويتهم، ومن أجل مواجهة الوضع الجديد، يمكنهم من خلق طريقة عيش جديدة، في أقصر مدة ممكنة، تتلاءم مع هذا الوضع.

أما العلاقات الأخرى فهي أساسا تلك التي تنشأ بين الجيران أو في إطار الحي أو حول علاقات القرابة (الأصدقاء ورفاق الشغل). وعند بعد الأهل والأقرباء أو في غياب وجودهم فإن الأسر تقوم من جديد بتأسيس شبكة مكونة خصوصا من أفراد الحي.²

¹ نفس المرجع السابق، ص. 34.

² عز الدين، الكتاني الإدريسي: المجلة المغربية للاقتصاد والاجتماع، تقرير حول الاجتماعي لسنة 2000، عكاظ، 2011، ص. 195_205.

- استمرارية العلاقة بالموطن الأصلي:

• استيلاء مداخل عينية أو مادية من الممتلكات.

غالبا ما تكون التحويلات من الموطن الأصلي عينية 43.2 % كجزء من المحاصيل الزراعية، كالقمح والصوف والزيت...، مقارنة مع التحويلات النقدية 6.2 % التي تكون ضعيفة تبعا لنوع الملكية المتعاقد عليها، كما تتدخل عوامل تعقد الأراضي وأهمية الملكية الصغيرة في المناطق القروية الأكثر تعرضا للهجرة.

تظل صلة الرحم قيمة مقدسة وضرورية يعمل المهاجرون على تفعيلها حتى لا تتأثر حياته العائلية والقرابية بذلك، كما تشكل المساعدات المادية والمعنوية أساس استمرارية هذه العلاقات وتوطيدها.

إذا كان بعض المهاجرين يستقرون في المدينة بصفة نهائية، فإنهم يحافظون بشكل أو بآخر على صلاتهم السابقة بقريتهم وجماعتهم الأصلية، بحيث يتلقى الوافدون نصيبهم من المحصول الزراعي العائلي، أو من إنتاج قطعة أرض يمتلكونها بصفة شخصية، لكن يستغلها أحد أقاربهم بالنيابة عنهم، أو يستثمرون مدخراتهم المالية في اقتناء سكن بالقروية، أو يقيمون مشاريع لتربية الدواجن أو الماشية، أو شراء سيارة عمومية تتولى نقل البضائع أو المسافرين بين المدينة والبادية، ليضمنوا لأنفسهم بعض المشروعات ويسهموا في إعادة إنتاج قيم ورموز الجماعة الأصلية، فإنهم يعمدون إلى استثمارات اجتماعية بما في ذلك شراء هدايا وتقديمها لأصحابهم وأقاربهم بالبادية.¹

ولتحديد ديمومة العلاقة التي يحتفظ بها المهاجر بمسقط الرأس، تساءلنا في فقرات سابقة عن علاقته بالعائلة، هل هي مجرد علاقة الزيارة، أم تتعداها إلى المساعدات الاقتصادية؟ لتساءل الآن عن الموارد العينية أو المادية التي ينلقاها من الموطن الأصلي؟ تساءلنا مثل هذه الأسئلة على معرفة العلاقات الاجتماعية وتماسكها، وفي نفس الوقت تؤكد فرضية استمرارية العلاقة بالموطن الأصلي. ويقدم الجدول التالي بعض التوضيحات:

¹ المختار، الهراس: مرجع سبق ذكره.

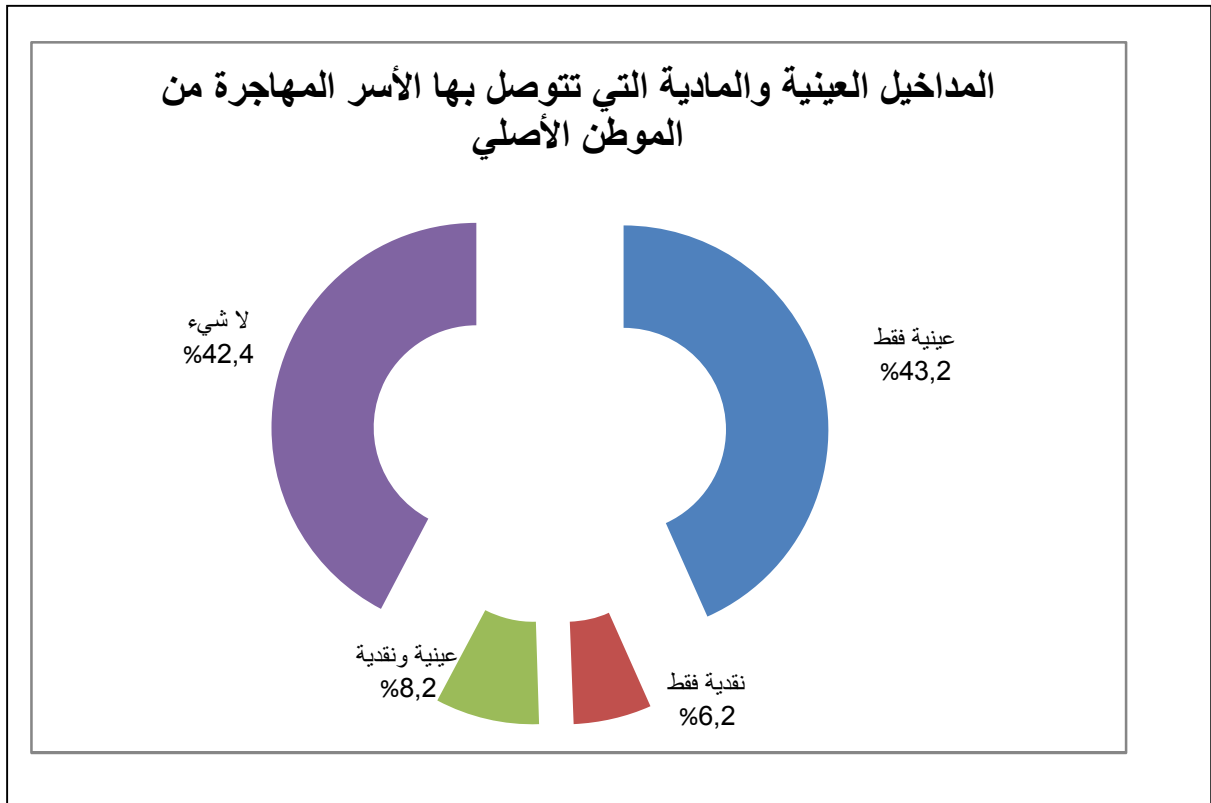
المجرة والتحضر والتحويلات الأسرية

جدول رقم (52): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب ما تتوصل به من مداخل عينية أو مادية من الدوار

المدخيل	التكرار	النسبة المئوية %
عينية فقط	210	43.2
نقدية فقط	30	6.2
عينية ونقدية	40	8.2
لا شيء	206	42.4
المجموع	486	100.0

المصدر البحث الميداني، سلا، 2011.

مبيان رقم (17): توزيع أرباب الأسر حسب المداخل العينية والمادية.



- نادرا ما يشكل الاستقرار بالمدينة قطيعة تامة بين المهاجرين وموطنهم الأصلي، إذ يظل بالنسبة لهم مجالا مكملا لحياتهم الحضرية الجديدة. فقد يتوصل المهاجرون عن طريق الحفاظ على علاقات مع الأهل الذين مكثوا في البيئة الأصلية، وعن طريق المبادلات ذات الطابع الاجتماعي والاقتصادي إلى تحدي الصعاب التي تواجههم في بيئتهم الحضرية الجديدة. وقد أبرزت اللقاءات مع المهاجرين أن من شأن الحفاظ على علاقات القرابة مع الوسط الأصلي، تسهيل عملية إدماج المهاجرين في الوسط الحضري.¹

- يظهر أن نصف عينة البحث 42.4 % لا يتلقون أية موارد من الموطن الأصلي، مما يجعلنا نفترض غياب ملكيات يمكن أن يعتمد عليها المهاجر، خصوصا ملكية الأرض. ويحصل 43.2 % على موارد عينية فقط، فيما تتوصل نسبة 6.2 % بمداخيل نقدية، وأخيرا نسبة 8.2 % لديها موارد عينية ومادية. تؤثر هذه النسب على أن المهاجر لم يترك ما يمكن أن يستند عليه في الموطن الأصلي، ورغبته قطع الصلة بعدم خلق أية مشاريع تدر عليه موارد مادية أو عينية.

- العودة إلى الموطن الأصلي:

إن الهجرة كثيرا ما كانت فعلا مفروضا بسبب إكراهات اقتصادية وأسرية. تتعدد الروابط مع الوسط الأصلي والحنين إلى "البلاد" وصعوبات الاندماج في الوسط الحضري، تدفع إلى التفكير وتحريك إرادة الرغبة في العودة إلى مسقط الرأس.

تضطر أغلبية المهاجرين الاستقرار بالمدينة، إما لأنهم أفلحوا في تحقيق ما هاجروا من أجله، أو لأنهم فقدوا لسبب أو لآخر علاقاتهم وأدوارهم ومواقعهم في مجتمعاتهم المحلية السابقة في مجتمع الريف، وقد تعود قلة قليلة منهم إلى الريف بالفعل.² إن البحث الميداني الذي قام به أندريه آدم في حي الصفيح "بني مسيك" في الدار البيضاء،

¹ عز الدين، الكتاني الإدريسي: المجلة المغربية للاقتصاد والاجتماع، مرجع سبق ذكره، ص. 195_205.

² انتوني غدنز: علم الاجتماع، ترجمة فايز الصياح، مركز دراسات الوحدة العربية، 2005، ص. 605.

أثبت أن 42 بالمائة من جملة مهاجري العينة قد قطعوا علاقتهم بالموطن الأصلي، و16 بالمائة لم يعودوا إلى قراهم إلا مرة واحدة بعد سنوات طويلة من نزوحهم.¹

في المغرب تصيب الهجرة المعاكسة ثلاثة أنماط من المهاجرين: أولاً، السكان الريفيون الذين يهاجرون إلى المدن بفترة قصيرة ليذخروا قدرا من المال ثم يعودوا بعدها إلى قراهم. ثانياً، المهاجرون الشباب الذين فشلوا في التكيف مع الحياة الحضرية، ثالثاً وينطبق هذا النوع على المهاجرين القرويين المسنين أكثر منه على الشباب المهاجرين القرويين بمدينة سلا رغم تغيير مكان الإقامة والاستقرار بالمدينة، إلا أن روابط الدم والنسب والانتماء تظل قوية، إذ تتوصل نسبة مهمة من الوافدين بالعائدات الفلاحية سواء عينية أو مادية.

وأظهرت الدراسات التي قام بها بيير سويس في مدينة الرباط، وفي أحد أحياء الصفيح المسمى "دوار الدوم"، أنه في حين أن 70,54 بالمائة من مجموع المهاجرين قد قطعوا صلاتهم بقراهم، نجد أن 21 بالمائة من المهاجرين مازالوا يترددون باستمرار على قراهم، وأن 8,45 بالمائة يقصدون قراهم بصورة متقطعة في شتى المناسبات.²

ومن الدراسة التي أجراها عبد القادر القصير في مدينة الخميسات، أكدت أبحاثه أن 43,9 بالمائة من مجموع مهاجري العينة يترددون باستمرار، على قراهم القريبة من مدينة الخميسات، بينما نجد أن 33 بالمائة من جملتهم قد قطعوا الصلة بالموطن الأصلي.

وللتأكد من صحة الفرضية التي تقول بارتداد المهاجرين من جديد إلى القرية. طرحنا السؤال على أرباب الأسر في وضعية الهجرة بمدينة سلا وضواحيها: هل ترغب في العودة إلى الدوار؟ فكانت الإجابة كالتالي:

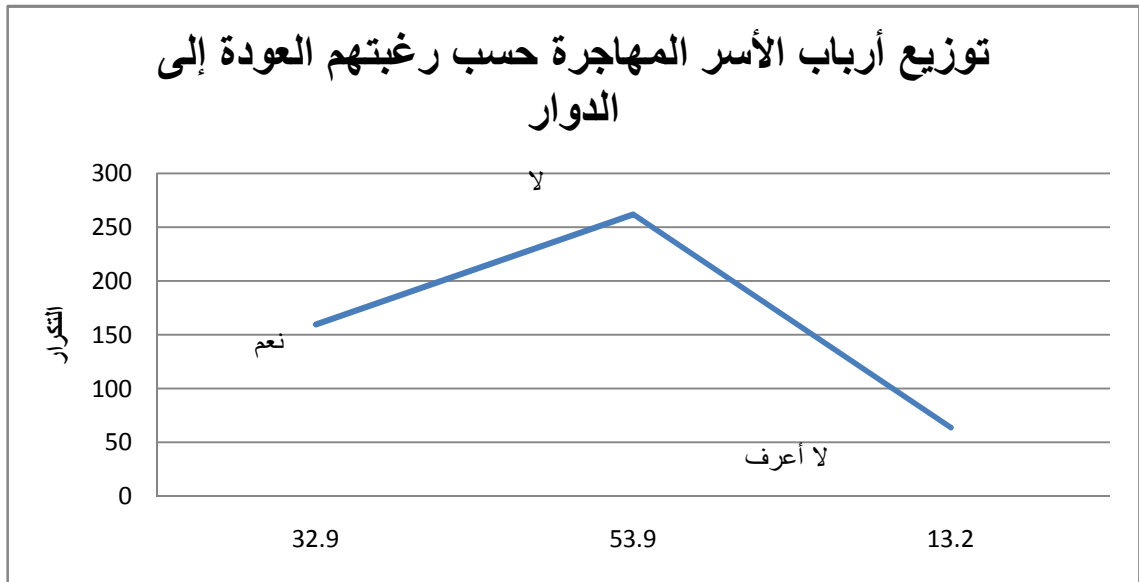
¹ André, Adam: « Les Bidonvilles de Ben Msik à Casablanca », Annales de la Faculté des Lettres d'Alger, tome VIII, 1949, p. 199.

² Pierre, Suisse: « Physionomie du douar doum ». Bulletin Economique et Social du Maroc, n°69, volume XX, 1956.

جدول رقم (53): توزيع أرباب الأسر في وضعية الهجرة حسب رغبتهم العودة إلى الدوار يوما ما

النسبة المئوية %	التكرار	العودة إلى الدوار
32.9	160	نعم
53.9	262	لا
13.2	64	لا أعرف
100.0	486	المجموع

مبيان رقم (18): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب رغبتهم العودة إلى الدوار



المصدر البحث الميداني، سلا، 2011.

نستخلص مما سبق:

- تتفق هذه الدراسات رغم اختلاف سياقاتها الاجتماعية والزمنية، على أن معظم المهاجرين يقطعون صلاتهم بالموطن الأصلي. وتؤكدنا من البحث الميداني، أن نصف العينة 53.9% من أرباب الأسر المهاجرة لا يرغبون في العودة إلى الدوار بعد مغادرته نحو المدينة. هذا الرفض في العودة إلى الموطن الأصلي

يظهر رضا ونجاح المهاجر في الاندماج في أسلوب حياة المدينة، كما يختزل
تخوف المهاجرين من العودة إلى الدوار وهم محبطين وفاشلين.

- يقطع بعض المهاجرين صلتهم مع قراهم، إما لنجاحهم في تحقيق أحلامهم
وظموحاتهم التي هاجروا من أجلها، أو لاندماجهم في الحياة الحضرية، أو
لالتحاق باقي أعضاء الأسرة بالمدينة. ونظرا لغياب ملكيات اقتصادية يمكنهم
العودة إليها، يرغب المهاجرون في الاستفادة من الخدمات التي تقدمها الحياة
الحضرية من تعليم الأبناء، ووجود فرص عمل مناسبة، والاستقرار بسكن
نظيف ولائق في بعض الأحيان، وتكوين علاقات صداقة وجوار.

- تشير نسبة 32.9% إلى الارتداد نحو الريف من جديد. وقد فسرت هذه الهجرة
المعاكسة في ضوء البحوث التي أجريت في أنحاء شتى من العالم بعدم تكيف
المهاجر القروي مع الوسط الحضري الجديد، فحيث يتضاءل التكيف مع
المحيط الحضري يكثر احتمال عودة المهاجر إلى موطنه الأصلي. تظل العلاقة
مستمرة بالعائلة والدوار، وتتخذ أشكال متعددة، مباشرة، كالزيارات المتكررة
والمستمرة، أو غير مباشرة، بالحفاظ على بعض الملكيات بالدوار.

- كشفت نتائج الدراسة التي قام بها الباحث علي معمر، عن هذه الاستمرارية
الاقتصادية والروحية بالبلد الأم، حيث يملك 8,9 بالمائة ملكية غير مستغلة ،
و26,0 بالمائة ملكية مستغلة من طرف العائلة ، واستغلالا جماعيا 30,9
بالمائة، كراء 14,6 بالمائة، عائدات مادية 19,6 بالمائة.¹

- يملك معظم أرباب الأسر في وضعية الهجرة ضمانات عينية ومادية:

تشكل الملكية في المجتمعات التقليدية، خصوصا ملكية الأرض القاعدة الأساسية
للثراء والنفوذ.² بما أن الأرض هي الوحدة الأساسية للاقتصاد القروي، فإنها تعتبر عنصرا
أساسيا في ربط العلاقات بين الأقارب، وذلك إذا نظرنا إليها من حيث كونها ملكية عقارية
يجري عليها التقسيم عن طريق الوراثة، إذا أخذنا بعين الاعتبار بأن هذه الأرض ليست

¹ علي، معمر: مرجع سبق ذكره.

²Jean - Bernard Charrier. P. 42.

من الملكيات المنقولة فإن استغلالها يتوقف على مدى بقاء مالكيها مقيما بجانبها، إذا علمنا أن القرى تشهد هجرات عديدة نحو المدن سواء في عهد الاحتلال أو بعد الاستقلال.

إن ملكية الأرض واستغلالها من المؤشرات الدالة على تغير العلاقات بين الأسر القروية المهاجرة والأسر التي تستقر بالبلاد، ومدى تمسكهم بملكية الأرض كدلالة على استمرارية الانتماء إلى الأصل، وذلك بمنحها لأحد الأقارب لاستغلالها والخدمة فيها.

يظل السؤال حول العلاقة بالمواطن الأصلي يشكل هدفا أساسيا لأنه يبين درجة اندماج المهاجر الاجتماعي بالمدينة وبالثقافة الحضرية، هذه العلاقة تتحدد تبعا للملكيات التي يتوفر عليها المهاجر في الوطن الأم. إن تأثير عامل الملكية يحدد مدة إقامة المهاجر بالمدينة ويسمح بمعرفة مدى ارتباط المهاجر بالوطن الأصلي. لهذا كانت نتائج المقابلات الشخصية كالتالي:

• ملكية السكن:

إن ملكية السكن بالمواطن الأصلي تعبر عن حضور سلطة اقتصادية تمكن المهاجر من تحقيقها وتدل على نجاحه واندماجه في الوسط الجديد، هذه السلطة الاقتصادية تتحول إلى نفوذ رمزي وحضور قوي يعزز الانتماء للقبيلة أو الدوار. إن ملكية المهاجرين لسكن أو قطعة أرض بالبادية يفيد درجة ارتباطهم ببلدهم الأم، إذ تشكل هذه الملكيات امتداد لهويتهم القروية، كما أن المهاجرين يشترون ملكيات فلاحية وعقارية في البلد الأصلي لأنهم يفكرون في العودة أو يعتبرونها ضمانات اقتصادية للمستقبل.

تملك معظم الأسر المهاجرة سكتا في الدوار بنسبة 75.7%، لتخوف المهاجرين القرويين من الفشل في الاندماج وتحقيق طموحاتهم التي تخلوا من أجلها على مسقط رأسهم. فملكية السكن في الدوار ضمان ضد حالة الفشل والإحباط.

• ملكية أرض فلاحية:

يتميز المهاجر بعلاقة متينة تربطه بالأرض، ليس لكونها مصدر رزقه وميدان نشاطه اليومي فحسب، ولكن لارتباطها الوثيق أيضا بامتدادات العائلة الكبيرة وملكيته وتوارثها أبا عن جد، وما يتصل بذلك من رموز وأحداث تاريخية تزخر بها ذاكرة العائلة

وتتناقلها الأجيال الصاعدة. والأرض بهذه الصفة هي بمثابة ذاكرة الأشخاص، ويفقد الارتباط بالأرض قوته ومعناه الحقيقي بانتقال المهاجر إلى المدينة. تملك نسبة 43.6% من المبحوثين أرض فلاحية بالدوار. هذه الملكية دليل على الارتباط الروحي للقرويين بالأرض لأنها ترمز للانتماء والهوية والتبعية للأصل القبلي والتشبث بمسقط الرأس، بالإضافة إلى أن ملكية الأرض تجعل المهاجرين مرتبطين أكثر بأصولهم.

إن ملكية الأرض تمنح للمهاجر القروي ارتياحا نفسيا لوجود ضمانات اقتصادية يمكن أن يلجأ إليها في حالة مواجهة صعوبات في مناطق الوصول، أو في غياب المساعدة والدعم العائلي. لا يملك 56.4% أرض فلاحية لأن استقرارهم أصبح نهائيا بالمدينة.

• ملكية رؤوس الماشية:

لا تملك نسبة 79.4% من أرباب الأسر رؤوس الماشية. "لقد أصبح من الصعب تربية الماشية بعد انتقالنا إلى المدينة" تعبير أحد المهاجرين، مما يعني بداية الانفصال عن ممارسات كانت أساسية في الإنتاج الفلاحي الاقتصادي لهذه الأسر.

إن الهجرة عامل أساسي في تغيير بعض الممارسات التي تعتبر أساسية في الحياة القروية. إن تربية الماشية تتطلب من الفلاح التتبع والعناية والاهتمام، وبفعل الهجرة يتم التخلي عن هذه الملكيات. في الوقت الذي نجد فيه نسبة 20.6% يملكون هذا النوع من الملكيات.

إن تردي الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في البادية المغربية، خاصة ما يتعلق بطبيعة ملكية الأرض والعلاقات الاجتماعية وعلاقات الإنتاج، وللتأكد عمليا من هذه الفرضية، عملنا على الحصول على معلومات من أرباب الأسر بشكل أكثر دقة، ولذلك صغنا السؤال: هل كنت تملك أرضا في الدوار؟ أو أي ملكية أخرى؟

¹ حسين، خريف: مرجع سبق ذكره، ص. 146.

المجرة والتحضر والتحويلات الأسرية

جدول رقم (54): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب ملكيتها للسكن والأرض والمنتجات الزراعية

الملكية	السكن	أرض فلاحية	المواشي	منتجات زراعية
نعم	75.7	43.6	20.6	23.0
لا	24.3	56.4	79.4	77.0

نستخلص إذن:

- لا تملك نسبة 56.4% من أرباب الأسر المهاجرة قطعة أرضية كوسيلة من وسائل الإنتاج، بحيث تلعب دوراً أساسياً في تحديد علاقة الفلاح أو القروي بمسقط رأسه.

_ رغم مغادرة المهاجرين للبادية، فهم يتركون بعض الأصول المادية أو الزراعية كضمان لاستمرارية هويتهم وانتمائهم. إنها بمثابة القناة التي توطد لديهم الصلة بأصولهم القروية وتحيي في دمائهم حب الأرض والتشبث بها. فملكية السكن أو الأرض الفلاحية أو المنتجات الزراعية بمثابة تأمين للمستقبل والأبناء، والخوف من عدم النجاح في الوسط الجديد، أو الرغبة في العودة في يوم ما إلى البلد الأم.

- تتدخل الوسائط التقنية الجديدة في عملية اندماج المهاجرين

• انخفاض نسبة مستعملي الانترنت بين أرباب الأسر المبحوثة:

تعتبر وسائل الاتصال الحديثة من التقنيات التي أبدعها العقل الإنساني لاختراق الحدود التي تقيدها المسافات، وتسهل التواصل بين الناس دونما الحاجة للتنقل أو التعب. يتطلب استعمال تقنيات التواصل الجديدة قدرات معرفية وتقنية. فقد يكتفي المهاجرون باستعمال تقنية الهاتف للتواصل مع عائلاتهم، كما أن الالتزامات الجديدة للعمل ومقتضيات الحياة الحضرية، تعيق تمكن هذه الفئة من هذه الوسائل التي تتطلب ممارسة دائمة.

تتدخل وسائل التواصل الحديثة (الانترنت، سكايب، الهاتف...) كمحددات تبين مدى تفاعل المهاجرين مع الوسائط الجديدة، وقدرتهم على استيعاب التغيرات العامة التي تحصل في المجتمع. لقد كان أحد أهدافنا في هذا السياق، أما القطيعة أو تأكيد التصورات التي تحدد المهاجر في سمات معينة، فجاءت نتائجنا تبعا لتوقعاتنا، إذ أكدت نتائج البحث قدرة المهاجرين على استعمال التقنيات الجديدة في عملية التواصل الأسري.

جدول رقم (55): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب قدرتهم على استعمال تقنية الانترنت

النسبة المئوية%	التكرار	استعمال الانترنت
40.7	198	نعم
59.3	288	لا
100.0	486	المجموع

المصدر البحث الميداني، سلا، 2011.

- لا يوجد تفاوت واضح في نسب مستعملي الانترنت، حيث يتقن هذه التقنية 40.7% من مجموع المهاجرين، بينما لا تستطيع نسبة 59.3% التعامل معها.

- إن أكثر نصف العينة يستعملون الانترنت وعبروا عن تأثرهم بالأجهزة الحديثة والتعديل الذي حصل على أسلوب حياتهم مقارنة مع السابق. تسمح لنا هذه النتيجة بالقول بسهولة اندماج المهاجرين المتعلمين أكثر من غيرهم.

• **المواقع الإلكترونية التي يختارها أرباب الأسر المهاجرة ويستعملونها:**

تبعا لنتائج الجدول السابق والتي تكشف عن انفتاح أرباب الأسر المهاجرة بمدينة سلا وضواحيها وتأثرهم بالتقنيات الحديثة، وللحصول على معلومات أدق طورنا السؤال باتجاه التعرف على المواقع التي يزورها المهاجرون وتثير اهتمامهم؟ فكانت الإجابة موزعة بالشكل التالي:

الهجرة والتحضّر والتحوّلات الأسرية

جدول رقم (56): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب المواقع التي يزورونها ودرجة التردد على استعمالها.

أبدا		أحيانا		دائما		الدرجة
%	التكرار	%	التكرار	%	التكرار	المواقع
21.0	102	15.2	74	4.5	22	الياهو
11.5	56	18.1	88	11.1	54	الفايسبوك
10.7	52	18.5	90	11.5	56	الرسائل الإلكترونية
6.2	30	21.8	106	12.8	62	اليوتيوب
29.6	154	6.6	32	4.5	22	تويتر
1.2	6	14.0	68	25.5	124	كوكل

المصدر البحث الميداني، سلا، 2011.

- يستحوذ موقع البحث الآلي الشهير "كوكل" على اهتمام مستعملي الانترنت من الأسر المبحوثة، لما يقدمه من معلومات وفوائد لا حصر لها في ميادين مختلفة. تزور هذا المواقع دائما نسبة 25.5%، ويوتيوب بنسبة 12.8%، ثم موقع الرسائل النصية القصيرة بنسبة 11.5%، يليه الفايسبوك بنسبة 11.1%. فيما بلغت نسبة زيارة الياهو وتويتر 4.5%.

- هذه النسب تثبت مرة أخرى ما ذهبنا اليه في فرضيتنا حول قدرة فئة من المهاجرين الاندماج في نمط الحياة الحضرية، وتستطيع توظيف إستراتيجيات مختلفة لتحقيق هذا الهدف. ومن بين هذه الآليات نجد الاستفادة من الوسائط التكنولوجية.

- تفاؤل أرباب الأسر المهاجرة حول وضعيتهم المستقبلية:

عندما يستقر المهاجر بالمدينة، فإنه يرغب في المشاركة الفعلية في جميع مظاهر الحياة المدنية، غير أنه يتعرض لكثير من الإحباطات (تعامل المنتخبين، الإدارة وغيرها)، لكن رغم هذه العوائق، فإننا نلاحظ مع ذلك تحسنا هاما في حياة المهاجرين الاجتماعية والاقتصادية، إذا ما اعتبرنا درجة ثقتهم وكثافة علاقتهم مع مختلف المؤسسات الحضرية. إن الأمل بالمستقبل والطموح إليه كان يعبر عنه بالتمني "أتمنى أن يكون مستقبلي أفضل".

جدول رقم (57): توقع أرباب الأسر المهاجرة لوضعيتهم الأسرية في الخمس سنوات المقبلة

النسبة المئوية %	التكرار	وضعية الأسرة
26.3	128	ستتحسن كثيرا
45.3	220	ستتحسن قليلا
25.1	122	ستظل على حالها
2.9	14	ستدهور قليلا
0.4	2	ستدهور كثيرا
100.0	486	المجموع

المصدر البحث الميداني، سلا، 2011.

يتضح من معطيات الجدول:

- تفاؤل أرباب الأسر المهاجرة في نظرتهم لمستقبلهم الأسري ووضعهم في الوسط الجديد الأسرية، إذ تتوقع نسبة 71.6% تحسنا في أوضاعها في المستقبلية في السنوات الخمس المقبلة، تليها نسبة 25.1% من المهاجرين الذين يعتقدون أن وضعية أسرهم ستظل كما هي حاليا، دون انتظار أي تغيير ملموس أو مرتقب في السنوات القادمة، وترى نسبة 3.3% أن وضعية أسرهم ستسوء مستقبلا. هذه النسبة المنخفضة لها دلالتها السوسولوجية التي تبين فشل هذه الفئة من المهاجرين من الاندماج مع الوضعية الجديدة بالمدينة.

خلاصة الفصل الخامس: الهجرة والتغير الحضري.

إن لمفهوم التغير ما يبرره من حيث الاستخدام العلمي، لتعدده الدلالي، وانتماءه لحقول معرفية مختلفة. يشير التغير إلى الانتقال الذي يحدث في الأدوار والأنساق الأسرية التي تتفاعل مباشرة مع التحوّلات العامة للمجتمع.

استعرضنا في هذا الفصل، طبيعة العلاقة ودرجة الثقة التي يمنحها المهاجرون القرويون بمدينة سلا، لمؤسسات ذات أهداف ومهام مختلفة في الوسط الحضري. وقد توصلنا إلى النتائج التالية:

- تتأثر الأسرة المهاجرة بالعلاقات المؤسسية، وتتباين تبعاً للمصالح والأهداف المنتظرة منها.

- تضع الأسرة في وضعية الهجرة بمدينة سلا وضواحيها ثقة كاملة في العائلة، والمؤسسات التي تقدم خدمات اجتماعية (المدرسة، المستوصف، الجمعيات، المسجد...).

- يعتبر نجاح المهاجر القروي في التواصل مع المؤسسات أحد إستراتيجيات الاندماج في الحياة الحضرية.

- تتدخل الوسائط التكنولوجية في عملية اندماج أرباب الأسر المهاجرة، وإن كانت هذه الميزة تنحصر في فئة يمكن القول أنها حصلت على مستويات تعليمية ومعرفية تمكنها من الاستفادة واستغلال التقنيات الجديدة في التواصل مع مختلف الشبكات الاجتماعية.

يتميز المجتمع المدروس بقوة واستمرارية العلاقات القرابية وتماسكها وفق إستراتيجيات يتبعها المهاجر القروي للحفاظ على القيم الاجتماعية التقليدية، ويتم التعبير عنها في المساعدات المالية والمعنوية، والزيارات، والتضامن العائلي، الملكية، الخ.

بعد عرضنا الموجز للعلاقات الاجتماعية والمؤسسية للمهاجرين في الوسط الجديد، سنقوم باستخلاص النتائج والانعكاسات التي تتركها الهجرة من وجهة نظر المبحوثين، والتغيرات التي طرأت على طريقة حياتهم بعد استقرارهم بالمجال الحضري.

يمكننا أن نميز بين نوعين من التفاعل بين المهاجرين والاندماج في الحياة الحضرية:

- التفاعل مع المؤسسات والذي يخلق أحاسيس متضاربة بين الثقة وعدم الرضا والإحباط التي يكونها الفرد كحصيلة لعلاقاته الجديدة.
- البحث عن الاندماج وخلق إستراتيجيات ومواقف وسلوكيات ملائمة، وتتدخل شبكات التضامن العائلي في تسريع هذه العملية.

نرجح القول أن شعور ما يفوق نصف العينة بالتقصير من طرف الإدارة، وما يقارب نصف أفراد العينة باتجاه الأمن، بالإضافة إلى الاتجاه المعادي إزاء المنتخبين الذي من شأنه أن يغذي روح الرفض واللاإنتماء، وأن يخلق الحاجة إلى الانتقام من الآخر والمعبر عنه في اللغة اليومية من طرف كل شرائح المجتمع.¹

يعتبر الدين منظومة من الرموز تستهدف خلق حالات ذهنية ودوافع كلية قوية ومستدامة، وذلك بصياغة رؤى ذات أبعاد أنطولوجية عامة. فالدين إذن إطار يسمح للأفراد بفهم الحقائق الاجتماعية، ولكن أيضا للتصرف انطلاقا من المدركات التي ينتجها هذا الإطار.

¹ إضافات، العدد 22، السنة 2013، ص. 125.

الفصل السابع والسبعون:

التحويلات الأسرية، نموذج الأسرة المهاجرة بمؤينة

سلا وضو اسديها

تقديم:

ترتبط ظاهرة الهجرة بنوييا بالقيم الروحية والفكرية، فعملية انتقال الإنسان من الوسط الاجتماعي الأم إلى أوساط اجتماعية أخرى، تنطوي على تحولات تمس قيم الفرد والمجتمع.

يبدو من الضروري النظر إلى الأسرة في سياقها الموضوعي - الاجتماعي كسياق يخضع للتحوّل والتغير المستمرين. فالقول بأن الأسرة عرفت تغييرات عميقة في بنيتها ووظائفها بفعل تضافر عوامل كثيرة، كتطور عالم الشغل، وانتشار النسيج الحضري بمؤسساته، وبفعل التحويلات التي مست دور المرأة ومشاركتها في الحياة، هذه الأسرة هي ملازمة لكل تغير وعاكسة للأحداث، وهذا ما يمنحها القدرة على التكيف مع الأوضاع التي يعرفها المجتمع.¹

يصبح من البديهي القول، أن الهجرة الداخلية والقروية تترك انعكاسات قوية تؤثر على الأسر في وضعية الهجرة. فما هي الآثار التي تتركها الهجرة على الحياة الأسرية، وعلى العلاقات داخل الأسرة، والقرابة، والجوار بالنسبة للنازحين؟ ما مدى قدرة المهاجر على التعايش مع مقتضيات الحياة الحضرية؟

لقد شكلت ولا تزال المدن الساحلية _ الصناعية مجال قطب للهجرات الباحثة عن العمل المؤهل وغير المؤهل. فنتبع مسار زحف الهجرة ورؤية تسارعه، سنجد له انعكاسات مهمة على المجتمع عامة والمدن التي تعتبر مجال لهذه الهجرات بشكل خاص. لتطوّر العلاقة بين الهجرة والتحويلات الأسرية من الضروري الإحالة إلى الوضعية التي توجد عليها الأسر المهاجرة في الإقامة السابقة والحالية، وعلى أهمية الدور الذي يعكسه المهاجر في نقل السلوكات والحمولة الثقافية الحضرية إلى القرية والعكس، ثم مساهماته المالية والاقتصادية بالحصول على عمل مأجور يمكن أن تتحول فيه الهجرة من الأفراد إلى الجماعات الأسرية أو الجماعات القرابية.²

¹ عائشة، التاج: "تأثير عمل المرأة على العلاقات بين الزوجين"، مقال منشور في مجلة الأسرة المغربية: البنية والتفاعل، منشورات الشعلة، 2002، ص. 93.

² Migration Maghrébine : Enjeux actuels et contentieux, Imp, Najah El Jadida, Casablanca, 2005.

المحور الأول : توطئة حول مفهوم التحول الأسري

- مفهوم التحول:

تحت مادة "حول" يكتب ابن منظور: « وحال الشيء حولا وحؤولا وأحال، كلاهما: تحول». وفي الحديث الشريف: «من أحال دخل الجنة»، يريد من أسلم، لأنه تحول من الكفر عما كان يعبد، إلى الإسلام. وحال الشخص يحول إذا تحول، وكذلك كل متحول عن حاله. وفي حديث خبير: فحالوا إلى الحصن أي تحولوا والحائل: المتغير اللون. والتحول، التنقل من موضع إلى موضع، والإسم الحول، ومنه قوله تعالى: "خالدين فيها لا يبغون عنها حولا"، فكأن القائل إذا قال لا حول ولا قوة إلا بالله، يقول: لا حركة ولا استطاعة إلا بمشيئة الله. وهو نفس التحديد الذي نجده عند الزمخشري حيث يقول: «وحال الرجل يحول حولا إذا احتال، ومنه لا حول ولا قوة إلا بالله... واستحل هذا الشخص أي انظر هل يتحرك... وحال الشيء واستحال: تغير وحال لونه وحال عن مكانه: تحول»، وهي معاني لا تختلف عما جاء في قاموس المحيط، حيث نجد أن «كل ما تحول أو تغير من الاستواء إلى العوج فقد حال واستحال... وتحول عنه زال إلى غيره... والحائل المتغير اللون».¹

يرمز فعل حول transformer، المشتق من الكلمة اللاتينية transformare إلى التحول والانبثاق الذي يحدث داخل نفس النوع. وفي مجال العلم البيولوجي أو علوم الحياة ينظر إليه transformisme باعتباره نظرية بمقتضاها «كل الكائنات الحية، بعيدا عن أن تكون ثابتة وجامدة، تشتق إحداها من الأخرى انطلاقا من أشكال أو أجسام بسيطة». وبمقتضى هذه الدلالة الاشتقاقية يظهر التحول وكأنه عملية ذاتية مرتبطة بالنوع في ذاته بعيدا عن أي تأثير خارجي أو من خارج النوع.

¹ محمد، شرقي: التحويلات الاجتماعية بالمغرب، من التضامن القبلي إلى الفردانية. إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2009، ص. 25.

من جهتها الكلمة mutation، والتي عادة ما نترجمها هي الأخرى بكلمة تحول، مشتقة من الكلمة اللاتينية mutation بمعنى تغير، تعني التغير والتبدل والتقلب والاختلاف. ونجدها هي الأخرى مستعملة بشكل كبير في مجال البيولوجيا، حيث تعني «التغير المفاجئ داخل النوع، لخاصية وراثية». أي ذلك التحول الذي يأخذ شكل طفرة.¹

نستنتج من هذه التعاريف:

- هذا التعدد الدلالي ليس دون معنى أو دون دلالة، إنه من جهة يشير في الأصل إلى صعوبة الحديث عن التحول الأسري وإلى صعوبة ضبطه ولو على مستوى معين من مستويات اللغة.
- عندما نتأمل التعريف القاموسي لهذا المفهوم، نجد أنه يشير إلى تغير مفاجئ يصيب النوع، قد يكون خارجيا أو تغير ينبع وينبثق من داخل النوع وبفعل تطوره الذاتي.²
- يتداخل مفهوم التحول مع مفاهيم التطور والتقدم والنمو والتغير. صحيح أنه يجوز استعمال مختلف هذه الألفاظ والمفاهيم حسب السياق الخاص الذي يفترضها لاسيما إذا كان من الممكن تعليل ذلك. لكن مفهوم التحول الاجتماعي أو التحول الأسري والثقافي يتداخل بشكل كبير مع مفهوم التغير الاجتماعي.³

- مفهوم الأسرة:

يرى علماء الاجتماع أن أسبابا عديدة تفسر العودة إلى الأسرة والانشغال بها من طرف البحث السوسولوجي: تدني نسبة الخصوبة، والتناقص المستمر في عدد الأبناء داخل الأسرة، وارتفاع معدلات الطلاق، وباعتبار الأسرة المجال الضروري للاعتراف بالشخص وهويته الذاتية.⁴

¹ نفس المرجع.

² محمد، شرقي: نفس المرجع، ص. 25.

³ محمد نور الدين، أفاية: "المغرب الثقافي ومسألة التواصل"، الثقافة والتحويلات الاجتماعية: أعمال الندوة المنظمة من طرف كلية الآداب والعلوم الإنسانية 2، الدار البيضاء 1988، منشورات عكاظ، ص. 58.

⁴ سعيد بنسعيد، العلوي. "الأسرة والقيم في عالم اليوم". مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة ندوات، أزمة القيم ودور الأسرة في تطور المجتمع المعاصر، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط 2002، ص. 297.

يلاحظ بعض الباحثين ممن اهتموا بدراسة تطور المجتمعات الإنسانية وتحليل سيوررات التميز الفردي في نطاقها، أنه لم يكن ينتظر من الأسرة في المجتمعات القديمة سوى أن تكون في خدمة المجتمع الذي تنتمي إليه وتسهم بما تضطلع به من وظائف في ضمان استقرار المجتمع واستمراره. لقد كان الهدف هو المجتمع بينما لم تكن الأسرة سوى الأداة التي كان يتعين تسخيرها في خدمته.

وفي مرحلة تاريخية تالية، صار واضحا بخصوص العلاقة فرد وأسرة، أن الهدف الأساسي من كل القيم التي يتبناها الأفراد والممارسات التي تصدر عنهم إسعاد الجماعة الأسرية. كان يتعين على الفرد أن يكون في خدمة الأسرة وألا يهتم بنفسه إلا ضمن حدود ما يسمح به ذلك الاهتمام من استجابة لمقتضيات الأسرة من اندماج وتماسك وتضامن. أما في الحقبة المعاصرة، فقد صار ينتظر من الأسرة أن تكون في خدمة الفرد، لأن ما يهم حاليا ليس فقط سعادة الأسرة وإنما أيضا سعادة الفرد الذي يعيش في نطاقها، فلا يمكن اعتبار أن أسرة ما قد نجحت في مهامها إذا كان أفرادها غير سعداء في حياتهم الأسرية، أو عاجزين عن التعبير عن حميميتهم وعن حياتهم الخاصة.

تقتضي القراءة السوسولوجية للأسرة المعاصرة التمييز بين ثلاثة مستويات ينظم عندها سلوك وتفاعل الأفراد في نطاق الأسرة: "الأنا الفردي"، "الأنا الزوجي"، و"الأنا الأسري"، والأسرة خلية اجتماعية أساسية متكونة من روابط الزواج والأبوة والتساكن وقائمة على أساس علاقات التعاضد والمودة والرحمة والمعاملة بالمعروف والالتزام المتبادل بين الزوجين والأجيال. إنها ليست مجرد آلية وظيفية في المجتمع، بل هي بمثابة الرحم الأول الذي تنشأ فيه القيم الخلقية والقواعد السلوكية".¹

¹ المختار، الهراس: "صورة المرأة في المدونة الجديدة: قراءة سوسولوجية". نص مطبوع في الأيام الدراسية حول المدونة دعامة للأسرة المغربية المتوازنة، سلسلة الندوات واللقاءات والأيام الدراسية، المعهد العالي للقضاء، عدد 8، 2006، ص. 98-100 .

تعد الأسرة سجلا ثقافيا كاشفا عن جملة من الخصوصيات المميزة لمجموعة بشرية عن أخرى. يستعمل مفهوم الأسرة حاليا في أدبيات ومجالات معرفية متعددة (الدين، القانون، الاقتصاد، الأنثروبولوجية، التربية...) ولأهداف مختلفة، بل تحتوي ممارسات مختلفة كالزواج والتربية والجنس والطفولة والشيخوخة، وتدير الموارد... الخ. ونحن نتحدث عن الأسرة نرجع إلى ممارسات متعددة للأسرة كإعادة الإنتاج و تعليم الأبناء والتربية الجنسية.²

لقد عاد مفهوم الأسرة للتداول بين علماء السياسة والاجتماع والاقتصاد، وعلى صفحات الصحف منذ أواخر الثمانينات، بعد أن كان اقترب من الاختفاء من لغة الخطاب الأكاديمي منذ ثلاثة عقود على الأقل. لقد ازداد الاهتمام بمفهوم "الأسرة" من جديد في مراحل التغيرات والتحويلات العلمية والاتجاه نحو النظام العالمي الجديد منذ نهاية الثمانينات. ومن الملاحظ أن مفهوم الأسرة المعاصرة لم يقتصر على أنماط الأسرة والأدوار الاجتماعية في الأسرة ووظائف الأسرة، حيث زاد الاهتمام بدراسة الدور الجديد للأسرة المعاصرة وهو كيفية مواجهة التحديات المعاصرة المصاحبة للتغيرات العالمية.³

■ دلالات المفهوم:

تعرف الإحصاءات الرسمية الأسرة انطلاقا "مما تمارسه من إعادة إنتاج الثروة وتوزيع الموارد الغذائية وتنشيط الهوية الجماعية والجنسية واللغوية والإثنية والوطنية والدينية."⁴ الأسرة هي تلك المؤسسة التي تحقق الوظائف البيولوجية الأصلية لاستمرار السيرورات الاجتماعية الضرورية لاندماج وتكيف الأفراد مع بيئتهم الاجتماعية. إنها الخلية الأساسية لتنشئة الأفراد وتوطيد هويتهم وتأكيد ممارسات الإنتاج والاستهلاك.

¹ كمال، عبد اللطيف: المرأة في الفكر العربي المعاصر، نحو توسيع قيم التحرر، دار الحوار، اللاذقية، 2010، ص. 8.

² Mokhtar, El Harras. Les Mutations de la Famille au Maroc. Najah el Jadida, Casablanca, 2005. P. 121.

³ عبد القادر، القصير: مرجع سبق ذكره، ص. 6.

⁴ Mokhtar, El Harras. Ibid. P. 120.

لم تكن الأسرة موضوع بحث بالنسبة للباحثين في العلوم الاجتماعية إلا في السنوات الأخيرة بفعل سيرورة التحويلات التي تواجهها المجتمعات المعاصرة ، والتي بدأت تطرح الشك في قدرة الأسرة المعاصرة على ضمان الاستقرار النفسي للأفراد أمام التطور المتجانس والمتوازن للمجتمع في مجموعه.

لم تشكل الأسرة في المرحلة الاستعمارية موضوعا لفهم ميكانيزمات اشتغالها بقدر ما كانت إجابة عن أهداف سياسية واجتماعية محضة. تحددت مجالات اشتغال الباحثين في هذه الفترة حول المخزن والقبيلة، والزاوية، والعادات والتقاليد والاعتقادات، وسيرورات التطور ووضع المرأة أكثر من الاهتمام بتطور البنيات الخاصة. إن التغيرات الحاصلة في المجتمع المغربي فرضت في السنوات الأخيرة الاهتمام بدراسة الأسرة وفهم سيرورات تطورها.¹

إن موضوع الأسرة صعب الوصف، لأنه في الوقت نفسه ذاتي وموضوعي، ولأن من وراء هذه الكلمة تخنفي وقائع كثيرة تترك المكان لإقامة تصنيفات عديدة. هناك تعريفات للأسرة من حيث الحجم، أو حسب القرابة من جهة الأم أو الأب، أو تنظيم السلطة، أو عدد الزوجات، أو مكان الإقامة... هذا التنوع لا يمكن من ضبط الخصائص الأساسية لهذه المؤسسة، بحيث لا يوجد قطعيا تحديد عام للأسرة مقبول من الجميع، كما لا يمكن الجزم بتحديد الأصول الأولية لظهور الأسرة.²

الأسرة هي نواة المجتمع وهي محور العلاقات القرابية، كما أنها تعد الأساس في تكوين شبكة من العلاقات، تضم أكبر عدد من الأقارب، سواء عن طريق المصاهرة أو رابطة الدم، بهذا تكون الأسرة هي جماعة الأشخاص الذين تربطهم علاقة الدم والذين يعيشون في بناية جماعية يطلق عليها "دار".

¹ Mokhtar, El Harras. Ibid. P. 84.

² Michel, Fize: La Famille. Edition Le Cavalier Bleu, 2007, p. 19.

إن الأسرة هي تلك المؤسسة التي تشمل رجلا وامرأة يعيشان زواجيا ومعهم الخلف والأقارب الآخرون والخدم، تقوم بالخدمات الاقتصادية لأعضائها، وتحمل مسؤولية تعلمهم وتوجيههم دينيا وتمنحهم كذلك الحماية من الخطر وتوفر لهم الحنان والحب والإشباع الجنسي.¹

• الجذر اللغوي لكلمة "أسرة":

إن كلمة "الأسرة" مشتقة من الفعل "أسر"، وكان الأسرى قديما يكلفون بالرعي والزراعة وخدمة البيوت...، ومن التقاليد المعروفة عند العرب تزوج الأسيرات فيلحقن بنظام الأسرة، أي العائلة. وإن اقتران مفهوم الأسرة بالأسر والعبودية لا يقتصر على اللغة العربية وحدها، بل نجده في اللغات الأخرى، وفي اللغة اللاتينية تعني كلمة " فاميلوس " العبد "، وكلمة " فاميليا " تعني مجموعة العبيد التابعة لرجل واحد.²

أما معجم روبير، فيعرف الأسرة في كونها مجموعة من الأشخاص يعيشون تحت سقف واحد بحكم قرابتهم وهؤلاء الأشخاص هم: الأب والأم والأبناء. لكن هذا التعريف رغم أهميته يبقى غير كاف، لأنه يغفل الطابع المؤسسي للأسرة، فهي أساسا مؤسسة اجتماعية تقوم على العلاقة الوجدانية- الجنسية، وميول الأمومة والأبوة وتختلف في شكلها حسب الثقافات، بحيث نجد الزواج الأحادي وتعدد الزوجات وتعدد الأزواج. بمعنى آخر أن الأسرة تتحدد في شروط تأسيسها على الزواج والإنجاب معا، إنها نتيجة للتفاعل الزواجي، والذي من خلاله تتحدد مجموعة من الأدوار والمكانات المكتسبة.³

فيما نجد تعريف آخر، يقدم الأسرة باعتبارها مجموعة اجتماعية تتركب من شخصين على الأقل لهم إقامة مشتركة وموحدين بروابط قرابية وبشبكة من القوانين والواجبات، كحق حمل اسم ما، وحق الإرث، وحق التغذية، وحق التعليم...، كما يعرفها

¹ حليم، بركات: المجتمع العربي في القرن العشرين، بحث في تغير الأحوال والعلاقات. بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، يوليو 2000، ص. 350.

² - علي، الشوك: "مفهوم الأسرة سوسولوجيا ولغويا عند الساميين والصينيين واللاتينيين". الحياة 1997/03/18.
3 P. Robert. Paris, 1999, P. 890.

أنها مجموعة اجتماعية تتشكل من شخصين على الأقل وتتكون من:

- من زوجين متعاقدين بعقد زواج، وأطفال غير متزوجين.

- أو من زوجين منفصلين والأطفال غير متزوجين أقل من 25 سنة.¹

ويستعمل محمد شقرون، كلمة العائلة، للدلالة على التجمع المنزلي دون تحديد نوعيته، ويرجع الأصل اللغوي لهذه الكلمة إلى عال أو أعال: الكفالة وأعال كثر عياله، والعيال هم أهل البيت ونجد في لسان ابن منظور: " عال الرجل يعول إذا كثر عياله، كفاهم وقاتهم وأنفق عليهم، وتعني كلمة عائلة مجموع الأشخاص الذين يعيشون على نفقة، وتصبح وظائف الرجل القائم بالعائلة هي النفقة أو الكفالة أو الحماية.²

إذا لم تكن الأسرة مؤسسة قارة في الفضاء فإنها ليست كذلك أيضا في الزمن، مما يوضح أنها بنية اجتماعية وليست معطى طبيعي تتطور أوجهها في خضم التحويلات التي يمر منها المجتمع الذي تتبلور داخله.

يمكن أن نعرف الأسرة كما يلي:

- أهم جماعة أولية في المجتمع، تتكون من عدد من الأفراد يرتبطون معا برابطة الزواج (الزوج والزوجة)، أو الدم (الآباء والأبناء والأقارب)، أو التبني (الطفل المتبنى وبين أفراد الأسرة)، يقيمون جميعا في منزل واحد، ويعيشون حياة اجتماعية واقتصادية واحدة.

- يتفاعل أعضاء الأسرة وفقا لأدوار اجتماعية محددة (دور الزوجة والزوج، دور الأب والأم، دور الأخت والأخ...)، تقوم بينهم التزامات متبادلة اجتماعية وقانونية واقتصادية، يترتب عن ذلك حقوق وواجبات بين أعضاء الأسرة منها رعاية الأطفال وتربيتهم.

1 Lexique de Sociologie. Editions Pallez 2005.

² محمد، شقرون: "نظام القرابة والعائلة في المجتمع المغربي". منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، العدد 13، السنة 1987، الرباط، ص. 60 و 61.

- تقوم الأسرة بالمحافظة على نمط ثقافي خاص بها مستمد من النمط الثقافي العام.
- تتخذ الأسرة أشكالاً متعددة، بحيث تتقلب بين الأسرة النووية والأسرة الممتدة.
- يبقى مفهوم الأسرة متقلبا بين الدارسين والباحثين حسب الخلفيات السوسولوجية والاقتصادية والإيديولوجية لكل باحث على حدة.
- تبقى الأسرة "هي جماعة الأفراد الذين تربطهم علاقة دم ويعيشون تحت سقف واحد أو في نفس المجموعة السكنية، ويقومون بمجموعة من الخدمات الاجتماعية والاقتصادية".
- إن مفهوم الأسرة يبقى أوسع وأشمل من الجماعة المنزلية، إذ تظهر الأسرة كمفهوم يقوم بوظائف وأدوار عدة، بينما يظهر مفهوم الجماعة المنزلية نوعاً من التقلص في حجم الأسرة. فالأسرة إذن، هي الخلية الأساسية والرابطة المتينة التي تضمن استمرار المجتمع وازدهاره.
- يشكل الزواج الرابطة الأساسية لإنشاء أسرة تحت رعاية الزوجين حسب مدونة الأسرة على أسس مستقرة للمتعاقدين لتحمل أعبائها في طمأنينة وسلام وود واحترام.
- إنها جماعة قرابية تتأسس على نسق من القيم، وتقوم حياتها العملية على توزيع الأدوار بين أفرادها.
- الخصائص البنيوية للأسرة العربية:

اعتاد الباحثون وصف الأسرة العربية التقليدية بأنها ممتدة وأبوية، وبأنها تنزع نحو تفضيل الزواج بين الأقارب وتسمح بتعدد الزوجات عند المسلمين. وتوصف العائلة بأنها في الأساس وحدة اجتماعية يحتل فيها الأب رأس الهرم، ويكون تقسيم العمل وتوزيع الأدوار على أساس الجنس والسن.

لا يزال الأب إلا في حالات نادرة هو الذي يتولى دور المنتج المعيل والمالك والسيد. ويكون بقية أفراد الأسرة عباً عليه، فيشغل مركز السلطة والمسؤولية في عالم مزدوج: العالم العام المخصص على الغالب للرجال والعالم الخاص داخل البيت، حيث تمارس النساء مهمات منزلية شديدة التنوع من إنجاب وطهي وتنشئة الأطفال، كما جرى تضيق على مشاركة المرأة في العالم العام، واعتبر تقليدياً من العيب على الرجال أن

يمكنوا في عالم البيت الخاص مطولاً، ولكنه لم يعد من النادر أن تعمل الأم خارج المنزل.

- يتوقع الأب التقليدي من أفراد عائلته الطاعة والامتثال لمشيئته والتجاوب مع رغباته وتعليماته من دون تساؤل، ويحرص على ألا يسمح لأفراد الأسرة بمناقشته والتدخل في شؤون حياته في نسق من علاقات القوة المتميزة، وكثيراً ما تنسب إلى الأب صفات شبه متعارضة من ناحية، غفور ورعوف ومحب وعادل ورحيم ومكافح من أجل خير العائلة، ويعتبر من ناحية أخرى، متسلطاً وغضوباً وقاسياً في عقابه.

- وتنعكس صورة الأب التقليدية في الكثير من سلوكيات الأبناء وأفكارهم. إن النظام الأبوي يتعرض لتحويلات أساسية بسبب التغيرات البنيوية في واقع المجتمع، وقيام الأسرة النووية وعمل المرأة المأجور وانتشار العلم والهجرة، ورغم ذلك يأتي هذا التغيير مشوهاً بحسب ما يستنتجه هشام شرابي (1987). فالنظام الأبوي الاستبدادي لا يقتصر على العائلة بل يتعداها إلى المجتمع ككل، إذ من السمات الأساسية لهذا النوع من المجتمع سيطرة الأب في العائلة شأنه شأن المجتمع، فالأب هو المحور الذي تنتظم حوله العائلة بشكليها الطبيعي والوطني، فالعلاقة بين الأب والأبناء هي علاقة هرمية¹.

- إن النظام الأبوي لا يزال راسخاً في القرية والمدينة، وما نشهده من نزوع نحو المشاركة يكاد ينحصر في أوساط محدودة وعلى صعيد رمزي، ومع هذا نقول أن السمة الأبوية للعائلة العربية التقليدية تتعرض لنوع من التراجع.

- العائلة وحدة اجتماعية - إنتاجية

في قراءته للتحويلات التي عرفها المجتمع العربي في القرن العشرين، يقدم حلیم بركات العائلة كوحدة اجتماعية - إنتاجية ونواة التنظيم الاجتماعي والاقتصادي تسودها علاقات التكافل والتعاون والود والالتزام الشامل بفعل ضرورات الاعتماد المتبادل. وأبوية من حيث تمركز السلطة والمسؤوليات والامتيازات ومن حيث الانتساب. وهرمية، لا يزال

¹ هشام، شرابي: "البنية البطريركية، بحث في المجتمع العربي المعاصر". سلسلة السياسة والمجتمع (بيروت: دار الطليعة، 1987) ص. 22.

التميز فيها قائما إلى حد بعيد، ورغم حصول تحولات مهمة على أسس الجنس والعمر والتنشئة السلطوية، وممتدة مع نزوع واضح نحو النووية والقبلية في الوقت ذاته.

بدأت العائلة تتعرض كوحدة اجتماعية- اقتصادية لبعض التغيير نتيجة لهذه التحولات ومنها توسع نطاق المدن ومسؤوليات الدولة، وكان من نتائج التحولات التي شهدتها القرن العشرين خاصة في النصف الثاني منه أن حلت الدولة والمؤسسات العامة محل العائلة، فامتدت مجالات التوظيف، مما حد من الاعتماد المتبادل بين أفراد الأسر وخاصة الممتدة منها، فهاجر الأبناء للعمل في المدن أو الخارج.

ويتوقع أن يكون لهذه التطورات آثارها العميقة في انحلال تماسك الأسرة لأن استقلالية الأفراد الاقتصادية سيكون لها انعكاسات مهمة من حيث استقلالية الأفراد الاجتماعية ونزوعهم نحو الحرية، وحق الاختيار بعيدا عن تدخل الأسرة. وتدرجيا ينتظر أن يصبح الفرد هو نفسه أكثر إحساسا بمسؤوليته عن تصرفاته بما فيها إنجازاته أو إخفاقاته.¹

- الأسرة في منظور المؤسسين الأوائل:

يعتقد المؤرخون وعلماء الاجتماع أن تاريخ الأسرة يمكن أن نلخصه في انتقال الأسرة من الأسرة الممتدة التي تميز المجتمعات التقليدية القروية، إلى الأسرة النووية الراهنة التي أصبحت مهيمنة في المجتمعات المعاصرة. بحيث قدم فريدريك لوبلاي (جوناس: 2007)² ثلاثة نماذج للأسرة عرفها التاريخ في أطروحاته عن "الأسرة المتغيرة"، وهي الأسرة النووية التي تجمع الزوجين والأطفال غير متزوجين في منزل واحد، ثم الأسرة البطيركية وهو شكل من أشكال الأسرة الممتدة، والنموذج الثالث الأسرة الأولية التي تجمع ثلاثة أجيال تحت سقف واحد.

¹ حليم، بركات: مرجع سبق ذكره.

² Nicolas, Jonas. Op, Cit, P. 7-8-15.

تعرضت هذه القراءة للنقد، سواء من طرف السوسيولوجي إيميل دوركهايم الذي كتب: "لا توجد طريقة في الحياة وفي العيش تكون هي الأحسن بالنسبة لكل... الأسرة اليوم ليست أكثر أو أقل مثالية من أسرة الأمس، إنها مختلفة لأن الوضعيات مختلفة".¹

إلا أن السؤال المطروح أن واقع هذه الأسرة يختلف بشكل كبير عن واقع الأسرة المغربية، لأنه نتاج تحولات متتالية، لكن ربما تبقى الأسرة هي نفسها رغم اختلاف المجتمعات وتعددتها. فإلى أي حد يمكن أن نتحدث عن الأسرة المغربية في ظل هذه التحويلات التاريخية؟ هل يمكن القول أن السيرورات التي تخضع لها الأسرة في الغرب هي نفسها التي تصل إلى أسرتنا العربية بشكل عام والأسرة المغربية خاصة؟ ألسنا في ظل عولمة مفتوحة نتبادل خلالها الاقتصادي والثقافي ولم لا القيمي والأسري؟ هل هذه القراءة للأسرة الغربية يمكن إسقاطها على التحويلات التي تشهدها الأسرة المغربية اليوم، ما دمنا نتحدث عن أسر نووية، أسر أحادية الزوجية والتي تعرفها كل المجتمعات؟ ألا يمكن أن يتحول رابط الزواج المقدس في الأسرة المغربية إلى تعايش بين طرفين دون محددات دينية أو ثقافية تختزل أساليب الحياة الخاصة لكل مجتمع؟

■ المنظور التاريخي التطوري للأسرة:

إذا ما نظرنا إلى العائلة من منظور تاريخي تطوري نجد أن بعض الدراسات توصلت إلى أن المجتمع العربي عرف في سائر عصوره مختلف أشكال التجمع العائلي، وقد جاء الاختلاف والتغير عبر الزمن بتبدل الأحوال واختلاف أنماط العيش.

وربما يكون تطور الأسرة العربية قد مر في المراحل التاريخية الثلاثة التي وصفها فردريك انجلز² في كتابه أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة، مستعينا بالنتائج التي توصل إليها عالم الأنثروبولوجيا الأمريكي لويس مورغن:

¹ E. Durkheim. « la Famille Conjugale » In Textes, Volumes 3: Fonctions Sociales et Institutions, Edition de Minuit, 1975 (1er édition en 1921) . Paris, P. 35-49.

² بركات، نفس المرجع السابق، ص. 264.

- في المرحلة الأولى، كان الإنتاج الاقتصادي يركز على الصيد وجمع الثمار، وكانت الملكية جماعية والعلاقات تعاونية على أسس من مبادئ المساواة. وقد سيطر في مثل هذه التجمعات الصغيرة نظام الزواج الجمعي، إذ كان أفراد التجمع يتشاركون الأمومة والأبوة والبنوة بدون تبعية، فكان كل زوج زوجا لكل امرأة، كما كانت كل امرأة زوجة لكل رجل، وكان كل طفل ابنا أو ابنة لكل رجل وامرأة.

- في المرحلة الثانية، تحول نظام الإنتاج الاقتصادي إلى نظام يعتمد تدجين الماشية والرعي والزراعة، فنشأت القبائل والقرى وظهرت بداية الحياة العائلية وما يسمى منها العائلة الثنائية، أي نظام الزواج الثنائي بين رجل وامرأة مع الاحتفاظ لكل منهما بحق حله. في هذه المرحلة الوالد يدعو أولاده إخوته وكان جميع هؤلاء الأولاد يدعونه "أبا". كذلك كان شأن الأم في تعاملها مع أولادها وأولاد أخواتها، كما كان جميعهم يدعونها "أما". وأصبحت العلاقات الجنسية ممنوعة بين الأهل وأولادهم ثم بين الإخوة والأخوات وكانت الأمومة هي النظام السائد، إنما بنشوء الملكية الخاصة في هذه المرحلة خسرت المرأة سيادتها ومساواتها ونشأ النظام العائلي الأبوي التوارثي. وقد تطورت هذه المرحلة عند نهايتها بحيث أصبح يحق للرجل أن يتزوج بأكثر من امرأة وظهر نظام اقتناء الجواري والعبيد.

- في المرحلة الثالثة، تم تثبيت نظام الملكية الخاصة ووحداية الزواج بدلا من تعدده. ليس من الواضح إلى أي حد ينطبق هذا التطور على البلدان العربية، ولكنه من المعروف أن أرنست غلنر، شبه بنية التنظيم الاجتماعي في المجتمع الريفي المغربي بشجرة جذعها المجتمع نفسه، وفروعها الأساسية هي القبائل المهمة، وفروعها الثانوية هي العشائر للتعبير عن الهوية والترابط والانتماء القبلي المتماسك.¹ (بركات، 2002). أن هناك علاقة وثيقة بين النظام العائلي ونظام الإنتاج الاقتصادي المتبع في المجتمعات

¹ بركات، ص. 369.

كافة. ويرى محمد الأخرس 1976 أن " تركيب العائلة الذي برز في المجتمع الإسلامي يمثل استمرارا وتطورا وجد قبل ظهور الإسلام، بمعنى آخر أن تركيب العائلة العربية الإسلامية في القرن العشرين، يجب أن يفهم بأنه نتاج لذلك التفاعل بين التنظيمات الاجتماعية العربية التي كانت تسود قبل ظهور الإسلام، ومبادئه الحنيفة نفسها"¹.

لقد تعددت التحديدات لهذا المفهوم لدى الباحثين، بحيث هناك من يستعمل مفهوم المؤسسة الاجتماعية، التي تعني نسقا من الضوابط السلوكية أو أنساقا من المعايير الاجتماعية المتناسكة التي تستهدف توجيه الأفراد نحو أهداف تتلاءم وقيم الجماعة. وتذهب دراسات أخرى، إلى استعمال مفهوم جماعة منزل "groupe domestique"، ويعني إقامة مجموعة من الأشخاص ببيت واحد مشكلين وحدة استهلاك أساسية. يستعمل هذا المفهوم، في الغالب، من طرف الباحثين الاقتصاديين والديموغرافيين بالأساس.²

من الصعوبة إذن، إيجاد معنى محدد للأسرة، فمن جهة، تتنوع أشكال الأسرة من الزواج إلى التساكن والمعاشرة، من الأسرة التقليدية إلى الأسرة أحادية الأبوية والأسرة المركبة. ومن جهة أخرى، أن الأفراد والمؤسسات يغيرون وجهات نظرهم بحسب الأهداف والمصالح.³

¹ محمد صفوح، الأخرس. تركيب العائلة العربية ووظائفها: دراسة ميدانية لواقع العائلة في سورية (دمشق: وزارة الثقافة والإرشاد اليومي، 1976، ص. 20.

² عبد الرحيم، عنبي: "الأسرة القروية والتحويلات السوسيو- اقتصادية، دراسة سوسولوجية"، تحت إشراف الدكتور المختار الهراس، 2004_2005، ص. 93.

³ André, Akoun. Pierre Ansart. Le Robert De Seuil. Dictionnaire de Sociologie, 1999, P. 217.

المحور الثاني : الأسرة المهاجرة بمدينة سلا: التحول أم الاستمرارية؟

تقديم:

لا تقتصر آثار الهجرة على التغيرات الديموغرافية والبيولوجية التي تطرأ على السكان في المناطق الطاردة والمستقبلة، فأثار الهجرة على المهاجرين كبيرة، إذ إنه بانتقالهم من مكان إلى آخر يقطعون روابطهم وصلاتهم التي كانت تربطهم بجماعتهم القديمة وتجعل لهم فيها مركزا ومن خلال الهجرة يتخلص الفرد من معظم التزاماته الاجتماعية، ويفقد بالتالي كل فوائد ومزايا الترابط الاجتماعي.¹

تمثل العلاقات الاجتماعية والأسرية أهم مكون يتأثر بحركة الهجرة، وتظهر انعكاساتها واضحة. فانتقال المهاجر من البادية إلى المدينة، يطرح أمامه صعوبات في بداية الهجرة، وأول هذه التحديات محاولة الحصول على عمل مناسب وسكن للاستقرار، وفي هذه الحالة يضطر المهاجر الجديد للإقامة رفقة أحد الأسر المستقرة بالمدينة. هذا الوقت الذي يستغرقه المهاجر في بحثه عما يضمن استقراره بالمدينة يؤثر على علاقته بأسرته الزوجية أو الأبوية التي توجد بالبادية، والتي تنتظر عائداته المادية وزياراته التي تنقل بفعل ضغوطات حياة المدينة والمسافة الجغرافية التي تفصل بين موطن المهاجر والمدينة المستقبلة، وتصبح وسيلة التواصل الممكنة هي المكالمات الهاتفية أو الزيارات الموسمية خلال العطل والمناسبات. (أنظر الجدول الخاص بزيارة أرباب الأسر لأقاربهم بالموطن الأصلي).

يسهر المهاجرون على ضمان استمرارية العلاقات العائلية مع ذويهم المستقرين بالبادية ويصل الرحم معهم بزيارتهم ويساعدهم ماديا، "وإن كانت هناك عوامل موضوعية تقلص من الزيارات بحكم ارتباط المهاجر بأوقات عمله، وبحكم المسافة التي تفصله عن الموطن الأصلي، بالإضافة إلى الالتزامات الجديدة التي تفرضها الحياة الحضرية على المهاجر" تعبير أحد المبحوثين.

¹ علي عبد المومن، ص. 78.

- تأثير الهجرة على العلاقات الأسرية الداخلية:

تطرح الهجرة القروية تأثيرات تمس بالأساس الحياة الأسرية للمهاجر، علاقته بالزوجة والأبناء والعائلة، ودرجة تواصله مع أقاربه وأصدقائه وجيرانه، ومخاوفه من الحياة الحضرية، وتفاعله مع النمط الحضري، ثم مدى اندماجه ومواجهته للصعوبات الجديدة لوضعية الهجرة.

تمتد آثار الهجرة لتمس المدينة ونموها الحضري، فتسهم في زيادة النمو الديمغرافي والمجالي للمدينة، وارتفاع الطلب على السكن والخدمات وفرص العمل. فيتولد عن هذا مشاكل اجتماعية، كالانحراف والتساكن وتزايد أحياء السكن غير اللائق، واقتصادية تتمثل في البطالة وزيادة الطلب على العمل وحركة إنتاج قوية.

أ- العلاقة الزوجية:

إن المرأة والرجل داخل المجتمع ليسا بكائنين يميز بينهما الاختلاف البيولوجي، وإنما هما علاقة وتصور: تصور لمفهومين (الرجل - المرأة) تم بناؤهما وتشكلهما عبر سيرورة تاريخية وعبر دينامية الفعل الاجتماعي والثقافي. وإذا ما اعتبرناهما على أنهما كذلك لا يمكن أن نتحدث عن المرأة دون استحضار الرجل كطرف للثنائية التي عمل فيها الفعل الثقافي عمله. إنها علاقة بين الجنسين أو كما يسميها الأنجلوسكسونيون بعلاقات الجنس " الجندر". فالمرأة وحدها كمفهوم لا وجود لها إلا داخل العلاقة الاجتماعية والثقافية بين الجنسين. ولهذا يفتضي التفكير في المرأة والرجل داخل فضاء ثقافي واجتماعي معين¹.

المجتمع التقليدي قائم بالرجال وقرار كل شيء إليهم يعود. أما المرأة فهي عنصر ثانوي داخل الأسرة، التي تجد تمثيلها الاقتصادي في الأب وحده، بوصفه شخصيتها المعنوية. إن مكانة المرأة وإن وجدت فهي دونية تتحسن أو تسوء تماشياً مع مراحل الأسرة الحياتية. لذلك فإن مكانة المرأة الحديثة العهد بالزواج تختلف عن مكانتها أما أو

¹ رحمة، بورقية: "النساء والسلطة"، مجلة دراسات عربية، العدد 9 و10، غشت، 1995.

حماة. وبين النساء أنفسهن فإن الاعتبار الأكبر يذهب إلى المرأة التي تجتمع فيها أكثر الصفات الإيجابية من نسب أصيل وشرف وحسب ودين، بالإضافة إلى إبدائها كفاءتها وقيمها وخصوصيتها الأنثوية.

إن أنماط المعيشة المختلفة في المجتمع التقليدي تعتمد توزيعاً للأدوار وتقيم فصلاً صارماً بين الجنسين، وفق نظام محدد للقيم يشكل عناصر المخيال الأبوي، بصورة لا يمكن معها للمرأة أن تكون لها إلا المكانة التي منحها إياها مجتمع الرجال. فالتمييز الجنسي حسب مونيك غادان¹ مثلاً، " ليس فصلاً بين الذكور والإناث فحسب، بل هو معارضة وترائية بين عالمين مختلفين. إنه تمييز يتجلى في الأدوار وفي المجالات المقسمة بينهما، بحيث لا يكون ثمة شيء يدعو للالتباس، وإلا فإن المرأة لا تكون امرأة والرجل لا يكون رجلاً".

إن التمييز بين دور المرأة التعبيري ودور الرجل الأداتي يطابقه تمييز بين عالمين يمارس فيه الجنسان أدوارهما. ولا يتجاوز أحدهما عالمه إلى عالم الآخر إلا بناء على قواعد محددة. فليس من الرجولة في شيء أن يلزم الرجل البيت وسط النساء منهنمكات في أشغالهن المنزلية، وباستثناء تناول وجبة الغذاء، فإن للرجال عالمهم المفتوح يؤمونه في أوقات الشغل والفراغ أو يجتمعون في غرفة بعيداً عن عالم النساء. من جهتها فإن المرأة إذا تحتم عليها اختراق عالم الرجال، وجب عليها أن تلتزم في تحركها الحشمة والتستر والحياء وغض البصر وفتور الطرف وأن تحجب حسناتها بما لا يدع فرصة لإثارة الرغبة الجنسية عند الرجال. ولهؤلاء بالمقابل أن يسلكوا تجاه المرأة التي تضطرها الحاجة إلى الخروج والمرور قربهم، سلوكاً متحفظاً.

للنساء عالمهن الذي يحيين فيه ويمارسن أدوارهن، والتي يعتبر الطبخ وتربية الأبناء إلا بعضها. فهن بالإضافة إلى ذلك، يقمن بالأشغال المتصلة بالمحاصيل الزراعية،

¹ Gadant, M. "Les jeunes femmes, la famille et la nationalité Algérienne", In Peuples méditerranéens, n° 15, Avril – Mai 1981, P. 43

وينجزن بعض الصناعات الحرفية الموجهة نحو الاستهلاك الخاص. إن الدار كعالم أنثوي تظهر فيه هذه الحالة كوحدة للإنتاج بامتياز¹.

حين تغادر المرأة أسرة التوجه ملتحقة بأسرة الإنجاب، فإن مكانتها تكون مجهولة المعالم، خصوصا إذا لم تستفد من الزواج المفضل في النظام الأبوي أي أنها لم تفتن مع ابن عمها. ومادام الهدف الأول من الزواج هو إنجاب أكبر عدد ممكن من الذكور لتقوية صفوف العائلة، فإن وضعية المرأة لا تتشأ إلا بميلاد الطفل الأول خصوصا إذا كان ذكرا. من هنا فإن وضعيتها مرتبطة به تزداد اعتبارا بنشأته وصيرورته رجلا وزواجه².

كانت المرأة إلى عهد قريب تخضع كلية لوصاية الرجل سواء كان أبها قبل الزواج، أو زوجها بعد ذلك، وكانت تعتمد اعتمادا على أسرتها، إلى أن تنتقل إلى بيت الزوجية، فيتحمل الزوج مسؤولية الإنفاق عليها، وتقوم الزوجة من جانبها بتدبير شؤون الأسرة، وإنجاب الأطفال وتربيتهم ورعاية الزوج، والسهر على راحته، لذلك كانت طاعة المرأة للرجل خيارا عاقلا وضروريا في آن واحد يبررها الاحتياج إلى الإعالة، والتوجيه والنصح في مجتمع يحتكر فيه الرجال والكبار الخبرة والدراية بشؤون الحياة ويسيطرون عليها.

تغير هذا الموقف حاليا بعد أن نالت المرأة قسطا ملائما من التعليم، وتحررت من القيود التي فرضتها ثقافة الرجل ووضعيتها في مرتبة ثانوية، ونزلت إلى معترك الحياة العملية، وحققت لنفسها استقلالا اقتصاديا نسبيا. وكان من نتائج توفر الأجر أمام المرأة أن أصبح الزواج لتحقيق الأمن الاقتصادي أقل إلحاحا، وبدأت المرأة تنظر إلى الزواج باعتباره وسيلة للحصول على الإشباع النفسي والاجتماعي، وتحقيق مركز اجتماعي مهم من خلال الزواج³.

¹ محمد، حمداوي: "وضعية المرأة والعنف داخل الأسرة في المجتمع الجزائري التقليدي"، مجلة إنسانيات، العدد، 10، جانفي - أبريل، ص. 93 و94.

² نفس المرجع، ص. 95.

³ El Harras. Ibid. P. 121.

إن علاقة المهاجر بزوجته غالبا ما تضبطها قيم الثقافة القروية التقليدية التي ترسخ في ذهنه تبعية الزوجة لقراراته وسلطته. وفي انتقاله لنمط الحياة الحضرية يمتنع أن تقيم زوجته علاقات جديدة مع النساء الحضريات، ويبدأ تدريجيا في التخلي عن بعض المواقف في علاقته بزوجته وأبناءه، كأن يسمح لها بالخروج والتسوق ومرافقة الأبناء للمدرسة، والذهاب للحمام، وأحيانا السفر بمفرها. وقد يكون التحول جذريا بأن يترك للزوجة مسؤوليات البيت ونفقاته، ويدعمها لتغيير وضعيتها. صرح العديد من المبحوثين عن تخوفهم من العلاقات الجديدة في الوسط الحضري "لا أسمح لزوجتي بالتعارف مع النساء الحضريات لأن أخلاقهن غير جيدة وسيعلمونها أشياء جديدة" وتقول إحدى النساء المبحوثات "لدي علاقات مع جارتي وزوجي لا يمانع" ويسمح لي بمرافقة الأبناء للمدرسة وقضاء الحاجيات المنزلية والتسوق"، تقول إحدى النساء: "لقد تحسنت علاقتي بزوجي بعد الهجرة، وأصبح يعطيني حرية أكبر سواء على مستوى اللباس أو الخروج لشراء بعض الأغراض التي تخص البيت، لكن دون الخروج عن المألوف". وتقول أخرى: "زوجي متفهم فهو لا يعارض طريقة لباسي أو سفري أو علاقتي بالنساء الأخريات". ويقول أحد الرجال: "علاقتي بزوجتي جيدة فهي تحترمني وأنا أحترمها ونتشاور فيما بيننا، لكنني لا أفضل خروجها من البيت بشكل متكرر وأفضل ألا تختلط بالناس هنا، فالنساء في هذه المدينة عديمات الأخلاق وأخاف أن تتأثر زوجتي بهم، أما لباسها فلم يتغير".

إن علاقة الزوجين في المجتمع القروي، لا يمكن أن نتحدث فيها عن وجود مفهوم "الزوجين" بالمعنى المستقل والحر للكلمة، إذ يخضع "الزوجين" للأباء وكبار السن، وتخضع الزوجة للحماة وقراراتها وتوزيعها للأدوار، هذه الممارسات عرفت نوعا من التحول كاستقلالية الزوجين عن الأسرة الممتدة والاستقلال في السكن.¹

¹ El Harras : Ibid. P. 121.

تقول إحدى المبحوثات عن علاقتها بزوجها بعد الهجرة: "بعد أن هاجرنا إلى مدينة سلا تحسنت العلاقة مع زوجي وأصبح يعطيني حرية أكثر سواء على مستوى اللباس أو الخروج لشراء بعض مستلزمات البيت، لكن دون الخروج عن المألوف" للهجرة أثر إيجابي على علاقتي بزوجتي وكذلك الأبناء، لأنه في السابق كنت أسكن بمفردي بالمدينة وأسرتي الصغيرة بعيدة عني وهذا كان يشكل لي مجموعة من المشاكل إذ لا أعرف أحوالهم وماذا حل بهم. الآن أنا أشرك زوجتي في تربية أبنائي وتقوت علاقتي بزوجتي. يقول أحد أرباب الأسر المهاجرة. وتضيف إحدى النساء المهاجرات: "علاقتي جيدة بزوجي، فهو إنسان متفهم، وابن المدينة التي هاجرت منها، فهو لا يعارض علاقتي بالأشخاص ولا يتدخل في طريقة لباسي، لكنني أشعر بالغربة في هذه المدينة لأن طباع الناس هنا وعاداتهم مختلفة، كما أن علاقتهم بالناس جد محدودة وغير اجتماعيين، على العكس من ذلك الناس في مدينتي (الراشيدية) طيبون واجتماعيون".

• توزيع الأدوار بين الزوجين:

في وقت سابق، وفي إطار التنشئة الاجتماعية التقليدية نجد فصلاً متوافقاً عليه بين المجالات والأدوار بين الجنسين، بحيث يتم إعداد النساء لوضعيات عائلية واضحة المعالم (ابنة، زوجة، أم، جدة). أما في الوقت الراهن فإن المرأة تواجه مواقف غير واضحة كالسابق وكمثال على ذلك:

- فالبنات يمكنها أن تتابع تعليمها وتحصل على عمل، وقد تتأخر عن سن الزواج ويصبح بإمكانها تقديم المساعدة المالية لعائلتها، فيما تستطيع أخريات الأخذ بيد من هن في وضعية أسوأ.

- أصبحت المرأة المتزوجة العاملة توجد بكثرة في سوق العمل، ويلاحظ تزايد نشاطهن الاقتصادي مقارنة مع وضعيتها في إطار الأسرة التقليدية.

- اكتسبت ربوات البيوت، ليس فقط الحضريات منهن، أدوارا جديدة تتعلق بتربية الأبناء وتعليمهم والعلاقات الإدارية الخارجية، كما هو الشأن، بالنسبة لتدبير المجال الداخلي ونفقات الأسرة. هذه الأدوار الجديدة لا يتم الاعتراف بها بشكل حقيقي وفعال في الواقع.

- تراجع مكانة وأدوار الجدات بفعل التحول نحو الأسرة النووية، إذ يستقل الزوجين بعيدا عن الأسرة الأبوية، التي تحتضن داخلها فقط الأبناء غير المتزوجين.

- وأخيرا، وحسب الإحصاءات نجد نسبة مهمة من الأسر التي ترأسها نساء أرمال أو مطلقات يتحملن مسؤولية تربية وتعليم أبناءهن، بالإضافة إلى وضعيات أخرى كالأمهات العازبات¹.

إن التحويلات التي تعيشها الأسرة المغربية أفرزت وظائف جديدة داخل الأسرة، بحيث حددت أدوارا جديدة للزوجين والأبناء وتوزيعها وفق مقتضيات هذا التحول المجالي والاقتصادي والاجتماعي. ومنحت المرأة القروية المهاجرة أدوار جديدة وحضورا فعالا داخل الأسرة.

مادام المجتمع يعرف تمييزا وتخصصا، فالأسرة أيضا تسير نحو التمييز الجنسي للأدوار حول قاعدة التكامل الوظيفي بين الجنسين، الذي يعطي للأب والمعيل المادي للأسرة، وتتحصن أدوار الأم داخل المجال الأسري، فالمرأة مثلا لأنها قريبة من الأطفال أكثر فهي مهياة جيدا لضمان الحياة العاطفية للأسرة والاهتمام بالأعمال المنزلية. أصبحت هذه الصورة النمطية لتوزيع الأدوار بين الجنسين تعرف تحولا بفعل دخول المرأة ميدان العمل، ومشاركتها في القرارات الأسرية، وتدخل المؤسسات في الاعتناء بالأسرة وأعضائها². عبرت العديد من النساء المهاجرات عن استمرارية هذا التقسيم التقليدي في الأسر المهاجرة التي لا تشهد عملا حقيقيا للمرأة خارج بيتها.

¹¹ Chaulet, Claudine : "Status féminins et situation de femmes en Algérie, aujourd'hui, changements familiaux changement sociaux", actes des 3^{ème} colloque département de sociologie, janvier 2004, Publications de la faculté des sciences humaines et sociales, Université d'Algérie 2005- 2006. P 177 et 178.

² De Singly, Ibid. P. 5.

ظهرت أدوار جديدة للمرأة المهاجرة، تختلف تماما عن الأعمال التي تعودت القيام بها في القرية، فرغم العمل المنزلي الذي يعتبر أقل تعباً مما كان عليه سابقاً، تستطيع المرأة مشاركة زوجها في قراراته لأن انتقالهم إلى المدينة سمح لهم بالاستقلالية عن سلطة الأسرة الممتدة.

يلاحظ في الأسرة المعاصرة تحرر في مجموعة من الممارسات التي تخص المرأة، حيث تمارس النساء أنشطة اقتصادية، وتشارك في الأعمال الإدارية والخدمات مثل الرجل، وتستطيع المرأة أن تقود سيارتها بنفسها، أو تستعمل وسائل النقل العمومية. كما يتم توزيع الأدوار بين الزوجين داخل البيت وخارجه، كأن يساعد الزوج زوجته في الأعمال المنزلية.¹ أصبح بإمكان المرأة الخروج إلى التسوق أو مرافقة أبنائها إلى المدرسة، والتنزه دون مرافقة الزوج. هذه الأدوار الجديدة تعتبر تميزاً ومكسباً حقيقياً للمرأة المهاجرة التي تعودت تبعيتها للغير سواء الزوج أو الأب أو الأخ. وقد صرحت نساء من المهاجرات عن مشاركتهن في مصروف المنزل بحكم عملهن الغير قار، حيث يخدمن في المنازل، أو بالمصانع والشركات القريبة من مساكنهن، رغم تكتم أغلب الأزواج المبحوثين عن هذا العمل الذي تقوم به النساء لرفضهم التصريح بعمل المرأة خارج البيت.

• تقاسم المسؤوليات الأسرية بين الزوجين:

إن النظام الاجتماعي هو الذي يرتب الأدوار والتصورات، وينتج التقسيم الجنسي للعمل الذي يوزع المكنات والمواقع، ثم يبني القواعد والقيم التي تسند وتعزز تصورا معيناً لطبيعة هذه المكنات، وتساهم في عملية التوزيع المذكورة الأساطير والتمثلات والرموز البانية للتصورات والقواعد، لتصبح بعد ذلك أمام نظام رمزي صانع لقيم بعينها، وضمن هذا التصور العام، تمت عملية تحويل السوق إلى فضاء للرجال، وتم إعلان أن البيت هو المكان المناسب للنساء.²

¹ De Singly : Ibid, P. 5_16.

² كمال، عبد اللطيف: المرأة في الفكر العربي المعاصر، نحو توسيع قيم التحرر، دار الحوار، اللاذقية، 2010، ص. 8-20.

تؤكد معظم البحوث على أن عمل المرأة قد أحدث تغييرا في القيم التي يعتنقها أفراد الأسرة، فعندما تعمل المرأة فإن الزوج يساهم في الأعمال المنزلية مسجلا خروجها عن مفهوم دوره التقليدي.

• العمل المنزلي:

تتميز المجتمعات الحديثة بتقسيم العمل بين الزوجين، بحيث أصبح الزوج يشارك في الأعمال المنزلية لمساعدة زوجته، كما أصبح يقوم برعاية الأطفال. فمشاركة الزوج الزوجة في الأعمال المنزلية، غير هذه المسؤولية، باعتبارها المهمة الرئيسية للمرأة، لتصبح مسؤولية كل أفراد الأسرة. إن غياب المرأة العاملة عن بيتها تضطر زوجها وأبناءها لتعويض نقصها من خلال القيام بمتطلباتهم دون الاتكال عليها تماما.

إن أغلب الرجال يعتبرون مزاوله الأعمال المنزلية مساس بذكوريتهم، وأنهم إذا ما قاموا بذلك، فإنهم سيفقدون تلك الهوية التي يحضون بها داخل الأسرة باستثناء بعض الرجال (المتقنون) ممن يرون بأنه لا وجود لأي مانع من تقاسم الأدوار داخل الأسرة، وأنه لا وجود لأي اختلاف بين المرأة والرجل من حيث قدرتهما على احتلال مواقع القرار شريطة أن يكون إسناد هذه المسؤولية خاضعا لعاملي الكفاءة والخبرة.

والملاحظ أن المواقف التي تدعو إلى تقاسم الأدوار بين الزوجين ومشاركة المرأة في صنع القرارات، هي أغلبها مواقف لفئة تمتلك رأسمال ثقافي واقتصادي معين. في حين تبقى هذه المواقف غائبة تماما في ظل الأسرة الفقيرة والمهمشة.

وعلى هذا الأساس يعتبر المختار الهراس أن ثقافة النوع هي الأخرى وبقوة في مدى وطبيعة مشاركة النساء في صنع واتخاذ القرار. وما احتكار الصنف الذكوري لمناصب القرار إلا نتيجة لتمثل المرأة كنوع اجتماعي دوني يتم استبعاده من مناصب القرار¹.

1 المختار، الهراس: المرأة وصنع القرار في المغرب، مرجع سابق.

لمعرفة التغيرات التي حصلت في الأسرة المهاجرة على مستوى توزيع الأدوار الأسرية، وفي مقابلتنا لرؤساء الأسر المهاجرة وجهنا السؤال لرب الأسرة حول مدى مساعدته لزوجته في الأعمال المنزلية، حصلنا على النتائج التالية:

■ يرفض الزوج في الغالب القيام بالأعمال المنزلية باستثناء بعض رؤساء الأسر الذين تعمل زوجاتهم خارج البيت، ويضطرون حسب تعبيرهم للقيام ببعض الأعمال البسيطة كتحضير وجبات لأطفالهم، أو غسل الأواني.

■ إن مساعدة الزوجة في المنزل حسب مجموعة من أرباب الأسر يكون تحت ضغط الظروف الصحية للزوجة أو في مناسبات معينة. "أساعد زوجتي في أشغال البيت، في التنظيف، وأحيانا في المطبخ" "أحيانا أساعد زوجتي في أشغال البيت أو في بعض الحالات عندما تكون مريضة، أو كلما طلبت مساعدتي" "تادرا ما أساعدها، وقولي هذا لا يعني أن العمل المنزلي هو حكر على المرأة وحدها، ولكن النساء يتقن العمل المنزلي أفضل منا" "أساعد زوجتي خاصة عندما يزورنا الضيوف" "لا أساعد زوجتي فابنتي الكبرى تقوم بذلك، وأنا أعمل طيلة النهار وعمل البناء شاق جدا". ويقول أحد المبحوثين المقاولين: "يمكنني مساعدة زوجتي في العمل المنزلي، لكن طبيعة عملي لا تسمح بذلك". بينما يؤكد آخر "أن مساعدة الزوجة وتقاسم الأدوار معها أصبح مسألة جوهرية وضرورية، ويضيف قائلاً: "لا مشكلة عندي في القيام بأعمال المنزل في غياب زوجتي عن البيت أو حتى في حالة حضورها"، وهناك موقف يعترض على تقاسم أو مشاركة الزوجة أعمال البيت، لأن العمل المنزلي يرتبط بطبيعة المرأة وواجبها تجاه أسرتها "من الضروري أن يحافظ كل واحد على دوره الطبيعي، مكان المرأة بيتها" يضيف أحد المبحوثين.

■ بالنسبة لأداء الأعمال المنزلية المعروف تقليدياً أنه من اختصاص المرأة. فقد بينت الدراسات المقارنة أن أزواج العاملات يكونون أنشط وأكثر تقبلاً للقيام ببعض أعمال المنزل من أزواج غير العاملات، وهذا ما بينته دراسة بلود وهاملين على سبيل المثال،

كما بينت دراسة نولان وتاتل أن أطفال الأمهات العاملات يقومون بأعمال منزلية أكثر من أطفال الأمهات غير العاملات.¹

• سفر الزوجة:

إن ما يحدد زيارات الزوجة لأهلها هي ظروف الزوج المادية ومزاجه ورغبته في السفر أو الامتناع عن ذلك، ويسمح للزوجة بالسفر عند أهلها شرط أن يرافقها أحد أبنائها، ويمنع عنها السفر بمفردها. سألنا رؤساء الأسر المهاجرة إذا ما كان يسمح للزوجة أن تسافر وحدها، فكان جوابهم كالتالي: "عادة ما نسافر جميعا، أي مع زوجتي وأبنائي، لكنني لا أسمح لزوجتي بالسفر لوحدها" "لا أسمح بسفر زوجتي بمفردها، يمكنها أبنائها، لأنني أخاف أن تتعرض لحادث أو مكروه، أو السرقة والتحرش".

– التشاور بين الزوجين هو أساس العلاقة الزوجية السليمة

إن مفهوم "الزوجين" لم يكن حاضرا في الأسرة الممتدة كمارسة مستقلة بين الزوجين، بحيث تتدخل الأسرة حتى في القرارات التي تهم أبناء الزوجين. إن اللامساواة بين الجنسين لم تسمح "للزوجين" في ظل هذه الأسرة بالقيام بوظائفهما كزوجين مستقلين، كما أن تقسيم السلطة بين الجنسين، لم يسمح للمرأة بالحسم في القرارات التي تخصها إلا بالمرور عبر الزوج وأحيانا بأم الزوج.²

هناك اختلاف لا شك فيه في الطريقة التي يؤدي بها كل من الزوجين أدوارهما الزوجية. ففي الأسرة التي يقوم فيها الزوجان بأعمال مستقلة، وحيث يوجد تقسيم واضح للعمل في المنزل، يعطي الزوج زوجته مبلغا معيناً من المال ولكن الزوجة لا تعرف شيئا عن مرتب زوجها أو كيفية إنفاقه للنقود التي يبقونها لنفسه، كما يقضي الزوج أوقات الفراغ مع أصدقائه وتزور هي أقاربها وقلما يقضيان وقت فراغهما معا، وهما لا يشعران بأي

¹ نادية، فرحات: "عمل المرأة وأثره على العلاقات الأسرية في الجزائر"، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد 8_2012، ص. 126_134.

²Mokhtar, El Harras. Op. Cit. P. 120.

غضاضة في ذلك، بل يعتقدان أن سلوكهما هو السلوك الطبيعي الملائم للدائرة الاجتماعية. وعلى النقيض من هذا النمط هناك الأسرة التي يشترك فيها الزوجان في العديد من الأنشطة ويقضيان معظم وقتها معا وهما متساويان من جميع الوجوه، فجميع القرارات الهامة يتخذانها معا ويساعد أحدهما الآخر حتى في الشؤون المنزلية البسيطة بقدر الإمكان كما أنهما يشتركان في نفس الاهتمامات السياسية والموسيقى والأدب وفي اتخاذ الأصدقاء. والفرق الواضح بين هذين النمطين، أن الأول يظهر انفصالا واضحا بين الزوج والزوجة في الأدوار التي تكون علاقتهما الزوجية، بينما يظهر النمط الثاني عكس ذلك، ولكن توجد بين هذين الطرفين النقيضين درجات عديدة من التفاوت. وبناء على ذلك يمكن تصنيف التنظيم الأسري إلى ثلاثة أنواع:

- 1- التنظيم المتم أو المكمل، الذي تكون فيه أنشطة الزوجة والزوج مختلفة ومتفرقة ولكنها تتلاءم معا لتكوين كل واحد.
- 2 - التنظيم المستقل، الذي تنفذ فيه أنشطة الزوج والزوجة بصورة مستقلة ومتفرقة دون رجوع منهما إلى الآخر.
- 3 - التنظيم المترابط، الذي يمارس فيه الزوج والزوجة أنشطتهما معا وليس هناك تقسيم واضح للعمل بينهما.¹

- تشارك الزوجين في اتخاذ القرارات الأسرية:

بالرغم من الاتجاه الواضح نحو مشاركة الزوجين في اتخاذ القرارات المتعلقة بالأسرة، وفي بعض الأحيان اشترك الأبناء أيضا في هذه القرارات، خاصة تلك التي تتعلق بهم، فما زال كثير من الذكور يعتقدون بأن الزوج له حق طبيعي أو موروث يتيح له التعبير عن رأي الأسرة، ومثل هذا الموقف يعكس الاتجاهات التقليدية بصورة واضحة، إلا أن هذه السطوة الذكورية لا تجد قبولا عند كثير من الزوجات في الوقت الحاضر. هناك في الأسرة مسائل تحتاج إلى قرار حاسم، وخاصة في المسائل المتعلقة بزواج أحد الأبناء والادخار والاستدانة والسفر والتعليم والرعاية الصحية وفي حالة المرض، وغالبا ما

¹ الخولي: ص. 78.

يظهر الرجل في بعض الأمور، كأنه صاحب القرار ومنفذه على الرغم من أن القرار ذاته تعرض لمناقشات عديدة داخل الأسرة قبل أن يتبلور في صورته النهائية.¹

في المجتمع الراهن يمثل تبادل المعلومات والمشاورات وتبادل النصيحة عاملاً أساسياً في تطور جودة الحياة، ومن خلال التشاور تعمل الأسرة على توجيه أبنائها وحل مشاكلها، كما أن حجم التشاور والتواصل يعكس متانة وقوة الروابط الأسرية.

إن أرباب الأسر التقليديين كانوا ينفردون في اتخاذ القرارات المتعلقة بشؤون أفراد الأسرة ومستقبلهم، ولكن حالياً، نتيجة التحويلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية التي عرفتها الدول العربية، وارتفاع مكانة المرأة الاجتماعية، ونزولها إلى معترك الحياة العملية، بدأ الزوج العصري يستشير زوجته في الأمور المتعلقة بشؤون أفراد الأسرة ومستقبلهم وهذا ما أثبتته البحث الميداني.

• الأسرة واتخاذ القرارات:

نتفق مع الدراسة التي قامت بها الباحثة مرتينسون² في محاولتها معرفة طبيعة السلطة داخل الأسرة. أن سلطة القرار داخل الأسرة تتحدد بإمكانات كل من الزوجين، والمقصود هنا بالإمكانات، المستوى المادي، والمستوى الثقافي، والمستوى المهني، ومستوى العلاقة بالعالم الخارجي، وبالمستوى التعليمي للمرأة. من هنا فالمرأة الأمية تملك السلطة الأضعف، أما المرأة التي تدرست ولو لسنوات قليلة وحصلت على قليل من التعليم فإنها تملك سلطة أكبر. تعود القرارات الاقتصادية إلى الرجل، وتتكلف النساء بهذه القرارات في حالة الطلاق أو موت الزوج. فمثلاً من القرارات الاقتصادية التي يقررها الزوج بشكل قوي، نجد قرار شراء عقار يحضر الزوج بنسبة 9, 18 بالمائة مقابل 1, 2 تمثلها الزوجة.

¹ نفس المرجع، ص. 94.

² أقيمت هذه الدراسة على عينة تشمل 586 امرأة بمدينة الرباط. Mona Martensson: Rôle de sexe dans la famille à Rabat. Document de B.E.S.M, n°138_139, 1979.

• الزوج واتخاذ القرار الأسري:

يعتبر الزوج رئيس الأسرة، إلا أن المناخ الاجتماعي المتغير أثر في نوعية العلاقات الداخلية في الأسرة من حيث علاقة الزوج بالزوجة والآباء بالأبناء. وإذا كان الرجل لا يزال رئيساً للأسرة، فإن هذه الرئاسة لم تعد بنفس التسلط والعنف الذي كان عليه في الأسرة الممتدة التقليدية، لأسباب عدة بعضها اجتماعي مثل ارتفاع مستوى التعليم، وبعضها تسببت فيه عوامل التصنيع والتكنولوجيا.¹

يملك الزوج في تصور الأسر المهاجرة سلطة اتخاذ القرارات الأسرية، لأنه المعيل المالي للأسرة، هذا ما يمنحه أحقية اتخاذ القرارات. يعتبر هذا الرأي امتداداً للنظرة التقليدية للأدوار الأسرية التي كانت سائدة داخل بنية الأسرة التقليدية والقروية بالخصوص.

• الزوجة واتخاذ القرار الأسري:

إن حضور الزوجة أضحت بارزاً في الحياة الزوجية والقرارات الرئيسية العائلية، ويعكس ذلك جودة العلاقات وسيادتها في الأسر النووية، التي صارت تلعب فيها الزوجة دورها كزوجة وربة بيت. إن المرأة أصبحت تتحمل مسؤوليات اقتصادية واجتماعية، لم تكن تسمح لها بها ثقافة المجتمع الذكوري القروي. لقد قوى هذا التحمل للمسؤوليات من دور الزوجة في القرارات الأسرية. إن الزوجة أكثر أعضاء الأسرة ارتباطاً بالمجال المنزلي، سواء ما يتعلق بمسؤوليات الأبناء اليومية أو الزوج، كما أن الزوجة تربط علاقات اجتماعية وتبادلية على مستوى الزيارات والمناسبات، مما يمنحها القدرة على الإحاطة بمستلزمات الحياة الاجتماعية.

إن انتشار ظاهرة خروج المرأة للعمل أدت إلى حدوث تغييرات في بنية ووظيفة الأسرة الحديثة، ومن أهم مظاهر هذا التغيير مشاركة المرأة العاملة في السلطة الأسرية، بحيث مكن استقلالها الاقتصادي من أن يضعها في مكانة تختلف عما هي عليه المرأة

¹ الخولي، مرجع سبق ذكره.

الماكنة في البيت. فخرج المرأة للعمل يزودها بالإحساس بالكفاءة ويحول لها كثيرا من السلطة. إن عمل المرأة أحدث تعديلا في الطبيعة السيكولوجية للعلاقات الزوجية التي كانت تقوم على علاقة السيد بالمسود.

لقد أجريت عدة دراسات حول أثر عمل المرأة على السلطة في الأسرة وعلى علاقتها الزوجية:

• دراسة بلود وهاملين¹، قاما بدراسة أثر عمل المرأة خارج البيت على التوقعات الخاصة بالتغير في علاقات السلطة الأسرية والممارسات الفعلية للسلطة، وتوصلت الدراسة إلى أن عدد القرارات التي اتخذتها الزوجات العاملات وضعت موضع التنفيذ أكثر من عدد القرارات التي اتخذتها الزوجات غير العاملات.

• دراسة هير²، في دراسته لتأثير عمل الأم خارج البيت على القرارات في منطقة بوسطن بالولايات المتحدة الأمريكية. وقد توصلت الدراسة إلى أن الزوجة العاملة من الطبقة العاملة تمارس تأثيرا في القرارات الأسرية يفوق تأثير المرأة غير العاملة.

• دراسة عبد المجيد شيحة³، بينت هذه الدراسة أن لعمل المرأة خارج البيت تأثير على سلطتها والأبناء، ولا تأثير له على سلطة الأب. فالمال الذي تحصل عليه الزوجة من عملها خارج البيت أحد المصادر التي تعين على اكتساب السلطة، فاستقلال الزوجة المادي عن زوجها مكنها من ممارسة حريتها الشخصية في فرض سلطتها خاصة على أبنائها.

• دراسة راف⁴ Ragh بالقاهرة. فقد بينت أن السلطة في الأسرة تتركز غالبا في يد الزوج ولا يؤثر عمل المرأة خارج البيت لأن عملها أمر معاكس للقيم الأخلاقية في

¹ نادية، فرحات، مرجع سابق.

² نفس المرجع السابق.

³ عبد المجيد، شيحة: "تأثير عمل الأم خارج البيت على السلطة في الأسرة وتقسيم العمل المنزلي وتحصيل الأبناء"، مجلة دراسات تربوية، المجلد الثاني، الجزء التاسع، القاهرة، 1987، ص. 123 و129.

⁴ نفس المرجع السابق.

الهجرة والتحصن والتحويلات الأسرية

مصر. فالقيم الثقافية والعادات والتقاليد التي تميز كل مجتمع لها تأثير كبير في أي ظاهرة اجتماعية، فرغم خروج المرأة للعمل نتيجة التغيرات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لم يغير في الذهنية العربية التقليدية التي تبقي على سيادة الرجل وسلطته على كل أفراد العائلة.

إن الاختلاف في نتائج الدراسات حول عمل المرأة يرجع إلى ظروف المرأة نفسها وظروف المجتمع الثقافية والاجتماعية التي تعيش فيها المرأة والأسرة.

إن التحول الملموس في الأدوار الداخلية للأسر المهاجرة، يبرز مدى اندماج الأسر في أسلوب الحياة الحضرية، والتأثر به سواء على مستوى تعليم الأبناء، أو تصور عمل المرأة، أو اتخاذ القرارات الأسرية. والتشاور والحوار بين الزوجين أصبح اللغة التي تهيمن على العلاقات الأسرية. إن معرفتنا لهذا التصور يمكن أن يساعدنا في ضبط التغيير أم الاستمرارية في سلوك وأسلوب حياة المهاجر. فمن هم الأشخاص الذين يساهمون في صنع القرارات داخل الأسرة؟ الزوج، الزوجة، أم التشاور والحوار بين أعضاء الأسرة؟

جدول رقم (58): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب الأشخاص المتدخلين في اتخاذ القرارات الأسرية

من يتخذ القرار	شراء عقار		تعليم الأبناء		تأثير البيت		السفر		المناسبات العائلية	
	%	التكرار	%	التكرار	%	التكرار	%	التكرار	%	التكرار
الزوج والزوجة	57.2	278	70.8	344	66.3	322	58.4	284	69.5	338
الزوج	18.9	92	9.9	48	7.8	38	21.8	106	9.5	46
الزوجة	2.1	10	6.6	32	13.6	66	5.8	28	8.6	42
تشاور لكن الكلمة الأخيرة للزوج	3.3	16	3.3	16	9.1	44	3.3	16	5.8	28
تشاور لكن الكلمة الأخيرة للزوجة	18.5	90	9.5	46	3.3	16	10.7	52	6.6	32
المجموع	100	486	100	486	100	486	100	486	100	486

المصدر: البحث الميداني، صيف 2011، سلا

نستنتج إذن:

■ إن نظرة المهاجر للزوجة لم تعرف تغييرا ملموسا، ماعدا بعض الأدوار الجديدة التي فرضتها مقتضيات الحياة الحضرية، ففي غالب الأحيان لا يسمح لها بالانخراط في جمعيات أو العمل الذي قد تختاره بحرية.

■ عبرت مجموعة من النساء المهاجرات عن تغيير في معاملة الزوج بعد الانتقال إلى المدينة، بحيث أصبحت العلاقة بين الزوجين مشروطة بالتفاهم والتشاور المتبادل بينهما، وتتمتع المرأة المهاجرة بحرية أكبر في اختيار اللباس والخروج رفقة الأبناء للنتزه وقضاء الحاجيات والانضمام إلى جمعيات لتعلم القراءة والخياطة ودروس محو الأمية، وزادت مساحة مسؤولياتها وأدوارها ولم تعد خاضعة لسلطة آباء الزوج وإخوته وكذلك أسرتها.

■ إن الأدوار الأسرية التقليدية للزوجين، لم تتغير في أغلب الأسر المغربية، باستثناء بعض الحالات التي تساهم فيها العوامل الثقافية بشكل بارز في الدفع بالمرأة المتقفة نحو المشاركة في القرارات المتخذة.

■ هناك اختلاف كبير في مستويات القرار بين المرأة الموظفة التي تتخذ قراراتها بمحض إرادتها وبحسب إمكانياتها المادية، وبين ربة البيت التي وبالرغم من اتخاذها بعض القرارات التي لها علاقة بالحياة اليومية للأسرة، تبقى تحت سلطة الزوج وتابعة لما قرره هو ووافق عليه.

■ إن عمل المرأة ومساهمتها في ميزانية الأسرة، وتقسيم المصاريف بينها وبين زوجها، سمحا لها باتخاذ بعض القرارات وفرض سيطرتها ومكانتها داخل الأسرة، إذ أصبحت المرأة العاملة في غالب الأحيان تتكف بمصاريف المطبخ والتجهيزات وملابس الأطفال، فيما يتكف الزوج بالكراء وفواتير الماء والكهرباء وتعليم الأبناء.

■ إن التدبير والحوار والمشاركة في اتخاذ القرارات بين الزوجين داخل الأسرة، مسألة حساسة ومهمة في بناء أسرة منظمة، إلا أن هذه المشاركة، تبقى منعقدة في إطار

الأسرة الفقيرة، حيث ينعدم الحوار ويصير الطابع العشوائي هو السائد على القرارات المتخذة داخل الأسرة. ففي ظل غياب الإمكانيات المادية، يبقى الزوجين عاجزين حتى عن صنع أبسط القرارات.

- العلاقة بين الأجيال:

• علاقة آباء- أبناء

تتميز الروابط القرابية الداخلية في الأسرة التقليدية بسلطة شبه مطلقة للآباء على الأبناء، بحيث يهيمن كبار السن على الحياة الاجتماعية والأسرية خاصة الآباء والأجداد والأخوة الكبار. فمسؤولية ضمان استمرارية التقاليد وسلطة القرار يتحكم فيها الكبار فيما يتكيف الشباب مع هذا الوضع دون تغييره أو التدخل فيه سواء تعلق الأمر بالشباب العازبين أو المتزوجين¹ مراعين في ذلك عاملي السن والجنس. هناك إذن، أحداث وتفاعلات تقع في محيط الأسرة، الشيء الذي يجعل منها مؤسسة متغيرة باستمرار، في سياق التحويلات الاقتصادية والاجتماعية التي يعرفها المجتمع.²

• الاستقلال الأسري :

إن التساكن في نفس المنزل أو بالقرب من منزل الأبوين أو الأنساب يزداد في الوسط القروي أكثر من الوسط الحضري.³ من هنا، إذا كان التغيير السوسيو-ثقافي السريع والتباين في الاختلافات بين الأجيال يدفع الأسر الصغيرة التي تتكون أن تختار الاستقلالية في السكن لأجل اختيار فضاء خاص. فالهدف من القرب السكني هو أن تحافظ الأسر المهاجرة على التضامن الأسري.

¹ Mokhtar, El Harras. Op. Cit. P. 120.

² عبد الرحيم، العنبي: مرجع سابق، ص. 93.

³ El Harras. Ibid. P. 122.

يشكل الدوار إطار سوسيو- مجالي يسمح بالقرب السكني مع الأبوين والأنساب بالمقارنة مع الحي في الوسط الحضري. فالبنية القروية للسكن في العالم القروي تفسر بشكل جيد الاختلاف الذي يميزه في هذا المستوى عن الوسط الحضري. إن هذه الحركية التي تأتي من نووية البنيات الأسرية واستقلالية الأفراد تسير نحو "الحد من التساكن". إن السكن بالقرب من العائلة يجنب المهاجرين أزمة الانتقال الحاد والمفاجئ في حياتهم الاجتماعية. هذه الأزمة التي قد تتجلى في السلوك والعلاقات فيما هو مألوف ومعتاد. تميل الأسر حاليا إلى السكن في بيوت مستقلة وبعيدة عن مساكن الأهل والأقارب، مفضلة السكن في الأحياء التي تتناسب مع أوضاعها الاجتماعية والاقتصادية والقريبة من أماكن العمل، إن أمكن ذلك.

تعتمد العائلة النووية المغربية على العائلة الأصلية وعلى القرابة، بمعنى أنها ليست مستقلة، كما هو الشأن في الغرب، بحيث تعود إلى هذه العائلة في حالة الأزمات ويتم اختيار السكن بجوار وبالقرب من العائلة الأصلية لضمان تبادل الزيارات والتضامن.¹ من المتغيرات التي طرأت على العائلة القروية المهاجرة نتيجة ظهور التحضر والتصنيع قيام أبناء العائلة المتزوجين بالسكن في بيوت مستقلة عن بيت الوالدين، من هنا انخفض عدد الأجيال الذين يعيشون في الوحدة السكنية من جيلين إلى جيل واحد فقط.²

نفترض أن هناك اتجاها نحو الاستقلال السكني، مع الحفاظ على القرب المكاني كضمانة سيكولوجية للأباء. "أبناؤنا هم رأسمالنا الوحيد" هكذا عبر أرباب الأسر المهاجرة بمدينة سلا وضواحيها. تفاصيل ذلك يقدمها الجدول التالي:

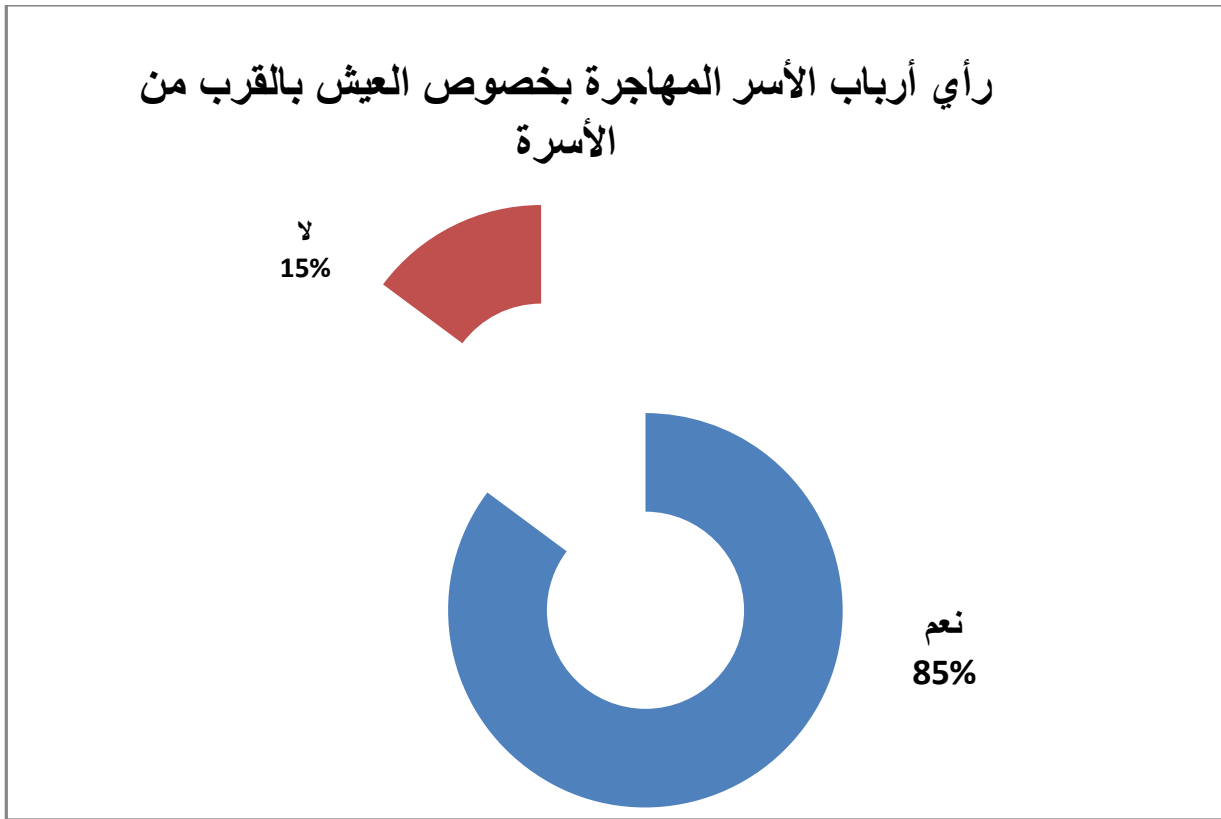
¹ المختار، الهراس. "ملاحظات حول تغير أوضاع المرأة والأسرة في المغرب". ندوة التحول الاجتماعي للأسرة المغربية من الخمسينات إلى الثمانينات، منشورات جمعية رباط الفتح، ص. 49.

² شريف، درويش: "التغير الاجتماعي في الريف الجزائري، تغير علاقة الإنسان بالأرض وآثارها الاجتماعية"، مذكرة لنيل دبلوم الماجستير في علم الاجتماع الريفي والحضري، تحت إشراف الدكتور علي مزيجي كمال، السنة الجامعية

جدول رقم: (59) توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب موقفهم من الاستقلال السكني للأبناء

الاختيار	التكرار	النسبة المئوية %
نعم	414	85.2
لا	72	14.8
المجموع	486	100.0

مبيان رقم (19) توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب تصورهم للاستقلال السكني للأبناء.



المصدر: البحث الميداني، صيف 2011، سلا

نستنتج:

- إن نسبة المبحوثين (85.2%) الذين يؤكدون على ضرورة استقلال أبناءهم سكنياً وبالتالي اقتصادياً، إنما يفعلون ذلك انطلاقاً من تصور خاص، وهو أنهم لا يمكن أن يتعايشوا مع زوجات أبناءهم لسبب أو لآخر، ونظراً لأنهم لا يرغبون في التسبب لأبنائهم وأسره في مشاكل قد يستغنون عنها ويتجنبونها باستقلال هؤلاء سكنياً.
- وفي مقابل هذا الموقف نلاحظ أن (14.8%) يرون أن من طبيعة الأشياء أن يستقر الأبناء مع الوالدين والسهر على مساعدتهم والنفقة عليهم، كما أن هناك رغبة لدى الآباء في الحفاظ على وحدة العائلة المادية والاقتصادية والاجتماعية.

▪ السكن المستقل والقريب من العائلة:

إن مكان الإقامة المفضل بعد الزواج في كل فئات السن هو "السكن المستقل والقريب من الآباء". فالأجاء الأكثر شيوعاً يتمثل في كون أكثر من نصف المبحوثين الذين يتراوح سنهم ما بين 12-55 سنة يتطلعون إلى تحقيق هامش من الاستقلال الذاتي في حياتهم الزوجية ويرغبون في الاستمتاع بقدر من الحميمية الشخصية والأسرية، لكن مع الإقامة قريباً من الآباء إن لم نقل إلى جانبهم، أي أن أغلب المبحوثين يحبذون أن يقترن الاستقلال السكني عن الأسرة الأصلية بالإبقاء على شروط العيش المواتية لتحقيق التضامن وتبادل الدعم بين الآباء والأبناء المتزوجين.

ويرجع تفضيل السكن المستقل عن الأسرة الأصلية إلى مجموعة من الاعتبارات من بينها، الاهتمام بفوائد الاستقلال الذاتي سواء بالنسبة لراحتهم الشخصية وسعادتهم الزوجية، أو للحفاظ على علاقات طيبة مع الآباء والأولاد المتزوجين.

الهجرة والتحضر والتحويلات الأسرية

جدول رقم: (60) توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب مكان الاستقرار

النسبة المئوية %	التكرار	مكان الاستقرار
37.4	182	نفس المسكن
11.9	58	نفس الحي
30.0	146	نفس المدينة
5.3	26	نفس العمالة
0.8	4	نفس الجهة
0.8	4	خارج الجهة
13.6	66	بدون جواب
100.0	486	المجموع

المصدر: البحث الميداني، صيف 2011،

نستخلص أن:

- يرغب 85.2 في المائة من أسر العينة الاستقرار بالقرب من أسرهم ومجاورتها سكنياً، فرغم تفضيل الكثيرين الاستقلال عن الأسرة والإقامة منفصلين عنهم، إلا أن تبعيتهم للعائلة الأصلية تبقى حاضرة، بحيث تذكرهم بنمط حياة الأسرة الممتدة التي عاشوا في كنفها في السابق، ويبقى الحنين إلى العائلة ودعمها وحضورها أساسيين بالنسبة لهذه الأسر.
- يعتبر القرب المكاني من العائلة ضماناً لاستمرارية العلاقات التضامنية وتبادل المساعدة والدعم في حالات اجتماعية مختلفة.
- لم يكتف المبحوثون بالتعبير عن رغبتهم السكن بالقرب من العائلة، بل يرغبون في العيش بنفس المسكن الذي تستقر به العائلة. ف37.4 في المائة تفضل السكن بنفس إقامة العائلة حيث يتعاون أفراد الأسرة التي تتعايش في نفس المنزل، ويساعدهم هذا الاستقرار على إحياء صورة العائلة التقليدية، والمساعدة المتبادلة والحفاظ على الأواصر القرابية والعائلية.
- تفضل نسبة 30.0 في المائة من أفراد العينة، الاستقلال بالسكن مع البقاء في نفس المدينة التي تستقر بها العائلة والوالدين خصوصاً، لتمكينهم من زيارتهم وصلة الرحم بهم. ويختار 11.9 في المائة من أرباب الأسر المهاجرة العيش في نفس الحي، ثم 5.3 في المائة يفضلون العيش بالقرب

من أسرهم في نفس العمالة، ويريد 0.8 في المائة العيش خارج الجهة التي تتواجد بها الأسرة.

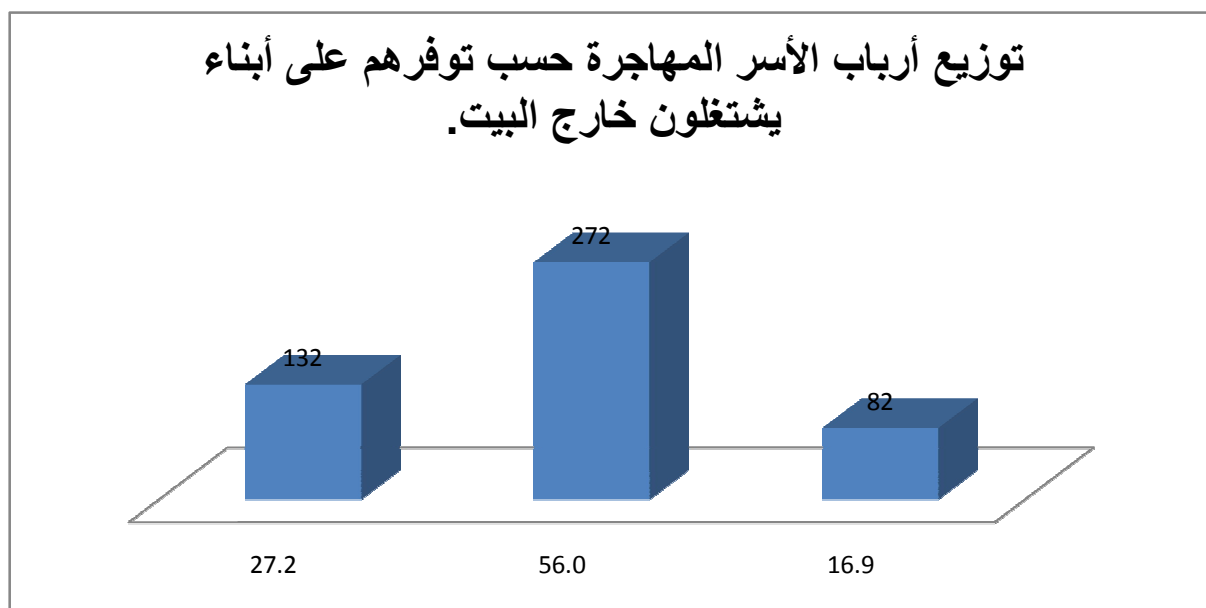
■ عمل الأبناء:

ارتأينا أن نعمق علاقة الأبناء والآباء، منتقلين من مستوى العلاقات الاجتماعية إلى مستوى آخر يقتضي نوعاً من الانفتاح على الممارسات الأسرية في بعدها الاقتصادي. إن المساعدات المالية للأبناء تبين مدى متانة العلاقات الداخلية للأسرة في وضعية الهجرة، ولهذه الاعتبارات قد يدفع بعض أرباب الأسر أبناءهم للعمل لمساعدتهم في النفقات والمصاريف الأسرية. ويبين الجدول التالي مدى صحة توقعاتنا في شأن العلاقة القائمة بين الأجيال:

جدول (61): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب توفرهم على أبناء يشتغلون خارج البيت

أبناء يشتغلون خارج البيت	نعم	لا	بدون جواب	المجموع
التكرار	132	272	82	486
النسبة المئوية	27,2	56,0	16,9	100,0

مبيان رقم(20): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب توفرهم على أبناء يشتغلون خارج البيت



المصدر : البحث الميداني، سلا، صيف 2011.

- لا تتوفر نسبة 56.0 % من الأسر المكونة لعينة البحث على أبناء يشتغلون خارج البيت، إما" بحكم متابعة الأبناء لتعليمهم أو بحكم سنهم الذي لا يسمح لهم بدخول ميدان العمل، لكونهم قاصرين لا يزالون تحت وصاية ومسؤولية الوالدين، أو شباب عاطلون عن العمل رغم سنهم وكفاءاتهم العلمية" ليس لذي أبناء في سن العمل" (حسب شهادة المهاجرين المبحوثين).

- تتوفر نسبة 27.2 % من المهاجرين على أبناء يشتغلون خارج البيت، يساعدونهم ماديا لمواجهة صعوبات الحياة بحكم الهجرة إلى المدينة، ويتحملون مع آباءهم جزءا من المسؤولية. كما نجد أسرا مركبة يتعاون أفرادها لسد حاجاتهم اليومية. "يساعدني أبنائي في المصاريف اليومية للحياة" إن الأجر الذي أتقاضاه لا يكفينا كعائلة مركبة، يساعدني أبنائي حسب الاستطاعة".

- يساعد الأبناء المشتغلون خارج البيت في المصاريف الأسرية:

لقد اعتاد المهاجرون القرويون التكافل والتضامن الاجتماعي المتبادل بينهم ماديا ورمزيا، لهذا يعي الأبناء جيدا ضرورة تقديم المساعدة والدعم الاقتصادي للآباء واجب ومسؤولية تجاه ذويهم، ويعمل الفرد من أجل الجماعة الأسرية وسعادتها.

إن قيمة التضامن الأسري لا يمكن تعميمها بالنسبة للأسر المهاجرة بمدينة سلا وضواحيها، إذ تنفي نسبة 1.6 % من الأسر تقديم أبنائها المشتغلين للمساعدة المالية في المصروف اليومي، بل يمتنعون عن المشاركة في المسؤوليات الأسرية، "الضعف الأجور التي يتلقونها من عملهم والتي لا تكفي متطلباتهم الشخصية" أحد أبناء المبحوثين.

جدول (62): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب المساعدات التي يقدمها الأبناء المشتغلون.

بدون جواب	لا	نعم	مساعدات الأبناء
352	8	126	التكرار
72,4	1,6	25,9	النسبة المئوية

- يساعد 25.9 % من الأبناء المشتغلين ذويهم في المسؤوليات الأسرية، ويقدمون الدعم المالي، ويشاركون في المصاريف اليومية للعائلة. تدل هذه النسبة على حضور تضامن أسري بين الأجيال، حيث يسهر الأبناء على دعم أسرهم ماديا واجتماعيا لتوفير ظروف عيش مادية لائقة.

- تعبر مشاركة الأبناء المشتغلين خارج البيت في المصاريف المنزلية على وجود تعاون وتآزر بين أعضاء الأسرة الواحدة، لتغطية النفقات والحاجيات الجديدة للأسرة في الوسط الجديد.

- أسلوب تربوي يعتمد على أرباب الأسر في وضعية الهجرة:

إذا كانت التربية في نظر كانط "هي أعظم وأعقد مشكلة يمكن أن تطرح على الإنسان"، فإن تربية الطفل اتخذت أبعاد جديدة، ولم تعد وقفا على الأسرة وحدها، بل أصبحت مهمة موكلة للمجتمع ومؤسساته، وعلى رأسها مؤسسة المدرسة كمؤسسة لها نظامها الخاص ووظيفتها الخاصة المحددان من قبل القانون.¹

من التغيرات التي تعرضت لها الأسرة تطبيق الأساليب الحديثة في التربية، واختفاء التعارض في تربية الأطفال بين الزوج والزوجة. كان الآباء يقومون بأدوارهم الأسرية على أساس التسلط والديكتاتورية، إلا أنه بعد حركة التعليم والاتصال داخل المجتمع، وتحديث الاقتصاد ظهرت لدى الأبناء مجموعة من الأفكار والآراء والقيم تختلف عن تلك التي حصل عليها الآباء في ظل ظروف متغيرة، مما أحدث تغييرا في نموذج² العلاقة بين الآباء والأبناء، وبين الآباء والأمهات من علاقة خضوع وسيادة إلى علاقة حوار، ونتيجة كل هذا ظهور النموذج التحرري، أو الديمقراطي في الأسرة محل النموذج التسلطي القمعي الذي كان يسود داخل الأسرة التقليدية.

أصبحت الأساليب التقليدية في التربية تتراجع لتترك المكان لأساليب عصرية وحديثة كالتفاهم والتشاور والحوار المتبادل. إن تراجع هذه الأساليب السلطوية التقليدية

¹Emanuel, Kant. P. 77.

²عبد القادر القصير: مرجع سابق، ص. 87.

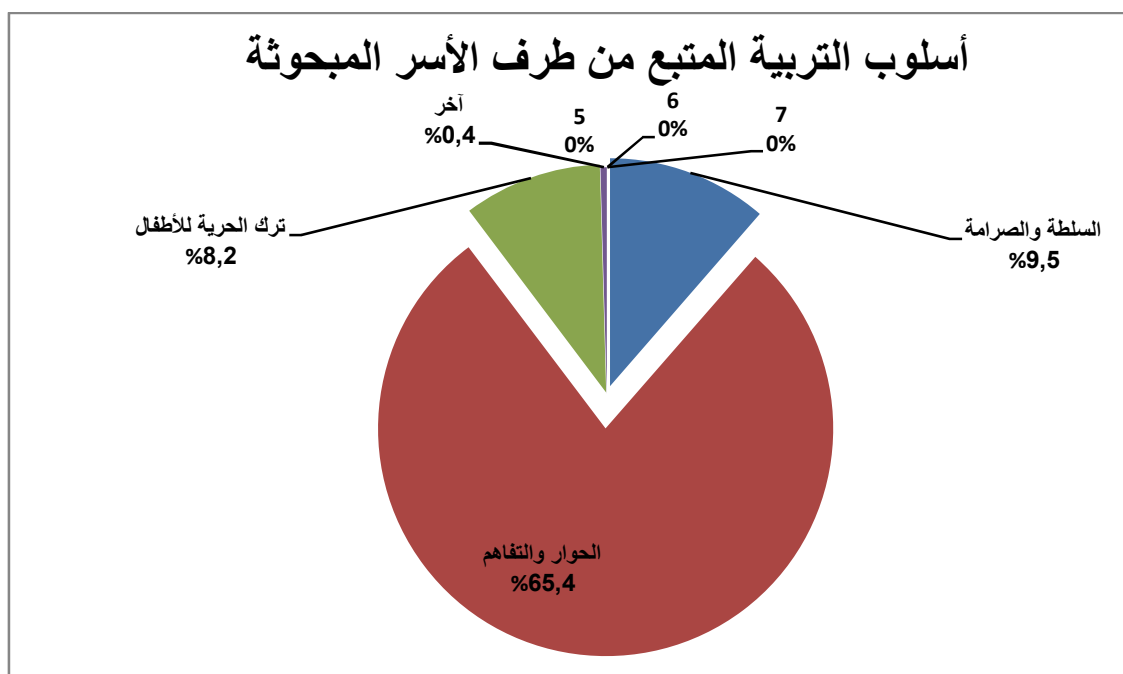
الهجرة والتحضر والتحولت الأسرية

يعلن عن بروز فئات اجتماعية جديدة، تؤمن بضرورة الحوار عوض السلطة التي سادت في إطار العائلة البطريركية، التي كانت تمثل فيها سلطة الأب السلطة العليا في القرارات. وتراجع هذه السلطة أدى إلى ظهور أنواع حديثة في أساليب التعامل والتربية. إن الأسرة المعاصرة، أسرة تؤسس مقوماتها التربوية بناء على مرجعيات متعددة: نفسية وثقافية وتكنولوجية، كما تؤسس لثقافة الفردانية والاستقلالية الذاتية للأفراد وبناء خصوصياتهم في إطار شبكة متواصلة من العلاقات الاجتماعية. فما أسلوب التربية الذي ينهجه أرباب الأسر مع أبناءهم؟

جدول رقم(63): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب أسلوب التربية

أسلوب التربية	الصرامة والسلطة	الحوار والتفاهم	ترك الحرية للأطفال	آخر	بدون جواب
التكرار	46	318	40	2	80
%	9,5	65,4	8,2	0,4	16,5

مبيان رقم(21): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب أسلوب التربية المتبع.



المصدر: البحث الميداني، سلا، صيف 2011.

نستنتج إذن:

- إن الحوار والتفاهم هو أسلوب التربية الذي تتجهه نسبة 65.4 % من أرباب الأسر المبحوثة، يتميز أسلوب الحوار بمنح الحق للأبناء في إبداء الرأي والتعود على المشاركة وتبادل النقاش مع باقي أعضاء العائلة. إن اختيار أسلوب الحوار جاء كبديل عن أسلوب السلطة والصرامة الذي ميز العلاقات في الأسرة التقليدية الأبوية، التي كانت تتأسس على الرأي الواحد وسلطة الأب، وغياب كل دور للأبناء أو الزوجة وهو ما عبرت عنه 9.5 % من مجموع الأسر المبحوثة.

- تترك نسبة 8.2 % من الأسر الحرية لأطفالها وتمنحهم ثقتها كمسؤولين عن تصرفاتهم وسلوكياتهم وذواتهم. وهي من الطرق الحديثة المعتمدة في بناء شخصية الطفل النفسية. فيما تتجه نسبة 0.4 % من عينة البحث أساليب أخرى في التربية.

- تختلف الأسر في أساليب تربية الطفل، تبعاً للمستويات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية المختلفة. هذه الاختلافات لا تتوقف في مجال تربية الطفل، ولكن أيضاً في مناهج التأديب، وفي طرق إظهار العواطف، وفي طريقة ترتيب اللعب، وفي الطرق التي تحدث بها الأمهات أطفالهن، بالإضافة إلى طموحات الآباء في مستقبل أبنائهم. ويبدو أن هذه المتغيرات لا تعمل بصورة مباشرة، وإنما تؤدي إلى نمو الاختلافات القيمة التي تكون حافزاً مباشراً للسلوك.¹

- من هذه الجماعات من يطبق الطرق التقليدية القائمة على السيطرة واستعمال وسائل قمعية في التأديب منها: الضرب، والإرهاب والتخويف.

- وهناك أسر تتجه الطرق الحديثة في التربية التي تقوم في الأساس على الديمقراطية والحب والإقناع والنصيحة والخبرة، بدلاً من أسلوب العقاب والتهديد.

- وهناك أسر تطبق أسلوب التربية، الذي يترك الحرية للأطفال، لأن إتباع هذا الأسلوب ينتج أطفال قادرين على الاستقلالية وأكثر شعوراً بتحمل المسؤولية تجاه ذواتهم.

¹ سناء الخولي: مرجع سابق، ص. 191.

- إن الأساليب التربوية التقليدية التي كانت تعتمد على سلطة الفرد الواحد في إطار الأسرة الممتدة، تترك المجال مفتوحا أمام أساليب حديثة تعتمد الحوار والتفاهم والحرية في التعامل مع الأبناء. وهذا يشير إلى التحول الذي أصبح يمس شرائح متعددة من المجتمع المغربي، هذا المجتمع الذي أصبح يفتح على التعليم والتقنيات الجديدة والآخر. هذه العوامل ستسهم في بروز تحولات في الحياة الأسرية، وستشهد الأسرة المغربية المعاصرة وضعيات جديدة تتجسد مثلا في أساليب التربية الحديثة.

- وضح البحث الميداني الذي أجري في حي القبة أن أكثر أرباب أسر العينة 46.66% يستعملون أسلوب التشجيع في تربية أطفالهم، وتستخدم نسبة 21.33 في المائة أسلوب الشدة في التربية.

- وهناك 4.33 في المائة من أرباب أسر العينة يتعاطفون مع أولادهم فيستخدمون أسلوب الغنج والدلال، ويلاحظ أن 2.66 في المائة يتركون الطفل بلا توجيه أو توبيخ.¹

¹ عبد القادر، القصير: مرجع سبق ذكره، ص. 196.

المحور الثالث : وضعية المرأة المهاجرة بمدينة سلا وضواحيها:

- عمل المرأة:

لقد أدى التصور الاجتماعي للمرأة بالوسط القروي إلى خلق صعوبات عديدة تعرقل مسيرتها، وتزيد من تأزم وضعيتها الاقتصادية. تتمثل هذه الصعوبات في انتشار الأمية، وانخفاض المستوى التعليمي، انخفاض الدخل وفي أحيان كثيرة انعدامه أمام تنامي الاحتياجات وصعوبة تحقيقها، إضافة إلى النظرة الاجتماعية لدور المرأة التي لا زالت تتم عن الدونية وعدم تكافؤ الفرص في الملكية والعمل المأجور.

بدون شك يطرح الزواج آثار على المرأة والرجل في الميدان المهني، وفي المشاركة السياسية والنقابية والجمعية واتخاذ القرارات العامة، بفعل المسؤوليات الأسرية للمرأة تواجه صعوبات لضمان قيمة كفاءتها العلمية والعملية، كما أن الأطفال وواجبات تربيتهم يفرض على المرأة التوفيق بين العمل المنزلي ومهنتها. إن عمل المرأة المأجور يسهم في تغيير الذهنيات التي تسجن وجود المرأة في المجال الأسري، ومن تم ولتقوية وضعيتها الاجتماعية والاقتصادية يفرض عليها تغييرا في حجم الروابط الزوجية.¹

إن عمل النساء هو قبل كل شيء رد فعل لتلاشي العلاقات التضامنية داخل العائلة، ورد فعل لانعدام قدرة الآباء أو الإخوة في حالة العزوبة أو الترميل أو الطلاق على كسب عيش نساء العائلة. إن عمل النساء بالمغرب ليس ظاهرة تقدم أو تطور إيجابي، إن عمل النساء ليس نتاجا عن تكوينهم وتعليمهم وتأهيلهم لمواجهة السوق. إن عمل أغلبية النساء رد فعل لضرورة كسب العيش داخل عائلات يعمها التفكك وعدم الاستقرار، فجل النساء العاملات أميات لا يتوفرن على التكوين الملائم للاندماج في القطاع العصري. جل النساء العاملات محتشدات في القطاعات المهمشة البخسة الربح، والقليلة المردودية، كالفلاحة والصناعة التقليدية والخدمات المنزلية.²

¹Mokhtar, El Harras. Ibid. P. 120.

²فاطمة، المرنيسي(1978)، مرجع سبق ذكره، ص. 180.

إن دور المرأة ومساواتها في عمق الحياة الزوجية سيكون له أثر فعال على التفاعلات الأسرية على المستويات الاقتصادية والثقافية والسياسية والاجتماعية، بحيث تختفي الوظائف التقليدية للأسرة سواء الاقتصادية أو الحمايية أو التربوية والدينية لتحل محلها وظائف فعالة ومؤثرة وهي بروز المرأة كعنصر أساسي في الأسرة. تشارك المرأة اليوم في الصناعة وعالم الشغل، وحلت أنشطتها الاقتصادية محل النشاط المنزلي. لقد ربحت المرأة حقوقها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والتربوية، ولم يعد واجبها هو الخضوع للزوج كما نجد في الأسرة التقليدية.¹

• يرفض أرباب الأسر المهاجرة عمل المرأة المأجور.

إن دخول المرأة ميدان العمل ومشاركتها في المصاريف المادية الأسرية، قد شكل نقطة تحول كان لها تأثير على التحويلات التي مست أيضا حاجيات الأسر، التي لم تكن نفسها بالنسبة لأسرة ما بعد- الاستقلال مباشرة، كما تنامي وعي النساء بحضورهن ودورهن في الأسرة والمجتمع.²

إن دخول المرأة سوق العمل يعتبر عاملا مهما في تغير البنية الأسرية. ويرجع الكثير هذا التغير إلى مجموعة من الدوافع الرئيسية منها غلاء المعيشة ولوازم الحياة الضرورية وكذلك بدافع القهر والإجبار، إذ وجدت بعض الفئات النسوية أنفسهن مضطرات للعمل. إن الدافع الرئيسي لعمل المرأة يتمثل في الجانب الروحي، فالعمل بالنسبة لها ليس اندماجا ماديا فقط، بل اندماج روحي في المجتمع.³

تختلف الدوافع الكامنة وراء خروج المرأة للعمل من امرأة إلى أخرى، ومن بيئة ثقافية لأخرى. ثمة دوافع وعوامل اقتصادية، واجتماعية، وثقافية مختلفة. وقد يكون الدافع الأساسي للغالبية العظمى من النساء هو الدافع الاقتصادي، فعملها يسهم في تحسين دخل الأسرة، وقدرتها على إعالة ذاتها وأبناءها إلى جانب الزوج والمساهمة في الإنفاق وفي صنع القرار الأسري. إضافة إلى ما يحمله العمل من فائدة معنوية بزيادة وعي المرأة

¹De Singly, François. Ibid. P. 64.

²Rahma, Bourqia. "Les Mutations de la Famille" : Entretien Publié au Journal Aujourd'hui le Maroc, le 28 octobre 2003.

³رشيد، بومعالي: مرجع سبق ذكره، ص. 63.

المجرة والتحصن والتحويلات الأسرية

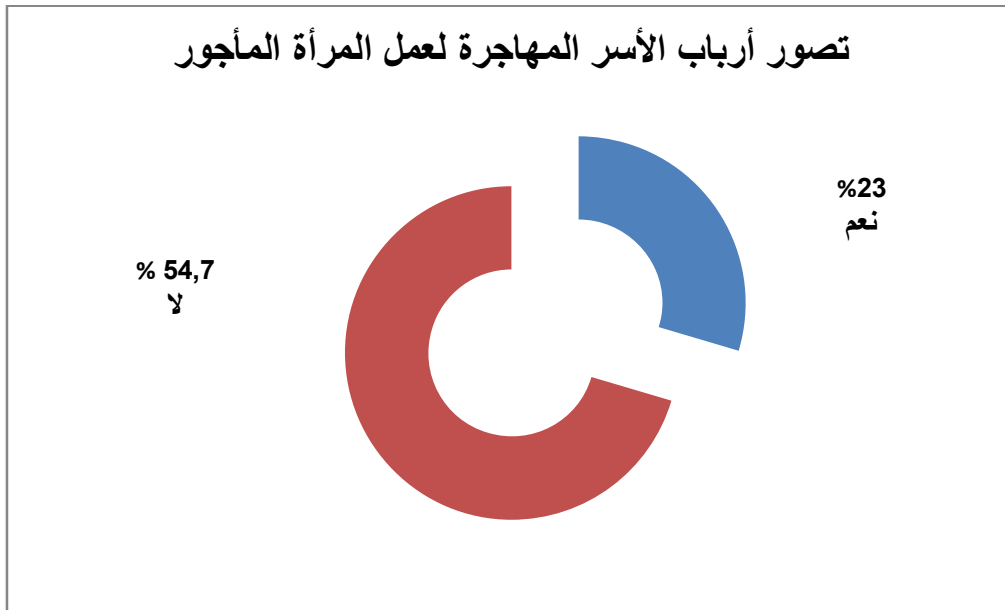
وتوسيع دائرة إطلاعها وثقافتها ومعارفها، وتنمية وعيها بأهميتها من خلال استقلالها الاقتصادي ومكانتها الاجتماعية وأهمية دورها كفرد فاعل ومنتج في المجتمع¹.

هذه الأسباب دفعتنا للتساؤل عن تصور أرباب الأسر المهاجرة لعمل المرأة خارج البيت، ومدى قبوله كوضع جديد في تقاليد الأسر القروية المهاجرة، هل العمل النسائي له أهمية كبيرة لدى الأسر المدروسة؟

جدول رقم (64): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب الموقف من عمل المرأة خارج البيت

عمل المرأة	التكرار	النسبة المئوية %
نعم	112	23.0
لا	266	54.7
بدون جواب	144	22,2
المجموع	486	100.0

مبيان رقم (22): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب تصورهم لعمل المرأة.



المصدر: البحث الميداني، صيف 2011، سلا

¹ جهاد، نياح الناقلولا: "الأثار الناجمة عن خروج المرأة السورية للعمل، دراسة ميدانية لواقع مشكلات النساء المتزوجات العاملات في مدينة دمشق"، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2011، ص. 12.

- يشكل عمل المرأة، إحدى المتغيرات الأساسية في التحول الذي تعرفه الأسرة المغربية عموماً، والأسرة في وضعية الهجرة بشكل خاص. غير أن هذا المؤشر يتأرجح بين القبول والرفض بناء على الانتماء السوسيو- ثقافي للأسر والوضع الاقتصادي، وهذا ما عبرت عنه نتائج الجدول الخاص بعمل المرأة خارج البيت، إذ تنظر نسبة 54.7% لعمل المرأة بعين الرفض. فعمل المرأة خارج البيت يعتبر بالنسبة لمعظم الأسر المبحوثة ثانوياً، كما أن المجتمع القروي يضع المرأة في أدوار تقليدية، ضروري أن تخضع لها كما تخضع لسلطة التفكير الذكورية السائدة في المجتمع، وهي تربية الأبناء والعمل داخل المنزل.

- يرفض العديد من المهاجرين القرويين عمل المرأة المأجور، حتى وإن كانت تتوفر على تعليم عال، "وفي نفس الوقت ينظر إلى عمل المرأة المنزلي في التصورات الثقافية والاجتماعية المتحكمة في سلوك الأفراد وممارساتهم، كعمل ثانوي بالمقارنة مع عمل الرجل في المجال العمومي، وأبعد من ذلك، حتى عندما يتم عمل المرأة في المجال العمومي، فإنه يعتبر مع ذلك ثانوياً بالمقارنة مع عمل الرجل، ليس فقط من وجهة نظر الرجل، بل بالنسبة للمرأة نفسها".¹

- لا ينظر إلى عمل المرأة المأجور باعتباره عملاً وإنما أحد الوظائف الطبيعية للمرأة. وتقبل 23.0% عمل المرأة خارج البيت، هناك تغير في تصور المهاجرين للمرأة وعملها. فأصبح من حق المرأة أن تتعلم وتعمل كقوة منتجة في المجتمع وكفاعلة أساسية فيه، يمكن استثمار إمكاناتها العلمية والثقافية إلى جانب الرجل.

نستخلص أن عمل المرأة:

- يكسبها قدراً من السلطة داخل الأسرة نتيجة دخولها مجال العمل المأجور وبداية استقلالها الاقتصادي.

- إشرافها على شؤون البيت والمشاركة في اتخاذ القرارات الأسرية.²

¹ المختار، الهراس: مرجع سابق، ص. 6.

² -Mokhtar, El Harras. Ibid. P. 117.

- لا يزال يشكل عمل المرأة في تمثل المهاجرين القرويين ابتعادا عن تقاليد المجتمع الذي تعود عمل الرجل خارج البيت، ووظيفة المرأة ودورها يتحدد في العمل المنزلي الذي يدخل ضمن مجموعة من الأعمال التي يتم إدراجها كعمل داخلي، على الرغم من أن عدة قرى بالمغرب تقوم المرأة فيها بأعمال فلاحية مماثلة لتلك التي يقوم بها الرجل (كزرع الأرض والاهتمام بها، جلب الحطب والماء من مسافات بعيدة)، لكن لا يتم الاعتراف بهذا النوع من العمل، بل يتم اعتباره عملا يندرج ضمن الأعمال المنزلية، من تربية الأبناء والسهر على راحة أعضاء الأسرة بما فيها الزوج وآبائه وإخوته.

- يجعل المجتمع القروي التقليدي من أدوار المرأة ترسيخ القيم الاجتماعية والأسرية للأطفال والحفاظ على استمرارية العلاقات القرابية والاجتماعية، وإن كانت معظم النساء القرويات تعانين من الأمية والإهمال وهدر طاقتهن الإنتاجية وحقوقها.

- يؤيد 23% عمل المرأة في المجال العام، ويمكننا القول من خلال ذلك أن العمل المنزلي أصبح متقاسما بين الزوجين، وبما أن الأسر المهاجرة تنتمي إلى ثقافة تطبعها الأدوار التقليدية، فليس من السهل أو العفوية المرور إلى حياة زوجية حيث الزوجين يعملان خارج البيت ويتقاسمان العمل. وأمام ضغوطات الحياة اليومية والمقتضيات الثقافية التي أصبحوا حاملين لها سيضطرون لمقاومة السلوكات التقليدية كتقسيم العمل بين الجنسين والفضاء الاجتماعي العام الذي يتغير ببطء¹.

- إن عمل المرأة كعنصر مؤثر على الزواج يرتبط بموقف الزوج وموافقته على عمل زوجته، حيث قسم الباحث الأزواج إلى ثلاثة مجموعات²:

- المجموعة الأولى: اثنان وثلاثون من الأزواج والزوجات، حيث لا يوافق الأزواج على اشتغال زوجاتهم اللاتي يعملن بالفعل.
- المجموعة الثانية: ثلاثة وأربعون من الأزواج فيها يوافق الزوج على اشتغال زوجته التي تشتغل بالفعل.
- المجموعة الثالثة: تسعة وخمسون من الأزواج وفيها الزوجة لا تعمل خارج البيت.

¹ Mokhtar, El Harras. Ibid. P. 117.

² محمد أحمد، النابلسي: "الدور الاجتماعي للمرأة في بيئة العمل، الإشكاليات والمعوقات"، الموقع الإلكتروني للدكتور النابلسي.

▪ تساعد الزوجات العاملات في المصاريف الأسرية:

إن المشاركة الاقتصادية للمرأة من خلال العمل، يعتبر ظاهرة من ظواهر التغيير والتحول العميق الذي عرفه المغرب المعاصر. إنها حقيقة موضوعية كما تبدو في الظاهر ولكنها أكثر تعقيدا على مستوى المعيش والدراسة.

إن المرأة تعمل دائما، لقد امتهنت أنشطة غير مأجورة وغير معترف بها اقتصاديا، هذه الأنشطة تتعلق بالعمل المنزلي، لكنه على الرغم من ذلك ساعد في تغذية المصروف الأسري. لقد شاركت المرأة في عملية الإنتاج الاقتصادي كقوة عاملة حية ونشيطة، ومع التصنيع والتحصن والتمدرس التي مست الأسرة في وظيفتها الإنتاجية والتربوية وتحولت إلى وظيفة استهلاكية.

إن العمل عموما مصدر غنى وأساس الحياة الاجتماعية، يسمح للفرد بالاستقلالية والكرامة ويفتح الأبواب أمام المعرفة والمعلومة، كما يدمج الفرد في عالم الإنتاج والانتماء للهوية الجماعية.¹

إن مشاركة المرأة الرجل في تحمل أعباء الحياة والمصاريف الخاصة بالأسرة كان من شأنه أن يرفع من قيمة المرأة وأصبحت تشارك في القرارات وفي تسيير الشؤون المنزلية، أي أصبح للمرأة مكانة وسلطة أكبر داخل أسرتها مقارنة بما كانت عليه في الماضي، حيث لم يكن لرأيها أية أهمية، كما صرحت بذلك النساء المهاجرات.

جدول رقم (65): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب مشاركة زوجاتهم العاملات في مصروف البيت

النسبة المئوية %	التكرار	المساعدة في مصروف البيت
22.2	108	نعم
2.1	10	لا
75,7	368	بدون جواب
100.0	486	المجموع

المصدر: البحث الميداني، صيف 2011، سلا

¹Belarbi, Aicha. Le Salaire de Madame. Edition le Fenec, Casablanca, 1993.

- إن ثلث العينة من النساء في وضع يتميز بتحمل مسؤوليات البيت، بمعنى تحمل المسؤولية في الأنشطة الاستهلاكية، ومنهن من تقوم علاوة على ذلك بوظيفة ما.
- تساعد الزوجات العاملات خارج البيت أزواجهن في مصاريف الحياة الزوجية والأسرية، ويتقاسمن مع أزواجهن مسؤولية الإنفاق ورعاية الأبناء من تعليم وصحة وغيرها. عبرت نسبة 22.2% من الزوجات عن مشاركتهن إلى جانب أزواجهن في نفقات البيت، فيما ترفض نسبة 2.1% من الزوجات العاملات خارج البيت عدم مشاركة الزوج في أعباء الأسرة المادية، لأن دخلهن يخصص لمتطلباتهن الشخصية، أو لأن أسرهن ميسورة من الناحية المادية وليست في حاجة لدعمهن المادي.
- هناك نوع من تطور الوعي لدى الأسر في وضعية الهجرة، بأهمية عمل المرأة ومساهمتها الفعالة إلى جانب شريكها الرجل فيما يخص الدعم الاقتصادي للأسرة، كما تؤكد مشاركتها الاقتصادية والإنتاجية حتى لا تظل في موقف المستهلكة فقط.
- إن عمل المرأة خارج البيت يساعدها على التحرر من التبعية والنظرة التي تضعها في خانة الوظائف التقليدية، إلى تعزيز دورها بالانفتاح على العالم الخارجي بكل أبعاده الثقافية والاقتصادية. كما تؤكد النتائج الميدانية تراجع النظرة الجنسية للمرأة وتدفع بها إلى أكثر من ذلك كمسؤولة أمام ذاتها واستقلاليتها من جهة، والمجتمع بقيمه ونماذجه السوسيو- ثقافية من جهة أخرى.
- إن عمل المرأة ساعدها على المساهمة برصيد مادي في بناء عش الزوجية، والمشاركة في الإنفاق على شؤون الأسرة، إنفاق يدعم لديها الشعور بنوع من الاستقلالية وإثبات الذات، والمشاركة في القرارات المتعلقة بشؤون الأسرة.¹
- من القراءات السابقة للنتائج المعبر عنها من طرف المبحوثين، تحولاً ملموساً في نظرة المهاجرين القرويين لتعليم المرأة وعملها، بل أكثر من ذلك تحول في تمثل سن الزواج المسموح به للفتاة.

¹عائشة، التاج: مرجع سابق، ص. 91.

- لقد أصبحت الأسر المهاجرة على يقين أن الفتاة يمكنها أن تتلقى تعليماً مثل الابن من حيث المدة والمستويات. رغم الصعوبات التي تطرح أمام تعليم الفتاة ومتابعتها لدراستها خصوصاً إذا كانت المسافة بعيدة بين المدرسة والبيت، بل أصبحت الفتيات أكثر تفوقاً واهتماماً بالدراسة من الأبناء الذكور.

- وتقدم المقاربات المعاصرة كمقاربة النوع، تصوراً جديداً للمرأة من حيث هي ذات منتجة وفاعلة إلى جانب الرجل، فالمهم هو ما ينتجه كل فاعل داخل المجتمع وليس التمييز الجنسي بين الأفراد، وبالتالي تراجع النظرة التقليدية للمرأة.

المحور الرابع: تحولات في بنية الأسرة المهاجرة:

تقديم:

يستخدم مصطلح الأسرة النووية وكذلك مصطلح الأسرة الزوجية، للإشارة إلى الأسرة المكونة من الزوج والزوجة وأطفالهما المباشرين غير المتزوجين، والفرق الوحيد بينهما أن الأسرة النووية يمكن أن يقيم مع أفرادها أحد الأقارب، مثل الأخت أو الأخ أو أحد الوالدين، أما الأسرة الزوجية فهي مقتصرة على الزوجين وأطفالهما فقط.

والأسرة النووية أو الزوجية تعرف كوحدة، تبدأ بمراسيم الزواج وتستمر خلال الحياة، وتكون العلاقات الجنسية قاصرة على الزوجين، ويركز الاعتماد الاقتصادي داخل الأسرة النووية وليس على أي من الأقارب، فهي من الناحية الاقتصادية تعتمد على دخل الزوج من عمله، وربما أيضا على مرتب الزوجة، كما تظهر بوضوح دلائل المحبة والعواطف الصادقة والخالصة بيت الآباء والأبناء وبين الإخوة، ولهذا فالأسرة النووية في كل مجتمع تلعب دورا هاما وأساسيا، أما الأسرة الممتدة فهي تتكون من تجمعات للأسر النووية ويطلق عليها إسم "الأسرة الدموية" أو "الأسرة المتصلة". إن شكل الأسرة الممتدة هو الذي كان شائعا في الماضي في معظم المجتمعات، ومن الزراعة إلى الصناعة انهارت روابط الأسرة الممتدة وتناقصت أهميتها.¹

إن عمليات التنمية الاقتصادية والاجتماعية بما يصاحبها من انتشار التعليم، والتصنيع، والتحضّر، قد غيرت تركيب الأسرة تغيرا لا يمكن تجاهله. ويمكن تلخيص التحوّلات العميقة لأسرة القرن الواحد والعشرين، في بروز عدة مظاهر حياتية جديدة، كتقلص حجم الأسر، واللاتعايش بين الأجيال، وتضاعف نسب الطلاق، وطول مدة الدراسة.²

¹ سناء، الخولي: مرجع سبق ذكره، ص. 66.

² Jonas, Nicolas. La Famille, Editions Bréal, 2007. P. 7 et 8 _ 15.

- تمثل الأسرة النووية البنية الأكثر أهمية بين الأسر المهاجرة:

إن التغير الحاصل في تركيب الأسرة يتجلى في النواحي التالية:

- أن الأسرة الحديثة الآن هي أسرة في حالة تحول مستمر من أسرة ممتدة إلى أسرة نووية أو زوجية، وهناك مجموعة من العوامل التي تقف وراء هذا التحول، وفي مقدمتها تعقد الحياة الاجتماعية والاقتصادية، وضعية العمل وخاصة العمل الصناعي، وظهور المسؤولية الفردية، ونمو حركة التعليم، وخروج المرأة للعمل، ونمو الاتجاهات الفردية، وظهور العلاقات الرسمية والتعاقدية واتساع نطاق المنافسة. هذه العوامل تتفق مع طبيعة الأسرة النووية وأيديولوجيتها.

- تزايد حرية الفرد في انتقاء شريك حياته خاصة بين الإناث، وهي ظاهرة لم تكن موجودة من قبل، وشيوع أسلوب الزواج الخارجي.

- ارتفاع سن الزواج عند الجنسين نتيجة التحاق الذكور والإناث بمختلف المراحل التعليمية، وبروز مشاعر الحب والتعاطف بين الشباب، وتطور الحياة الاجتماعية والاقتصادية.

- أدى التحول الذي حدث في بناء الأسرة إلى تحرر الشباب من كثير من الضوابط، والضغوط التقليدية. فالشباب الذي تتاح له فرصة متقدمة من التعليم، ودرجة من الاستقلال الاقتصادي نتيجة حصوله على دخل ثابت من عمله، وعلى مركز اجتماعي، هذا الشاب يصبح بلا شك أكثر تحرراً واستقلالاً عن أسرته بالمقارنة مع الشاب القروي الذي نشأ في ظل الأسرة الممتدة.¹

- إن نموذج الأسرة النووية كما يؤكد "أندري بيير غيبير"²، قد وجد في التاريخ الأسري للشعوب خاصة لدى القرويين، لكنها تتعايش مع نماذج أخرى كالأسرة الأولية والممتدة وغيرها. كما تؤكد حضارة الفراعنة واليونان في القرن السادس قبل الميلاد،

¹ عبد القادر، القصير: مرجع سبق ذكره، ص. 83 و 84.

²² Bernadette Bawin - Legros, avec la collaboration de Jean- François Stassen : Sociologie de la famille, le lien famlial sous question, De Boeck Université, Paris, 1996.

المجرة والتحضّر والتحوّلات الأسرية

حيث يوضح أرسطو في أعماله أن كلمة "لوكيوس" أو "ويكا" تعني المنزل الذي يحتوي زوج وزوجته، أب وأبنائه، سيد وعبده. فباستثناء هذه الأخيرة يمكن أن نتحدث عن أسرة نووية كالتالي عرفها " المايا" والبابليين والتي تعرفها المجتمعات المعاصرة الأوربية.

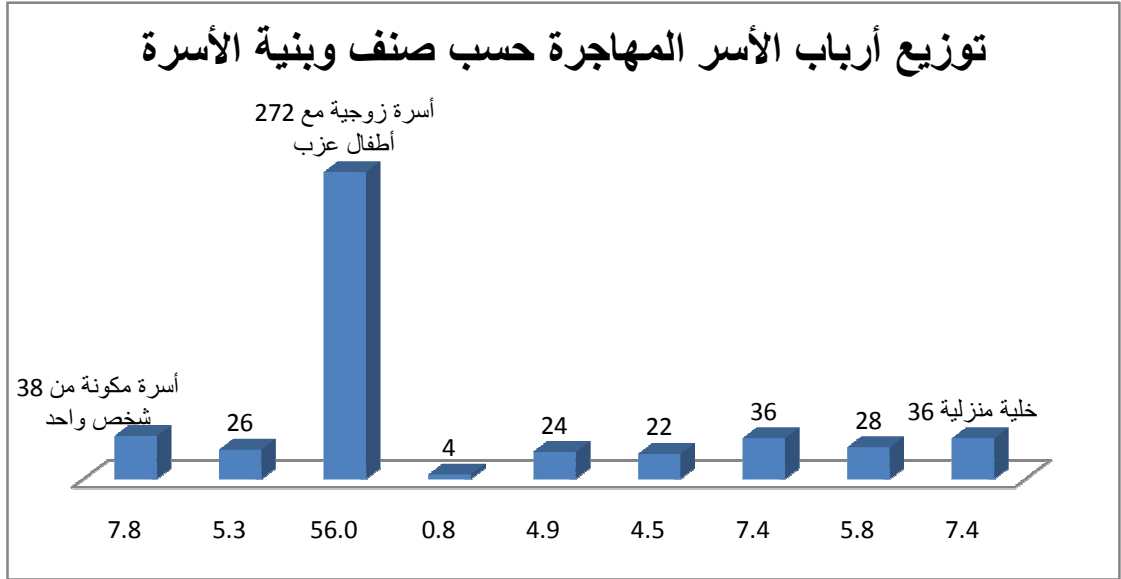
- يؤكد كل من " إميل دوركهايم وبارسونز"¹، أن النموذج الأسري " النووي" الذي يضم الزوجين والأطفال هو خاص فقط بالمجتمعات المعاصرة المتحضرة والصناعية، كما أننا لا نتحدث عن نموذج واحد اليوم، بل نجد الأسرة أحادية الزواج، الأسرة المركبة التي تتكون من زوجين يجمعهما رباط الزوجية أو يتعايشون معا بدون رباط، بالإضافة إلى المثليين، والإخوة والأخوات من تعدد الفراش، أو الأطفال المتبنين حيث القرابة البيولوجية لا علاقة لها بالقرابة المنزلية.

جدول رقم (66): توزيع أرياب الأسر المهاجرة حسب صنف وبنية الأسرة

النسبة المئوية %	التكرار	أصناف الأسر
7.8	38	أسرة مكونة من شخص واحد
5.3	26	أسرة زوجية بدون أطفال
56.0	272	أسرة زوجية+ أطفال عزب
0.8	4	أسرة أحادية (أب وأطفال)
4.9	24	أسرة أحادية (أم وأطفال)
4.5	22	أسرة مركبة (على الأقل وجود أحد أبوي الزوجين+ أطفال متزوجين)
7.4	36	أسرة مركبة (آباء + أطفال متزوجين + أقارب)
5.8	28	أسرة مركبة (أسرة نووية + أقارب)
7.4	36	خلية منزلية
100.0	486	المجموع

¹ Ibid. P. 16.

مبيان رقم (23): توزيع أرباب الأسر حسب صنف وبنية الأسرة



المصدر: البحث الميداني، صيف 2011، سلا

- تحمل هذه النسب دلالة التغير الجوهري الذي عرفه المجتمع المغربي ككل في بنيته، والمجتمع السلاوي المحلي بالخصوص. فقد عرفت الأسرة كوحدة أساسية في المجتمع التقليدي تحولا في بنيتها (من العائلة الممتدة الى العائلة النووية).¹

1- الأسرة النووية:

- تمثل الأسرة النووية البنية الأكثر أهمية بين الأسر المهاجرة بنسبة 56.0%. تختلف العائلة النووية الموجودة في المغرب إلى حد بعيد عن العائلة النووية كما تعرفها المجتمعات الغربية. فالعائلة الغربية هي نتاج تعارف مسبق ثم بعد هذا التعارف يتم الزواج، في حين نلاحظ أن هذا التعارف قلما يتم في المجتمع المغربي ثم عندما يتم فإنه يعيش ضمن أجواء الخيانة والإحساس بالذنب، ويلاحظ أن العلاقة بين الأم والابن أقوى من العلاقة بين الإبن وزوجته. تعتمد العائلة النووية المغربية على العائلة الأصلية وعلى

¹ فضيلة، فاطمة دروش: "في سوسيولوجيا الاحتجاج، حالة الجزائر"، مجلة إضافات، العدد 22، السنة 2013، ص. 119.

القربانية، بمعنى أنها ليست مستقلة كما هو الشأن في الغرب (الزواج الداخلي العائلي)، بحيث تعود إلى هذه العائلة في حالة الأزمات، كما يتم اختيار السكن بجوار وبالقرب من العائلة الأصلية لضمان تبادل الزيارات والتضامن.¹

• تخضع الأسرة النووية لتأثير التحويلات الاقتصادية والاجتماعية التي يعرفها المجتمع، أي أنها في ارتباط قوي بالمتغيرة الاقتصادية والاجتماعية، وبما أن الأسرة تخضع، كذلك، للتغيرات الطبيعية والاجتماعية، كالموت والطلاق والهجرة، فإنه قد ظهرت أشكال أسرية متعددة، من قبيل الأسرة الأحادية الأبوين، والتي تمثل تقلصا بنسبة 5.7%. لعل ديناميات التغير في ازدياد مستمر، خاصة بعد الانتشار الهائل لوسائل الإعلام والت مدرس وتزايد المؤثرات الاقتصادية التي قلصت دور الملكية، وبالتالي غياب علاقات الإنتاج وإعادة الإنتاج التي كانت تؤسس للأسرة الممتدة.

• تمتاز الأسرة الحضرية في الغالب بأنها أسرة نووية، وهي التي تتكون من الزوج والزوجة والأبناء. ومن النادر أن توجد أسرة ممتدة أو أسرة مركبة، كما هو الحال في المناطق القروية، إلا أننا نجد بعض المدن توجد بها أسر ممتدة أو أسر مركبة، وهذا يرجع لبعض الاعتبارات الدينية والثقافية، كما تمتاز الأسرة الحضرية بصغر الحجم وقلة عدد الأطفال مقارنة بالأسرة القروية.²

• تنتمي بنية الأسر المهاجرة، إلى صنف الأسرة الزوجية بأطفال عزب، ويمكن القول أنها تتكون من أسر نووية، بحيث يهاجر الزوج بمفرده، وعندما يجد العمل ويستقر يستدعي زوجته وأبنائه، أو إذا كان المهاجر يتابع تعليمه فيمكنه أن يتزوج من فتاة حضرية.

¹ المختار، الهراس: نفس المرجع، ص. 46-49.

² De Singly, François. Ibid. P. 5-16.

2- الأسرة الممتدة:

بالمقابل تمثل الأسرة الممتدة نسبة 4.5 % من مجموع الأسر المهاجرة. تؤشر هذه النسبة على التحول الملموس في بنية الأسرة المهاجرة، واندماج المهاجرين في نمط الحياة الحضرية وسلوكياتها.

اتخذت العائلة الممتدة حاليا صيغا وأشكالا جديدة، حيث أصبحت نتاج لنتامي سكان المدن بفعل الهجرة والتزايد الطبيعي للسكان، مما أدى إلى تكديس واتساع حجم العائلات داخل منزل معين. فإذا كانت الهجرة والتمدد في المجتمعات الغربية قد أدت إلى تشكيل العائلة النووية، فإنها شكلت إلى جانب العائلة النووية في مجتمعنا ظهور عائلة ممتدة من نوع جديد، لأنه دائما أسهل بالنسبة لأعضائها أن يؤدوا كراء واحدا ومصاريف مائدة واحدة. سابقا كان الفرد يولد ويجد نفسه وسط عائلة ممتدة، بينما حاليا نلاحظ أن الفرد يختار أن يعيش في أحضان عائلة ممتدة، أي أن العائلة الممتدة أصبحت نتاجا لإنفاق متفاوض بشأنه، بين أفراد مستقلين نسبيا.¹

3- الأسرة المركبة:

تمثل الأسرة المركبة 13.2 % من الأسر المبحوثة. هذا الشكل من الأسرة يقول "دورثي" ليس حديث العهد، بحيث نجده حاضرا في التاريخ، حيث ستعرف سلطة الأب تراجعاً كبيراً إلى حد القول بفناء هذه السلطة، وهي السمة المميزة للأسرة المعاصرة، في الوقت الذي كانت فيه مبدأ أساسياً في التصور المثالي للأسرة التقليدية.²

تشكل الأسر المركبة الحضرية وحدة استهلاك وليست بناء إنتاجياً، عائدات أعضائها تأتي من موارد متعددة وليس من عمل في إطار ملكية مشتركة. انها في غالب الحالات تتكفل ولو بشكل مؤقت بالعناية بكبار السن، والمرضى، والأشخاص الذين هم في حالة هشاشة أو بطالة.³

¹ المختار، الهراس: نفس المرجع.

² Ibid. P. 16.

³ Mokhtar, El Harras. Op. Cit. P. 121.

4- الأسرة الأحادية:

لقد عرف المجتمع المغربي عددا من التحويلات الديموغرافية والاقتصادية والاجتماعية العميقة والواسعة النطاق، ومن مظاهر هذه التحويلات ظهور بنيات تنظيمية جديدة وعلاقات اجتماعية مخالفة للعلائق التقليدية التي سادت في السابق. في خضم هذه التحويلات نجد الأسر التي ترأسها نساء وانعكاساتها على النسق الأسري.

5- أسر ترأسها نساء:

إن ظاهرة الأسر التي ترأسها نساء تعرف تزايدا مهما في المجتمع المغربي، إذ أن هذا النمط الأسري لم يكن واضحا في المجتمع المغربي بفعل الاستراتيجيات التي كانت تلجأ إليها الأسر. فالأرملة كان يتم احتضانها من طرف أسرة الزوج خصوصا التي تتوفر على أطفال، وذلك بإعادة تزويجها لأخ الزوج لأن الأمر هنا يتعلق بعرض وشرف العائلة، كما أن حالات الطلاق كانت نادرة بفعل تدخل العائلة في فض النزاعات بين الزوجين والسهر على استمرارية العائلة ووحدتها.

تعاني الأسر التي ترأسها نساء من هشاشة أوضاعها مقارنة مع الأسر التي يعولها الرجال بفعل اختلافها النوعي عن الصورة النمطية للأسرة تحت إدارة الرجل، وهؤلاء النساء في غالب الأحيان تعانين من الأمية والفقر والهشاشة. يأتي الترميل في مقدمة الشروط والأسباب التي تلزم النساء بمسؤولية تدبير شؤون الأسرة وتحمل أعباء الحياة الأسرية، كما يسهم الطلاق وعجز الزوج أحيانا في ظهور هذا النوع الأسري.

• أسر ترأسها نساء من خلال الأرقام:

بلغ عدد الأسر التي ترأسها النساء المغربيات 1.321 مليون في عام 2010 بقدر 19.1 بالمائة من إجمالي عدد الأسر.¹ لقد أشارت المندوبية السامية للتخطيط بأن الأسر التي ترأسها النساء بلغ في 2010 نحو 20.8 بالمائة في المنطقة الحضرية و16.1 في المنطقة القروية.

¹- المندوبية السامية للتخطيط، التي سعت إلى نشر مجموعة من البيانات الإحصائية عن تطور وضعية المرأة المغربية.

ويحدد نفس المصدر، أن ربات الأسر الأرامل في نفس السنة بلغ نسبة 55 بالمائة والمتزوجات 28.3 بالمائة والمطلقات نسبة 10.1 بالمائة والغير مرتبطات ب6.5 بالمائة. ونجد أن نسبة 20 بالمائة من الأسر المغربية ترأسها نساء وأكثر من ثلث الأسر المغربية تساهم النساء في إعالتهم، كما يشكلن 20 بالمائة في قطاع القضاء، وأكثر من الثلث في سلك المحاماة، و40 بالمائة من الأطباء، و30 بالمائة من الإعلاميات، إلى جانب حضورهن كنائبات في التعليم، ورئيسات مؤسسات اقتصادية كبرى ووزيرات وبرلمانيات.

هذه المعطيات تقدم تصورا جديدا لوضعية النساء المسؤولات عن أسرهن، نساء متعلقات ونشيطات فاعلات في المجتمع مستقلات اقتصاديا واجتماعيا، كما سمح لهن مستواهن التعليمي الذي تلقينه من إبراز كفاءاتهن العلمية والعملية واستبدال الصورة النمطية للمرأة كتابعة للرجل وغير قادرة على انتزاع هويتها الخاصة.

• أسر سلا من خلال الأرقام:

بلغ أرباب الأسر من الرجال المتزوجين بمدينة سلا 134909 بنسبة 80, 1 بالمائة، وأرباب الأسر من الرجال متزوجين + أطفال بلغ 105281 بنسبة 62, 5 بالمائة، وربات الأسر غير متزوجات بلغ 20112 بنسبة 11, 9 بالمائة، وربات الأسر + أطفال أقل من 18 سنة بلغن 6040 بنسبة 3, 6 بالمائة، شكلت نسبة النساء اللواتي يتراسن أسر بها أطفال 4.9%¹.

إن غياب الزوج هو ما يسمح في غالب الأحيان لهؤلاء النساء بتسيير شؤون الأسرة، معظم النساء هن من المطلقات أو الأرامل أو نساء هاجر أزواجهن إما داخل المغرب أو خارجه أو في حالة عجز الزوج. وتكون هؤلاء النساء في سن متقدمة في غالب الأحيان ومعظمهن غير متمدرسات ويزاولن مهنا أو مهاما هشة ذات دخل ضعيف وغير دائم، ومما يزيد من معاناة المرأة تحملها لمهام متعددة، بحيث تقوم وحدها بتدبير شؤون الأسرة في كل المجالات.

¹ - نفس المرجع.

6- دراسة الحالة:

■ دراسة لحالتين من أسر ترأسها نساء بمدينة سلا:

في دراستنا الميدانية بمدينة سلا، ومن خلال دراسة الحالة لأسر مهاجرة ترأسها نساء، نجد:

- الحالة الأولى:

الوضع الاجتماعي، السيدة (ن. ف) تبلغ من العمر أربعة وأربعون سنة، متزوجة وأم لطفلين في سن التمدرس، زوجها في حالة صحية متدهورة فقد تعرض منذ سنوات لشلل نصفي أقعده عن الحركة، لديه أبناء من الزوجة الأولى، ينتميان لإحدى قرى مدينة تازة ويستقران حاليا بسلا الجديدة. هاجرت رفقة زوجها من مدينة تازة إلى مدينة سلا هربا من النزاعات العائلية، وسلطة عائلة الزوج، لأنها كانت تتعرض للضرب والإهانة من طرف أخ الزوج، ووالدته، وتضيف أنها لم تشعر يوما "بمعنى الحياة الزوجية" ولا استقلاليتها مع زوجها.

وسألته إن كانت قد وجدت من يساعدها في بداية انتقالهم إلى المدينة، غير أنها نفت تلقيها للعون سواء من العائلة أو الأصدقاء المستقرين بالمدينة، فليست لديها عائلة مستقرة بالوسط الحضري.

الوضع الاقتصادي: قبل إصابة زوجها بالمرض، كان هو المسؤول عن نفقات الأسرة والأبناء، وبعد ملازمته للفرش بدأت تعمل كبائعة للخبز، تحضره في البيت وتبيع لأحد البقالين الذي أبدى مساعدته لها، وساهم في تطوير مهنتها وذلك بتسيير توزيع سلعتها على البقالين بمدينة سلا الجديدة. استطاعت السيدة أن تذخر مبلغا ماليا وحصلت على قرض من البنك ساعدها على اقتناء منزل ملك في العمارة، وأصبحت هي المسؤولة عن مسؤوليات البيت ومصاريفه.

يتلقى أبناؤها تعليمهم بالمدارس العمومية الموجودة في نفس الحي، في المرحلة الابتدائية، وقد أعربت السيدة على رغبتها في إتمام أبنائها تعليمهم حتى يمكنهم تحسين أوضاعهم المعيشية والثقافية.

■ التحول بعد الهجرة:

تصرح هذه السيدة أن حياتها تغيرت جذريا بعد هجرتها رفقة زوجها وأبناءهما، فأصبحت تتقاسم مع الزوج مختلف شؤون الحياة التي تتعلق بالأسرة، وتربية الأبناء تتكلف بها وحدها دون تدخل أي طرف من خارج الأسرة خصوصا بعد إصابة زوجها بالمرض. تقول السيدة: "رغم العجز الذي تعرض له زوجي بسبب حادثة شغل فقد نجحت في حياتي والحمد لله، فاستطعت الحصول على قرض من البنك لأشتري هذا المنزل الذي هو ملك خاص" وتضيف: "رغم ثقل المسؤولية التي تحملتها لوحدي، لكنني أعتز بما حقته، فأبنائي يتابعون دراستهم، وأعمل بجد، ولدي علاقات جيدة مع الناس والجيران والزبناء الذين أتعامل معهم".

"بدأت عملي كبائعة خبز، ثم بعد ثقة الناس والزبناء، نصحتني أحد البقالين بتزويده بالسلعة، وعرفني على تجار آخرين".

- الحالة الثانية: تهم سيدة في الخمسينات من عمرها، تستقر بمدينة سلا العتيقة أزيد من أربعين سنة، أرملة وأم لثلاثة أبناء في سن التمدرس، منقطعين حاليا عن الدراسة، يقومون بأعمال متعددة لمساعدة والدتهم.

ليس للسيدة مهنة أو عمل قار تعيش منه وتتقاسمه مع أبنائها، بل هي متعددة الأنشطة بين تحضير الحلوى وبيعها، وتقول السيدة أن الخوف على ابنتها هو ما دفعها لمنعها من الدراسة، ونظرا لغيابها المتكرر عن البيت للخدمة في المنازل أو مع ممولي الحفلات أو الموقف، أحيانا فإنها تتركها للقيام بالأعمال المنزلية.

تنتاب هذه السيدة عدة تخوفات على أبناءها الذكور خصوصا. فقد عبرت عن قلقها من انتشار المخدرات في صفوف الشباب والانحراف والجريمة. "أخاف كثيرا على أبنائي الذكور خصوصا من البلية أو التعرض لأخطار الليل لأنهم يعملون ولا يعودون إلى المنزل إلى في وقت متأخر من الليل بحكم العمل في الحراسة الليلية أو كنادل مع مموني الحفلات، وليست هناك أي ضمانات."

تكثر هذه السيدة رفقة أبناءها بيتا لا تتوفر فيه أدنى شروط العيش، بحيث يتكون البيت من غرفتين وبهو ضيق المساحة ومطبخ صغير جدا، وحمام لا تسع مساحته حتى لشخص واحد. كما أن بناء المنزل متآكل وتظهر الرطوبة في عموم جدران البيت، وصرحت لنا أن صاحب البيت يمتنع عن الإصلاح لأنه يطالبها في رفع أجره الكراء، أو الإفراغ. ونظرا لظروفها الاقتصادية الهشة فهي لا تستطيع القيام بهذه الإصلاحات.

مما تأسف له هذه السيدة أنها لم تستطع تأمين حياة لائقة لأبنائها رغم هجرتها بفترة طويلة إلى مدينة سلا، ووفاة زوجها، وتتألم لانقطاع أبنائها الثلاثة عن الدراسة، فابنتها الوحيدة تساعد في تحضير الحلويات وفي العمل المنزلي، بينما يعمل أبناؤها الذكور في أنشطة متعددة وغير قارة.

نستخلص من الحالتين، أن هجرتهم نتيجة مرافقة أزواجهن بحثا عن ظروف جديدة للاستقلال بحياتهم، وتحسين شروط حياتهم الاجتماعية. إن خروج السيدتين للعمل خارج البيت لم يكن اختيارا حرا، بقدر ما هو مواجهة واقع الحاجة الذي وجدن أنفسهن أمامه، كما أن الأعمال التي يقومون بها متواضعة لا تستجيب للحاجيات ومتطلبات الأبناء والأسرة المتزايدة والمتغيرة مع الأوضاع الحضرية الجديدة.

يمكننا القول أن هناك حالات من المهاجرين استطاعوا النجاح في الحياة الحضرية والاندماج وفق مقتضياتها وأوضاعها، كالحصول على عمل قار، أو متابعة التعليم والتفوق ثقافيا وبالتالي تحقيق نوع من الارتقاء الاجتماعي.

بينما تظل فئات أخرى غير قادرة على التكيف مع الوضع الحضري الجديد، لشعورها الدائم بالإحباط، أو لأن ظروفها المادية القاسية لم تسعفها على التغيير الذي كانت تطمح له، وبالتالي تحقيق أحلامها المنتظرة من الهجرة من الموطن الأصلي.

لهذه الأسباب قد تقطع بعض الأسر المهاجرة صلتها مع الموطن الأصلي، خوفا من نظرة الآخرين، أو لأنها تمتنع عن العودة والارتداد نحو الريف من جديد مهما كانت الظروف القاسية التي تواجههم في الوسط الحضري.

- تمثل المهاجرين للأسرة المغربية المعاصرة:

لقد ساهم في تحولات الأسرة المغربية الخدمات الإعلامية كالتلفزيون وشبكات الانترنت، وعض الآباء علاقات السلطة مع الأبناء إلى علاقات الثقة والصدقة والأخوة، وأصبح محور الفرد هو أسرته. غير أن هذه التحوّلات قد تؤثر سلبا على العلاقات بين الآباء والأبناء في غياب المراقبة والتتبع والاعتناء بتربيتهم ليكون للفرد الوعي بالحرية والالتزام في نفس الوقت.

إن تحولات الأسرة المغربية بدأت تمس بعض القيم والعادات التقليدية في الزواج مثلا، حيث أصبحنا نجد اختيار الزوجين لحياتهما المشتركة، والزواج خارج العائلة، لكن مع ذلك تحافظ الأسرة المعاصرة على روابط التواصل وتبادل الزيارات والتضامن والتسامح. "إن الأسرة المغربية تغيرت إلى الأحسن بحكم توفر الوسائل المادية والحياتية، وتربط بين أعضائها علاقات التشاور والتفاهم وطرح مشاكلهم للنقاش لإيجاد حلول مشتركة تقوي من عمق هذه العلاقات الاجتماعية" من شهادات المبحوثين، وإن عبر بعض المبحوثين عن طغيان الفردية والمصالح الشخصية على حساب المصلحة العامة للأسرة.

شهادات المبحوثين عن الأسرة: "الأسرة المغربية تغيرت، لم تعد الأسرة تضم الأعمام والأخوال، الجميع يهتم بنفسه (كلها داياها في راسوا)". "أصبحت الأسرة المغربية تتأسس على التشاور والتحاور بين أعضائها" هناك إجماع من المهاجرين المبحوثين على التحول الذي تعرفه الأسرة المغربية، فهي أسرة أصبحت تمتلك قدرة على التعايش وافتتاح أفرادها، وتؤسس لعلاقات جديدة بين أعضائها تنبني على الحوار والتشاور ومشاركة كل أفراد الأسرة في القرارات الأسرية".

نستخلص من هذه التصريحات:

_ أن الانتقال المكاني وتغيير الموطن الأصلي تكون له انعكاسات اجتماعية واقتصادية ونفسية على المهاجرين.

_ أن عملية نجاح واندماج هذه السيدة المهاجرة كان تدريجيا وعبر مراحل، وتطلب منها مجهودات وتضحيات نفسية وعملية.

خلاصة الفصل السادس: التحوّلات الأسرية بمدينة سلا وضواحيها.

تتفق مجموعة من الدراسات التي تناولت الأوضاع الاجتماعية في المغرب والعالم العربي ورصدت التحوّلات التي عرفت هذه الأوضاع خلال العصر الحديث. أن أبرز تغيير مس الكيان الاجتماعي في البلاد العربية، يتمثل في التحول من العائلة الممتدة كأساس للتركيبة الاجتماعية إلى الأسرة النووية وهي الأسرة التي تتكون من الزوجين وأطفال غير متزوجين. بمعنى أن الذي أصبح سائدا في تشكيلتنا الاجتماعية هو استقلال الزوجين في حياتهم عن العائلة التي كانت تتعايش فيها الأجيال.

إن الانتقال من العيش مع العائلة إلى استقلال الزوجين يعني تحولا في نمط العيش وفي علاقات الإنتاج داخل الأسرة وخارجها سواء في البادية أو المدينة. إن الكشف عن تجليات هذا التحول من خلال رصد أهم خصائص التغيير التي لحقت علاقات الأفراد من الجنسين، ترجع إلى ارتفاع معدل سن الزواج لدى الجنسين ارتفاعا واضحا خلال العشرية الأخيرة، وانخفاض في عدد الأطفال داخل الأسرة المغربية، وتحسن ظروف التعليم، وخروج المرأة للعمل، وتنامي الوعي الاجتماعي والاقتصادي، وارتفاع نسب الطلاق. لكن ما الذي تغير إثر انتقال الزوجين من العيش في كنف الأسرة الممتدة إلى حياتهما مستقلين مع أطفالهما؟ تقول فاطمة أزريول¹ أن ما حدث هو اختفاء بعض الخصائص التي كانت تميز نمط العيش في العائلة الممتدة التي تتعايش فيها الأجيال، انطلاقا من القرابة الدموية الأبوية أساسا وتعتمد على اقتصاد مغلق توفر به حاجات أفرادها، عن طريق تنظيم جماعي للعمل واستهلاك للمنتجات وتوزيع المهام. كانت العائلة التقليدية تلعب دورا مهما في حياة الفرد الزوجية قبل الزواج وفي استقرار حياته الزوجية بعده، حيث تتدخل لحسم الخلافات بين الزوجين والتخفيف من حدة التوتر في علاقتهما.

إن قيام الأسرة النووية يحمل في طياته عوامل زعزعة السلطة الأبوية في المجتمع، حيث يتوفر الأبناء على قدر من الحرية تجاه الأب، وتسود المساواة تدريجيا

¹ فاطمة الزهراء، أزريول: مرجع سبق ذكره، ص. 39-48.

عوض العلاقات التراتبية بين الجنسين بفضل توفر المرأة وبعد ذلك الأبناء على استقلالهم الاقتصادي، ويكون مؤدى ذلك طبعاً تحرر المرأة الذي يتعزز بالتعليم والعمل¹.

تشكل العائلة² ليس فقط على صعيد المجتمع المغربي، بل أيضاً على صعيد المجتمعات المغربية برمتها بنية مشتركة بين الجماعات على اختلاف المناطق. إذن على اختلاف هذه المستويات (مدن/ بوادي) نجد في المجتمعات المغربية عموماً بنية عائلية موحدة ومشتركة.

كانت العائلة تستحوذ على كل مجالات حياة الفرد، بينما في الوقت الحاضر نجد أن الدولة سحبت من هذه العائلة قدراً كبيراً من سلطتها على الأفراد (تعليم الأطفال، توفير العمل، منح قروض لإقامة مشروع اقتصادي)، كما نجد حالياً أن الابن إذا كان يتقاضى أجره وإذا كان يسهم بقدر من أجرته في الميزانية العائلية، فإنه يطالب والده مقابل ذلك في المشاركة بالقرارات العائلية، وهذه المسألة غيرت في العلاقة بين الأب والابن في مجتمعنا. كما نجد ظاهرة استقلال الأسر النووية عن العائلة الممتدة مما ساهم في تقليص حجم وسلطة هذه العائلة الممتدة في مجتمعنا.

إن ما يميز الأسرة المعاصرة منذ بداية من الستينات هو بنيتها النووية التي تتكون من الزوجين والأطفال غير المتزوجين يعيشون في منزل واحد، ويقتسمون الأدوار. يعمل الزوج خارج البيت ويعتبر المعيل الاقتصادي للأسرة، يقود السيارة ويقوم بأعمال التوضيب في آخر الأسبوع، أما الزوجة فتسهر على تنظيم المنزل ونظافته وإعداد الواجبات المنزلية ويذهب الأطفال إلى المدارس الموجودة بالحي. غير أن هذه الصورة التي تتبنى على توزيع الأدوار ستبدأ في التغيير مع سنوات السبعينات، حيث سترتفع معدلات الطلاق، وسيظهر التعايش خارج الزواج، ويرتفع عدد الأطفال خارج الزواج.

¹ نفس المرجع: ص. 39-48.

² المختار، الهراس: مرجع سبق ذكره، ص. 46-49.

سيصبح الحب هو الرابطة الأساسية بدون زواج أو أي رابط يحد من فردية الفرد وحرية.¹

إن الأسرة المعاصرة حسب " جون دورتيي " تعيش مساواة وديمقراطية. ديمقراطية تتمثل في القرارات الأسرية كسواء عقار، واختيار أماكن السفر وغيرها من القرارات، ويتقاسم أعضاؤها الحوار والنقاش واتخاذ قرار أغلبية الأصوات. أصبح التواصل والإنصات المتبادل بين الآباء والأبناء هو كلمة التربية الأسرية المعاصرة ومساواة بين الرجل والمرأة قانونيا، والأطفال أيضا متساوون مع الكبار كمواطنين في مملكة الأسرة.

- يمكن تلخيص التحويلات في الأسرة كالتالي:

- عمل المرأة الذي منحها استقلالية مادية عن الزوج وثقتها في ذاتها كشخص فاعل ومنتج.

- ارتفاع مستوى الحياة الذي سمح للأسرة بالتحضر، أمام القيود المادية والتبادلات الأسرية والمساعدات الموجهة إلى النساء بالخصوص.

- الاحتجاج على النفوذ الأبوي والذي وجد تداعياته في مؤسسات أخرى كالمقولة والمدرسة والدولة.

- تدنيس الزواج عامل آخر في ضعف الروابط الأسرية، وارتفاع الفردانية.

- تتجمع وتتداخل هذه الأسباب لتفسير التحويلات في الروابط الأسرية.²

تحدد الأسرة المعاصرة حسب مارتين سيغالين³ كأسرة علائقية، وهي أسرة في نفس الوقت أكثر تحررا، ولكنها أيضا هشة، لأن الأحاسيس التي تتبني عليها غير مستقرة كذلك التي تقوم عليها المؤسسات. في نفس السياق، تذكر " فرانسوا دي سنغلي"⁴ ثلاثة خصائص أساسية تميز أسرة اليوم: أسرة علائقية، تتأسس على العلاقات المتكافئة بين أعضائها. وفردانية، لأنها تعرف تقلصا وتمركزا أسريا بحيث نجد منطقة مركزية هي

¹ Jean - François, Dortier. "La Famille aujourd'hui, Bouleversements et recompositions". In Famille, Permanence et Métamorphoses, Edition Sciences Humaines, 2002, P. 1-7.

² Jean- François, Dortier. 2002, P. 1-7.

³ Martine, Segalen. « Les Nouvelles Familles ». P. 63-68.

⁴ De Singly, François. Sociologie de la Famille Contemporaine. Edition Nathan, 1993, P. 5-16.

"الأسرة الزوجية" التي تتركب من الزوجين والأطفال غير المتزوجين، محاطين بمنطقة ثانوية، تتكون من الأقارب والأجداد. والخاصية الثالثة، التي تميز الأسرة المعاصرة تتضمن مفارقة أساسية، أنها عامة وخاصة في نفس الوقت، حيث تشكلت الأسرة كفضاء خاص، حيث تتقاسم وتترابط إرادات الأفراد حميمية الوجود الاجتماعي وجودة العلاقات، والتميز المتنامي للفضاء العام والخاص يساير تنامي الشعور العاطفي في تنظيم العلاقات الأسرية الداخلية.

- لقد أدى تحول الأسرة من أسرة ممتدة إلى أسرة نووية، إلى حدوث انفصال كامل بين أسرتي التوجيه والإنجاب. لأن الفرد حين يتزوج، ويفصل عن أسرته يكون أسرة زوجية خاصة به. أما في الأسرة الممتدة فإن الأسرتين تتداخلان معا وتكونان أسرة واحدة لا يتوزع فيها ولاء الفرد، ولا تتعدد انتماءاته.

- تزايدت حرية الفرد في انتقاء شريك حياته خاصة بين الإناث وهي ظاهرة لم تكن موجودة من قبل وشيوع أسلوب الزواج الخارجي، وذلك باختيار الزوجة من فئات اجتماعية لا ترتبط بالضرورة برابطة الدم.

- ارتفاع سن الزواج عند الجنسين نتيجة التحاق الذكور والإناث بمختلف المراحل التعليمية، وتطور الحياة الاجتماعية والاقتصادية.¹

- "ميل نظام كثرة الزوجات إلى الانقراض، وشيوع النظام الأحادي للزواج، وذلك لغلاء المعيشة، من جهة، وأزمة السكن، من جهة أخرى، وبروز مشاعر الحب والعاطفة بين الزوجين.

- ميل الأسرة الحديثة نحو استعمال وسائل تحديد النسل رغبة منها في تقليل عدد أطفالها وذلك لظروفها الاقتصادية والاجتماعية الصعبة التي لا تسمح لها بإنجاب الأطفال الكثيرين، وتطور الوعي بمكانة الطفل في الأسرة وتمتعه بوسائل الحياة الاجتماعية.

¹ المختار، الهراس: مرجع سبق ذكره.

- ومن أبرز التغيرات التي ظهرت آثارها في تركيب الأسرة تلك المتعلقة بظواهر ثلاثة جديدة هي: تعليم المرأة وتحريرها، وتشغيلها في مختلف الأعمال والوظائف حتى التي كانت وقفا على الرجل، وذلك وفق المعتقدات الراسخة والشائعة بأن الطبيعة أهلت الرجال لممارسة أعمال خاصة، بينما حرمت المرأة هذه الميزات وعلى ذلك لا يستطيعن ممارسة تلك الأنواع من الأعمال.

- هذه الظواهر الثلاثة هي المسؤولة عما صار يعرف بالانقلاب النسوي الذي تميز به القرن العشرون، والذي ظهرت آثاره واضحة للعيان في كل مكان. ومما لا شك فيه أن تعليم المرأة، في جميع مراحل التعليم، هو الذي دفع عجلة التغيير النسوي دفعة قوية، ذلك لأنه أوجد لديها وعيا واضحا بذاتها ومركزها ومكانتها، ودورها في المجتمع عامة، وفي الأسرة خاصة. وقد ترتب على تعليم المرأة تحريرها بالتدريج من سيطرة الرجل، وسلطان التقاليد والحرمان السياسي الذي كان مفروضا عليها وتشغيلها في الوقت نفسه في مختلف المهن المتخصصة.¹

- أدى التحول الذي حدث في بناء الأسرة إلى تحرر الشباب من كثير من الضوابط، والضغوط التقليدية. فالشباب الذي تتاح له فرصة متقدمة من التعليم، ودرجة من الاستقلال الاقتصادي نتيجة حصوله على دخل ثابت من عمله، وعلى مركز اجتماعي في ظل نظام التقويم الاجتماعي المتغير يفوق الذي حصل عليه آباؤه، هذا الشاب يصبح بلا شك أكثر تحررا واستقلالا عن أسرته بالمقارنة مع الشاب القروي الذي نشأ في ظل الأسرة الممتدة. ومع نمو المجتمع صناعيا وحضرنا واقتصاديا يضعف دور الأسرة بوصفها ضابطا أو مشكلا لسلوك الشباب نتيجة لتعرض النشء الجديد لكثير من الخبرات خارج نطاق الأسرة، وبذلك لا تصبح الأسرة المؤسسة الوحيدة أو المحورية في التنشئة الاجتماعية في ما هو الحال داخل المجتمعات التقليدية، وإن كان هذا لا يعني إلغاء دورها أو التقليل منه، وما نقصده هو تغير دورها من حيث الدرجة.²

¹ نفس المرجع.

² نفس المرجع، ص. 84.

- ومن التغيرات الواضحة التي طرأت على تركيب الأسرة تغيرا كبيرا في المراكز التي يشغلها كبار السن في الأسرة، فمن المعروف أن كبار السن يحتلون مركزا سياسيا في المجتمعات التقليدية، وغالبا ما تكون منهم الرئاسة الأسرية والسياسية والدينية والقيادة الاجتماعية، وقيادة الرأي، وهذا راجع إلى أن تقدم العمر يعد المصدر الأساسي إن لم يكن الوحيد للخبرة والدراية، والحنكة في تلك المجتمعات إلى جانب ما يتضمنه السن من وقار، واحترام. غير أن هذه الأمور تتغير مع تحول المجتمع نحو التقدم الاقتصادي، والثقافي حيث يفقد كبار السن ما يتمتعون به من مركز وهيبة بعد انتشار التعليم، وتغير نظام التقويم الاجتماعي ليقوم على أساس الانجاز، وما يحتله الشخص من مكانة مهنية وتعليمية، وما يقدمه لمجتمعه من نفع، لا على أسس منسوبة ومنها السن أو الجنس أو الانتماءات الأسرية والطائفية، غير أن كبار السن لا يتخلون عن مواقعهم بسهولة، ويظلون متمسكين بالماضي لسببين أساسيين هما:

- إن أمجادهم تنتمي إلى الماضي وليس إلى الحاضر أو المستقبل.

- صعوبة التوافق مع الأوضاع، والقيم، والمواقف المتغيرة بفعل عمليات التحديث الحضاري.¹

- نتج عن التحول من الأسرة الممتدة إلى الأسرة النووية التي تتكون من الزوج والزوجة وأطفالهما غير المتزوجين، أن الأسرة لم تعد تشمل الأقارب والأنساب والأجداد والمطلقات كما نجد في الأسرة التقليدية الممتدة. لقد تغير حجم الأسرة وتغيرت تقاليدها وعاداتها، وتقلصت التزامات الفرد وتضاءلت وظائف الأسرة الرئيسية وتولت القيام بهذه الوظائف هيئات ومؤسسات أخرى متخصصة.²

- لقد كانت العائلة هي الوحدة الإنتاجية الأولى ليعوضها المصنع والمقولة، كما انتقل جزء من وظيفة الأسرة التربوية والتعليمية إلى المدرسة ومنظمات أخرى، كدور العبادة

¹ نفس المرجع، ص. 84 و 85.

² المختار، الهراس: نفس المرجع.

وغيرها، وانتقلت الوظيفة الترفيهية إلى المجتمع وانتشار وسائل الإعلام والاتصال السمعية- والبصرية والانترنت والتكنولوجيات الذكية.

- شكلت الأسرة في الماضي مجالاً للطمأنينة والأمن النفسي والاجتماعي للطفل، لتنتقل هذه الوظيفة في الوقت الحالي إلى المؤسسات الحكومية والاجتماعية، بل تدخلت الدولة في وظيفة الإنجاب بتنظيم قوانين محددة للنسل وطرق الحمل وتشجيع البحث العلمي في هذا الميدان.

- ويمكن الحديث عن التغيرات التي انعكست نتيجة تقلص حجم الأسرة على مستوى المجتمع ككل، حيث برزت استقلالية الفرد في الوقت الذي كان فيه تابعاً لنظام التضامن الأسري والاجتماعي، وتراجع سلطة الأب ليحل محلها النقاش والحوار الذي يتأسس على الديمقراطية والمساواة بين أعضاء الأسرة الواحدة. بالإضافة إلى خروج المرأة للعمل الذي ساعدها على الرفع من مستوى دخل الأسرة ورفع مستوى معيشتها، ومكناها من الاستقلالية الاقتصادية والتبعية للزوج والرجل بصفة عامة، وخلقت لها مجالها الخاص بإرادتها وحريتها وقوى من سلطة القرار التي غيبت عنها لوقت طويل، كما أصبح لها حرية اختيار الشريك الذي يحقق معها التكافؤ المادي والثقافي والاجتماعي. وأصبحت العلاقات داخل الأسرة المعاصرة تتأسس أكثر على الأحاسيس المتبادلة وأصبح الحب هو كلمة الفصل في إقامة العلاقات الزوجية، الشيء الذي أسهم في تراجع نظام تعدد الزوجات وتنظيم العلاقات على أسس قانونية وعادلة.

- يكون من الخطأ أن نستنتج في ضوء هذا الواقع الاجتماعي أن العائلة ثابتة في عالم متغير. كل ما في الأمر أنها ربما أكثر مقاومة للتغيير من المؤسسات الاجتماعية الأخرى في بعض الحالات لشدة ارتباطها بشؤون المعيشة اليومية، ولاستمرار تمرکز الاقتصاد حول الوحدة العائلية.

- إن مقاومة العائلة للتغيير إذن لا يعني أنها ثابتة وساكنة مهما بلغت العصبية العائلية، كانت قبلية أو عشائرية أو ممتدة أو حتى نووية في مسكنها.¹

¹ حلیم، برکات: نفس المرجع.

خاتمة

إن حركة السكان كانت عاملا في النمو الحضري والمجالي والديمغرافي بشكل سريع، والهجرة وإن كانت مظهرا من مظاهر التركيز السكاني للقوة ورأس المال وفائض الإنتاج في المناطق الاقتصادية الرئيسية، فإنها تعتبر عاملا مهما في عملية التحضر بمدينة سلا وضواحيها.

لا شك أن الهجرة من أكثر الظواهر إثارة للجدل في وقتنا المعاصر، خصوصا مع بروز أنواع متعددة للهجرات، كالهجرة غير الشرعية أو السرية، الهجرة الحضرية من مدينة إلى مدينة أخرى، الهجرة القروية من القرية إلى المدينة، والهجرة الدولية خارج حدود الوطن الواحد.

إن الحديث عن ظاهرة الهجرة كعملية تحول جذري في حياة المهاجر جغرافيا واجتماعيا ونفسيا واقتصاديا، والتأثير الذي تمارسه هذه الحركة في علاقاته الاجتماعية، وروابطه بالمجتمع الأصلي.

إن الربط بين الهجرة والتحضر أصبح مسألة ضرورية تفرض نفسها على كل بحث سوسيولوجي لفهم الأبعاد والتحويلات العامة للمجتمع. لهذا نجد اهتماما بالغا من لدن الباحثين والدارسين لطرق العلاقات المتداخلة بين هذين النسقين ونتائجهما على الإنسان في وضعية الهجرة بالخصوص.

إن التوسع الحضري سواء بفعل الهجرة أو التزايد الطبيعي، أدى إلى خلق تفاعل بنيوي بين التحضر والهجرة الذي كان له تأثير على المهاجرين أنفسهم. فأمام الزحف القروي، بدأت المدن تعيش الكثير من الاختلالات المجالية والديمغرافية، مما أثر على بنية المدينة وجماليتها العمرانية، من جهة، وانعكست هذه التغيرات على بنية الأسرة ووظائفها، وتوزيع الأدوار داخلها، وبرزت قيم وممارسات أسرية، وتغيرت في وضعية المرأة وأدوارها من جهة أخرى.

مادامت هذه الدراسة تتخذ من مدينة سلا نموذجا لها، باعتبارها إحدى المدن العريقة بالمغرب، ومن المدن التي شهدت عبر تاريخها الطويل حركات سكانية من مناطق حضرية وقروية مختلفة. ونظرا لما تشهده هذه المدينة من تطور غير متكافئ وغير منظم بين أحيائها ومؤهلاتها الاقتصادية والتاريخية، وتوسعها العمراني الممتد إلى الضواحي التي كانت بالأمس القريب عبارة عن أراضي زراعية. كان لزاما تأطير العلاقات النازمة للمثلث المفاهيمي: الهجرة والتحضر والتحول الأسري.

شهد تنظيم الأسرة تغيرات كبيرة من الأسرة الممتدة إلى الأسرة المستقلة الجديدة، وتحددت المسؤوليات سواء في القرارات أو الممارسات أو السلطة. فقد استطاع الشباب المهاجر أن يحصل على نجاح اجتماعي معين سمح لهم بتحمل المسؤولية، والاستقلال المالي والسكني عن الآباء والحرية في اختيار الزوجة واستخدام الدخل، رغم ذلك يظل الارتباط القرابي والتضامن العائلي قويا بالزيارات والمساعدات المعنوية والمادية والاحترام المتبادل خصوصا كبار السن. هذه النتيجة سمحت لنا بالقول أن التضامن العائلي شهد تغيرا أقل في مؤسسة الأسرة المهاجرة نفسها.

سمحت الهجرة إلى المدينة بتوزيع الأسرة لأعضائها في شبكات اجتماعية مختلفة كسوق العمل، وكل الأنشطة المتوفرة في الوسط الجديد. إن اندماج المهاجرين القرويين يحدث في سياق هذه الشبكات الاجتماعية، وإن كانت الأسرة قد غيرت إستراتيجياتها إلى التوجيه نحو الترقية الاجتماعية، كما تغيرت طريقة استقبال المهاجرين الجدد، مما يعبر عن تفاعل بين بنية الأسرة الجديدة وظروف العيش الحضرية.

من التغيرات الملحوظة في الأسرة أيضا أساليب التربية التي تبنها أرباب الأسر المهاجرة في التعامل مع أطفالهم، حيث عوضت السلطة الأبوية وأحادية القرار بالتشاور والتحاور المتبادل، بل أحيانا ترك الحرية للأطفال في تحديد اختياراتهم وتوجهاتهم، وأصبح مسموحا للفتاة مشاركة الذكور في التعليم، ومتابعة الدراسة على مستويات عليا، وتراجع الآباء عن فكرة تزويج الفتاة في سن مبكرة، لأن التعليم أتاح للمرأة فرصة الولوج إلى ميدان العمل خارج البيت.

شهدت الأسر في وضعية الهجرة انخفاضا في تفضيل زواج الأقارب، مما يعني تدخل عنصر التعليم والعمل في البيئة المضيفة في تعديل بعض الممارسات التي سادت في ظل الأسرة الممتدة والتقليدية، وبروز علاقات الود والحب بين الأزواج.

ساهمت البيئة الحضرية في إعادة تحديد بنية الأسرة، مما أدى إلى ظهور نماذج جديدة للأسرة، من الأسرة الممتدة، الأسرة النووية، الأسرة المركبة، أسرة أحادية الأبوين، أسر ترأسها نساء.

تقدم المؤشرات الميدانية جيلا من المهاجرين الشباب والنشطين الذين يتحملون مسؤولية الأسرة (18-50) بنسبة 72.1%، وهي فئة السن التي تتميز بالقدرة على العمل والتغيير والرغبة في الهجرة، كما يكون تأثير المدينة قويا على تمثلات وتوجهات هذه الفئة.

إن الذكور القرويين يتمتعون بحرية في التنقل واتخاذ القرارات الفردية والمصيرية، لهذا فالهجرة غالبا ما تكون ذات صبغة ذكورية وفردية، حيث يهاجر الشاب القروي ويترك القرية في اتجاه المدينة، وبعد الاستقرار والحصول على عمل وسكن يستدعي أسرته وأبناءه أو يعود للزواج من البلاد ويحضر زوجته برفقته للاستقرار معه بالمدينة، ويتم اختيار الزوجة من نفس العائلة للحفاظ على الروابط التقليدية للزواج الداخلي كخاصية مميزة للمجتمعات القروية.

تظل هجرة المرأة كمرافقة للرجل أبا أو أخا أو زوجا، غير أنه في السنوات الأخيرة بدأت تظهر ملامح هجرة نسائية كقرار حر وفردى ينبع من إرادة المرأة ورغبتها في تحسين وضعها الذاتي والأسري.

هناك تطور في مستوى التمدن لدى الفئات المدروسة، إذ بينت النتائج أن 23.5% أتموا تعليمهم الابتدائي، و22.6% حصلوا على تكوين عالي. غير أن نسبة 12.3% من أرباب الأسر المهاجرة الذين شملتهم الدراسة غير متمدرسين.

تغير في نظرة المهاجرين القرويين لتعليم البنات، إذ يرون ضرورة المساواة بين الجنسين في التعليم، ووصولها على مستويات متقدمة، والعمل خارج البيت، وحرية اختيار الشريك.

يعتبر الزواج رباطا مقدسا يضمن الاستقرار النفسي والعائلي والاقتصادي للمهاجر، وإستراتيجية لضمان النسب العائلي، والثروة، والإرث. إنه ممارسة اجتماعية متجذرة في التقاليد القروية والحضرية (72.8%) من أرباب الأسر في وضعية الهجرة من المتزوجين، مقابل 2.5% من المطلقين. بمعنى أن هناك ثوابت تظل قائمة ومستمرة في ذهنية القرويين تفرض نفسها رغم التحول المكاني للأشخاص من وسط لآخر.

إن التعدد اللغوي (الدارجة، الأمازيغية، العربية الفصحى، الفرنسية) للأسر المهاجرة بمدينة سلا وضواحيها تدل على تعدد انتماءات وأصول المهاجرين القرويين، وتؤشر على درجة التعايش بين الفئات المختلفة وتوحيدها في بوتقة واحدة.

إن الهجرة والتحضر الذي تعرفه مدينة سلا وضواحيها لم يؤثر على العلاقات التقليدية بين الآباء والأبناء (الاحترام، التضامن، التشاور...) رغم ما تبين من المقابلات الميدانية من نزوع نحو الفردانية، باختيار السكن المستقل عن العائلة.

إذا كان بعض المهاجرين يستقرون في المدينة بصفة نهائية، فإنهم يحافظون بشكل أو بآخر على صلاتهم السابقة بقريتهم وجماعتهم الأصلية، بحيث نجدهم يتلقون نصيبهم من المحصول الزراعي العائلي، أو من مردود قطعة أرض يمتلكونها بصفة شخصية لكن يستغلها أحد أقاربهم بالنيابة عنهم.

إن طبيعة العلاقات الاجتماعية السائدة بين الأسر في وضعية الهجرة، تتميز بتماسك الروابط القرابية والعائلية، وعلاقات الجيرة والصدقة، مع غياب للعلاقات ذات الطابع التبادلي والبناء نظرا للتخوفات التي تنتاب المهاجرين من الانفتاح الكلي على الآخرين، ولتعارض مواقف المهاجرين بين رفض وقبول القيم الحضرية التي تتعارض مع تصوراتهم للسلوكات المنتشرة في المدينة.

تمتاز المدينة في تمثلات أرباب الأسر المهاجرة بخصائص لا يمكن للقرية أو المجتمع القروي تقديمها، لكن المؤكد أن المدينة في مقابل ذلك لا تقدم بالفعل الإمكانيات المادية الضرورية لمشاركتها في الحياة الحضرية. إن المدينة لم تجذبها إلا ليكون من اليد العاملة التي تحتاج إليها، والتي نظرا لطبيعتها تلك تستطيع المدينة عبر مؤسساتها أن تتحكم في هذه القوة العاملة.

إن النمو الحضري سلوك يعبر عن التغيير الذي يعترى النظام الحضري، وينتج بسبب القوى الحضرية المتمثلة في النمو السكاني بشكل أساسي وفق أسباب عديدة قد تكون هجرة أو نمو طبيعي للسكان.

يتميز النظام الحضري أثناء نموه بثلاث مراحل هي: الاستمرارية، التحول، والظهور. إذ يمثل الظهور المرحلة الأخيرة من مراحل النمو للأنظمة الحضرية.

يعتبر الإيجار الحل المثالي في تصور المهاجرين القرويين للاستقرار السكني، مع اختيارهم للأحياء الموجودة في ضواحي المدينة. توفر مدينة سلا أنواعا متعددة من السكن (الشعبي، الاقتصادي، فيلات، التقليدي، وغيرها) ويقتني المهاجرون التجهيزات العصرية كنوع من المنافسة الاجتماعية العصرية، ورمز للثراء والحضرية، وآلية للاندماج في الوسط الحضري.

لتحديد تأثير الهجرة على البنيات الاجتماعية الأساسية وعلى سلوك المهاجر على المستوى الاقتصادي والاجتماعي، والثقافي. من الضروري تحديد زمن الهجرة، فتوصلنا إلى ما يلي:

- وجود مهاجرين قداماء مستقرين بالمدينة مضت على هجرتهم أزيد من خمسين سنة بمدينة سلا وضواحيها.
- تقوى الزحف القروي نحو المدينة مع مطلع السبعينات، وتضاعف في الثمانينات (21.1%).
- غنى وتعدد تركيبة الساكنة المهاجرة والتي يمكن توزيعها إلى هجرة حضرية- حضرية، وهجرة من القرية إلى المدينة. وتأثير هذا الاختلاط على نسيج سلا المعماري والثقافي.

يعتبر العمل أحد الأسباب الرئيسية المتحكمة في اتخاذ الشخص المهاجر قرار التخلي عن موطنه الأصلي إلى مكان جديد. وفي الطرف المقابل تتعدد مشاكل المهاجرين، ويظل كل من السكن والبطالة من أهمها التي تعيق اندماجهم رغم الدعم الذي تقدمه الجماعات القرابية.

إن تردد المهاجر وزيارته للأضرحة دلالة على القهر الذي تمارسه عليه المدينة ونظرا لقلّة الإمكانات الموضوعية للتغلب عليها ومقاومتها يتجه إلى السادة أو إلى أي شكل آخر من القوى الروحية. تعتبر زيارة الأضرحة وسيلة للتخفيف من قساوة الحياة، وقد يساهم المهاجرون في تدعيمها ماديا بالمساهمة في الاحتفال وتقديم الهدايا في المواسم المخصصة لذلك. يؤكد هذا الواقع أن المهاجر لم يتحرر من قيمه الأصلية التي يتشبث بها لأنها تعتبر العنصر الوحيد الذي يتحكم في شعوره وأحاسيسه.

تتأرجح علاقة المهاجرين وثقتهم بالمؤسسات الاجتماعية (المدرسة، المحكمة، المستوصف، الأحزاب، النقابة...) تبعا لاعتبارات ذاتية، ووفق مصالحهم وغاياتهم الواقعية. تبقى مؤسسة العائلة المهيمنة على شعور الأفراد المهاجرين وثقتهم، ويحافظون على استمرارية روابطهم بها بالزيارات المباشرة والتضامن وتبادل الخدمات، واستغلال تقنيات التواصل لتحقيق ذلك.

إن التحويلات التاريخية للمجتمع والأسرة والعلاقات الداخلية ولدت فكرة عميقة، أن الأفراد الذين يكونون الأسرة يغيرون بطريقة ما الطبيعة الاجتماعية، حيث تراجع مفهوم "الجماعة الأسرية" الذي يترجم بارتفاع الفردانية وخروج أعضاء الأسرة من الدائرة المنزلية، وبروز الاختلافات الفردية من حيث الإحساس والتفكير، وتحرر الأفراد من الإكراهات الأسرية وقوانينها الداخلية، وينعكس إيجابيا على الوظيفة الداخلية للجماعة المنزلية، حيث يتخذ الرأسمال الاقتصادي الهدف الأول والدور المركزي وتصبح الروابط القرابية لا تتأسس حول الملكية، بل الأرباح الأسرية الجماعية".

انعكست التغيرات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية الشاملة التي شهدتها المجتمع الحديث، نتيجة التحضر والتصنيع والتحديث والهجرة على الأسرة، فأحدثت فيها تغيرات جذرية مهمة. ولعل أبرز هذه التحويلات التي طرأت على الأسرة يتمثل باختصار شديد في الجوانب الآتية:

إن الأسرة الحديثة الآن هي في حالة تحول مستمر من أسرة ممتدة إلى أسرة نووية أو زوجية، حتى أصبحت الأسرة الممتدة الآن لا توجد إلا نادرا في البلاد المتقدمة، ولاشك في أن هناك مجموعة كبيرة من العوامل التي تقف وراء هذا التحول، وفي مقدمتها تعقد الحياة الاجتماعية والاقتصادية، وطبيعة العمل وخاصة العمل الصناعي، وظهور المسؤولية الفردية، ونمو حركة التعليم، وخروج المرأة لعمل، ونمو الاتجاهات الفردية، وظهور العلاقات الرسمية والتعاقدية واتساع نطاق المنافسة، والقدرات الشخصية، والإنجاز، والجهد الفردي، ليس على أساس الحسب والنسب، أو الانتماءات العشرية أو الأسرية أو العرقية. يذهب بعض الباحثين إلى القول بتلاشي الأسرة الممتدة أمام نمو الظواهر المادية والتكنولوجية المعقدة التي لا تتلاءم مع طبيعتها، بل تتلاءم مع طبيعة الأسرة النووية وأيديولوجيتها.

انعكست الهجرة والتحضر على العلاقات الأسرية الداخلية، بما فيها العلاقة الزوجية، بحيث أصبح من الممكن الحديث عن مفهوم الزوجين بالمعنى المستقل والحر. لقد أصبح للمرأة المهاجرة في إطار هذا التحول الحصول على مساحة من الحرية في ما يخص حركتها ولباسها وربطها لعلاقات جديدة، وانتماءها لجمعيات. إن الأدوار الجديدة للمرأة المهاجرة ليست بالتحول الحقيقي في وضعيتها بقدر ما هي استجابة للمقتضيات التي فرضتها ظروف الحياة الحضرية على الأسرة المهاجرة.

إن حضور الزوجة أضحت بارزا في الحياة الزوجية وفي القرارات الرئيسية العائلية، ويعكس ذلك جودة العلاقات وسيادتها في الأسر النووية. لقد أصبحت الزوجة القروية تشارك زوجها قراراته، وتتقاسم معه مصاريف البيت سواء كمديرة للمنزل، أو كعاملة خارج البيت.

إن موافقة المهاجرين القرويين على عمل الزوجة أو الابنة خارج البيت، يكون لاعتبارات مادية وليس اقتناعا بكفاءتها وقدرتها على إثبات ذاتها في المجتمع. لهذا يميل كثير من أرباب الأسر المهاجرة بمدينة سلا وضواحيها إلى إخفاء عمل النساء خارج البيت.

إن توزيع الأدوار داخل الأسرة مازال غير متكافئ، وما تزال تشوبه عوامل من الترسبات التقليدية التي تجعل هذه الأدوار متذبذبة وغير واضحة. فرغم التغيرات التي حدثت على الأسرة نتيجة خروج المرأة للعمل وخاصة على مستوى الأدوار والحالات، إلا أنه ما تزال تلك القيم التقليدية تحمل المرأة مسؤولية الأعمال المنزلية ورعاية الأطفال برغم ازدياد دورها الذي قد يحدث خلافاً في وظيفتها.

إن جميع النساء العاملات دون استثناء يسهمن في الإنفاق على الأسرة، كما أن مساعدة الزوج للزوجة تشكل حافزاً لاندفاع المرأة ونجاحها وثقتها بنفسها. يرفض غالبية المهاجرين القرويين عمل المرأة خارج البيت، ويجعلون البيت المكان الطبيعي للمرأة لتحقيق رغبات وحاجيات أفراد الأسرة.

إن اختلاف وتضارب نتائج البحوث حول عمل المرأة ووضعيتها داخل الأسرة والمجتمع، يرجع إلى اختلاف مجتمعات البحث، واختلاف الأوضاع الاجتماعية والثقافية والاقتصادية التي تحكم سلوكيات ومواقف المجتمع.

لقد اتضح من خلال البحث الذي بين أيدينا أن هناك عدداً هاماً من القضايا (كوضعية المرأة المهاجرة، الشباب المهاجر، مشاكل المدينة وغيرها) تحتاج إلى عودة متأنية. فقد بينا بصفة عامة علاقات التأثير والتأثر الجدلي بين الهجرة من جهة، والتحضر، على تحول الأسرة المهاجرة من جهة أخرى.

إن الشيء الثابت إذن هو أن الأسرة في وضعية الهجرة بمدينة سلا وضواحيها تشهد تحولات بنيوية عميقة، من حيث وظائفها وقيمها وعلاقاتها وتمثلاتها للحياة الحضرية، وتتدخل الهجرة والتحضر كعوامل أساسية في عملية التغير الأسري.

الملحق

1. دليل المقابلة

2. دليل الاستمارة

دليل المقابلة

الهجرة، التحضر والتحويلات الأسرية: حالة مدينة سلا وضواحيها

مدة الإنجاز: ساعتين

1 تقديم المبحوث لنفسه (ها).

2- الأسرة الأبوية:

- كيف هي علاقتك بوالديك، وإخوانك، وأخواتك؟ هل يمكن أن تصفها لي بدقة؟
- كيفاش هي علاقتك بوالديك وخوتك وخواتاتك؟ قبل ما تهاجر وبعدها
- هل تساعد والديك ماديا؟
- واش كتعاون والديك بالفلوس؟
- واش كتسكن معاهم فنفس الدار؟
- هل تزور عائلتك باستمرار أم فقط في المناسبات؟
- واش ديما كتزور عائلتك ولا غير فالمناسبات؟
- هل تطلب من أبنائك وزوجتك مرافقتك لزيارة العائلة؟
- واش كيمشي معاك ولادك ومراتك فاش كتزور العائلة؟
- ما هي الحالات التي تتعاونون فيها بينكم كأسرة واحدة؟
- شنو الحوايج لي كتضامنوا فيها بيناتكم كعائلة؟

3- الأسرة الزوجية:

- هل تغيرت علاقتك بعائلتك بعد الهجرة؟ صف ذلك.
- واش تغيرات المعاملة مع عائلتك بعدما هاجرتي، تكلم لي علا علاقتك بيهم (مثلا مراتك، ولادك، خوتك) واش تغيرات فيهوم شي حوايج واش تبدلات المعاملة ديالهم هنا فالمدينة حكي ليا بالتفصيل لكان ممكن.
- هل تعمل زوجتك خارج البيت؟
- واش مراتك خدامة خارج البيت؟
- هل تساعدك زوجتك في مصروف البيت؟
- واش تعاونك فمصروف الدار؟
- هل تساعد زوجتك في الأعمال المنزلية؟
- واش كتعاون مراتك فالشغل ديال الدار؟

4- معلومات عامة عن المبحوث(ة)

- ما هي الأشياء التي تخيفك من المدينة؟
- سنا هي الحوايج لي كتخوفك من المدينة؟ على وليداتك، ومراتك وعائلتك
- هل تحس بالراحة في الوسط الجديد؟
- واش مرتاح هنا فالمدينة؟ شنو الحوايج لي كيحبوك فالمدينة، شنو لي مكيحبكش فالمدينة؟
- من تستشير في حالة مواجهة المشاكل؟
- واش عندك شي حد لي كترتاح ليه وتحكي ليه الهموم ديالك وأحلامك؟
- هل لديك ثقة في عائلتك؟
- واش كتيق فعائلتك؟ بحالاش مثلا

- هل لديك ثقة في جيرانك؟
- واش كثيق فجيرانك؟
- ماهي الوسيلة الاعلامية التي ترتاح لها وتستقي منها معلوماتك؟
- شنو هي وسيلة الاعلام لي كترتاح ليها أكثر؟

5- الأسرة والسكن

- هل تحس بالراحة في منزلك؟
- واش كتحس براحة فدارك؟ شنو الحوايج لي كتعجبك فدارك وشنو الحوايج لي ما كتعجبكش؟
- كيف هي علاقتك بجيرانك؟
- كيفاش هي علاقتك بجيرانك؟ وصفها ليا؟
- هل تلتقي بجيرانك خارج البيت؟
- واش كتجلسو على برا ديال الدار؟
- هل يجد أبنائك مساحة للعب خارج البيت؟
- واش وليداتك كيصيبوا فين يلعبوا فالزنقة؟
- هل تتجمع النساء في الحي؟
- العيالات كيجمعوا عندكم فالزنقة؟
- هل توجد مشاكل بين الجيران؟
- واش كتكون شي مشاكل بين الجيران؟ بحالاش مثلا؟

6- الهجرة والعلاقات الأسرية

- ماهي أسباب هجرتك؟ أذكر سببين رئيسيين.
- شنو السبب لي خلاك تهاجر من الدوار لمدينة؟ ذكر ليا 2 الأسباب اساسيين.

الهجرة والتحضر والتحويلات الأسرية

- ماهي المشاكل التي واجهتك أثناء هجرتك؟
- شنو المشاكل لي واجهتكم فبداية الهجرة؟ أذكر ليا 3 مشاكل أساسيين.
- كيف تجد تعامل الادارة والمنتخبين معكم؟
- كيفاش كيتعاملوا معاكم كأسرة مهاجرة من طرف الادارة والمنتخبين؟
- كيف تجد تعامل السكان الاصليين معكم؟
- كيفاش كيتعاملوا معاكم السكان الأصليين ونتوما مهاجرين؟
- هل تتوقع أن تتحسن ظروف أسرتك في السنوات الخمس المقبلة؟
- واش كتشوف أن ظروف أسرتك غادي تحسن فالسنوات الخمس الأخيرة؟
- ماهو رأيك في الاسرة المغربية المعاصرة؟
- عموما شنو تعليقك على الأسرة المغربية فهاد الوقت؟
- هل تعتقد في سيادة القيم الاجتماعية التالية بين الاسر المهاجرة: التضامن، والاحترام والثقة؟
- واش باقي التضامن والاحترام بين الأسر ولا شنو كتشوف؟ وصف لي بدقة رأيك.
- ماذا تقترح في الأخير؟ هل لديك إضافات؟
- في الأخير شنو كتقتارح؟ واش كاين شي حاجة بغيتي تقولها فالموضوع حنا متكلمناش عليها؟

استمارة رقم..

إسم الحي

الجماعة

جامعة محمد الخامس

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

أكدا - الرباط

الدائرة

وحدة التكوين والبحث: "التغير الاجتماعي والتنمية المحلية"

تاريخ إجراء المقابلة:

دليل الاستمارة

الهجرة، التحضر والتحويلات الأسرية

مدينة سلا وضواحيها

إعداد: حنان بوكطاية

تحت إشراف: الدكتور المختار الهراس

الموسم الجامعي: 2010-2013

المحور الأول: المميزات السوسيو- ديموغرافية للأسرة المبحوثة.

1- ما هو سنك الحالي (شحال فعمرك)؟

1	اكتب السن.....
2	اكتب تاريخ الازدياد.....
3	اكتب مكان الولادة:..... المدينة:أكتب اسم المدينة..... دوار: أكتب اسم الدوار/ الإقليم.....

2- ما هي حالتك العائلية (شئو هي الحالة العائلية ديالك)؟

1	عازب (ة)
2	متزوج (ة)
3	مطلق (ة)
4	أرمل (ة)
99	آخر (حدد)

3- ما هو مستواك التعليمي (فين وصلتني فقرأيتك)؟

1	غير متمدرس
2	محو الأمية
3	مستوى ابتدائي غير مستوفى

الهجرة والتحصن والتحويلات الأسرية

4	أكملت التعليم الابتدائي
5	مستوى إعدادي غير مستوفى
6	أكملت التعليم الإعدادي
7	مستوى التعليم الثانوي غير مستوفى
8	أكملت التعليم الثانوي
9	تعليم عالي
10	تقني
99	آخر، (حدد)

4- ما هي وضعيتك المهنية حاليا (شئوخدام دابا)؟

1	نشيط مشتغل
2	نشيط غير مشتغل
3	موظف
4	حرفي
5	بائع متجول
6	تاجر
7	عامل
8	مهن حرة/ اطر عليا

الهجرة والتحضر والتحويلات الأسرية

9	فلاح
10	ربة بيت
11	عاطل (سبق أن اشتغل)
12	عاطل (لم يسبق أن اشتغل)
13	طالب
14	متقاعد
15	مريض / معاق / مسن
99	آخر

5- إلى أي حد تتقن هذه اللغات من حيث الفهم والكلام، إختار الدرجة التي تناسبك؟

التكلم			الفهم			اللغة
ج- ضعيف	ب- متوسط	أ- جيد	ج- ضعيف	ب-متوسط	أ- جيد	
						1-العربية الفصحى
						2- الدارجة
						3- الأمازيغية
						4- الفرنسية
						5- آخر (حدد)

6- ما هي وضعية سكنك الحالية؟

1	ملك خاص
2	ملك مشترك
3	كراء
4	رهن
5	بالمجان
6	سكن الوظيفة
7	سكن عائلي
99	آخر.....

7- ما نوع السكن الذي تقيم فيه؟

1	شقة فاخرة
2	سكن شعبي متوسط
3	فيلا
4	سكن صفيحي
5	سكن اقتصادي
6	سكن قروي
7	سكن تقليدي (المدينة القديمة)
8	دار مغربية عصرية
99	آخر (حدد)

8- هل لديك أبناء يشتغلون خارج البيت؟

1	نعم
2	لا
98	بدون جواب
99	آخر

9- إذا كان الجواب بنعم، هل يساعدك الأبناء في مصروف البيت؟

1	نعم
2	لا
98	بدون جواب
99	آخر

10- ما هو عدد أبنائك المتمدرسين؟

6- عالي	5- ثانوي	4- اعدادي	3- ابتدائي	2- ما قبل مدرسي	1- دون سن التمدريس	المستوى التعليمي / الجنس
						ذكور
						إناث

11- ما هو عدد أبنائك المنقطعين؟ عدد.....

12- ما هو أسلوب التربية الذي تفضله في علاقتك مع أبنائك؟

1	الصرامة والسلطة
2	حوار وتفاهم
3	ترك الحرية للأطفال
99	آخر (حدد)

13- هل لديكم طفل/ طفلة يحمل إسم جده أو جدته؟

1	نعم
2	لا

•التجهيزات المنزلية

14- هل يتوفر منزلك على التجهيزات التالية؟

لا	نعم	التجهيزات
2	1	فرن للغاز
2	1	تلفاز ملون
2	1	ثلاجة
2	1	برابول
2	1	هاتف ثابت
2	1	هاتف نقال
2	1	حاسوب
2	1	حاسوب مرتبط بالانترنت
2	1	DVD ديفيدي

15- كم عدد الغرف في البيت؟ عدد.....

المحور الثاني: الأوضاع والعلاقات الأسرية

← وضعية المرأة

16- ما هو الوسط الذي تنتمي إليه الزوج/ الزوجة؟

1	نفس العائلة
2	نفس الدوار
3	نفس الجماعة القروية
4	نفس الجماعة الحضرية
5	نفس الإقليم
6	نفس الجهة
7	خارج الجهة
99	آخر (حدد).....

17- هل زوجتك تعمل خارج البيت؟

1	نعم
2	لا
98	بدون جواب

18- إذا كان الجواب بنعم، هل تشاركك في مصروف البيت؟

1	نعم
2	لا
98	بدون جواب

19- ما هو في نظرك السن المثالي لزواج البنات؟

السن.....

20- هل ترى أن مدة تعليم الفتاة يجب ان تكون؟

1	أقل من مدة تعليم الابن
2	مثل مدة تعليم الابن
3	أكثر من مدة تعليم الابن

❖ الشبكات العائلية والتضامن الأسري:

21- من يتخذ القرارات داخل الأسرة؟

بدون جواب	تتشاور لكن الكلمة الأخيرة للزوج	تتشاور لكن الكلمة الأخيرة للزوجة	الزوجة	الزوج	الزوج والزوج	القرارات
99	5	4	3	2	1	شراء عقار
99	5	4	3	2	1	تعليم الأبناء
99	5	4	3	2	1	تأثيث المنزل
99	5	4	3	2	1	السفر
99	5	4	3	2	1	زفاف

22- باستثناء أبنائك وبناتك، إلى أي مدى تزور اقاربك الآخرين؟ (الخلاات والعمات، الأخوال والأعمام...)

المناسبات	باستمرار	على مرة في الأسبوع	على مرة في الشهر	الأقل	نادرا	لا، أبدا	آخر
رمضان	1	2	3	4	5	99	
عيد الفطر	1	2	3	4	5	99	
عيد الأضحى	1	2	3	4	5	99	
عيد المولد النبوي	1	2	3	4	5	99	
المناسبات العائلية	1	2	3	4	5	99	

23- ما هي الوسيلة التي تتواصل بها مع أقاربك/ أصدقائك/ جيرانك/ زملاء العمل؟ وما هي درجة تواصلك معهم؟

الدرجة	يوميًا (1)	من مرة إلى مرتين في الأسبوع (2)	من مرة إلى مرتين في الشهر (3)	أبداً (4)	بدون جواب (98)	بدون إجابة (99)
أ- تتحدث مع أفراد العائلة عبر الهاتف						
ب- تلتقي بأفراد عائلتك						
ج- تتواصل مع عائلتك عبر البريد الإلكتروني						
هـ- تتواصل مع أفراد عائلتك عبر سكايب						
و- ترسل لأفراد						

الهجرة والتحصن والتحويلات الأسرية

						عائلتك رسائل عبر sms
						ز- تتحدث مع أصدقائك عبر الهاتف
						ح- تلقي بأصدقائك
						ط- تتواصل مع أصدقائك عبر الانترنت
						ي- ترسل لأصدقائك رسائل قصيرة عبر الهاتف النقال
						ك- تتحدث مع جيرائك حول مواضيع متعددة
						ل- تلقي مع زملاء العمل في أوقات الفراغ

24- هل تساعد أحد أفراد الأسرة (باستثناء المقيمين معك في نفس البيت)، في حالة؟

بدون جواب	لا	نعم، من حين لآخر	نعم، باستمرار	
98	3	2	1	المرض
98	3	2	1	البطالة
98	3	2	1	الفقر
98	3	2	1	الوفاة
				آخر (حدد) 99

الهجرة والتحضر والتحويلات الأسرية

25- هل تحب العيش بالقرب من أسرتك أم بعيدا عنها؟

1	نعم
2	لا
99	آخر (حدد)

26- إذا كان الجواب بنعم، أين؟

لا	نعم	الوسط
2	1	نفس المسكن
2	1	نفس الحي
2	1	نفس المدينة
2	1	نفس الاقليم
2	1	نفس الجهة
2	1	خارج الجهة

27- من بين أصناف الأسر التالية، حدد في أي منها يمكن إدراج أسرتك؟

1	أسرة مكونة من شخص واحد
2	أسرة زواجية بدون أطفال
3	أسرة زواجية + أطفال عزب
4	أسرة أحادية (أب وأطفال)
5	أسرة أحادية (أم وأطفال)
6	أسرة مركبة (على الأقل وجود أحد أبوي الزوجين + أطفال متزوجين)
7	أسرة مركبة (آباء + أطفال متزوجين + أقارب)
8	أسرة مركبة (أسرة نووية + أقارب)
9	أسرة مركبة (أسرة نووية + أطفال غير متزوجين + أقارب)
10	أسرة تضم أشخاص لا يجمعهم أي رابط عائلي
99	آخر (حدد).....

28- هل تصل الرحم مع الأشخاص أو الجماعات التالية؟

بدون جواب	لا	نعم	الجماعات العائلية
98	2	1	أخ الزوجة وأبنائه
98	2	1	أخت الزوجة وأبنائها
98	2	1	الإخوة والأخوات من الأب
98	2	1	الإخوة والأخوات من الأم
98	2	1	الأعمام والعمات وأبنائهم
98	2	1	الأخوال والخالات وأبنائهم
98	2	1	جد وجدة الزوجة
98	2	1	جد وجدة الزوج
98	2	1	أبناء الزوج
98	2	1	أبناء الزوجة

29- من تستشير في حالة مواجهتك لأية صعوبات أو مشاكل؟ حدد الأشخاص

الثلاثة الأوائل الذين تلجأ إليهم؟.....

المحور الثالث: الأسرة و الهجرة

← تاريخ الهجرة:

30- متى هاجرت من الدوار إلى سلا؟ السنة

31- قبل مجيئك إلى سلا، ما هو آخر مكان أقمت فيه؟

1	من الدوار (اكتب اسم الدوار)..... (اكتب اسم الإقليم)
2	من المدينة (اكتب اسم المدينة).....
99	آخر (حدد).....

32- هل هاجرت في البداية؟

1	بمفردك
2	مع الأسرة (الزوجة والأبناء)
3	مع الأقارب
4	مع الأصدقاء
99	آخر (حدد).....

33- ما هو سبب هجرتك؟ (أذكر سببين رئيسيين مرتبين حسب الأهمية)

1	نقص العمل في مكان الانطلاق
2	تعليم الأبناء
3	مرافقة الأسرة
4	خلافات عائلية

الهجرة والتحصن والتحويلات الأسرية

5	وجود العائلة بالمدينة
6	الانتفاع من الخدمات التي توفرها المدينة
7	البحث عن السكن
8	الجنديّة
9	أسباب صحية
10	الجفاف
11	انتقال / تعيين
99	آخر (حدد).....

34- ما هي المشاكل التي واجهتك عند هجرتك إلى سلا؟ (أذكر مشكلين رئيسيين

مرتبين حسب الأهمية)

1	مشكل السكن
2	غياب مساعدة العائلة
3	غياب مساعدة الأصدقاء
4	قلة الدخل
5	مشكل العمل
6	مشكل الاندماج في حياة المدينة
7	مشكل العلاقة مع السكان الأصليين
99	آخر.....

35- ما هي انعكاسات الهجرة عليكم كساكنة مهاجرة؟

1	السكن
2	الحياة الاجتماعية
3	فرص الشغل
4	القرب من الإدارة
5	التربية
6	الانحراف
7	الاندماج
8	الصحة
9	التضامن
99	آخر

36- كيف هي علاقة المهاجرين مع السكان الأصليين؟

1	تبادل الزيارات
2	تبادل الخدمات
3	علاقة صراع
4	علاقة تعايش
5	علاقة احترام
6	علاقة لامبالاة
99	آخر

37- كيف يتم التعامل معكم كساكنة مهاجرة في قضاء مصالحكم؟

1	مثل الساكنة الأصلية
2	أفضل من التعامل مع السكان الأصليين
3	اختلاف في التعامل
4	صعوبة في التعامل
99	آخر

الهجرة والاندماج في حياة المدينة:

38- في سلم يمثل فيه الصفر (0) أقل درجة من الرضى، و (10) أعلى درجة من الرضى، حدد إلى أي مدى أنت راض على العلاقات التالية؟

10	9	8	7	6	5	4	3	2	1	
										العلاقة مع الإدارة
										العلاقة مع الجيران
										العلاقة مع المدرسة
										العلاقة مع المنتخبين
										العلاقة مع المركز الصحي
										العلاقة مع قنوات التلفزيون المغربي
										العلاقة مع المشغلين
										العلاقة مع العائلة

1-2-3: علاقة سيئة 4-5-6: علاقة لا بأس بها 7-8: علاقة حسنة

9-10: علاقة ممتازة.

39- هل يمكن أن تخبرني إلى أي مدى تثق في المؤسسات التالية؟

بدون جواب	ثقة منعدمة	ثقة قليلة	ثقة متوسطة	ثقة كاملة	المؤسسة
98	4	3	2	1	الإدارة
98	4	3	2	1	المنتخبين
98	4	3	2	1	الدولة
98	4	3	2	1	الحكومة
98	4	3	2	1	الحزب
98	4	3	2	1	الجمعية
98	4	3	2	1	النقابة
98	4	3	2	1	المدرسة
98	4	3	2	1	الطبيب
98	4	3	2	1	الفقيه
98	4	3	2	1	المحكمة
98	4	3	2	1	العائلة
98	4	3	2	1	الجيران
98	4	3	2	1	التلفزيون
98	4	3	2	1	القبيلة
98	4	3	2	1	الشرطة

40- هل تستعمل الانترنت؟

1	نعم
2	لا

41- في حالة الإجابة بنعم، سأقرأ عليك مجموعة من المواقع وتخبرني ما هي المواقع التي تزورها أكثر؟

أبدا 3	أحيانا 2	دائما 1	
			Yahoo
			Face book
			MSN
			You tube
			Twitter
			Google

42- ما هو مصدر معظم معلوماتك فيما يتعلق بالأحداث الوطنية والدولية؟

1	المسجد
2	الجرائد والمجلات
3	الراديو
4	التلفزة
5	الفضائيات
6	الانترنت
7	الأصدقاء

الهجرة والتحصن والتحويلات الأسرية

8	أفراد العائلة
9	مقر العمل
10	الملصقات والإعلانات
11	لقاءات تنظيمية
98	غير معني
99	آخر حدد

43- في رأيك، ما هي المشاكل التي يجب أن تعطى لها الأولوية بالمغرب؟

1	الأمية
2	الفقر
3	توفير تعليم جيد
4	البطالة
5	الهجرة
6	السكن
7	الخدمات الصحية
8	الرشوة
9	وضعية المرأة
10	الجرائم
11	الزبونية (المعارف)
99	آخر (حدد)

44- إلى أي حد تعتقد أن هذه القيم لازالت سائدة في الحياة الاجتماعية؟

منعدمة	ضعيف	متوسط	إلى حد كبير	
4	3	2	1	التضامن
4	3	2	1	الاحترام
4	3	2	1	الإبداع
4	3	2	1	الثقة
4	3	2	1	التسامح
4	3	2	1	التبادل (التوزيع، دارت..)

* علاقات الجوار

45- هل تتبادل الزيارات مع جيرانك؟

1	نعم
2	لا
99	آخر.....

46- إذا كان الجواب بنعم، هل تتبادلون الخدمات؟

1	الأدوات المنزلية
2	المواد الغذائية (السكر، القهوة..)
3	المساعدة في الأعمال المنزلية
4	اللباس
99	آخر (حدد)

47- ما هي الحالات التي تتضامنون فيها مع جيرانكم؟

1	المرض
2	الوفاة
3	الزفاف
4	الفقر
99	آخر.....

المحور الرابع: الأسرة والسكن السابق

48- هل تزور عائلتك بالدوار؟

1	في الأعياد والمناسبات
2	في المواسم الفلاحية
3	في العطل المدرسية
99	آخر.....

49- هل تملك الأسرة في الدوار؟

1	سكن
2	أرض فلاحية
3	مواشى
4	منتوج زراعي (أشجار الزيتون، القمح..)
99	آخر (حدد)

50- هل تتوصل الأسرة بمداخل عينية أو مادية من الدوار؟

1	عينية فقط
2	نقدية فقط
3	عينية و نقدية
99	آخر (حدد)

51- هل تفكر يوما ما في العودة إلى الدوار؟

1	نعم
2	لا
98	لا يعرف

52- كيف ترى وضعية أسرتك في الخمس سنوات المقبلة؟

1	ستتحسن كثيرا
2	ستتحسن قليلا
3	ستظل كما هي حاليا
4	ستتدهور قليلا
5	ستتدهور كثيرا

بيبايوغرافيا عربية

آيت سي، الهاشم (2012): آثار الهجرة على التوسع العمراني بضواحي المدن، نموذج حي أزرو ببلدية آيت ملول بأكادير الكبير، الهجرة والتنمية، مختبر الأبحاث والدراسات الجغرافية والتهيئة والكرطوغرافية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس_سائس.

أزريول، فاطمة الزهراء (2003): المسألة النسائية في الخطاب العربي الحديث من التحرير إلى التحرر، المجلس الأعلى للثقافة.

أفيلال، رشيدة (1997): "السكن كرأس مال مجالي". مقال منشور بمجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، العهد الجامعي للبحث العلمي، العدد 43_44، السنة الثلاثون.

أفاية، محمد نورالدين (1988): "المغرب الثقافي ومسألة التواصل"، الثقافة والتحويلات الاجتماعية: أعمال الندوة المنظمة من طرف كلية الآداب والعلوم الإنسانية 2، الدار البيضاء، منشورات عكاظ.

ابن منظور: لسان العرب، الجزء 13.

ابن خلدون: عبر، الجزء 2.

التايب، عائشة (2013): الهجرة النسائية والتنمية، مهاجرات بلدان المغرب العربي إلى أوروبا مثالا، مجلة عمران، العدد 3.

الكوال، أحمد (2012): التحضر، التحديث، الحداثة في المجتمع المغربي الحديث، إفريقيا الشرق.

الهييتي، مازن عبد الرحمن (2011): المدن والتحضر، أسس ومفاهيم، دار العراب للدراسات والنشر والترجمة.

- ☞ الهيلوش، محمد (2008): الهجرة القروية وإستراتيجيات الاندماج بالوسط الحضري، حالة مدينة صفرو، دفاتر جغرافية.
- ☞ المالكي، عبد الرحمان (2008): الهجرة النسائية في المغرب، حالة المرأة القروية المهاجرة إلى مدينة فاس، مجلة دفاتر جغرافية، العدد 5.
- ☞ الزاهي، نورالدين (2007): المرأة والعمل في حاضرة تطوان. جمعية البحث النسائي للتنمية والتعاون، بحث ميداني.
- ☞ الهراس، المختار (2008): المرأة وصنع القرار في المغرب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.
- ☞ الهراس، المختار (2006): "صورة المرأة في المدونة الجديدة: قراءة سوسيولوجية". نص مطبوع في الأيام الدراسية حول المدونة دعامة للأسرة المغربية المتوازنة، سلسلة الندوات واللقاءات والأيام الدراسية، المعهد العالي للقضاء، عدد 8.
- ☞ الهراس، المختار. بنسعيد، إدريس (1996): الثقافة والخصوبة، دراسة حول السلوك الإنجابي بالمغرب، دار الطليعة، بيروت.
- ☞ الهراس، المختار: "الرئيسي والثانوي في الأسرة المغربية": الأسرة والطفل في المجتمع المغربي المعاصر. منشورات عكاظ.
- ☞ الهراس، المختار (1995): "ملاحظات حول التغيير السكني والتغيير الأسري في المغرب"، نص مطبوع في المرأة العربية بين الواقع والتصور، نور، دار المرأة العربية للنشر.
- ☞ الهراس، المختار (1989): الكتابة الاجتماعية والبحث الميداني، مجلة المناظرة، العدد 2.

- ☞ العربي، البشير (2005): الهجرة الداخلية والتنمية في المجتمع التونسي، دراسة سوسولوجية، مكتبة علاء الدين، صفاقس.
- ☞ الزبيدي، مصطفى جليل إبراهيم: التغيير في البنية الحضرية للمدينة العربية الإسلامية...مدينة بغداد كنموذج، معهد التخطيط الحضري والإقليمي للدراسات العليا، جامعة بغداد.
- ☞ الفائدي، محجوب عطية (2006): علم الاجتماع الحضري. المكتب الوطني للبحث والتطوير، البيضاء، ليبيا.
- ☞ الكتاني، محمد (2002): "مشكلات الهجرة وانعكاساتها في المجتمع المغربي"، مطبوعات أكاديمية المملكة، المعارف الجديدة، الرباط.
- ☞ التاج، عائشة (2002): "تأثير عمل المرأة على العلاقات بين الزوجين". مقال منشور في مجلة الأسرة المغربية: البنية والتفاعل، منشورات الشعلة.
- ☞ العلوي، بنسعيد سعيد (2002): "الأسرة والقيم في عالم اليوم". مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة ندوات، أزمة القيم ودور الأسرة في تطور المجتمع المعاصر، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط.
- ☞ القصير، عبد القادر (1999): الأسرة المتغيرة في مجتمع المدينة، دار النهضة العربية، بيروت.
- ☞ القصير، عبد القادر (1992): الهجرة من الريف إلى المدن. دار النهضة العربية، بيروت.
- ☞ العلياني، عبد القادر (1993): "البعد التحضري لمشاكل السكن بالمغرب"، مجلة الميادين، العدد 8.

- ☞ القطاع المشكل وغير المشكل بالمدينة العتيقة سلا، دراسة مقارنة، المكتبة الصبيحية، سلا، 1987_1988.
- ☞ الحسيني، السيد (1981): المدينة: دراسة في علم الاجتماع الحضري. الطبعة الثانية، القاهرة، دار المعارف.
- ☞ الشوك، علي: "مفهوم الأسرة سوسولوجيا ولغويا عند الساميين والصينيين واللاتينيين". الحياة 18/03/1997.
- ☞ الخولي، سناء (1984): الأسرة والحياة العائلية، دار النهضة العربية، بيروت.
- ☞ المرنيسي، فاطمة (1978): "تطور العائلة المغربية المعاصرة". منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، العدد مزدوج.
- ☞ الكبير، ياسين علي (1982): المهاجرون في طرابلس الغرب، دراسة حالة التماثل، معهد الإنماء العربي، بيروت.
- ☞ الشافعي، ليلي (1993): الحركة النسائية، والمجتمع المدني، ملاحظات أولية، آفاق، العدد 1.
- ☞ إضافات، المجلة العربية لعلم الاجتماع، العددان 23 و 24، 2013.
- ☞ الأنصاري، محمد، جابر: مراجعات في الفكر القومي، سلسلة الكتاب العربي، رقم 57، الكويت، وزارة الإعلام، 2004، ص. 137. مذكور في دحماني سليمان، ظاهرة التغير في الأسرة الجزائرية، 2006.
- ☞ بالكحلة، عادل (2014): علم اجتماع الدين عند عبد القادر الجليدي، إضافات، العدد 28.
- ☞ بعريش، ياسمين (2013): إشكالية العنف الاجتماعي (مدينة علي منجلي نموذجاً)، إضافات، العدد 28.

- ✍ بورقية، رحمة (2012): نحو مدرسة لبناء القدرات المعرفية، مجلة المدرسة المغربية، العدد 4 و5.
- ✍ بورقية، رحمة (2006): الظاهرة الدينية من منظور العلوم الإجتماعية، الأكاديمية، العدد 23.
- ✍ بورقية، رحمة (1998): السوسيولوجيا وقيم الشباب، الشعلة، العدد 2.
- ✍ بورقية، رحمة (1995): النساء والسلطة، مجلة دراسات عربية، العدد 9 و10.
- ✍ بيدي، فاطمة الزهراء (2010): الاتجاهات الجديدة للهجرة الداخلية في الجزائر، المجلة الجغرافية العربية، العدد 55، الجزء 1.
- ✍ بومقرة، نعيم (2008): الحركة النقابية في الجزائر وسياستها المطلبية، الأجر نموذجا، إضافات، العدد 25.
- ✍ بومعالي، رشيد (2011): واقع التغيرات الاجتماعية في الأسرة الجزائرية المهاجرة، دراسات اجتماعية، العدد 07.
- ✍ بوقصاص، عبد الحميد (2010): تداعيات الهجرة الريفية- الحضرية والنمو الحضري في الجزائر، مجلة التواصل عدد 26.
- ✍ بومخلوف، محمد (2008): واقع الأسرة الجزائرية والتحديات التربوية في الوسط الحضري. دار الملكية للطباعة والنشر، الطبعة الأولى.
- ✍ بومخلوف، محمد (2001): التوطين الصناعي وقضايا المعاصرة، دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر، ص: 23 و27.
- ✍ بوشنفاي، بوزيان (1988): في التحضر والثقافة الحضرية بالمغرب، دراسة في البناء الاجتماعي لمدن الصفيح، منشورات الحوار الأكاديمي والجامعي.

- ☞ بلعربي، عائشة (2002): "الهجرة إلى الخارج وانعكاساتها على الأسرة المغربية". مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة ندوات، أزمة القيم ودور الأسرة في تطور المجتمع المعاصر، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط.
- ☞ بودون، ريمون (2007): المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ترجمة سليم حداد، مجد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية.
- ☞ بركات، حلّيم (2000): المجتمع العربي في القرن العشرين: بحث في تغيير الأحوال والعلاقات، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، يوليو.
- ☞ جسوس، محمد (2009): الازدواجية اللغوية وتأثيرها على الطفل وعلى العلاقات الاجتماعية وعلى الثقافة الوطنية، بصمات، العدد 4.
- ☞ جسوس، محمد (1999): الشباب وتحوّلات المجتمع المغربي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية، سلسلة الدروس الإفتتاحية رقم 2.
- ☞ جسوس، نعمان سمية (2003): بلا حشومة، ترجمة عبد الرحيم حزل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى.
- ☞ جاح، محمد (2006): الهجرة القروية ومشاكل التحضر بالمدن الجبلية مقارنة سوسيولوجية، تارجيست نموذجاً، كلية الآداب، مكناس. (نقلا عن موقع كوكل)
- ☞ حمداوي، إبراهيم (2012): خصائص الحياة الحضرية وعلاقتها بالجريمة، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، العدد 17.
- ☞ حزوي، محمد، حاج علي، ألفة (2012): الهجرة القروية وانعكاساتها على تدهور جودة إطار الحياة بالأحياء الهامشية، حالة مدينة فاس، مجلة الهجرة والتنمية، (أشغال الندوة) مختبر الأبحاث والدراسات الجغرافية والتهيئة والكرطوغرافية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية فاس_سائيس.

✍ خريف، حسين (2008): المهاجرون في المدينة وشبكة الاتصال الحضري، مجلة سوسيوولوجية الهجرة الجزائرية في تاريخ الماضي والحاضر، مختبر الدراسات والأبحاث الاجتماعية التاريخية حول الهجرة والرحلة، جامعة منتوي، قسنطينة.

✍ دياب، محمد حافظ (1982): في أزمة المصطلح السوسيوولوجي، الكتاب السنوي لعلم الاجتماع، العدد 3، دار المعارف، القاهرة.

✍ دروش، فضيلة فاطمة (2013): في سوسيوولوجيا الاحتجاج (حالة الاحتجاج)، إضافات، العدد 22.

✍ رماش، صبرينة (2008): خصائص الهجرة الداخلية في الجزائر، مختبر الدراسات والأبحاث الاجتماعية التاريخية حول الهجرة والرحلة، جامعة منتوي، قسنطينة.

✍ شرقي، محمد (2009): التحولات الاجتماعية بالمغرب: من التضامن القبلي إلى الفردانية. أفريقيا الشرق، الدار البيضاء.

✍ شقرون، محمد (1988): العائلة كموضوع من السوسيوولوجيا العفوية إلى السوسيوولوجية العلمية. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، العدد 11.

✍ شقرون، محمد (1987): نظام القرابة والعائلة في المجتمع المغربي. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، العدد 13، الرباط.

✍ شيحة، عبد المجيد (1987): تأثير عمل الأم خارج البيت على السلطة في الأسرة وتقسيم العمل المنزلي وتحصيل الأبناء، دراسات تربوية، المجلد الثاني، الجزء التاسع، القاهرة.

- ☞ صولة، عماد (2005): "سيرورة الرمز من العتبة إلى وسط الدار: قراءة أنثروبولوجية في السكن التقليدي التونسي"، إنسانيات، عدد 28 فبراير.
- ☞ طريفة، الشاذلي. وآخرون: الظاهرة الحضرية والتنمية في تونس. دار سراس للنشر، المعهد الأعلى للتربية والتكوين المستمر.
- ☞ عباس، سناء ساطع (2012): ديناميكية النمو الحضري في العراق، مجلة المخطط والتنمية، العدد 26.
- ☞ عبد المومن، علي معمر (2006): التكيف الاجتماعي والثقافي للمهاجرين في المجتمع الليبي. منشورات المركز العالمي للدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر.
- ☞ عبد الرؤوف، الضبع 2003: علم الاجتماع الحضري، قضايا وإشكالات. دار الوفاء لدنيا النشر والطبعة، الإسكندرية، الطبعة الأولى.
- ☞ عبد الأحد، السبتى. حليلة، فرحات (1994): المدينة في العصر الوسيط، قضايا ووثائق من المغرب الإسلامي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى.
- ☞ غيث، محمد عاطف (2006): قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية.
- ☞ غيث، محمد عاطف (1965): التغيير الاجتماعي في المجتمع القروي. الدار القومية للطباعة والنشر، الإسكندرية.
- ☞ فرحات، نادية (2012): عمل المرأة وأثره على العلاقات الأسيوية في الجزائر، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد 8.
- ☞ فؤاد، أحمد علي (2008): مشكلات المجتمع الريفي في العالم العربي. معهد البحوث والدراسات العربية.
- ☞ كيلاي، محمد (2010): التحضر، شبكة الانترنت العالمية.

كمال، عبد اللطيف (2010): المرأة في الفكر العربي المعاصر، نحو توسيع قيم التحرر، دار الحوار، اللاذقية.

لزعر، امحمد. فلاق، أيمن (2012): محددات الهجرة السرية من المغرب إلى أوروبا، مجلة الهجرة والتنمية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس_سائيس.

لمراني العلوي، كنزة (1985): الثابت والمتغير في بنية الأسرة المغربية. بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا في علم الاجتماع، تحت إشراف الأستاذة فاطمة لمريسي، السنة الجامعية.

منديب، عبد الغني (2002): الأضرحة بالمجتمع القروي المغربي، آليات الوجود والاستمرار في التحويلات الاجتماعية والثقافية في البوادي المغربية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط.

هيرفيهليجييه، دانيال. زيمل، جورج (2005): استمرارية ومرونة التدين. ترجمة درويش الحلوجي، المجلس الأعلى للثقافة.

وصفي، عاطف. الجوهري، عبد الهادي (1965): دراسات في علم الاجتماع الحضري. دار المعارف، الطبعة الأولى.

رسائل وأطروحات جامعية:

الهروي، الهادي (2009): تحول المجتمع المغربي الحديث وعوائق التنمية: مساهمة في دراسة تغير وتحديث البنيات الاجتماعية بالعالم القروي. بحث لنيل درجة الدكتوراه في علم الاجتماع.

أعراب، عبد الهادي (2005-2006): الفقيه كمؤسسة بالمجال القروي: دراسة لتغير مكانة وأدوار فقهاء الشرط بالمغرب. أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في علم الاجتماع.

- ✍ التايب، عائشة (2013): الهجرة النسائية والتنمية، مهاجرات بلدان المغرب العربي إلى أوروبا مثلا. عمران، العدد 3.
- ✍ العنبي، عبد الرحيم (2005): الأسرة القروية والتحويلات السوسيو-اقتصادية: بحث لنيل الدكتوراه في علم الاجتماع.
- ✍ السعديين، محمد (2005): المجتمع السلاوي 1668_1822، أطروحة دكتوراه الدولة في الآداب، شعبة التاريخ، إشراف الأستاذ عبد العزيز التسماني، الرباط.
- ✍ الشهب، محمد (2004): المدرسة وعملية التنشئة الاجتماعية: دراسة في الثقافة المدرسية وفي الأنساق الثقافية التربوية السائدة في المدرسة المغربية. أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في علم الاجتماع، السنة الجامعية.
- ✍ البوطاهري، محمد (1999): الهجرة الريفية بجهة الرباط- سلا- زمور- زعير، بحث لنيل دبلوم الدكتوراه في الجغرافية، السنة الجامعية.
- ✍ السباني، سعيد: الهجرة القروية وأثرها على التنظيم السوسيو- مجالي للمدينة. بحث لنيل درجة الدكتوراه في علم الاجتماع.
- ✍ الشليح، المصطفى (1987): الحياة الأدبية في سلا 1912_1956، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، الجزء الأول.
- ✍ بورقية، رحمة: (1989): الثابت والمتحول في علاقات الدولة بالقبائل في زمور. رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا.
- ✍ درويش، شريف (1990): التغيير الاجتماعي في الريف الجزائري: تغيير علاقة الإنسان بالأرض وآثارها الاجتماعية، مذكرة لنيل دبلوم الماجستير في علم الاجتماع الريفي والحضري، تحت إشراف الدكتور علي مزيغي كمال.
- ✍ هاشم أحمد محمد، سكيبة (2005): علاقة المهاجر بالمجتمع الأصلي: دراسة حول انعكاسات الهجرة الدولية على المجتمع اليمني. بحث لنيل درجة الدكتوراه في علم الاجتماع، السنة الجامعية.

الإدارات والمصالح العمومية:

- ✍ المندوبية السامية للتخطيط (2013).
- ✍ المندوبية السامية للتخطيط (2008): النشرة الإحصائية السنوية لجهة الرباط-سلا-زمور - زعير.
- ✍ مديرية الإحصاء، بمدينة الرباط.
- ✍ عمالة مدينة سلا، قسم التعمير.
- ✍ مديرية الخرائط الطبوغرافية

Bibliographie :

- ✍ Ait Hamza, Mohamed et autres (2013) :L'émigration/ L'immigration marocaine à l'ère de la mondialisation, Institut Marocaine de la Culture Amazighe, Imp., El Maarif El Jadida, Rabat.
- ✍ Agourai, Saadia (2012) : les migrations urbaines et leur impact sur les environs de la ville de Casablanca, migration et développement (actes du colloque), F.L.S.H, Fès, Sais.
- ✍ André, Adam (1949): « Les Bidonville de Ben Msik à Casablanca », Annales de la Faculté des Lettres d'Alger, tome VIII.
- ✍ André, Adam (1968) : Histoire de Casablanca des origines à 1914. Publication des Annales de la Faculté des Lettres d'Aix en Provence, Edition Ophrys nouvelle, série n 66.

- ✕ André, Akoun(1999). Pierre Ansart. Le Robert De Seuil. Dictionnaire de Sociologie.
- ✕ Authier, Jean- Yves et autres (2006) : Le quartier, enjeux scientifiques, actions politiques et pratiques sociales, La Découverte.
- ✕ Berriane, Mohamed (2014): Etat de la recherche sur les migrations marocaines, in Marocains de l'extérieur, Edition de l'observation de la communauté Marocains résident à l'Etranger, Fondation Hassan II, Rabat
- ✕ Belarbi, Aicha (1993): Le Salaire de Madame. Edition le Fennec, Casablanca.
- ✕ Belarbi, aicha (2008): Patrimoine et esprit des lieux salé, Publié par la Direction de l'Architecture, ministère de l'habitat et de l'urbanisme et de l'aménagement de l'espace, Edition Okad, Rabat, Maroc.
- ✕ Ben salem, Lilia, thérèse locoh (2001) : les transformations du mariage et de la famille, in population et développement en Tunisie, Edition Cérés.
- ✕ Ben Messaoud (1974): « Le Loyer urbain, 20% des dépenses ». Revue L'Amalif, n° 67, Casablanca.
- ✕ Bouchanine, Françoise Navez : Habiter la ville Marocaine. L'Harmattan, éditeur Maghreb, ch2, l'espace urbain.
- ✕ Berque, Jacque (1978) : Structures Sociales du Haut- Atlas. 2ème Edition.
- ✕ Bourqia, Rahma (2010): Valeurs et changement social au Maroc, quaderns de la Mediterrania, 13.

- ✕ Bourqia, Rahma (2003): Les Mutations de la Famille : Entretien Publié au Journal Aujourd'hui le Maroc.
- ✕ Bourqia, Rahma. Bensaïd, Driss. El-Harras, Mokhtar(1995): Jeunesses estudiantines marocaines, valeurs et stratégies. Publication de la Faculté des Lettres, Université Mohamed v.
- ✕ Bakkar, Rabia (1998) : « Ecoute et regard, La télévision et les transformations spatiales en Algérie ». In miroirs Maghrébine Itinéraire de soi et paysages de rencontre, Paris, Edition du CNRS.
- ✕ Bentaher, Mekki (1988): Vie quotidienne en banlieue Marocaine, Publication de la Faculté des Lettres et des Science Humaine_ Rabat, n° 10.
- ✕ Brown, Kenneth (2001): Les gens de Salé, traditions et changement dans une ville Marocaine de 1830 à 1930, Editions Eddif, 2001.
- ✕ Cellier, Hervé (2008) : Algérie France, jeunesse, ville et marginalité, L'Harmattan, Paris.
- ✕ Charef, Mohammed (2009) : Le Maghreb central face à ses migrations, le cas du Maroc, in regards sur les migrations tunisiennes, Editions Sud_Agadir.
- ✕ Chaulet, Claudine (2004): status féminins et situation de femmes en Algérie, aujourd'hui, changements familiaux changement sociaux, actes des 3ème colloque département de sociologie, janvier 2004, Publications de la faculté des sciences humaines et sociales, Université d'Algérie 2005- 2006.

- ✎ Charrier, Jean_ Bernard (1964): Citadins et ruraux. Coll. Que sais _je ? Presses universitaires de France.
- ✎ Cherkaoui, Mohamed (1989): Sociologie de l'Education. P.U.F. Collection Que suis -je ? n°2270, Paris.
- ✎ De Singly, François (1993): Sociologie de la Famille Contemporaine. Edition Nathan.
- ✎ Dynamique migratoire (2007) : insertion urbaine et environnement au Burkina Faso, L'Harmattan.
- ✎ Durkheim, Emil (1975) : « la Famille Conjugale » InTextes, Volumes 3: Fonctions Sociales et Institutions, paris, Edition de Minuit, (1^{er} Ed en 1921).
- ✎ Dortier, Jean- François (2002): La Famille aujourd'hui, Bouleversements et recompositions". In Famille, Permanence et Métamorphoses, Edition Sciences Humaines.
- ✎ El mellakh, Kamal (2010) : les jeunes et la migration dans la région Tadla_Azilal, Ed, Zgoura, Casablanca.
- ✎ El Harras, Mokhtar (2005) : Les Mutations de la Famille au Maroc. Najah el Jadida, Casablanca.
- ✎ El Harras, Mokhtar (2002) : Les méthodes qualitatives en sciences sociales. Publications de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines-Rabat.

- ✕ El Harras, Mokhtar (1992) : Westmarck et la société Marocaine, actes du colloque organisé à Rabat du 20_22 mai, F.L.S.H.
- ✕ Escalier, Robert (1995) : Les nouvelles formes de la mobilité spatiale dans le monde arabe. Tome 2.
- ✕ Fize, Michel (2007) : La Famille. Edition Le Cavalier Bleu.
- ✕ Guerraoui, Driss (2000) : Famille et Développement à Fès. In Femmes, Cultures et Sociétés au Maghreb, volume I, Editions Afrique Orient.
- ✕ Gadant, M. Les jeunes femmes, la famille et la nationalité Algérienne, In Peuples méditerranéens, n° 15, Avril – Mai 1981.
- ✕ H.C.P (2013) : famille au Maroc, les réseaux de la solidarité familiale, ch 4, famille et mobilité spatiale, PDF.
- ✕ Hassar benslimane, Joudia (1979): Salé, Etude Architecturale de trois maisons traditionne, vol VII, Musée des Antiquités, Rabat.
- ✕ Hassar, benslimane, jaudia (1992) : le passé de la ville de salédans tous états, histoires, archéologie, archlves, Editions Maisonneuve & Larose, Paris.
- ✕ Jonas, Nicolas (2007) : La Famille. Editions Bréal.
- ✕ Kant, Emanuel (1993) : « Réflexions sur l’Education », traduction Alexis Philonenko, 7ème Edition, Paris.
- ✕ Kerzazi, Moussa (2003) : Migration Rurale et Développement au Maroc. Publication de la Faculté des Lettres et Sciences Humaines à Rabat, n°55.

- ✎ Khémaies, Taamallah : Les Immigrations Intérieures et le Phénomène d'Exode Rurale en Tunisie.
- ✎ Legros, Bernadette bawin (1996) : avec la collaboration de Jean_ François Stassen : Sociologie de la famille, le lien familial sous question, De Boeck Université, Paris.
- ✎ Ledrut, Raymond(1968) : Sociologie Urbaine. Paris.
- ✎ Lexique de sociologie (2005): Editions Pallez.
- ✎ Mernissi, Fatima (1996): femmes du Maghreb, partenaires incontournables de l'équilibre méditerranéen, Les cultures du Maghreb, éditions L'Harmattan.
- ✎ Martensson, Mona (1979) : Rôle de sexe dans la famille à Rabat. Document de B.E.S.M, n°138-139.
- ✎ Ménages, familles, parentèles et solidarité dans les populations méditerranéennes, séminaire international d'Aranjuez (27-30 septembre 1994) n°7, DELF.
- ✎ Migration maghrébine(2005) : enjeux actuels et contentieux, Imp, Najah El Jadida, Casablanca.
- ✎ Nafaa, Rachida(2013) : migration féminine et précarité de l'emploi, etude de cas dans la ville de Mohammedia, in piste d'une recherche appliquée, Cahier de la Recherche Scientifique, n° 3.
- ✎ Nabili, Mohamed (1995): Migrations et stratégie d'intégration des migrants dans la ville d'el Jadida.

- ✕ Nations unies (2011): La mobilité des travailleurs dans l'espace maghrébin.
- ✕ Nedelcu, Mihaela (2012): Le migrant online, nouveaux modèles migratoires à l'ère du numérique. L'Harmattan.
- ✕ Noin, Daniel (1970). La Population Rurale Du Maroc. Presses Universitaires de France, Paris.
- ✕ Oudinet, Joel (2005) : immigration et marché du travail dans les pays du nord : des effets positifs avérés, in les nouvelles migrations, Universalis.
- ✕ Population et mobilités géographiques en Afrique. Volume 3, Edition Karthala, Paris, (2010).
- ✕ Poulain, Tiphaine (2005): la migration andine, rapport à la terre et conquete de la ville, université Paris VII, in Mémoire Online.
- ✕ P. Robert. Paris, 1999.
- ✕ Rambaud, Placide: Société rurale et urbanisation. Edition de Seuil, Paris.
- ✕ Rahmouni; Nabil, (2013): La médina de Salé, enjeux et paradoxes de la réhabilitation, In Médinas immuables? Centre Jacques Berque.
- ✕ Sylvie, Mazzella(2014) : sociologie des migrations, Que sais-Je ? collection PUF.
- ✕ Stébé, jean-Marc. Marchal, Hervé (2009): traité sur la ville, Presses Universitaires de France.
- ✕ Sahib eddine, Abdelhak (2006) : migration et développement socio_économique, cahier du C.E.M.M.M , n° 8.

- ✕ Suisse, Pierre: « Physionomie du douar doum ». Bulletin Economique Et Social Du Maroc, n°69, volume XX, 1956.
- ✕ Tadili, M. Faris (1991): Famille à Fès, changement ou continuité ? Les réseaux de solidarités familiales. Direction de la statistique, CERED.
- ✕ Yacoubou, Moussa (2007): environnement urbain et changements familiaux au Bénin, cas des migrants lokpas de parako, Université d'Abomey_lalavi (Bénin), in Mémoire Online.

لائحة الجداول

- جدول رقم (1): توزيع ساكنة مدينة سلا حسب الجماعات الحضرية والقروية حسب إحصاء 2004-2014..... 24
- جدول رقم(2): توزيع الأسر حسب الجماعات الحضرية والقروية إحصاء 1994-2004-2014..... 26
- جدول رقم (3): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب السن..... 36
- جدول رقم (4): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب الإنتماء الجنسي..... 40
- جدول رقم (5): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب نوع النشاط..... 42
- جدول رقم (6): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب المستوى التعليمي..... 44
- جدول رقم (7): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب عدد الأبناء المتمدرسين من الجنسين... 46
- جدول رقم (8): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب درجة انخفاض الأبناء المنقطعين 46
- جدول رقم (9): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب تصورهم لمدة تعليم الفتاة..... 48
- جدول رقم (10): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب درجة إتقان اللغة الفصحى..... 49
- جدول رقم (11): توزيع أرباب الأسر المبحوثة حسب درجة إتقان اللغة الدارجة..... 50
- جدول رقم (12): توزيع أرباب الأسر المبحوثة حسب درجة إتقان اللغة الأمازيغية..... 53
- جدول رقم (13): توزيع أرباب الأسر المبحوثة حسب درجة إتقان اللغة الفرنسية..... 54
- جدول رقم (14): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب الوضعية العائلية..... 58
- جدول رقم (15): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب الوسط الذي تنتمي إليه الزوج(ة)..... 61
- جدول رقم (16): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب السن المثالي لزوج البنت..... 63
- جدول رقم (17): توزيع أرباب الأسر المبحوثة حسب الوضعية السكنية..... 66
- جدول رقم (18): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب نوع السكن..... 72
- جدول رقم (19): السكن غير القانونية بمدينة سلا وضواحيها..... 75
- جدول رقم (20): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب المجال الداخلي ومكوناته..... 89
- جدول رقم (21): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب التجهيزات المنزلية..... 92

- جدول رقم (22): تطور عدد سكان المغرب إبتداء من 1960 – 2014..... 103
- جدول رقم (23): توزيع الأرباب المهاجرة حسب سنة الهجرة إلى مدينة سلا..... 107
- جدول رقم (24): الأصل الجغرافي لأرباب الأسر المهاجرة..... 109
- جدول رقم (25) : عدد ساكنة المغرب بالملايين إبتداء من 1900-2014..... 115
- جدول رقم: (26): توزيع أرباب الاسر المهاجرة حسب الأسباب الرئيسية للهجرة..... 124
- جدول رقم (27): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب الأسباب الاجتماعية..... 127
- جدول رقم (28): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب قرار الهجرة..... 132
- جدول رقم:(29): تطور نسبة البطالة بالمغرب..... 147
- جدول رقم (30): توزيع أرباب الأسر حسب مشاكل الهجرة..... 148
- جدول رقم (31): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب المشاكل ذات الأولوية بالمغرب..... 151
- جدول رقم (32): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب زيارتهم للجماعات القرايبية..... 164
- جدول رقم (33): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب درجة الرضا عن العلاقة مع العائلة..... 167
- جدول رقم (34): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب المناسبات التي يزرون فيها العائلة .. 169
- جدول رقم(35): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب أوقات زيارتهم للعائلة..... 171
- جدول رقم (36): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب درجة اللقاءات مع العائلة..... 173
- جدول رقم (37): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب درجة ووسيلة التواصل..... 174
- جدول رقم (38): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب التضامن العائلي..... 175
- جدول رقم(39): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب درجة ووسيلة التواصل مع الأصدقاء 178
- جدول رقم (40): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب درجة الرضا عن العلاقة مع الجيران..... 180
- جدول رقم (41): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب درجة التواصل مع الجيران..... 184
- جدول رقم (42): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب تبادل الزيارات مع الجيران..... 186
- جدول رقم (43): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب تبادل الخدمات..... 187
- جدول رقم (44): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب درجة اللقاءات مع زملاء العمل..... 190
- جدول رقم (45): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب درجة العلاقة مع المشغلين..... 193

- جدول رقم (46): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب سيادة القيم الاجتماعية.....198
- جدول رقم (47): درجة رضا أرباب الأسر المهاجرة عن العلاقة مع المدرسة.....200
- جدول رقم (48): درجة رضا أرباب الأسر المهاجرة عن العلاقة مع المركز الصحي.....203
- جدول رقم (49): درجة رضا أرباب الأسر المهاجرة عن القنوات التلفزيونية.....205
- جدول رقم (50): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب مصدر معظم معلوماتهم فيما يتعلق بالأحداث الوطنية والدولية.....205
- جدول رقم (51): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب مصادر معلوماتهم الوطنية والدولية. 215
- جدول رقم (52): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب ما تتوصل به من مداخل عينية أو مادية من الدوار.....225
- جدول رقم (53): توزيع أرباب الأسر في وضعية الهجرة حسب رغبتهم العودة إلى الدوار..230
- جدول رقم (54): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب ملكيتها للسكن والأرض والمنتجات الزراعية.....234
- جدول رقم (55): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب قدرتهم على استعمال تقنية الانترنت.....235
- جدول رقم (56): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب المواقع التي يزورونها ودرجة التردد على استعمالها.....236
- جدول رقم (57): توقع أرباب الأسر المهاجرة لوضعيتهم الأسرية في الخمس سنوات المقبلة.....237
- جدول رقم (58): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب الأشخاص المتدخلين في اتخاذ القرارات الأسرية.....271
- جدول رقم (59): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب موقفهم من الاستقلال السكني للأبناء 274
- جدول رقم (60): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب مكان الاستقرار.....276
- جدول رقم (61): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب توفرهم على أبناء يشتغلون خارج البيت.....277

- جدول رقم (62): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب المساعدات التي يقدمها الأبناء
المشتغلون.....278
- جدول رقم (63): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب أسلوب التربية.....280
- جدول رقم (64): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب الموقف من عمل المرأة خارج
البيت.....285
- جدول رقم (65): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب مشاركة زوجاتهم العاملات في
مصروف البيت.....288
- جدول رقم (66): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب صنف وبنية الأسرة.....293

الرسوم البيانية:

- 24..... _ رسم بياني (1): توزيع ساكنة مدينة سلا وأحوازها حسب إحصاء 2014
- 27..... _ رسم بياني (2): توزيع المساحة الزراعية حسب الدوائر
- 36..... _ رسم بياني (3): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب السن
- 40..... _ رسم بياني (4): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب الانتماء الجنسي
- 44..... _ رسم بياني (5): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب المستوى التعليمي
- 58..... _ رسم بياني (6): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب الوضعية العائلية
- 63..... _ رسم بياني (7): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب السن المثالي لزوج البنت
- 66..... _ رسم بياني (8): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب الوضعية السكنية
- 92..... _ رسم بياني (9): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب التجهيزات المنزلية
- 107..... _ رسم بياني (10): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب سنة الهجرة إلى مدينة سلا
- 109..... _ رسم بياني (11): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب الأصل الجغرافي
- 110..... _ رسم بياني (12): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب مكان الولادة
- 130..... _ رسم بياني (13): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب أسباب الهجرة
- 171..... _ رسم بياني (14): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب أوقات زيارتهم للعائلة
- 186..... _ رسم بياني (15): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب تبادل الزيارات مع الجيران
- 188..... _ رسم بياني (16): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب التضامن مع الجيران

- رسم بياني (17): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب المداخل العينية والمادية.....227
- رسم بياني (18): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب رغبتهم العودة إلى الدوار.....230
- رسم بياني (19): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب تصورهم الاستقلال السكني للأبناء...274
- رسم بياني (20): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب توفرهم على أبناء يشتغلون خارج البيت.....277
- رسم بياني (21): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب أسلوب التربية المتبع مع الأبناء.....280
- رسم بياني (22): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب موقفهم من عمل المرأة خارج البيت..285
- رسم بياني (23): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب بنية الأسرة.....293

الصور الفوتوغرافية

- صورة رقم (1) : لأحد الأحياء الشعبية بمدينة سلا (حي الانبعاث) 68
- صورة رقم (2) : أحد أحياء مدينة سلا الجديدة، نوع " فيلا" سلا الجديدة..... 68
- صورة رقم (3) : أحد أبواب المنازل العتيقة بالمدينة القديمة لسلا 71
- صورة رقم (4) : السكن الاقتصادي بمدينة سلا وضواحيها. 74
- صورة رقم (5): السكن المهجور بمدينة سلا العتيقة..... 76
- صورة رقم (6): تظهر الصورتين: حي عنق الجمل 83
- صورة رقم (7) : توضح بعض حالات التساكن بالمدينة العتيقة لسلا 84
- الصورة رقم(8): أحد أزقة مدينة سلا القديمة..... 94
- صورة رقم (9) ضريح سيدي بنعاشر..... 222
- صورة رقم (10) ضريح سيدي عبد القادر الحراثي..... 222

الفهرس

1	المقدمة
1	الإطار العام للبحث
4	– إشكالية البحث.....
7	– فرضيات البحث.....
7	– أهداف البحث
8	– منهجية البحث.....
9	1. المقاربة الكمية، الاستمارة.....
10	2. المقاربة الكيفية، المقابلة.....
12	3. الملاحظة السوسولوجية
13	4. دراسة الحالة.....
13	– عينة البحث
14	– صعوبات البحث
16	– مجال البحث

الفصل الأول: خصائص المهاجرين بمدينة سلا وضواحيها 34

تقديم 35

– سن أرباب الأسر المهاجرة بمدينة سلا وضواحيها 35

– الانتماء الجنسي لأرباب الأسر المهاجرة بمدينة سلا وضواحيها 38

– الوضعية المهنية لأرباب الأسر المهاجرة بمدينة سلا وضواحيها 41

– المستوى التعليمي لأرباب الأسر المهاجرة بمدينة سلا وضواحيها 43

– ارتفاع نسبة المتمدرسين من أبناء الأسر المهاجرة 45

– انخفاض نسبة المنقطعين من أبناء الأسر المهاجرة 46

– المساواة بين الجنسين في التعليم 47

– اتقان أرباب الأسر المهاجرة للغة الفصحى 49

– اتقان أرباب الأسر المهاجرة للغة الدراجة 50

– اتقان أرباب الأسر المهاجرة للغة الأمازيغية 51

– اتقان أرباب الأسر المهاجرة للغة الفرنسية 53

– أهمية نسب الزواج 55

– المدونة والتحويلات الأسرية 55

– الزواج العائلي 59

– السن المثالي لزواج البنات 62

– الوضعية السكنية لأرباب الأسر المهاجرة بمدينة سلا وضواحيها 64

– الكراء البنية الأكثر انتشارا بين الأسر المهاجرة 65

– المجال كفضاء للتدبير والاستقرار 69

1- أنواع السكن 69

2- المجال الداخلي: المنزل 85

3- المجال الخارجي: الحي 93

خلاصة الفصل الأول : خصائص المهاجرين بمدينة سلا وضواحيها . 95

89	الفصل الثاني: تيارات الهجرة بمدينة سلا وضواحيها
99	المحور الأول: تيارات الهجرة بمدينة سلا وضواحيها
99	تقديم
100	- مفهوم الهجرة
102	- لمحة تاريخية عن الهجرة القروية بالمغرب
105	- تيارات الهجرة بمدينة سلا وضواحيها
105	أ- تاريخ الهجرة بالمدينة
106	ب- هجرة مكثفة بمدينة سلا وضواحيها بعد الاستقلال
108	ج- تنوع أصول المهاجرين بمدينة سلا
111	المحور الثاني: الهجرة والتحضر بمدينة سلا
111	- تقديم
111	- مفهوم التحضر
116	- الهجرة محرك للتحضر
118	خلاصة الفصل الثاني : تيارات الهجرة بمدينة سلا وضواحيها

الفصل الثالث: أسباب ومشاكل الهجرة القروية بمدينة سلا

122 وضواحيها

123 المحور الأول: أسباب الهجرة بمدينة سلا وضواحيها

123 -تقديم

124 -تصنيف أسباب الهجرة

130 -قرار الهجرة

133 -أنواع الهجرة

135 المحور الثاني: تأثير الهجرة والتحضر على مدينة سلا وضواحيها

135 -تقديم

135 -مفهوم المدينة

137 -تأثير تحضر المدينة ومورفولوجيتها

144 -تمثل أرباب الأسر للمدينة

145 -تحديات المدينة

146 -البطالة الحضرية

148 المحور الثالث: مشاكل الهجرة القروية بمدينة سلا

148 -تقديم

148 -مشاكل الهجرة

149 ■ مشكل السكن

149 ■ ضعف الدخل وغلاء المعيشة

150 ■ انعدام الثقة في الناس

150 ■ مشاكل أخرى الفقر والتعليم والخدمات الصحية

152 خلاصة الفصل الثالث: أسباب ومشاكل الهجرة

154	الفصل الرابع: التغيير الأسري والتغيير الحضري
155	- تقديم
156	- مفهوم التغيير
158	المحور الأول: التحضر والتغيير الأسري
158	- تقديم
159	- الشبكات العائلية والقرايبية وصلة الرحم والتواصل
160	- قوة العلاقات القرايبية
162	- مفهوم القرايبية
163	- تبادل الزيارات بين مختلف الجماعات القرايبية
166	- تأثير التحضر على العلاقات العائلية
166	- العائلية بنية للدعم
168	- المناسبات التي يزور فيها المهاجرون القرويون أقاربهم
172	- أشكال التواصل مع العائلة
175	- التضامن الأسري
177	المحور الثاني: الأسرة المهاجرة وشبكات الصداقة
177	- تقديم
177	- أشكال التواصل مع الاصدقاء
178	- اللقاءات المباشرة مع الأصدقاء
180	المحور الثالث: الحياة الاجتماعية وعلاقات الجوار والعمل
180	- تقديم
180	- المهاجر والعلاقات الاجتماعية
181	- المهاجر وعلاقة الجوار
181	- التواصل بين أرباب الأسر المهاجرة والجيران
181	- تبادل الزيارات والخدمات
182	- التضامن بين المهاجرين والجيران
190	المحور الرابع: محدودية العلاقات المهنية
191	- العلاقة بين المهاجرين والمشغلين
192	- سيادة القيم الاجتماعية في أوساط الأسر المهاجرة
194	خلاصة الفصل الرابع

196	الفصل الخامس: الهجرة واندماج المهاجر في الوسط الحضري.....
197	- تقديم
198	المحور الأول: لصيعة العلاقة والثقة بين المهاجرين والمؤسسات.....
198	- العلاقة بالإدارة
199	- العلاقة بالمدرسة
202	- العلاقة بالمنتخبين
203	- العلاقة بالطبيب والمركز الصحي
204	- العلاقة بالتلفزة والقنوات الفضائية والإعلام.....
206	- مصادر معلومات المهاجرين القرويين بمدينة سلا وضواحيها.....
	المحور الثاني: درجة الثقة التي تضمها الأسر المهاجرة في
208	المؤسسات.....
208	- الثقة في الدولة
208	- الثقة في المحكمة.....
209	- الثقة في الأحزاب السياسية.....
211	- الثقة في الجمعيات
213	- الثقة في النقابة.....
216	- الثقة في الفقيه.....
216	- الثقة في الشرطة
216	- تمثل أرباب الأسر المهاجرة لتدين المغاربة.....
223	المحور الثالث: المجرة واندماج المهاجر في الوسط الحضري.....
223	- تقديم
224	- مفهوم الاندماج.....
225	- القرابة وسيط بين المهاجر والاندماج الحضري
226	- استمرارية العلاقة بالموطن الأصلي
228	- يرفض أرباب الأسر المهاجرة العودة إلى الدوار
231	- يملك أرباب الأسر المهاجرة ضمانات عينية ومادية
234	- تتدخل الوسائط التقنية في عملية اندماج أرباب الأسر المهاجرة
237	- المواقع الالكترونية التي يختارها أرباب الأسر المهاجرة
237	- تفاؤل أرباب الأسر المهاجرة حول وضعيتها المستقبلية
238	خلاصة الفصل الخامس.....

الفصل السادس : التحويلات الأسرية بمدينة سلا وضواحيها 240

241-تقديم

المحور الأول: توطئة حول التحول الأسري 242

242 - مفهوم التحول

243-مفهوم الأسرة

المحور الثاني: الأسرة المهاجرة بمدينة سلا: التحول أم الاستمرارية؟ ... 255

255-تقديم

256-تأثير الهجرة على العلاقات الأسرية

260-العلاقة الزوجية

260-توزيع الأدوار بين الزوجين

262-تقاسم المسؤوليات الأسرية

263 - العمل المنزلي

265 - سفر الزوجة

265-التشاور بين الزوجين

266-اتخاذ القرارات الأسرية

272-العلاقة بين الأجيال

272-علاقة آباء- أبناء

272-الاستقلال الأسري

277-عمل الأبناء

285-الحوار والتفاهم والحرية أفضل أسلوب تربوي تنتهجه الأسر المهاجرة

283	المحور الثالث : وضعية المرأة المهاجرة.....
283	– عمل المرأة خارج البيت
288	–تساعد الزوجات المهاجرات العاملات في مصاريف الأسرة
291	المحور الرابع : تحولات في بنية الأسرة المهاجرة:
291	تقديم
292	–تمثل الأسرة النووية البنية الأكثر أهمية بين الأسر المهاجرة
294	1. الأسرة النووية.....
295	2. الأسرة الممتدة.....
296	3. الأسرة المركبة
297	4. أسر ترأسها نساء
299	5. دراسة الحالة
303	–تمثل المهاجرين للأسرة
304	خلاصة الفصل السادس
311	خاتمة
319	الملحق
346	بيبليوغرافيا
364	لائحة الجداول
368	الرسوم البيانية.....
370	الصور الفوتوغرافية